



تاريخ الأدب في إيران

الجزء الأول

البابان الثالث والرابع

تأليف : إدوارد براون

ترجمة وتعليق

الاستاذ الدكتور : أحمد كمال الدين حلمي

أستاذ اللغة الفارسية وآدابها

بجامعة الكويت

جامعة الكويت

١٩٩٦



مطبوعات جامعة الكويت

تاريخ الأدب في إيران

الجزء الأول

البابان الثالث والرابع

تأليف : إدوارد براون

ترجمة وتعليق

الأستاذ الدكتور : أحمد كمال الدين حلمي

أستاذ اللغة الفارسية وآدابها

بجامعة الكويت

جميع الحقوق محفوظة - لجامعة الكويت - لجنة التأليف والتعريب والنشر - الشويخ
ص.ب 5486 - الرمز البريدي 13055 - الصفاة - ت ٤٨٤٣١٨٥

كتاب: تاريخ الادب في إيران - الجزء الاول

تأليف : إدوارد براون - ترجمة ا. د. / أحمد كمال الدين حلمي

الطبعة الأولى - ١٩٩٦

All rights reserved to Kuwait University - The Authorship, Translation and publication
Committee - Al Shuwaikh - P. O. Box 5486 Safat, Code No. 13055 Kuwait
Tel. & Fax. 4843185

تاريخ الأدب في إيران

الجزء الأول

البابان الثالث والرابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى من أرجو أن يحقق لي آمالاً لم
تمكني الأيام من تحقيقها..

إلى ولدي الحبيب

محمد أحمد كمال

فهرست

الأبواب والفصول والموضوعات

- مقدمة المترجم العربي (أحمد كمال الدين). ص ١٩ - ٢٣
- مقدمة المترجم الفارسي (علي باشا صالح). ص ٢٥ - ٣٥
- كلمة المؤلف (إدوارد جرنفيل براون). ص ٣٧ - ٤١

الباب الثالث

أوائل عصر الخلافة العباسية أو عصر الإسلام الذهبي

صفحات	صفحات
الترجمة العربية	الترجمة الفارسية

الفصل السابع:

الخصائص الكلية لعصر الإسلام
الذهبي: (٧٤٩-٨٤٧ ميلادي)

٩٦-٤٧ 407-363

من جلوس السفاح حتى موت

الوائق ٤٧ 363

ما يمتاز به العصر العباسي بصفة

عامة ٤٧ 363

رأي السير ويليم موير

٤٧ 363

رأي دوزي

٤٨ 364

رأي ابن الطقطقي

٤٩ 366

تأسيس الوزارة

٥٤ 370

في تاريخ منصب الوزارة طبقاً

لقول صاحب كتاب الفخري ... ٥٥ 370

		موطن الخطورة في شغل منصب
٥٦	372	الوزارة
٥٦	372	البرامكة
٥٩	375	إحياء عيد النيروز
٦٠	375	تقليد أسلوب الملابس الإيرانية .
		عدم حب العرب الخالص
٦٤	378	للأدب
		الفصل الثامن :
		رواج سوق المذهب والفلسفة في
٩٩ - ١٥٣	458-408	عصر الإسلام الذهبي
١٠٠	409	المرجئة
١٠٣	412	حسن البصري وواصل بن عطاء
١٠٥	414	المقارنة بين القدرية والمجوس .
١١٢	421	انتشار عقائد المعتزلة
١١٦	425	فلسفة المعتزلة واليونان
١٣٥	441	طُرُق السُنَّة والجماعة
١٣٦	441	أهل التشيع
		منشأ الفرقة السبعية والفرقة
١٣٦	442	الإثنى عشرية
١٣٧	443	متقدمو الصوفية
١٤٥	450	المانديون أو المغتسلة
١٤٦	451	أدعياء الصابئية في حرّان
		الفصل التاسع :
		رؤساء الفرق الكبرى في إيران في
١٥٧ - ١٩٣	500-459	ذلك العصر
١٥٧	459	بها فريد

		بها فريد كما جاء على لسان أبي
١٥٧	459	ريحان البيروني
١٥٩	461	كتاب الفهرست لابن النديم
١٥٩	462	مذهب بها فريد
١٦٠	462	غلاة الشيعة
		ثورة سنباد المجوس (٧٥٥-٧٥٦ ميلادي)
١٦٤	466	إسحق (الترك)
١٦٥	468	الروانديون
١٦٦	469	أصول عقائد الروانديين
١٦٨	470	فرس النوبة
١٦٨	471	أستادسيس (٧٦٦-٧٦٨ ميلادي)
١٦٩	471	المقنع ويوسف البرم (٧٧٧-٧٨٠ ميلادي)
١٧٠	472	بيان أبي ریحان حول المقنع ...
١٧٠	472	بيان القزويني حول المقنع
١٧١	474	بيان ابن خلّكان حول المقنع ...
١٧٢	475	قول ابن الأثير
١٧٤	477	مدّة بقاء هذه الفرقة
١٧٦	478	المعلومات الأغزر التي أوردها أبو الفرج بن عبرى
١٧٦	479	في أحوال بابك
١٧٧	480	أصول عقائد بابك
١٨٣	485	إعدام بابك وأخيه عبدالله
١٨٤	487	

١٨٥	488	إعدام مازيار الذي سُتِق بجوار بابك
١٨٦	489	إعدام أفشين
١٨٧	490	محاكمة أفشين
١٨٧	491	الاتهام الأول: جلد المسلمين لتحطيم الأصنام
١٨٨	491	الاتهام الثاني: امتلاك كتاب كفر وزندقة
١٨٨	492	الاتهام الثالث: أكل لحم الحيوان المخنوق ومنع الختان
١٨٩	493	الاتهام الرابع: لماذا قبلت أن يعظموك كما يعظمون الله؟
١٩٠	494	الاتهام الخامس: تحريض مازيار الخفي على الثورة ودفعه إلى العصيان

الباب الرابع

الفصل العاشر:

٢٤٧ - ١٩٩	549-501	المظاهر العامة لعصر انحطاط الخلافة الأولى من جلوس المتوكل إلى جلوس السلطان محمود الغزنوي
١٩٩	501	الخصائص الكلية
٢٠٠	502	رقي الأدب الفارسي في هذا العصر

٢٠٢	504 خلافة المتوكل
٢٠٣	505 تعصب المتوكل
		القرارات التي اتخذت ضد
٢٠٤	506	اليهود والنصارى
٢٠٥	507	مفكرو هذا العصر وكتابه
٢٠٧	509 خلفاء المتوكل الأربعة
٢٠٧	509 بداية استقلال إيران
٢١٠	513 أسرة العلويين في طبرستان
٢١٢	514 ثورة الزنج
		الكتاب والأدباء الذين ماتوا
		خلال الأعوام من
٢١٣	515 (٨٦٣-٨٧٣ ميلادي)
		أبو حاتم السجستاني
٢١٣	515 (السيستاني)
٢١٤	515 الجاحظ
		البخاري ومسلم الترمذي
٢١٤	516 والنسائي
٢١٥	517 عام ٢٦٠ هجرية.
٢١٦	517 الأسرة السامانية
٢١٧	518 قصة موت يعقوب بن الليث ...
٢١٨	519 قصة هزيمة عمرو بن الليث
٢٢٠	521 الشعر في عصر السامانيين
٢٢١	522 البلعميان
		كتاب العريّة (من عام ٨٧٤
٢٢١	522 حتى ٨٩٣م)

٢٢٣	525	خلافة المكتفي (من عام ٩٠٢ حتى ٩٠٨ م)
٢٢٤	526	خلافة المقتدر (من عام ٩٠٨ حتى ٩٣٢ م)
٢٢٥	527	أوضاع إيران في ذلك العصر ... كتاب هذا العصر وعلماءه -
٢٢٦	528	الطبري
٢٢٧	529	الحسين بن منصور الحلاج
٢٣٠	531	جنيد البغدادي
		سائر عظماء فترة خلافة المقتدر في السنوات من ٩٣٢ حتى ٩٤٦ :
٢٣١	533	نفوذ آل بويه
٢٣١	533	نفوذ البويهيين الرجولي
٢٣١	533	إخوان الصفا
٢٣٢	534	الزياريون في طبرستان
٢٣٢	534	السامانيون
		جلال بخارى وعظمتها الأدبية
٢٣٣	535	في عهد السامانيين
		وفيات الأعوام (من ٩٣٢ حتى
٢٣٤	536 ٩٤٦ م)
		خلافة المطيع (من ٩٤٦ حتى
٢٣٥	537 ٩٧٤ م)
٢٣٦	538	تجليات هذه الفترة الأدبية
٢٣٦	539	المسعودي
		ترجمة الطبري الفارسية بقلم
٢٣٧	539	البلعمي

٢٣٧	540	المتنبي
٢٣٩	542	أبو فراس الحمداني
٢٤٠	542	أبو سعيد بن أبي الخير
٢٤٠	542	أبو الفرج الأصفهاني
٢٤٠	543	ابن كشاجم
٢٤١	543	أبو الفتح البستي
٢٤١	543	خلافة الطائع (٩٧٤-٩٩١م) ... أوضاع إيران السياسيّة في ذلك الزمن
٢٤١	544	تاريخ الأدب في تلك الفترة
٢٤٢	544	مفاتيح العلوم
٢٤٢	544	ابن حوقل
٢٤٢	544	سيرافي
٢٤٢	544	أبو علي سينا
٢٤٢	544	ابن خفيف، عارف والصابي ...
٢٤٣	545	ابن نباته
٢٤٣	545	تميم بن المعز
٢٤٣	545	المقدسي
٢٤٣	545	القشيري
٢٤٣	546	الفهرست
٢٤٤	546	تاريخ قم
٢٤٤	546	الصاحب بن إسماعيل بن عباد .
٢٤٥	548	ابن بابويه
٢٤٥	548	المجوسي
٢٤٦	548	نظرة إجماليّة إلى هذه الفترة
٢٤٦	549	محمود الغزنوي

الفصل الحادي عشر:

وضع آداب وعلوم المسلمين في

٢٧٠ - ٢٥١	567-550	بداية العصر الغزنوي
٢٥٢	551	رسائل إخوان الصفا:
٢٥٣	552	أولا: العلوم الدنيوية
٢٥٤	553	ثانيا: العلوم الدينية
٢٥٤	553	ثالثا: العلوم الفلسفية
		مفاتيح العلوم:
٢٥٧	556	١- علوم الشريعة
٢٥٨	557	٢- علوم العجم
٢٥٩	558	الفهرست

الفصل الثاني عشر:

الحركات المذهبية في ذلك العصر

٣١٠ - ٢٧٣	606-568	١- الإسماعيلية والقرامطة أو (الإمامة السبعية)
-----------	---------	--

الفصل الثالث عشر:

الحركات المذهبية في ذلك العصر

٣٥٨ - ٣١٣	648-607	٢- تصوّف الصوفيّة
٣١٣	607	معنى لفظ صوفي واشتقاقه
٣١٤	608	الفروض المتعلقة بأصل التصوّف
٣١٧	610	١- افتراض باطنية الإسلام
٣١٧	610	٢- افتراض رد فعل العنصر الآري
٣١٨	611	٣- افتراض أنّ أصل التصوّف هو طريقة الأفلاطونيين الجدد ..
٣٢٠	613	

٣٢٩	622	من كلمات إبراهيم بن أدهم ...
٣٣٠	623	من كلمات سفيان الثوري
٣٣٠	623	من كلمات رابعة العدويّة
٣٣٠	624	من كلمات فضيل بن عياض ...
		ما الذي كتبه عريب حول
٣٣٦	629	الحلاج؟
		ابن مسكويه وكتاب العيون في
٣٣٦	630	الحديث حول الحلاج
		مشرب التصوّف:
		الوجود الحقيقي من لدن الله
٣٤٨	640	وحده
		الوجود، العدم، الوجود
٣٤٩	641	الخارجي أو العرضي
٣٥٠	642	سبب الخلق
٣٥٠	642	كيفية الشرّ وماهيته
		الفصل الرابع عشر:
٣٦١ - ٤١٦	649-696	آداب إيران في هذا العصر
		مصادرنا حول الشعراء الذين
٣٦١	649	يكتبون بالعريّة:
٣٦١	649	يتيمة الدهر للشعالي
٦٣٤	652	ملحقات يتيمة الدهر
	653	دمية القصر
		المنابع الأولى للمعلومات
		المتعلّقة بالشعراء الذين يكتبون
٣٦٦	654	بالفارسيّة في هذا العصر.
٣٦٦	654	چهار مقاله

٣٦٦	654	لباب الألباب
٣٦٨	655	أبو طاهر الخاتوني
٣٦٨	655	«لغت فرس» تأليف الأسدي ...
٣٦٩	657	شرح لباب الألباب
		شعراء آخرون من بين السلاطين
٤٠٣	683	والأمراء
		الخصائص الكلية للشعر في هذا
٤٠٣	684	العصر
٤٠٤	684	البحور العربية والفارسية
		أي نوع من الشعر كان
		الإيرانيون السابقون يفضلونه
٤٠٤	685	أكثر من غيره؟
٤٠٥	685	الرباعي
٤٠٦	686	المثنوي
		أشعار الإيرانيين العربيّة في هذه
٤٠٧	687	الفترة
		تصوّر أنّ كلّ قراء الأشعار
٤٠٧	687	العربيّة يعرفون الفارسيّة
		الإشارات إلى أعياد الإيرانيين
٤٠٨	688	وعاداتهم
		استخدام أشكال الشعر الفارسي
		كالغزل والمثنوي في الأشعار
٤٠٩	689	العربيّة
٤١٠	691	النثر الفارسي
٤١١	692	أقدم النسخ الخطيّة الفارسيّة
٤١٢	693	مرزبان نامه

٤١٣	694	المؤلفات اليهودية المتصلة بالفارسية
		تعليقات دانيال المشكوك فيها
٤١٤	695	حول التوراة
		فهرست مختصر لمؤلفات
		العلماء الأوروبيين المهمة حول
		الموضوعات المختلفة التي
		كانت موضع البحث في هذا
٤١٩	697	المجلد
		ثبت بالمراجع والمصادر التي
٤٥٥		أفاد منها المترجم إلى العربية .
		الفهرست العام للأسماء الواردة
٤٧٣	727	بالكتاب

مقدمة المترجم العربي (أحمد كمال الدين)
على الجزء الأول من كتاب أ.ج. براون
«تاريخ الأدب في إيران»

في مستهل القرن العشرين، شرع المستشرق العظيم ادوارد جرنفيل براون في الكتابة حول أساطير إيران وتاريخها وحضارتها وأدبها مستغلاً إتقانه للعديد من اللغات ومن جملتها الفارسية والعربية، وفي عام ١٣٤٣ هـ = ١٩٢٤م فرغ من عمله العظيم تاركاً بين أيدينا أربعة مجلدات كبيرة تُعدُّ من أفضل ما كتبه عن إيران. ووضع براون لهذه الموسوعة الأدبية العنوان التالي:

«تاريخ الأدب في إيران، منذ أقدم الأزمنة إلى زمان الفردوسي»

A LITERARY HISTORY OF PERSIA

- From The Earliest Times Until Firdawsi -

ومنذ سنوات قمْتُ بتعريب المجلد الأول، ونشرتُ البابين الأول والثاني فقط من أبوابه الأربعة. وقد أحسست بعد تكامل الترجمة أنني قد أنجزتُ مجلداً ذا أهمية خاصة، لاشتماله على ما يهمُّ دارسي الحضارات الإيرانية القديمة، ولأنه يتحدث عن الفتح العربي وعن الصلات بين العرب والفرس: بدايتها وتطورها، ويمهّد السبيل لدراسة الآداب الإسلامية التي نشأت في إيران بعد الإسلام، ويسجّل الكثير مما جاء في الكتب العربية حول إيران قبل دخول الإسلام ربوعها، والقرون الأربعة الأولى من حياتها في ظل الإسلام، ويرجع إلى العديد من كتابات المستشرقين الذين تناولوا هذه الفترة الطويلة بالدراسة والبحث.

وقد ترجمتُ المجلد الأول بأبوابه الأربعة عن الترجمة الفارسية التي وضعها الأديب الفارسي الكبير علي باشا صالح، لأثبت تعليقاته القيمة بغية إثراء الموضوع وإكسابه قدراً وأهمية. واضطرت لنشر البابين الأول والثاني،

وأرجأت نشر الثالث والرابع نظراً لضخامة العمل، ولحاجة الطلاب الملحة إلى ما ورد في البابين الأول والثاني من معلومات. ولم أقم بالتعليق على البابين المذكورين اكتفاء بتعليقات المترجم الفارسي. وذكرت في مقدمتي صراحة أنني فعلت ذلك. وخاطبتُ القارئ العزيز قائلاً: حيثما وجدت عبارة (تعليق المترجم) فاعلم أن مترجم الفارسية (علي باشا صالح) هو المقصود. وقد دفعني إلى ذلك أن تعليقاتي كانت قليلة لا تستحق منّي تنويهاً.

لقد قامت جامعة الكويت في عام ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م مشكورة بطبع البابين الأول والثاني من هذا الكتاب القيم على وعدٍ منّي بأن أدفع إليها البابين الثالث والرابع لنشرهما. وفي عام ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م أعادت الجامعة النشر بعد نفاذ الطبعة الأولى، وصدرت الطبعة الثانية مصحّحة منقّحة مضافاً إليها بعض المعلومات.

واليوم أقوم بنشر البابين الثالث والرابع من المجلد الأول، لأكون بذلك قد وفيت بوعدتي وأنجزت المجلد الأول من كتاب «تاريخ الأدب في إيران» كاملاً.

لقد سبقني أستاذي الجليل الدكتور إبراهيم أمين الشواربي إلى ترجمة المجلد الثاني من مجلدات براون الأربعة، ونشره في القاهرة عام ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م واعداداً بنشر بقية المجلدات، منوهاً بأنه قد انتهى كذلك من ترجمة الجزء الأول وأنه سوف ينشره قريباً. والآن وبعد مرور أربعين سنة لا أجد حرجاً في نشر هذا الجزء بعد أن قضيتُ وقتاً مضميناً في ترجمته إحساساً مني بأن هذا الجزء لا يقلُّ أهمية عن الجزء الذي نشره أستاذي، وأنه كما قال المؤلف مقدمة مهمة تمهيدية للجزء الثاني. لا غنى عنها لدارس الفارسية وأدبها وحضارتها. وإذا كنتُ قد اكتفيتُ بتعليقات المترجم الفارسي على البابين الأول والثاني فإنّي قد اتبعتُ منهجاً غير هذا بالنسبة للبابين: الثالث والرابع، فأثبتت الهوامش والتعليقات حين رأيت أن ذلك سوف يثري العمل،

خاصة وأن وجهات نظر المؤلف في كثير من الأمور كانت بحاجة إلى من يؤيدها أحيانا أو يعارضها في كثير من الأحيان. وقد فعل المترجم الفارسي الشيء نفسه فكان بدوره في حاجة إلى من يقوم آراءه ويسانده أو يعارضه.

وقد سددت بهوامشي وتعليقاتي كثيراً من الثغرات فعرفت الكتاب والشعراء والعرفاء والحكماء الذين ورد ذكرهم مبتوراً، وذكرت العديد من المراجع والمصادر التي تفيد في ترجمتهم. وساعدني في ذلك كتاباتي العديدة حول الفترة التي يتناولها البابان الثالث والرابع.

لقد كنت أميناً في ترجمتي بعيداً عن التصرف، ولم أمنح السياسة أو المذهب اهتمامي، وحاولت أن أعطي كل ذي حق حقه. وقد ترجمت كلمتي المؤلف والمترجم الفارسي بكل أمانة لأثبت هديهما ومنهجيتهما. وقد خرجت الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، وصححت ما وقع من أخطاء ونوّهت إليها.

وقد وقع المؤلف والمترجم في خطأ التحامل على بعض الشعوب والشخصيات أو تمجيدها، إما تعصباً أو مسaireً لما ورد لدى المستشرقين المفرضين الذين يولون السياسة والمذهب اهتمامهم، فكان لا بد من الرد العلمي المقنع من جانبي. وقد أغفل المؤلف - وتبعه المترجم - بعض الأحداث فرأيت استكمالها تحقيقاً للفائدة ولكي يظهر هذا العمل الكبير في صورة مشرقة. وقد اعتمدت في ردودي وإضافاتي على الآراء العلمية والدراسات الحديثة.

وقد ذكرت المطبوع من المخطوطات التي لم تكن حتى عهد المؤلف والمترجم قد طبعت بعد، وذكرت أماكن طبعتها والمشرفين على نشرها، ورجعت في ذلك إلى ما توفّر لي من الفهارس المطبوعة.

ولما كان براون قد استخدم التاريخ الميلادي وحده في معظم الكتاب،

وسايره في ذلك المترجم الفارسي، فإنني عمدتُ إلى مخالفتها إحساساً مني بأهمية التاريخ الهجري في هذه الفترة الإسلامية التي يتناولها الكتاب، فقمْتُ بإثبات التواريخ الهجرية وما يقابلها من تواريخ ميلادية.

هذا، وألِفْتُ نظر القارئ إلى مراعاة ما يلي:

أ - كلُّما وُجِدَتْ قبل أي تعليق أو حاشية عبارة (تعليق المترجم) فالمقصود هو المترجم الفارسي (علي باشا صالح)، وكلُّما وُجِدَتْ عبارة (تعليق م.ع) فالمقصود هو المترجم العربي (أحمد كمال الدين). وبذلك يمكن التمييز بسهولة بين تعليقات وحواشي هذا وذاك.

ب - أرقام الصفحات الواردة في فهرست الموضوعات نوعان:

النوع الأول: أرقام أثبتُّها - ووضعتها كذلك على يمين المتن - متمشية مع الترجمة الفارسية، فإذا أراد القارئ مثلاً أن يرجع إلى العنوان الوارد بالفهرست - وليكن (تأسيس الوزارة) .. عليه أن يرجع إلى صفحة ٣٧٠ من النسخة الفارسية (ترجمة علي باشا صالح).

النوع الثاني: أرقام أثبتُّها متمشية مع الترجمة العربية، فعلى من يريد الرجوع مثلاً إلى العنوان المذكور سابقاً: (تأسيس الوزارة) .. عليه أن يرجع إلى رقم الصفحة المقابلة لهذا العنوان في النسخة العربية (ترجمة أحمد كمال الدين).

ج - فيما يتعلّق بالفهرست العام للأعلام الواردة بالكتاب:

قمت أمام كل اسم بإثبات أرقام الصفحات التي يمكن الرجوع إليها بشأن هذا الاسم. وهذه الأرقام المثبتة هي أرقام الصفحات الواردة في الترجمة الفارسية. ثم أثبتُّ أرقام صفحات الترجمة الفارسية على يمين صفحات الترجمة العربية التي قمتُ بها ليرجع إليها من يريد الكشف عن أي اسم وارد في هذا الفهرست. فمن يريد البحث مثلاً عن «اليمينى» عليه الرجوع إلى الرقم [666] الموجود على اليمين، ولا يتقيّد بأرقام الترجمة العربية فهو ليس في حاجةٍ إليها في هذا المقام.

د - أرفقتُ في نهاية الترجمة ثَبَتاً بالكتب التي رجعتُ إليها واعتمدتُ عليها في التعليقات، ولم أثبت ما ورد بها من أعلام في الفهرست الخاص بذلك.

هـ - تعمّدتُ أن أُسْقِطَ العناوين الجانيّة الواردة لدى المؤلّف ليكون هناك تسلسل في الترجمة، واكتفيت بأن هذه العناوين هي نفسها التي تشكّل فهرست الموضوعات، وأنها مقترنة بأرقام الصفحات في الترجمتين: الفارسيّة والعربيّة.

وإني إذ أشكر الله على التوفيق.. لأسأله سبحانه أن يوفّقني لما فيه خدمة العلم والعلماء.

أ.د. أحمد كمال الدين
١٩٩٥/١٠/٥م

* * *

مقدمة المترجم الفارسي (علي باشا صالح)
على الجزء الأول من كتاب أ.ج. براون
«تاريخ الأدب في إيران»

ما أطيب أن ترد سيرة سيّد العاشقين في حديث الآخرين .

المولوي .

في أوائل شهر فروردين من عام ١٣٧٨هـ = ١٩٥٨م لفت أحد وزراء التعليم السابقين - ممن لهم اهتمام بالغ بنشر المؤلفات والمحافظة على الآثار - نظري إلى نشره ترجمة علي أصغر حكمت للمجلد الثالث من «تاريخ الأدب في إيران» للأستاذ ادوارد براون . وبعد فترة طُبعت ترجمة الجزء الرابع من هذا الكتاب بتوجيه منه، وقامت وزارة المعارف بنشرها . . وكانت الترجمة بقلم رشيد ياسمي فقيده جامعة طهران . لكن الجزء الأول والجزء الثاني بقيا وكأنما لا يعني أحداً ترجمتهما، بينما الواجب أن تترجم إلى الفارسية السليمة السلسلة كل الكتب الأساسية المهمة التي وضعها المستشرقون حول إيران لتكون تحت إنظار عامة الشعب، وأن تخضع للدراسة العميقة والنقد الدقيق من قبل علمائنا، ليعلم الجميع ما قاله الآخرون في حقنا . ولا أعتقد أن هناك من ينكر أهمية ذلك الأمر وضرورته .

ألا ما أكثر العبر وما أقل الاعتبار . . الدنيا تغصّ بالعبر ونصيبنا منها الغفلة .

ولم يمض طويل وقت حتى تكرّم المجلس الأعلى للتعليم، وتكرّم المرحوم الدكتور عبدالحميد أعظم زنگنه وزير التعليم ورئيس كلية الحقوق آنذاك، والسيد الدكتور علي فرهمندي مدير عام الفنون الجميلة عندئذ، وعدد كبير من رجال العلم والمعرفة . . بتكليفني أنا الذي لا وزن له - بإنجاز هذا العمل الجليل ؛ لهذا وجب علي أن أقول صراحة :

«لم نقرأ قصّة الاسكندر ودارا،

فلا تسلنا إلا عن قصّة الحب والوفاء.

إن شئت أن تستضيء بأحوال العشق وأسراره،

سل عن الشمع ولا تسل عن قصّة ريح الصبا.

ومرّ عام وعامان، ولم تكن نصف الترجمة قد تمّت حين دبّت الخلافات بين إيران وانجلترا وأخذت حدّتها في التصاعد يوماً بعد يوم، وانتهت بقطع العلاقات بين الدولتين. لكنّي واصلت تلك الخدمة الثقافيّة، وأكملت ما بدأت ناظراً إلى الأمر نظرة علميّة أدبيّة لا غير.

وكانت كلمات العلامة الأديب «محمد بن عبد الوهاب القزويني» تُلحّ على خاطري آنذاك، تلك التي يقول فيها:

«لقد أنفق مؤلّف هذا الكتاب جلّ وقته الثمين في الدفاع عن حقوق من ينشدون العدالة، وحقوق إيران المشروعة العادلة، ولم يدّخر وسعاً في ذلك - كدأبه - فنشر المقالات ودبّج الرسائل وألقى الخطب في المحافل السياسية الانجليزية دون تقصير»^(١).

ومما لا شكّ فيه أن أرباب الفضل والأدب يعرفون شيئاً عن أحوال براون. ولمّا كنت لا أعرفه إلا من خلال قراءاتي لآثاره الأدبيّة فقد لجأت إلى أقوال أهل الفضل للاستفادة منها في هذا الشأن.

وقد قال القزويني في موضع آخر^(٢):

«إذا ما تحدّثت عن خدمات براون الأدبيّة أمكنني أن أقسم - بكلّ شجاعة - أنّه لا يوجد قط بين مستشرقي أوروبا وأمريكا - من معاصريه أو سابقيه - من عانى مثلاً عانى في هذا السبيل، ولا يوجد من بينهم من استمر مثله

(١) شمس القيس الرازي: المعجم في معايير أشعار العجم، بيروت ١٣٢٧هـ، المقدّمة بقلم القزويني.

(٢) مجلة إيران شهر، العدد ٢، أوّل اردی بهشت ١٣٠٥هـ، السنة الرابعة، ص ٧٥ وما بعدها، وييسر مقالته للقزويني - الجزء الثاني - باهتمام عباس إقبال أشتياني الأستاذ بجامعة طهران، مطبعة المجلس، عام ١٣١٣هـ ش، الصفحات ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٣٢.

حتى آخر دقيقة في عمره - فيما بين الثامنة عشرة والرابعة والستين - عاكفاً على إحياء الآثار الأدبية الإيرانية - دون كلل أو ملل - باذلاً نفقات طائلة من جيبه الخاص في سبيل طبع الكتب الفارسية النفيسة. إنَّ حُبَّه للعالم الإسلامي بصفة عامة وإيران والإيرانيين بصفة خاصة لم يكن يقف عند حد. ولم يكن هذا الحبُّ يصدر منه عن غرض مادي عملي كالجاء أو المال أو السياسة أو خدمة وطنه، وأمثال ذلك، بل إنَّه لم يكن يصدر إلَّا عن إحساسات قلبية وجذبات نفسية، أي أنه كان نابعا من عشقه لكل ما هو طيب ظريف جميل، وكل ما هو حق وصدق، وصادرا عن كراهيته ونفوره مما هو عكس ذلك.

والواقع أن وجود المرحوم براون نعمة أنعم الله بها على إيران، فهل هناك ما يشير العجب أكثر من وجود رجل ينتمي لشعب أجنبي - وهو من أعظم علماء وكتاب هذا الشعب - يقضي عمره موالياً لشعبنا وبلادنا، مسانداً لأفكارنا تجاه شعبه، ومملكته، ناقداً لأعمالها؟.

ولإعطاء صورة إجمالية للجانب الأدبي من حياة ذلك الفقيه، والتي تبدأ من سن الثانية عشرة - حين بدأ في تعلُّم اللغة الفارسية - حتى آخر دقيقة من عمره.. يجب أن نلقي نظرة على مؤلفاته العديدة الجلية في هذا الفرع، والتي تبلغ ١٢ كتاباً كبيراً و٢٢ رسالة^(١). وأبرزها وأهمها هو «تاريخ الأدب في إيران» في أربعة أجزاء كبيرة، قام بطباعتها فيما بين عامي ١٩٠٢م و١٩٢٤م (١٣٢٠هـ-١٣٤٣هـ). وتبلغ صفحات الكتاب ما يقرب من ٢٣٠٠ صفحة. وهذا الكتاب المهم الخاص بأدب لغتنا لا يعدُّ فريداً في نوعه في أوروبا، ولا يُعدُّ غير مسبوقٍ فحسب، بل إنَّه - كما يعلم الجميع - لا يوجد قطُّ بين الفرس أنفسهم - حتى الآن - من ألَّف كتاباً على غرارهِ في روعة النظام والترتيب، يشتمل على كل هذه المعلومات المهمة النادرة، بهذا التفصيل الناجم عن ٣٤ سنة من المشقَّة والعمل الدؤوب على يد علامة كهذا، مطلع على فنون العالم بلغات مختلفة.

(١) لا تدخل في ذلك المؤلفات السياسية، والمؤلفات الخاصة بالبايَّة والحضارة الفارسية التي صحَّحها وطبعها. والمقصود فقط هي الكتب والرسائل الأدبية.

إنَّ مثل هذا اللون من المؤلَّفات الموسوعيَّة الشاملة المنوَّعة الحاوية للتاريخ والشخصيَّات والأدب وسير الشعراء ومعجم الأدباء والأشعار المختارة والحكايات وآلاف الحسنات والمزايا. . لا يوجد له نظير عندنا حتى الآن. لهذا، يجب أن يُترجم هذا الكتاب إلى الفارسيَّة بأقلِّ هجوم وتعديل ممكنين، وأن يُنشر بين الإيرانيين ليرى فيه الناس نموذجاً للكتابة والتأليف في التاريخ الأدبي على الطريقة الأوروبيَّة.

لقد بلغ حبُّ براون للفارسيَّة أنَّه كان يقول لمن يعرف هذه اللغة ويكلِّمه بالانجليزيَّة: «يحسن أن تتكلَّم الفارسيَّة، فإنَّ من لا يعرفها. . هو في رأيي إنسان غير كامل»^(١).

وقد صرَّح السيّد محمود محمود بدوره برأيه فيما يتعلَّق ببراون - مُردداً ما يشبه رأي القزويني - فقال في المجلد الخامس من الفصل الثالث والستين من كتاب «تاريخ روابط سياسي، طهران، شهر يور ١٣٣١هـ:

«استمر اتحاد الدولتين: روسيا وانجلترا ما يقرب من ١٠ سنوات. وقد أمضى الشعب الإيراني في هذه الفترة أسوأ أيام حياته وأحفلها بالخوف. وفي هذه الأيام، كان الأستاذ براون هو الذي يوصل أئات شعب إيران إلى مسامع أهل العلم. وسوف لا ينسى شعب إيران قط متاعب هذا الرجل العظيم وخدماته، وسوف يبقى شغفه بإيران ماثلاً على الدوام في أذهان الإيرانيين».

وهناك فريق آخر يعرف أفراد المؤلف عن طريق ارتباطه بالعوامل السياسية، ولا يعرفون أنَّ دراساته تخلو من الوجهة السياسيَّة. أما أنا (كاتب هذه السطور) فإنِّي لم أُعزَّ - ولا أعتني أبداً - بتأييد أو ترديد هذه الأقوال، أو التحريُّ بشأنها أو تقويمها مع الآخرين، لذا أكتفي هنا بنقل ما قاله كاتب آخر كانت له معرفة كافية بالمؤلف:

(١) ملحق مجلة التربية والتعليم. خطاب سيد حسن تقي زاده في حفل تأبين المستشرق براون المحبِّ لإيران، ذلك الحفل الذي أقامته الجمعية الأدبيَّة في إيران بمناسبة وفاته. . في السادس والعشرين من ديماء ١٣٠٤هـ، مطبعة فاروس، تهران.

يقول^(١) السيد الدكتور محمود أفشار وكيل وزارة الثقافة السابق ومدير مجلة المستقبل، الذي كان قد أهدى المؤلف رسالة الدكتوراه التي كتبها حول سياسة أوروبا في هذه البلاد^(٢) اعترافاً منه بخدماته لإيران:

«... ولم يكتف المستشرق الشهير بمخالفة دولته سياسياً والدفاع عن حقوقنا السياسية، وإنما قام - على الرغم من إحساسه بأن مصلحة الإنجليز مرتبطة بحماية إيران - بضرب عصفورين بحجرٍ واحدٍ طبقاً للمثل المعروف، فكان يدافع عن حقوقنا المشروعة، وعن مصالح بلاده الواقعية في آنٍ واحد. وكان يروج في إنجلترا لأرائه هو ومن يرون رأيه، تلك الآراء الموالية لإيران، ويتلافى ما يُغضب إيران وشعبها. والذي لا شك فيه هو أن حكومة إنجلترا كانت تسعى وراء فائدتها.

والخلاصة إن براون كان محباً لإيران وصديقاً لها على نحو يفوق محبيها.

ونحن لا نريد بقولنا هذا أن ننقص من قدره قيد خردلة، بل إن الأمر على عكس ذلك، ولو كان غير هذا لاهتزَّ اعتقادنا فيه وأصابه الوهن. فلو أن روسياً أو إنجليزياً أو فرنسياً أدَّى لبلادنا خدمة فسوف تكون تلك الخدمة خيانة لوطنه. قد تستفيد حكومتنا من تلك الخدمة لكنَّ مثل هذا الشخص سوف يفقد قدره ومنزلته في نظرنا ولا شك. وقد جُلِّي الأستاذ بدوره هذه النقطة في بعض أعماله، كما هو الحال في رسالة أزمة ديسمبر ١٩١١م في إيران، صفحة ١٥...».

ولا يجوز أن نطيل الكلام في هذا الموضوع أكثر من ذلك فقد فصل

(١) مجله آينده - المنجلد الأول - السنة الأولى، من ٤٤٥-٤٤٦، العدد السابع.

(٢) La Politique Européenne en Perse (Thèse Présentée à L'Université de Lausanne) Berlin 1921.

الكلام فيه شعراء إيران وبقية بلاد العالم، حتى إن المرحوم ميرزا أبا القاسم عارف القزويني قد أنشد أشعاراً في مدحه^(١). لهذا فإننا - منعاً للإطناب - نورد في هامش الصفحة صورة للمقالات والرسائل المتعلقة بذلك الأمر^(٢).

- (١) في الحفل الذي أقيم بمناسبة بلوغ براون سن الستين، بإشراف المرحوم حاجي ميرزا يحيى دولت آبادي - في جمعية إيران الأدبية - قام د. عيسى صديق بجمع المنظومات التي كان الأدباء الإيرانيون قد ألّفوها والشعراء قد نظموها في مدح براون، وجعلها في مجلد مذهب بعد أن كتبها المرحوم عماد بنخط جميل، وأرسله إلى كمبريدج.
- (٢) المقالات والرسائل هي:

- ١- مقالات محمد بن عبد الوهاب القزويني في السنة الرابعة بمجلة إيران شهر.
- ٢- يست مقاله محمد بن عبد الوهاب قزويني (المقالات العشرون)، بإشراف الأستاذ إقبال أشتياني.
- ٣- مقدمة القزويني على كتاب المعجم في معايير أشعار العجم، تأليف شمس الدين محمد بن قيس الرازي، بيروت ١٣٢٧هـ-١٩٠٩م.
- ٤- خطاب السيد سيد حسن تقي زاده الذي ألقاه في جمعية إيران الأدبية في السادس والعشرين من ديماء عام ١٣٠٤هـ، ملحق مجلة التربية والتعليم، مطبعة فاروس بتهران.
- ٥- مقدمة ترجمة المجلد الرابع من (تاريخ أدبيات إيران) بقلم المرحوم رشيد ياسمي (تهران ١٣١٦ش).
- ٦- مقدمة ترجمة المجلد الثالث من (تاريخ أدبيات إيران) بقلم علي أصغر حكمت (تهران ١٣٢٧ش).
- ٧- مجله تعليم وتربيت، رسالة منفصلة في وصف مجلس عزاء ذلك الفقيد.
- ٨- ترجمة قسم من هذا الكتاب بقلم السيد الدكتور سيف پورفاطمي، طبع في أصفهان، ويوسفني أني لم أره. وبناء على تصريح من السيد سلطان محمد عامري. تمت ترجمة قسم من المجلد الأول، لكنه لم يطبع إلى الآن.
- ٩- مقالة الأستاذ منز في مجلة روزگارنو (العهد الجديد)، ج. ١. شماره ٢، پائيز (الخريف) ١٩٤١م = ١٣٦٠هـ.
- ١٠- مقالة السيد مجتبي مينوي في مجلة العهد الجديد، ج. ١. شماره ٢.
- ١١- مقدمة السير دنيسن راس على الطبعة الثالثة من كتاب يكسال درميان ايرانيان (عام بين الإيرانيين) ١٩٥٠ ميلادي = ١٣٧٠ هجري.
- ١٢- مجله آينده، سلسلة مقالات للسيد الدكتور محمود أفسار، السنة الأولى، العدد ٣، ص ٢١٠-٢١٥، والعدد ٤، ص ٢٨٠-٢٨٣، والعدد ٧، ص ٤٤٤-٤٤٨.
- ١٣- مجله يادگار: رسالة الفقيد ادوارد براون إلى الفقيد ملا محمد كاظم خراساني وإجابته عليه. العدد ٢، ص ٤٦-٥١.

بناء على هذه المقدمات، فإنه لا يُستغرب من كاتب دُبَّج الكتب في عظمة ثقافة إيران، وقضى عمره باذلاً همّه في امتداح حضارة هذه البلاد أن يضطرّه شعوره بالقوميّة والعرقية أحياناً إلى مدح شعبه - خلال صفحات كتبه - مرّة أو مرّتين، بل ولا ينتظر منه سوى هذا.

وقد تمكّنتُ بعون الله الواحد من ترجمة هذا الكتاب بأمانة تامّة، واستفدت - قدر الإمكان - من الآراء العلمية والدراسات الجديدة في تجنّب الأخطاء وإزالة العثرات عن هذه البضاعة المزجاة، وأضفتُ الحواشي والتعليقات اللازمة. ولم أعِر سياسة الأشخاص ومذهبهم اهتماماً، لكنني لم أسمح قط بأيّ لون من التهاون والتصرّف في ترجمة المتن. كلُّنا ينزلق ويكبو، كلُّنا يخطئ ويسهو، ولا يُسجّل خطأ المترجم على المؤلّف ولا خطأ المؤلّف على المترجم. ولو حدث خطأ - أحياناً - من جانب المؤلّف فإن الواجب على المترجم ألاّ يخون الأمانة، وعليه أن يُحقّق الحقّ ويُبطل الباطل. ويجوز للمترجم أن يثبت تعليقاته في الهامش، وأن يردّ على المثالب ويرفع العيوب.. كما فعل أرباب المقالات الإسلاميّة أمثال نوبختي والشيخ مفيد وسيّد مرتضى وعبد الجليل الرازي والعلامة الحلّي والقاضي نورالله الشوشتری، فقد نقلوا التهم غير اللاتقة وهجوم المعارضين في مصنّفاتهم، وردّوا عليها، وفنّدوها بالدلائل المحكمة، والبراهين الناصعة، والإجابات الصريحة المتقنة، وأكثر من ذلك أنّه في كلام الله المجيد أيضاً قد نُقلَ الكفر على لسان الكافرين.

-
- ١٤- مجلهٔ آرمغان، السنة الثانية، العدد ٥ و ٦، ص ٣٤-٤٢. =
- ١٥- مجلهٔ جهان نو (الدنيا الجديدة): مقالات السيد إيرج أفشار حول براون وإيران (ص ١٧٥، ١٧٦ - السنة الرابعة، العدد السابع)، مرداد ماه ١٣٢٨ هـ. ش. وفي وصف باريس السنة الخامسة، شهر يور ومهرماه ١٣٢٩ هـ، العدد السادس.
- ١٦- كتاب «تاريخ روابط سياسي» بقلم السيد محمود محمود، المجلد الخامس، الفصل الثالث والستون، طبع تهران، شهر يور ١٣٣١ هـ. ش.
- ١٧- ترجمة المجلد الأول من هذا الكتاب باللغة الأردية بقلم سيد سجّاد حسين، (الجامعة العثمانيّة بحيدر آباد الدكن)، طبع الدكن عام ١٩٣٢ م = ١٣٥١ هـ.
- ١٨- كتاب «المستشرقون الإنجليز»، تأليف الأستاذ أريبري، طبع لندن ١٩٤٣ م = ١٣٦٢ هـ.

ولما كان هذا المؤلف - كما قيل - قد استطاع أن يُعطي هذا الكتاب مقاماً ومنزلة في مجتمع المستشرقين وعالم العلم والأدب وبين علماء الإيرانية، ويات يُعْتَدُّ بكلماته ويُرجع إليها، فقد وجبت الدقة إلى حد كبير؛ لهذا استعطفت أرباب الفضل والكرم وطلبت معونتهم كي لا يصير الحق باطلاً والباطل حقاً، لا سمح الله.

ولما كان المؤلف قد استشهد أيضاً بالكتاب والشعراء والعرفاء والحكماء فقد سعيْتُ جاهداً في الرجوع إلى المصادر الأصلية، وبذلت في ذلك غاية جهدي، لكنه لم يكن للأسف - قد ذكر في بعض المواضع مصادره ومراجعته، واضطررتني ذلك إلى اللجوء إلى كل المكتبات العامة والخاصة التي تيسرت لي. وأنا في هذا الميدان رهين كرم الكثير من الفضلاء ذوي القدر السامي. وإنني لأشكر الوزراء ذوي الشأن في وزارة الثقافة ممن شجعوني في هذا السبيل.. خاصة السيد رضا جعفري الوزير الحالي، والسيد الدكتور علي فرهمندي ورضا مزيني، وأشكر السيد غلامرضا فرخ منش وحبیب یغمائی الرئيس الأسبق للإدارة العامة للطبع والنشر، والسيد المهندس ثابتان وكيل تلك الإدارة الذين أتاحوا لي وسيلة طبع الكتاب. وأخصُّ بالشكر العلامة النزيل السيد سيد حسن تقي زاده رئيس مجلس الشيوخ السابق لما له من فضل كبير عليّ، فهو الذي قرأ الكتاب بصبره المعهود، وأضاف إليه الكثير من آرائه الثمينة على الرغم من مشاغله العلمية والأدبية المهمة. وأشكر الأستاذ العالم بديع الزمان فروزانفر رئيس كلية المعقول والمنقول لما أمدني به من تحقيقات وآراء حول الأجزاء المتعلقة بالإسلام. وأشكر كذلك الأستاذ الدكتور إحسان يارشاطر الأستاذ بجامعة طهران لما حبانني به من معلومات حديثة حول الإقسام المتعلقة بالافستا والبهلوية، أشكر الجميع من كل قلبي، وقد أثبت رأي كل منهم في هوامش الصفحات.

وأشكر الدكتور مهدي بياني رئيس المكتبة القومية في وزارة الثقافة، وموظفي ومتخصصي مكتبة كلية الحقوق: السادة حكمت آل آقا ومحمد تقي دانش پژوه وإيرج أفشار الذين أمدوني ببعض المصادر عن طيب خاطر.

وأشكر السيد محسن الفارسي رئيس إدارة الطبع والنشر في وزارة الثقافة على ما تكبّدَه من مشاق في مساعدتي على إصلاح أخطاء الباب الأول في (بروفات) الطبعة الأولى. كما أشكر عمّال مطبعة البنك الوطني الإيراني، خاصّة السيد الحاج أحمد محبّت رئيس قسم (التوضيب وجمع الحروف). وأشكر المتخصصين الذين تعبوا في ترتيب هذه الصفحات وأخذوا على عاتقهم وبصبر بالغ طبع الكتاب، أشكرهم شكراً جزيلاً، وأسأل الله أن يوفّقهم جميعاً لخدمة البلاد.

وأرجو من القراء الأعزّاء، والدارسين الفضلاء، ومحبي الكلام الدقيق أن يتحرّوا الدقّة في النقد، ويمنّوا عليّ بذكر ما سهوت عنه، وتصحيح ما أخطأت فيه لأتلافاه كلّما طبعت الكتاب مستقبلاً، وأقوم بتنقيحه وتهذيبه قدر الإمكان.

وبمناسبة الحديث عن حبّ إيران والدراسات في ميدان المعارف الإيرانية ننبّه إلى أنّ تشييد الثقافة القوميّة يقتضي الاهتمام بثلاثة أشياء تفيد في تسهيل التعليمات وتعميمها ونشرها بين الشباب الطاهر للاعتبار:

الأول: تقوية وإحكام أركان عبادة الحق والإيمان.

الثاني: تعريف نسل الشباب أهميّة إيران.

الثالث: إثارة قوّة العمل والجهد. وللوصول إلى هذا الهدف وتحقيقه يجب أن نمنح عناية أكبر لعدّة أشياء:

ترويج اللغة والأدب الفارسي، والدراسات الدقيقة في جغرافيا البلاد الاقتصادية والطبيعية والصناعية والزراعية والسياسية والعسكرية، وتحليل القصص الحافلة بالعبّر، وبيان أسباب تعرّض قافلة إيران وتقدّم الآخرين بسرعة البرق. والبحث عن السر في علوّ وانخفاض وارتفاع وانحطاط التاريخ، والبحث الاستدلالي في سير المعنويات، ودراسة السبب في عدم استفادتنا من

هذا الماضي المشرق، والخدمات العلمية المهمة والثقافة والفنون حتى الآن.
ذلك الماضي وتلك الخدمات التي تسببت في حضارة العالم. تُرى لماذا تسير
القافلة وتقطع الفياقي ونحن ما زلنا نياماً؟

لقد قال لنا شاعر شيراز ناظم الغزل الدقيق:

أبديت لك نقطة العشق، فاحذر ولا تَسُهْ،

فإن لم تفعل فاخرج عن الدائرة حين تطالعها.

وإني لأشكر الله العليّ القدير على غرسه الحبّ في قلوبنا الطاهرة، ونور
الإيمان في أرواحنا الواعية. وأسأله سبحانه أن يقتلع جذر النفاق من أرضنا،
ويبعد الضلال عتاً، وأن يجيب دعاء درايش الكبير الذي نُقِشَ بأمرٍ منه على
الحائط الجنوبي لقصر تخت جمشيد، والذي قال فيه متضرّعاً لإلهه متذللاً
له: «ای آهورا مزدا، احفظ هذه البلاد من جيش العدو، ومن القحط
والجفاف، ومن الكذب»^(١).

(١) كان السيد حسين علا وزير - عالم البلاط البهلوي - قد كتب هذه الجملة اللطيفة عندما بارك
لأصدقائه بالعام الجديد في فروردین ۱۳۳۲ هـ. ش.

ارجع إلى:

أ - كتاب متمم ميخي تأليف أستاذ اللغة اليونانية وآدابها في جامعة فنلر بليت الأمريكية،
۱۹۱۹ م = ۱۳۳۸ هـ. Cuneiform Supplement by Herbert.

Cushing Tolman, Vanderbilt University, Nashville Tennessee, 1919 .

ب - ترجمه لغت به لغت از فارسي باستاني نقل از ايران كوده شماره ۱، ص ۸۶ گرده آورده
هاي آقاي دكتور محمد مقدم استاد زبانشناسي در دانشگاه تهران، تهران مرداد ۱۳۱۳ يزدگردی
(۱۳۲۳ شمسي هجري). «پويد داريوش شاه مرا اهورمزد پستي برد باويس بغان وين دهيورا
اهورمزد پياید از هين، از دشياري، از دروغ. بدین دهيو ميايد مه هين، مه دشياری، مه دروغ».

دهيو = سر زمین، استان.

ويس = دودمان شاهی.

بغان = خداوندان.

هين = سپاه . دشمن.

دشياری = بدسالي.

=

وكما يقول الله سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم: ﴿لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير﴾^(١).

آمل أن يلقي المتقون من بحار كرمه وفضله ما يعدل حرقه قلبهم ودموعهم الجارية وأثات الليل وآهة السحر، وأن يرحم شعبنا المظلوم، وأن يحفظ بلادنا من شيطان الفتنة والفساد، وأن يصوننا من خطر الضلال، وأن يغرس هذه الحقيقة العظيمة الكامنة في هذا الكلام السماوي في قلوب أهل العالم وأرواحهم: ﴿والعصر﴾، إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر^(٢).

علي باشا صالح
تهران - آبان ماه ۱۳۳۳
هجري شمسي

* * *

= ترجمة السيد الدكتور يارشاطر: هذه العبارة مرتبطة بنقش مكون من ٢٤ خطاً قصيراً فقط، قد حفر باللغة الفارسية القديمة (بدون الترجمة العيلامية والبابلية) و على الحائط الجنوبي لقصر داريوش. والترجمة الدقيقة للعبارة (من آخر السطر الخامس عشر حتى الكلمة الأولى في السطر الثامن عشر) هي: «... احفظ يا اهورامزدا هذه البلاد من جيش (العدو) والقحط والكذب». وللإحاطة بمحتوى كل النقوش ارجع إلى صفحة ١٣٥ من كتاب كنت المتعلق بالفارسية القديمة، وارجع كذلك إلى كتاب تولمن (ص ٣٦-٣٨):

R.G. Kent, Old Persian, New York, 1950.

H.C.Tolman, Ancient Persian Lexicon, New York, 1908.

الكلمة التي تُرجمت إلى جيش هي haina، وهي تقابل hen في البهلوية و Sēna في الساسنكرية و haena في الأستية، ولا وجود لكلمة دشمن في النص.

وارجع إلى كتاب «شرح اجمالي آثار تخت جمشيد»، تأليف السيد سيد محمد تقي مصطفوي، الرئيس العام لإدارة علم الآثار، طبع طهران، فروردين ماه ١٣٣٠ شمسي.

(١) سورة المائدة، الآية ١٢٠.

(٢) سورة العصر. الآيات ١-٣. ويلاحظ أن المترجم لم يذكر «والعصر» وذكر جواب القسم مباشرة، وهذا لا يجوز، لهذا قمت بإثباتها (تعليق م.ع).

كلمة المؤلف ادوارد جرنفيل براون التي قدّم بها الجزء الأول من كتابه «تاريخ الأدب في إيران»

مرّت أعوام طويلة كنت أتوق فيها إلى الكتابة حول الحركة الفكرية والأدبية للإيرانيين. ولَمّا كان لأحد المؤرّخين الانجليز كتاب في تاريخ إنجلترا، وهو كتاب يستحق المديح البالغ، فقد صمّمت أن أسير على نسقه، وأن أتبع أسلوبه في التاريخ حول إيران، وإنّي لأفخر باتّخاذ أسلوبه نهجاً أسير عليه.

هذا، واسم مؤلف هذا الكتاب «جرين»، أما عنوانه فهو «تاريخ مختصر مردم انگليس = التاريخ المختصر للشعب الانجليزي»^(١).

لقد وُضِعَت كتب كثيرة حول إيران، لكنّ الغريب أنّه حتى اليوم قلّ أن شمرّ واحد عن ساعد الجد ليكتب عن تاريخ هذه البلاد العريقة - ذلك التاريخ البهيج - بصورة جامعة شاملة ومختصرة موجزة في نفس الوقت.

والحقّ إنّ هناك رسائل عديدة ذات قيمة عالية كتبها أصحابها حول العصور والأسر بصفة خاصّة. غير أنّ ما كتب منها بالانجليزية كان متعلّقاً بالتاريخ العام لإيران، وما زال حتى الآن في حكم المراجع الانجليزية الأساسيّة. وأوّل ما يجب علينا ذكره من بين هذه الكتب كتاب سيرجان ملكم^(٢). وثانيها كتاب كلمتس مارك هم^(٣).

وعلى الرغم من أنّ هذين الكتّابين أهمّ من غيرهما، إلّا أنّ المعلومات التي وردت فيهما عن إيران معلومات سطحيّة (لأنّ مستوى المعلومات في الآونة الأخيرة قد ارتقى كثيراً جداً نتيجة المساعي المتوالية المضنية من جانب مجموعة من المحققين والعلماء... يتزايد عددهم يوماً بعد يوم).

John Richard Green, Short History of English People (1877-80).

(١)

Sir John Malcom.

(٢)

Clements MarKham.

(٣)

يضاف إلى ذلك أنَّ تاريخ سيرجان ملكم وكذلك تاريخ كلمتس مارك.. . كلاهما يبحث أوضاع إيران السياسيَّة وشؤونها الخارجيّة، دون تعرُّض من جانبهما لشئون الشعب الداخلية ودون غوص في أعماق حياته.

ونظراً لخطورة الموضوع وأهميَّته، وصعوبة العمل فيه، ولأنِّي اشتغلت كثيراً وبصفة دائمة في تحقيق النسخ الخطيَّة وتحليلها، فقد بات معلوماً لديَّ أنَّ كلَّ مجموعة من مخطوطات ممالك الشرق تحتوي موضوعات كثيرة لم تدرس تقريباً. ومن جهة أخرى فإنِّي كنت كلما توغَّلت في القراءة أجدني أقلَّ استعداداً.

وفاضلت بين أكثر من كتاب، وفاضلت بين المكافأة والذوق الشخصي، فوجدت في نفسي ميلاً إلى الكتابة في موضوع واسع مفصَّل ذي بعد فلسفي في نفس الوقت.

ووضَّع أمامي نموذج لإعداد كتابٍ من اثنين. وكان هذا النموذج كتاباً خلافاً بعنوان «تاريخ أدبي مردم انگلستان» = تاريخ أدب الشعب الانجليزي، وهو من تأليف «جسرنند»^(١).

وراقنتي فكرته وكيفيَّة تنفيذه (على النحو الوارد في مقدِّمته) فقرَّرت أن أشمِّر عن ساعد الهمة، وأن أقفوَ خطاه، وأسير على أسلوبه في تأليف كتابي، فقد كنتُ أنوي الكتابة حول الحركة العقليَّة والفكريَّة في إيران، لا أن أكتفي بالكتابة حول سيرة الكُتَّاب والشعراء والبلغاء ممن لهم نتاج فارسي.

. ويقدر ما كان الأدب - بالمعنى المحدود للكلمة - يحظى باهتمامي، كان إبراز نبوغ الإيرانيين في فروع المذهب والفلسفة والعلوم يجتذبني بنفس القدر على الأقل. ولم يكن يشغلني موضوع اللغة التي سأكتب بها بحثي، لذا أرجو أن يتفهَّم القراء - منذ البداية - الأمرَ بهذا المعنى. كما أرجو أن يتَّسع

Jusserand, Literary History of the English People.

(١)

صدرهم إذا ما رأوا مني ميلاً إلى تسجيل النهضات والحركات أكثر مني ميلاً إلى الكتابة عن الكتب، أو شهدوا ميلي إلى الأخذ عن الكتب الفارسية بصورة أقل من أخذي عن الآثار البهلوية والعربية واللغات الأخرى.

لقد كانت نيتي أول الأمر - حين بدأت عملي - متّجهة إلى إنجاز الكتاب في مجلد واحد. . يضمّ تاريخ إيران منذ بداية أمرها إلى اليوم، لكنني سرعان ما أدركت (وذلك ما اعتقده الناشر بأشكال كثيرة) أنّ هذا الأمر مستحيل إلا إذا تغيّرت خطّتي من أساسها تمام التغيير، على نحو يهدم خطّتي؛ لذا قرّرت أن أصِل بهذا الكتاب إلى حملة المغول وزوال الخلافة في بغداد في القرن الثالث عشر الميلادي، باعتبار هذا الحدث نقطة تحوّل في التاريخ الإسلامي، وقد أُشير إلى ذلك في الفصل السادس. ولكن تبين آخر الأمر أنّ هذا الرأي بدوره غير عملي، ولذا أنهيت هذا المجلّد ببلغاء وشعراء سلاطين آل سامان وآل بويه وأسلاف الفردوسي السابقين عليه.

وربّما يكون هذا التقسيم هو الأفضل والأمثل، لأنّ هذا المجلّد بمثابة مقدّمة أعدت لطالب الأدب الفارسي. وفي المجلّد الثاني سوف ألخصّ هذه الموضوعات في الفصل الأول، ثم أتناول بعد ذلك الأدب الفارسي بالمعنى الأخصّ للكلمة. وسيكون المجلّد الثاني في الواقع متمّماً لهذا المجلّد (الأول). وبناء على ذلك - وبناء على شروط فرضها الناشر - يكون كل مجلّد من المجلدين مستقلاً عن الثاني. وينتهي الأمر بأن يكون الأول مقدّمة تمهيدية، ويكون الثاني مرتبطاً بتاريخ الأدب الفارسي بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى.

وهناك الكثير من الدراسات التي تمّت نتيجة الاستشراق، وهي منشورة في الكتب والمجلّات التي قد لا يكون القسم الأكبر منها في يد القراء ليطلّعوا عليها، لهذا حرصت على أن أسجّل هنا نتيجة تلك الدراسات.

وإنّي لأخشى أن يُعتبر هذا الكتاب بالنسبة للقراء العاديين مُغرقاً في الفنيّة، وأن يُعتبر لدى محترفي الاستشراق - في نفس الوقت - مفرّقا في البساطة

والعموميّة، وبعبارة أخرى لا يتحقّق أحد المنظورين. لقد كُتِبَ هذا الكتاب من أجل العامّة، وليس من أجل المستشرقين، وأنا أخطب فيه - في المقام الأول - تلك الطائفة المتنامية من محبّي ترجمة الأشعار الفارسيّة، الذين يريدون مزيداً من الاطلاع في حقل اللغة والأدب وتاريخ وفكر شعبٍ من أقدم الشعوب.. شعبٍ ذي قريحة وصاحب ابتكارات عالميّة. وهذا القدر يكفي في دولة كانجلترا حيث يوجد من يرغبون في دراسة اللغات والآداب الشرقيّة، ويسعون إلى احتراف هذا الفرع. كما أنّ هذا الكتاب قد كتب أيضاً للدول التي تفتقر إلى مدارس للمستشرقين من النوع الجيّد الموجود في باريس وبرلين وشن بترزبورغ، ويضلع لمن يقرأون بسبب الرغبة والشوق الطبيعي لا بسبب الحاجة، وهم الذين يُطلق عليهم «الهواة». وأنا لا أستخدم هذا اللفظ في حقهم قاصداً به الذمّ والتحقير على الإطلاق.. وعلى عاتق هؤلاء يقع بعد ذلك عبء التوسّع في الاطلاع مستقبلاً.

أما أسلوبِي في نقل حروف الأسماء والألفاظ الشرقيّة بالحروف اللاتينيّة، ذلك الأسلوب الذي انتهجته هنا فإنّه لا يحتاج إلى إفاضة في الكلام، إنّهُ نفس الأسلوب الذي انتهجته الجمعيّة الملكيّة الآسيويّة في نقل الحروف العربيّة بالحروف اللاتينيّة. وإنّ من يقفون على هذه الطريقة سوف يدركون بسهولة أنّي كنت أبغي من وراء ذلك أن تكون الأسماء والكلمات الشرقيّة التي أنقلها بالحروف الإنجليزيّة متّحدة الشكل في كلّ موقع. (إنّ ما أخشاه أن يقول بعض النقاد إنني كنت أهدف إلى كثرة المبيعات). فمثلاً حرف (ظ) في الكلمتين (حافظ) و(نظامي) يأخذ بالضرورة الشكل (dh)، بينما حرف (Z) عادة محل (ظ)، ولذا يكتبون الاسمين هكذا Nizami و Hafiz، ولكنّي كتبتها هنا: (Nidhami و Hafidh). وقد أوردنا هنا لفظي عمر وفردوسي على هذه الصورة: (Firdausi و 'Umar) بينما ترد غالباً على هذا النحو (Ferdousi و Omar) وقس على ذلك.

وربّما تثير هذه المسألة الأسف من بعض الزوايا، لكن الدارسين سوف لا يترددون قط في إثبات الأسماء التي وردت في هذه الصفحات بإملائها

الصحيح: الفارسي أو العربي. أمّا أسفي فينحصر في ألا يُراعَى ذلك رعاية تامة، إذ إنه طبقاً لقاعدتي يجب أن يكتب لفظ آذربيجان بوجه خاص: Adharbayjan، ويكتب طبق المؤلف والعادة Azarbayhan، وأن تُكتب كلمة عثمان في موضع ما Uthman، وفي موضع آخر Usman وفي ثالث Osman مما يُوقع في الحيرة، لأنّ اللفظ العربي والفارسي والتركي لهذا الاسم مختلف، ولهذا السبب نقله الآخرون على نحو مختلف.

بناء على ذلك، أُودِع كتابي لدى القراء الخيّرين والنقاد المخلصين. وأنا أعرف ما بالكتاب من نواقص عديدة سواء من جهة التخطيط أو من جهة التنفيذ، وسوف يلفتون نظري ولا شك لنواقص أخرى، لكنّ هناك مثلاً معروفاً في الشرق يقول: «من يبحث عن صديق بلا عيوب فسوف يبقى بلا صديق». وهذا يصدق بنفس الدرجة على كتابي (فهو لا يخلو من العيوب)، وكلّ من ينشد كتابة كتاب يخلو من العيوب فلن يكتب شيئاً.

ولّني لأعترف بأنّي لم أكن مستعداً لهذا العمل الكبير. لكنّي حتّى بفرض انتظاري عشر سنوات أو عشرين سنة فلن أجد في نفسي الاستعداد أيضاً؛ فالمواضيع دائمة التشعب، وهي تتسع أمام أنظارنا أكثر فأكثر، بحيث لا يحيط علمنا بها مهما بلغ ولا يضارِعُها سرعة، مما يجعل أنقص الكتب وأكثرها غرقاً في بحار النسيان قادرة على أن تفتح لنا - باشتمالها على كلمة واحدة جديدة - باباً لكتاب أفضل.

١٤ سبتمبر عام ١٩٠٢م (الموافق ١٢٨١ هـ.ش)

ادوارد ج. براون

* * *

الباب الثالث

أوائل عصر الخلافة العبّاسيّة

أو

عصر الإسلام الذهبي

الفصل السابع

**الخصائص الإجمالية لعصر الإسلام الذهبي
من جلوس السّاح إلى موت الوثاق**

١٣٢ - ٢٣٣ هـ

٧٤٩ - ٨٤٧ م

الفصل السابع

[363] الخصائص الإجمالية لعصر الإسلام الذهبي

(٧٤٩ - ٨٤٧ م = ١٣٢ - ٢٣٣ هـ)

من جلوس السفاح إلى موت الواثق

ما يمتاز به العصر العباسي بصفة عامة:

في المقدمة المختصرة التي استهل بها السير وليم موير شرحه لحال هذه الأسرة الشهيرة (ص ٤٣٠ - ٤٣٢ من كتابه)^(١) أبرز الاختلاف بين هذا العصر وسابقه بجلاء، وركز على ثلاث نقاط: أولاها: أن نفوذ الخلافة لم يعد مواكباً لنفوذ الإسلام (فأسبانيا لم تقبل حكم بني العباس مطلقاً، كما أن ولاء أفريقيا للخلافة كان مزعزعا).

وثانيها: أن حماسة العرب الحربية قد فترت، وحرارتهم المذهبية قد خمدت، وباتوا لا يلعبون الدور الأول في تاريخ الإسلام كما كان شأنهم.

وثالثها: أن نفوذ الإيرانيين في جهاز الدولة - ومن بعدهم الترك - قد بلغ أوج الكمال، وكان مقر هذا النفوذ قد انتقل من سوريا إلى العراق.

ويقول سير وليم موير (ص ٤٣٢): «وكما تزايد نفوذ الإيرانيين تناقصت خشونة حياة العرب، وبدأ عصر الثقافة والانطلاق والبحث والفحص العلمي، وأثبتت الروايات الشفهية، واحتلت جانباً من الروايات التاريخية. وساهم [364] الميل إلى التحقيق والتقصي. - ومنبعه الشرق - في الإسراع بوجود هذا التغيير. وربما كان الوهن المتزايد في البناء الأخلاقي، والسلوك البغيض المتفشّي في البلاط، والعقائد والأفكار المتعالية التي اعتبرت الإمامة جماع

(١) (تعليق م.ع): الكتاب المقصود هو:

Sir William Muir: Life of Mohomet and History of Jalam (4 Vols) London 1858: 3rd ed., 1895.

الأمر الإلهي وفوق عقول البشر، والتقدم السريع في مضمار حرية التفكير..
ربّما كان كلُّ ذلك نابعاً عن نفس المصدر^(١). وسوف نتناول هذه
الموضوعات تباعاً في كتابنا هذا.

لكنّ واجبنا هنا أن نلفت نظر القراء المحترمين إلى ما حدث من تغييرات
مهمّة. لقد نشأت هذه التغييرات نتيجة شدة ارتباط جهاز الخلافة بإيران
وخراسان، ولقد تسبّب هذا القرب في أن ينال بنو العباس الخلافة.
وتشبه لهجة دوزي لهجة موير، فيقول^(٢):

«كان تفوق الإيرانيين على العرب - أو بعبارة أخرى تسلّط المغلوب على
الغالب - ما يزال في مرحلة التكوين. وقد ظلّ الحال على ذلك مدةً إلى أن
نال العباسيون الخلافة فبلغ الأمر ذروته.

وإذا كان العباسيون قد أحرزوا درجة رفيعة، فالواجب إلّا ننسى أنّ ذلك
[365] كان بفضل جهود الإيرانيين، فقد بنى هؤلاء الأمراء سياستهم على
اجتناب العرب بصفة دائمة، والاعتماد على الإيرانيين عامّة والخراسانيين
خاصّة، لهذا صادقوهم واختاروا أبرز شخصيّات البلاط من بينهم^(٣). فكانت
أسرة البرامكة المعروفة من نسل عظيم من عظماء إيران، كان يشرف على
بيت من بيوت النار^(٤). وكان أفشين - المقرّب من بلاط الخليفة المعتصم
وصاحب السلطة القويّة - فرعاً من شجرة أمراء أسروشنه^(٥) في ماوراء النهر.

(١) تعليق المترجم الفارسي:

يقول بديع الزمان فروزانفر: «نسبة ضعيف الأخلاق والسلوك الممجوج في بلاط الخلافة إلى
نفوذ الإيرانيين أمرٌ واهن لا أساس له، وهو لازمة من لوازم الثروة الطائلة والفراغ وما يناظرهما
من أسباب وعلل تظهر في كلِّ شعب وقوم. وكذلك الحال بالنسبة لعقيدة التشيع التي ظهرت في
العصر الأوّل، والتي اعتنقها عدد من الصحابة والعرب الخُلص.

(٢) تاريخ الإسلام، تأليف دوزي Dozy، ترجمة فيكتور شوفين (Victor Chauvin) ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

(٣) تاريخ الطبري، المجلد الثالث، ص ١١٤٢.

(٤) تعليق المترجم الفارسي: فيما يتعلّق بمعبد نوبهار، هناك أكثر من رواية، فالبعض يجعله معبداً للأصنام،
والبعض يجعله معبداً لبوذا، بينما يراه البعض بيتاً من بيوت النار.

انظر: كتاب (أخبار البرامكة) باهتمام وتصحيح ميرزا عبد العظيم خان قريب الجرجاني الأستاذ بجامعة
طهران، وانظر المقدّمة التاريخية الأديبة التي وضعها المصحّح لهذا الكتاب، طبع طهران ١٣١٢ هـ. ش.

. Osrushna

(٥)

حقاً، لقد بدأ العرب في الاعتراض، وحاولوا جاهدين أن يقبضوا على زمام السلطة ويبسطوا نفوذهم القديم، وكانت الحرب بين الأمين والمأمون - ولدي هارون الرشيد - صراعاً جديداً في الواقع بين العرب والإيرانيين علي الرئاسة.

غير أن سهم العرب ارتطم مرة أخرى بحجر، واضطروا للاعتراف ثانية وبصفة رسمية بسيادة الإيرانيين وتفوقهم. ولم يعد في مقدورهم - بعد الهزيمة - غير الانتظار في سكون، والاكتفاء بمشاهدة تغير الحكومة وتبدل الأوضاع دون مقاومة.

والحق أن ديمقراطية العرب^(١) قد تركت مكانها لعقائد الإيرانيين الاستبدادية.

ويقول الفخري كاتب التاريخ الساحر^(٢):

[366] «واعلم أن الدولة العباسية كانت دولة خداع ودهاء وغدر، وكان

(١) تعليق المترجم الفارسي: يقول بديع الزمان فروزانفر: في عهد معاوية لم يعد للديمقراطية وجود قط. بل إن تميز الجنس العربي على سائر الأجناس، وتميز قريش على سائر القبائل كان قد بدأ وتفشى بعد وفاة حضرة الرسول عليه السلام مباشرة. (تعليق م.ع): الحق أنه لا أساس لما ذكره فروزانفر بالنسبة للتمييز، ومن السهولة إثبات افتراءه بذكر المرتبة التي بلغها بلال الحبشي - على سبيل المثال - بعد وفاة الرسول الكريم.

(٢) طبع الوارت، ص ١٧٦ - ١٧٧.

تعليق المترجم: نقلاً عن الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تأليف محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي. وقد راجع الكتاب ونقحه محمد عوض إبراهيم بك وكيل وزارة المعارف المساعد، وعلى الجارم بك المفتش الأول للغة العربية بوزارة المعارف، طبع مصر ١٩٣٨ م = ١٣٥٧ هـ، صفحة ١٢٧ و ١٢٨.

وقد ترجم الكتاب إلى الفرنسية وعلق عليه اميل امار، ونشره في باريس عام ١٩١٠ م = ١٣٢٨ هـ وسماه:

Archives Marocaines, Publication de la mission Scientifique du Maroc (Vol. Xvi) Al - Fakhri- Histoire de Dynasties Musulmanes depuis la mort de Mahomet Jusqu'à la chute du Khalifat Abbasside de Bagdad (11-656 de l'hegire - 636-1258 de J.C.). Par Ibn - al - Tiqtaqa. Traduit de L'Arabe et annoté Par Emile Amar. Paris, 1910. (تعليق م.ع): كانت وزارة التربية والتعليم في مصر تسمى قديماً: وزارة المعارف العمومية.

قسم التحيل والمخادعة فيها أوفر من قسم القوة والشدة خصوصاً في أواخرها؛ فإن المتأخرين منهم بطلوا قوة الشدة والنجدة وركنوا إلى الحيل والخدع. وفي مثل ذلك يقول كشاجم^(١) مشيراً إلى موادة أصحاب السيوف، وعداوة أصحاب الأقلام ومقاتلة بعضهم لبعض:

هنيئاً لأصحاب السيوف بطالة تقضي بها أوقاتهم في التنعم
فكم فيهم من وادع العيش لم يهج لحرب ولم ينهد لقرن مصمم
يروح ويغدو عاقداً في نجاهه حساماً سليم الحد لم يتثلّم
ولكن ذوو الأقلام في كل ساعة سيوفهم ليست تجف من الدم

[367] ويقول الفخري أيضاً:

حين قتل المتوكل وزيره محمد بن عبد الملك الزيات انبرى أحد الشعراء إلى نظم أشعار على غرار ما سبق، قال فيها:

يكاد القلب من جزع يطير إذا ما قيل قد قتل الوزير
أمير المؤمنين قتلت شخصاً عليه رحاكم كانت تدور
فمهلاً يابني العباس مهلاً لقد كويت بغدركم الصدور

«إلا أنها كانت دولة كثيرة المحاسن جمّة المكارم، أسواق العلوم فيها قائمة، وبضائع الآداب نافقة، وشعائر الدين فيها معظّمة، والخيرات فيها

(١) أبو الفتح محمود بن الحسين بن شاهر المعروف بالسندي، مما يدلّ على أنّه كان هندي النسب. توفّي عام ١٩٦١م - ٣٥٠هـ أو عام ٩٧١م - ٣٦١هـ. أنظر: تاريخ الأدب العربي، تأليف بروكلمان، ص ٨٥.

دائرة، والدنيا عامرة، والحرقات مرغية، والثغور محصنة، وما زالت على ذلك حتى كانت أواخرها، فانتشر الجبر واضطرب الأمر^(١)، وانتقلت الدولة، وسيرد ذلك في موضعه مشروحاً إن شاء الله تعالى.

وليس هدفي البحث بالتفصيل في شئون الحكم وسيرة خلفاء هذه الأسرة، أو إعادة القصص التي رويت حول هارون الرشيد وجولاته الليلية في شوارع بغداد في رفقة جعفر البرمكي، وجلّاده الأسود مسرور، فإنّ كلّ من قرأ قصص ألف ليلة وليلة^(٢) يعرف هذه الموضوعات.

ولقد اقتطف البروفسور بالمر العديد من الحكايات الواردة بالكتاب المذكور والمرتبطة بذلك الخليفة المشهور^(٣)، وأودعها كتابه الصغير المسلي. ولكي نسهّل الأمر على القراء نورد هنا جدولاً بأسماء الخلفاء العباسيين الذين حكموا في أوائل هذا العصر، وقد نقلنا هذا الجدول عن الكتاب القيم الذي وضعه استانلي لين - بول - حول سلسلة خلفاء الإسلام (طبع لندن ١٨٩٤ م = ١٣١٢ هـ)^(٤).

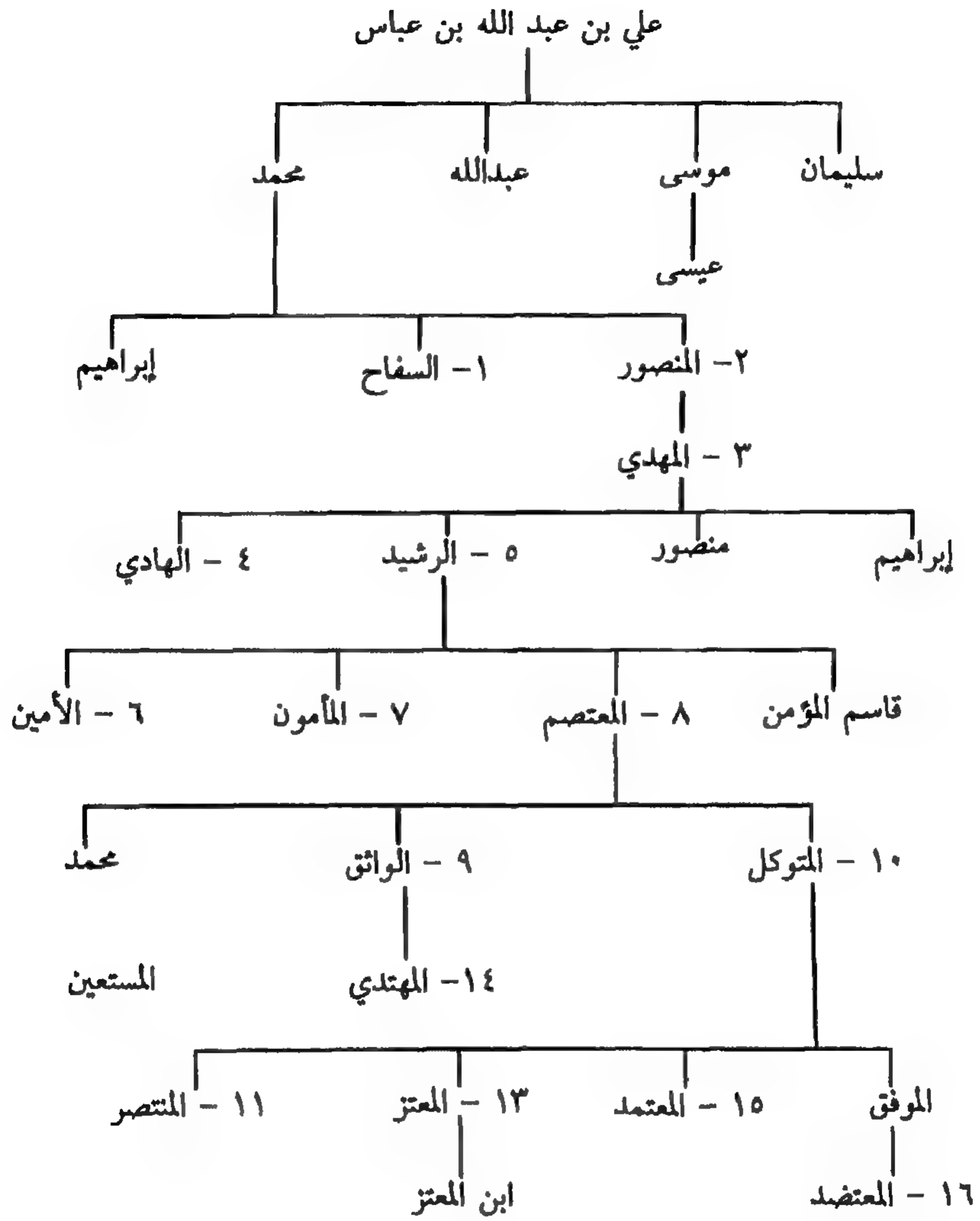
(١) (تعليق م.ع): يتحفظ بعض الدراسين على ورود العبارة على هذا النحو، ويفضّلون أن تكون هكذا: «وانتشر القول بالجبر» فهذا أفضل وفيه دُرّة للغموض والإبهام.

(٢) تعليق المترجم الفارسي: هذه القصص موضوعة في الغالب ولا تستند إلى أسانيد تاريخية. (تعليق م.ع): توجي الفقرة بمهاجمة المؤلف للرشيد الذي يحظى باحترام المؤرخين، ويشتهر بينهم بأنّه كان يحجّ عاماً ويغزو عاماً، ويهتمّ بالعلم والأدب. وقد ساهم المترجم الفارسي في الرّد على هذا الهجوم وتفنيده بإشارته إلى أن قصص ألف ليلة وليلة قصص موضوعة ولا تستند إلى أسانيد تاريخية.

(٣) Palmer, New Plutarch Series. Haroun- ALraschid. London, 88.

(٤) Stanley Lane-Poole, Muhammedan Dynasties (London, 1894).

تعليق المترجم الفارسي: الأرقام التي وضعت في الجدول إلى جانب بعض أسماء العباسيين تبين أنهم كانوا خلفاء، وتدلّ على ترتيبهم التاريخي. ويلاحظ أنّ (قاسماً المؤمن) لم يرد في جدول المؤلف، وأنه قد أضيف هنا.



وفي بابنا الثالث هذا سوف يدور البحث أكثر ما يدور حول القرن الأول من خلافة الأسرة العباسية، من تاريخ تأسيسها حتى موت الواثق وبلوغ المتوكل منصب الخلافة (من ١٣٢ حتى ٢٣٢ هـ = ٧٥٠ - ٨٤٧ م). وهذا العصر هو عصر الخلافة الذهبي، ومن خصائصه زيادة نفوذ إيران، وتعدُّ أسرة البرامكة الشريفة الشهيرة مصداقاً لذلك.

[369] كما أنَّ من خصائصه رواج سوق العلم والمعرفة، وإتقان صياغة المُلحَة والطُّرْفَة في بلاط الخلافة، وسيطرة أصول عقائد المعتزلة سيطرة كاملة، وهم ذوو الأفق الواسع والنظرة التحررية في الأمور المذهبية.

ولمَّا آلت الخلافة إلى الخليفة العاشر (المتوكل)، زاد نفوذ الأتراك وحلَّ محلَّ نفوذ الأيرانيين (وكان الأتراك يتصرفون دائماً - كما نعلم - تصرفات همجية، تبدو في أكثر من صورة، ولا تتفق مع الأفكار الحرة والآراء المستنيرة). وقد اندثرت أصول عقائد المعتزلة عندما فقدت حماية النظام الحاكم، وحلَّت محلَّها العقائد التي قبلها عامة ذلك الزمان، ومنيت الدراسات الفلسفية بخسارة فادحة^(١)، وبرزت المشاعر العدائية على مسرح الوجود ضدَّ التشيع، واستمرت فترة من الزمن.

ونتيجة لهذه الأوضاع، تنفرد الخلافة في بداية العصر العباسي بميزة خاصة سواء من جهة السيطرة العنصرية أو من جهة الميول المذهبية. وقد بلغت هذه الخلافة أوج عظمتها إبان خلافة المأمون الزاهرة.

(١) تعليق المترجم الفارسي: يقول فروزانفر:

«لم تندثر عقائد المعتزلة، وإنما بقي لها ازدهارها النسبي حتى القرن الخامس الهجري، وظلَّ لها أتباعها الذين يتفاوتون قلة وكثرة في كلِّ قرن، ومن بينهم ابن أبي الحديد الذي كان يعيش في القرن السابع الهجري. وما زال الزيدية في اليمن يدينون بعقيدة المعتزلة. (تعليق م.ع): الزيدية لا يدينون بمذهب المعتزلة بل بمذهب الشيعة المعتزلة؛ فزيدية اليمن أقرب إلى الشافعية.

كانت أمّ المأمون^(١) وزوجته إيرانيّتين، وكان وزراؤه ورجال بلاطه المقربون. - بدورهم من الإيرانيين، كما كان هو نفسه يتمتّع بخصائص الإيرانيين الخلقيّة.

[370] يقول البروفسور بالمر Palmer: «رأينا كيف اضطرّ العرب إلى إسناد إدارة شؤون الممالك المفتوحة إلى موظفين من أهل تلك الممالك ورأينا كيف كان الوزراء - الذين يسيرون دفة الأمور - من أصل إيراني، وكيف كان جهاز الخلافة هو نفس الجهاز الذي كان يحكم الإمبراطوريّة الساسانيّة».

تأسيس الوزارة:

منصب الوزارة أحد مناصب جهاز الخلافة، ولفظ الوزير مشتق من الكلمة العربيّة «وَزَرَ» بمعنى الحمل والعبء؛ لأنّ حمل عبء مسؤوليّة إدارة شئون المملكة الثقل يُلقى على عاتق الوزير. وقد تكون هذه الكلمة - كما قال

(١) يقول فون كرومر في هامش صفحة ٤٢ من كتابه (Cult. Streifzüge): «إنّ التسليم بأنّ أمّ المأمون كانت إيرانيّة يوضّح كثيراً من الموضوعات. وقد تعرّض أحد قدامى المؤلّفين ممن اشتهروا بسعة الاطلاع.. لهذا الموضوع. (انظر: دوخويه 1.350 و Fragm. Hist. Arab و de Goeje).

تعليق المترجم الفارسي:

كانت أمّ المأمون ابنة استاسيس، وقد وقعت في أسر المسلمين بعد قتل أبيها. ومنها ومن هارون الرشيد جاء إلى الوجود ابنها المأمون. ويفضل هذه الأمّ الإيرانيّة، ويفضل تربيته لدى البرامكة نشأ المأمون بعيد النظر، محباً للعلم، واسع الأفق، حرّ التفكير.

(تعليق م.ع): يجب أن يقال هنا أيضاً إنّّه تأثّر بأبيه الذي كان يشجّع العلماء والأدباء والمترجمين، وإنه لم يكن بمعزل عن العرب كما يحاول المترجم الفارسي أن يظهره.

فيما يتعلّق برأي المترجم الفارسي، ارجع إلى:

ذبيح الله صفا: تاريخ علوم عقلي در تمدّن إسلامي تا اواسط قرن پنجم، المجلّد الأول، طهران ١٣٣١ - ص ٤٢ - ٤٥.

(٢) كانت پوران - ابنة حسن بن سهل وابنة أخي فضل بن سهل وزير المأمون - زوجة للمأمون. وقد وصف ابن خلّكان الاحتفالات الجليّة التي أقيمت بمناسبة عرسها.

انظر: ترجمة دي سلان de slane، ح ١ ص ٢٦٨ - ٢٧٠، وكذلك لطائف المعارف للثعالبي، طبع de jong، ص ٧٣ - ٧٤.

دارمستتر^(١) نفس الكلمة البهلوية «ويجير» Vi-Chir المشتقة من «وير» Vi-Chira بمعنى (التصميم)، وقد جاءت في التلمود على هذه الصورة «كزير» gazir (بفتح الكاف).

رأى صاحب الفخري في تاريخ منصب الوزارة:

يقول صاحب كتاب الفخري^(٢) فيما يتعلّق بمنصب الوزارة:

«قبل أن نخوض في تفاصيل أكثر تتعلّق بهذا البحث يجب أن نسوق بعض كلمات تقدّم بها لمقولتنا. لهذا نقول إنّ الوزير هو الرابط والوسيط بين الملك ورعاياه، ولذا ينبغي أن تتفق طباعه من طباع الملوك من جهة وطباع العامة من جهة أخرى ليحسن التصرف مع الجانبين بصورة يقبلها هذا وذلك. ويجب أن يكون رأس ماله الصدق والأمانة، فقد قيل: «إذا خان السفير بطل التدبير»، وقيل أيضاً: «ليس لمكذوب رأى». وعليه أن يتحلّى بالكفاءة والشهامة فهما صفتان مهمتان وشرطان لازمان للوزارة. ويلزمه بالضرورة أن يتحلّى بالفطنة والفراصة وسعة الاطلاع والدهاء والحزم، وأن يجمع إليه الكثير من الفضائل، ويسيطر خزانة النعمة ليضع الناس رقابهم على أعتابه، ويدخلوا في ربة طاعته، ويشكروا نعمته. وعليه إن يتّصف بالرحمة والرأفة والصبر والثبات والحلم والوقار ونفوذ الكلمة والاقتدار».

«قبل بلوغ العباسيين منصب الخلافة لم تكن قواعد الوزارة ولا قوانينها محدّدة، وكان كلّ ملك يحيط نفسه بعدد من الأتباع، ويضمّ إليه حاشية في

(١) دراسات إيرانية، ج ١ ص ٥٨، والحاشية الثالثة بالصفحة المذكورة.

Darmesteter, Etudes Iraniennes.

(٢) طبع الوارت، ص ١٧٩ - ١٨١.

(تعليق م. ع).

اسم الكتاب هو الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، واسم المؤلف: محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي. طبع في جامعة جرايفسوالد، عام ١٨٥٨م / ١٢٧٥هـ، وفي وزارة المعارف بمصر بإشراف محمد عوض إبراهيم وعلى الجارم، وطبع في القاهرة - طبعة ثانية - عام ١٩٣٨م = ١٣٥٧هـ.

بلاطه، فإذا ما عظم خُطْبُ لجأ إلى بعضهم للاستشارة، متوخّياً فيمن يقع عليهم الاختيار توفّر الحكمة والتعقل والرأي الصائب. فكان كلٌّ من يتميّز بهذه الميزات من بين أهل البلاط بمثابة وزير، وكان يطلق على الواحد منهم - حتى ذلك الوقت - لقب الكاتب أو المشير، فلمّا نال بنو العباسة الخلافة ستّوا قوانين للخلافة، وسُمّي الوزير بعد ذلك بالوزير^(١).

ويقول اللغويون إن لفظ وَزَر (بفتح الواو والزاي) معناه الملجأ والملاذ، وإنَّ وَزَر بكسر الواو وسكون الزاي والراء) بمعنى الحمل، وهذا يعني أن كلمة «وزير» إمّا أن تكون مشتقة من وَزَر (بكسر الواو) فيكون الوزير عندئذ هو الشخص الذي يتحمّل العبء الثقيل، أو أن تكون مشتقة من وَزَر (بفتح الواو والزاي وسكون الراء) فيكون الوزير عندئذ من يلجأ الملك إلى رأيه وفكره وتديره^(٢).

خطورة منصب الوزارة:

[372] لكنّ منصب الوزارة على الرغم من خطورته وجلاله كان أمراً محفوفاً بالمخاطرة؛ فقد اغتال المنصور (٧٥٤ - ٧٧٥ م = ١٣٧ - ١٣٨ هـ) أبا مسلم غدرأ، وهو الذي كان يلقّب بأمين آل محمد.

كما أنّ أبا مسلم نفسه قد تسبّب - بناءً على أمر السفّاح - في قتل أبي سلمه (٧٤٩ - ٧٥٠ م = ١٣٢ - ١٣٣ هـ). وأبو سلمه هذا هو أوّل شخص ولي الوزارة، وأول من عُرف لقب الوزارة في عهده. وقد قتل الخليفة خلفه أبا الجهم بالسم، فلمّا أحسّ به يسري في عروقه نهض ليغادر الغرفة، ولما سأله الخليفة: «إلى أين؟»، أجاب الوزير في ضعف ووهن: «إلى المكان الذي أرسلتني إليه»^(٣).

وقد صادف موته بلوغ الأسرة البرمكية الإيرانية الأصبيلة درجات القوة

(١) (تعليق م.ع): لا شك أنّ هناك فرقاً بين لفظ (وَزَر) ولفظ (وِزَر) في المعنى، لكنّ المادة واحدة؛ لذا نقول في هذا الصدد: لفظُ الوزير سواء كان من (وِزَر) أو من (وَزَر) فالمادة واحدة.

(٢) انظر: الفخري (طبع الوارت، ص ١٨٣ - ١٨٤).

والمنعة. وكان أبناء برمك وأحفاده يديرون شئون الخلافة مدة ٥٠ عاماً^(١) (من ٧٥٢ حتى ٨٠٤م) = (من ١٣٥ حتى ١٨٩هـ) بحكمة وتدبير، ولم يتوانوا خلال هذه السنوات عن بذل المال في سبيل نشر العلم والمعرفة، وبسط حمايتهم على العلماء، والإنفاق عليهم بكل سخاء.

ويفضل كرم الضيافة والحُكم المتَّسم بالتعقُّل والتميّز بالروية تسبب البرامكة^(٢) في أن يسمى عصر الخلفاء الخمسة الأولين في الدولة العباسية بعصر الخلفاء الزاهر. وظلَّ الأمر كذلك إلى أن استولى جنون الحسد والغيرة على هارون الرشيد^(٣) فأهلك جعفرًا والفضل ابني يحيى بن خالد بن برمك، وقضى على الكثيرين من أفراد أسرتهما. وقد كان جد هذه الأسرة «برمك» من المجوس، وكان يشغل منصب موبد الموابد في بيت النار العظيم (نوبهار) في بلخ.

يقول المسعودي (مروج الذهب، ج ٤، ص ٤٨).

«كان الشخص الذي ينجز هذه المهام موضع احترام سلاطين تلك البلاد، [373] وكان له حقُّ التصرف في الأموال التي تُقدَّم للمعبد. وكان يطلق عليه اسم (برمك). والبرمكي والبرامكة اسمان مشتقان من كلمة برمك هذه، لأنَّ خالد بن برمك كان أحد أولاد هؤلاء الموابد العظام».

وتأييداً للرأي القائل بأن برمك كان في الحقيقة لقباً لا اسماً، نترجم هذه السطور عن كتاب «آثار البلاد» للقزويني (ص ٢٢١-٢٢٢، تحت عنوان «بلخ»):

«كان الإيرانيون والأتراك يعظمون معبد نوبهار ويتخذونه مزاراً، ويحملون

(١) تعليق م.ع: ٥٢ عاماً إذا شئنا الدقة.

(٢) تعليق المترجم الفارسي: انظر: كتاب «البرامكة» تأليف بوفا، طبع باريس ١٩١٢م = ١٣٣١هـ. Bouvat. Les Harmécides d'après les historiens arabes et Persans. "Revue de Monde Musulman". (Paris, 1912)

(٣) تعليق م.ع: كان الأولى بالمؤلف أن يرجع ما حدث إلى خوف هارون الرشيد من سيطرتهم وشكّه في نواياهم.

إليه الهدايا، وكان طول المعبد مائة ذراع وعرضه مائة، أمّا ارتفاعه فأقلّ من ذلك، وكان البرامكة يتولّون أمره، ويقدّ إليه ملوك الهند والصين فيسجدون للصنم^(١)، ويقبّلون يد البرمك. وكان للبرمك نفوذ كبير في جميع الممالك. وسار الحال على ذلك المنوال إلى أن فُتحت خراسان في عهد عثمان بن عفّان، وآلت حراسة المعبد المذكور آخر الأمر إلى برمك بن خالد.

وقد سخر البرامكة نفوذهم الكبير - بطبيعة الحال - لصالح مواطنيهم، لكنهم تعمّدوا التجاوز عن كثير من النظم والتقاليد الإيرانية كي لا يقعوا فريسة سوء الظن باعتبارهم ما زالوا مجوساً قلباً وقالباً؛ لهذا فإنه عندما اتّخذ المنصور من بغداد عاصمة جديدة له، ورأى أبو أيوب المورياني أنّه من المصلحة تخريب القصر الساساني المعروف بإيوان كسرى والاهتمام ببنائاته الجديدة، استشار الخليفة خالد بن برمك، فأجابه:

«لا تفعل هذا يا أمير المؤمنين؛ فالقصر آية الإسلام، وهو في الحقيقة [374] علامة فتح الإسلام ونصره، إذ أنّ خُلِقَ الله عندما يشاهدون إيوان كسرى يتبيّن لهم أنّ خراب مثل هذا البناء يجيء بناءً على أمر الله وحده. يضاف إلى ذلك أنّ مُصَلَّى علي بن أبي طالب كان في ذاك المكان، ونفقات تخريبه أكبر من النفع الذي يتحقّق نتيجة هذا التخريب».

وأجاب المنصور:

«أبيت يا خالد إلّا مَيْلاً إلى العجميّة».

ولم يمض وقت طويل حتى تأكّدت صحّة توقّعات خالد بشأن المشقّة والنفقات التي كانت ستنتجم عن تخريب طاق كسرى.

(١) مما قاله القزويني يتأكّد لنا أنّ (نوبهار) لم يكن معبداً للنار؛ فوجود الصنم به وزيارة الهنود والصينيين له يمكن أن يكون دليلاً على ذلك. (تعليق م. ع): القزويني هو الأديب زكريا بن محمد، صاحب كتاب: «آثار اليلاد وأخبار العباد»، طبع جوتنجن ١٩٤٨م = ١٣٦٨هـ.

وذات يوم قال له الخليفة :

« يا خالد، قد سِرنا على عقيدتك، وأخذنا برأيك، وكفنا عن تخريب الإيوان ».

فأجابه: يا أمير المؤمنين، الآن أقول لكم خُطموا القصر كي لا يقول الناس إنَّ الخليفة عاجز حتى عن هدم بناء شيدَّه غيره». ومن يُمنِ الطالع أن الخليفة لم يُضغ لكلامه - كما فعل سابقاً - (فقد أبدى خالد رأيه هذا، ولا شك، نتيجة خوفه واحتياطه، وبسبب ما قاله الخليفة من قبل) وأجلَّ تخريب إيوان المدائن^(١).

ومن التقاليد الإيرانية التي روعيت مرّتين في أوائل العصر العباسي عيد النيروز^(٢) الذي يُقام في اليوم الأول من السنة الإيرانية الشمسيّة، ويوافق الاعتدال الربيعي، ودخول الشمس في برج الحمل^(٣).

يقول أبوريحان البيروني^(٤): في عهد هارون الرشيد تجّمع مُلّاك الأراضي مرّة أخرى، وطلبوا من يحيى بن خالد بن برمك أن يؤخّر عيد النيروز ما يقرب من الشهرين^(٥).

(١) انظر: كتاب الفخري، ص ١٨٥، ١٨٦، والطبري ح ٣، ص ٣٢٠.

(٢) (تعليق م.ع): لمعرفة الكثير عن هذا العيد الإيراني وكيفية الاحتفال به، انظر: مجتبي ميني: مقدّمة رسالة نوروز نامه للحكيم عمر الخيام اليسابوري، تهران ١٣١٢ هـ؛ ش؛ فؤاد عبدالمعطي الصياد: النوروز وأثره في الأدب العربي، نشر جامعة بيروت ١٩٧٢ م = ١٣٩٢ هـ؛ أحمد كمال حلمي: عمر الخيام عصرًا وبيئةً ونتاجًا، نشر دار العروبة بالكويت ١٩٩٤ م = ١٤١٤ هـ، ص ٣٦ - ٤٠ حيث يوجد الكثير من الأخبار والمعلومات والمراجع.

(٣) لا يقرّ آقاي تقي زاده صحّة موافقة اليوم الأول من العام مع الاعتدال الربيعي ودخول الشمس في برج الحمل، ويحكم بخطأ ذلك.

(٤) الآثار الباقية، ترجمة زاخو Sachau، ص ٣٧.

(٥) كان التقليد القديم يقضي بأن تحتسب الأيام الكبيسة، فلما أبطل هذا التقليد تقدّم العام بصورة تجعل القوم يحتفلون بعيد النيروز قبل جني المحصول. وكان هذا يضرّ بالمزارعين إذ كان لزاماً عليهم عند ذاك أن يدفعوا الضرائب المفروضة عليهم.

[375] وأراد يحيى أن ينقذ ما أرادوا، لكن أعداءه تناقلوا الأقاويل حول هذا الأمر، وقالوا إنَّ يحيى موالٍ للدين الزردشتي. ونتيجة لهذا كفَّ خالدٌ ولم يُعقَّب، وبقي الحال على ما كان عليه.

ويبحث فون كرم - في الكتب النفيسة التي سبق لنا ذكرها مراراً - ويبدل قصارى جهده للكشف عن النفوذ الإيراني الذي كان ظاهراً في كُلِّ مكان. ويرى أنَّه لم تكن التشكيلات الدينيَّة والحكوميَّة وحدها التي تصاغ في قالبٍ إيراني، بل إنَّ شكل اللباس ونوع الغذاء وطرز الموسيقى وأمثالها قد خضعت بدورها - في العصر العباسي - للنفوذ الإيراني.

يقول فون كرم^(١): «زاد نفوذ إيران في بلاط الخلفاء وبلغ أوج الكمال في زمن الهادي وهارون الرشيد والمأمون؛ فكان معظم وزراء المأمون إيرانيين أو من أصل إيراني، وقد شاع استخدام الأسلوب الإيراني في بغداد بصورة أكبر، وكانت الاحتفالات تقام بمناسبة أعياد النوروز والمهرجان ورام القديمة، والملابس الإيرانيَّة هي اللباس الرسمي في البلاط. وبناءً على أمر الخليفة العباسي الثاني (في عام ١٥٣ هـ الموافق ٧٧٠م) كانت القبعات الإيرانيَّة السوداء العالية (المسمَّاة بالقلائس، جمع قَلْنُسُوَّة) غطاء الرأس. وفي البلاط، كانوا يقلِّدون آداب الملوك الساسانيين، فيطرِّزون الملابس بالنقوش والخطوط الذهبيَّة، وكان الخليفة يخصُّ نفسه بهذا النوع من اللباس. ومما خلَّفَه لنا المتوكِّل من مسكوكات نبيِّن أنَّ هذا الخليفة كان يرتدي اللباس الإيراني.

(١) كتاب فون كرم، ص ٣٢ و ٣٣، Von Kremer, Streifzüge.

(تعليق م. ع.): المهرجان عيد كبير، كان الساسانيون يحتفلون به في أوائل الخريف، ويبدأ في ٢٣ أيلول (سبتمبر). وكلمة (مهرگان) نسبة إلى (مهر) أحد الملائكة في الديانة الزردشتيَّة، ويطلق اسمه على أحد شهور السنة الإيرانيَّة. وقد زال هذا العيد في العهد الإسلامي - بعكس النوروز - ولم يعد أحد يحتفل به، ومع ذلك فقد جاء وصفه في أشعار ابن الرومي وابن المعتز. ويفهم من أشعار ناصر خسرو أنَّ النوروز يفضل المهرجان. وقد حاول الإيرانيون في العصر الحديث إحياء هذا العيد.

انظر في ذلك: عمر الخيام، عصراً وبيئة وتاجاً، ص ٤٠؛ النوروز والمهرجان لأبي الحسن علي بن هارون؛ الأشعار السائرة في النوروز والمهرجان لحمزة الأصفهاني.

[376] وإذا كان النفوذ الإيراني قد طغى في البلاط العباسي إلى هذا الحد، وإذا كان مَنْ وفدوا إلى البلاط وصَدَرُوا عنه قد تقيّدوا بالقيود والأشكال والأساليب الإيرانية إلى هذه الدرجة فالواجب أن نعلم أيضاً أن نشاط هؤلاء القوم ذوي الذكاء الحادّ كان يتجلّى في الشئون العلميّة والأدبيّة أكثر مما يتجلّى في أيّ مظهر آخر من مظاهر الحياة.

يقول جولد تسيهر في كتابه «دراسات إسلامية» (ج ١ ص ١٠٩) في فصل: العرب والعجم، وهو فصل قيّم مشرق^(١):

«ليست الصدارة للأجانب دائماً في أجهزة الحكومة فحسب، بل إنهم يسبقون الجميع في مجال العلوم الدينيّة بصفة خاصّة»^(٢).

ويقول فون كرم^(٣):

ويبدو تقريباً أن الدراسات العلميّة المذكورة (القراءة والتفسير والقرآن والحديث والأخبار والفقه) كانت - خلال القرنين الأولين من الهجرة - تتمّ أكثر ما تتمّ على يد الموالى، أي المسلمين من غير العرب، بينما يهتمّ العرب أكثر ما يهتمون بالقراءة والفتوحات ومحاكاة أشعارهم القديمة، غير أننا يجب أن نضيف المعلومة التالية إلى ما ذكرناه وهي أن الأجانب قد تقدّموا في هذا الفرع أيضاً على العرب، وأنّ المساعدات والخدمات التي قدّمها علماءهم

(١) Goldziher, Muhammedanische Studien

(٢) (تعليق م.ع): ينقل براون عن جولدتسيهر - وغيره من المستشرقين - ما يتمشّى مع حركة الشعويّة، ويوجّه الاتهامات ضدّ العنصر العربي، بينما يورد (أي براون) في موضع آخر (ص ٤٠١ - ٤٠٧ من النسخة الفارسيّة المترجمة عن الانجليزيّة) أسماء ٤٥ كاتباً أدوا خدماتٍ للأدب العربي القديم.

وفي الثبّت الذي أورده براون - وفق تقريره ص ٤٠٧ - يأتي ذكر ثلاثة عشر كاتباً فقط ممن ينتمون إلى أصلٍ إيراني. وفي هذا ردّ على جولدتسيهر وأمثاله وتفنيدٌ لمزاعمهم.

(٣) انظر: ص ١٦ من كتاب فون كرم. Culturgesch, Streifzüge

عن طريق دراساتهم التاريخية والأدبية التي قاموا بها في ميدان مؤلفات العرب القديمة، وتحقيقاتهم النقدية الجامعة، وأمثال ذلك كان لها دورها الكبير في توسيع دائرة نبوغ العرب في ذلك الفرع.

إنَّ خدمات غير العرب من العلماء في النحو والصرف واللغة العربية واضحة لا تحتاج إلى دليل، تشهد بذلك الأسماء العديدة التي يدلُّ مجرد نطقها - دلالة واضحة - على مدى اعتماد العلوم المذكورة على خدمات الأجانب وجهودهم (أي العناصر غير العربية)، غير أن ذكر هذه الأسماء في هذا الموضع يعدُّ خارجاً عن نطاق بحثنا^(١).

يقول دولا جارد^(٢) (دي لاجارد):

[377] «من بين من جاهدوا في ميدان العلم من المسلمين لا يوجد سامي واحد».

وإذا كنَّا لانستطيع قبول كلامه الذي يورده بهذه الصورة القاطعة غير المشروطة، ففي إمكاننا على الأقل أن نؤكد أنَّ العنصر العربي كان متخلفاً جداً عن غير العربي في الدراسات الدينية والدراسات المتعلقة باللغة العربية.

والعرب أنفسهم هم أساس هذا التقصير، فقد كانوا ينظرون بعين الاحتقار والاستخفاف إلى الدراسات التي كانت تحظى من جانب غيرهم بالاهتمام والجديَّة، ويرجع كبرهم وغرورهم إلى سيطرتهم وسلطانهم، إذ كانوا يرون أنَّ هذه الجزئيات لاتليق بالأشخاص الذين يمكنهم الفخر بأجدادهم، وإنما تليق بالمؤدَّب الذي يريد - بالخداع والتمويه - أن يخفى عن الأنظار وضاعة نسب آبائه وأجداده الذين يفتقرون إلى الشهرة.

(١) (تعليق م.ع): ما قلناه رداً على جولد تسيهر يمكن أن يُردَّ به على فون كرممر، كما يجب أن يكون معلوماً أن غير العرب هؤلاء قد تربوا في أحضان العرب وعلى موائدهم العلمية، وثقَّفوا بثقافتهم وتعلموا على أيديهم.

(٢) انظر: ص ٨، الحاشية الرابعة من كتاب بول دي لاجارد. Paul de lagarde, Abhandl. (تعليق م.ع): يكفينا ردُّ براون على (دي لاجارد)، غير أننا لانقبل منه تفضيل العنصر غير العربي على العنصر العربي دون إيراد شواهد للإثبات شافية كافية.

يقول واحد ممن تجري في عروقهم وشرائينهم دماء العرب الخالصة:

«لا تكتسب قريش جمالاً من ورود ذكرها في أيّ مبحث غير مبحث
التواريخ القديمة (المتعلّقة بالعرب)، خاصة عندما يجب عليها أن تشدّ القوس
وتهاجم العدو^(١). وقد رأى أحد القرشيين يوماً طفلاً عربياً يقرأ في «الكتاب»
لسيبويه^(٢)، فلم يستطع أن يمنع نفسه من أن يقول:

[378] أف لكم، هذا علم المؤدّبين وموضع فخر المحتاجين. لأنّ من
كانوا يعلمون صغار الأطفال - من المدرّسين - كانوا يتقاضون ستين درهماً
لقاء تدريس أيّ مادة كالنحو أو العروض أو علم الحساب أو الفقه (الذي يُعدّ
علم الحساب من لوازمه). [ومما يدعو للأسف أنّه لم يذكر هنا أن هذا
المبلغ كان يدفع لقاء عدة ساعات من التدريس] وكانوا يقولون هذا على سبيل
المزاح، أو في معرض السخرية والاستهزاء^(٣).

(١) عن كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ. وقد نشر هذا الكتاب في القاهرة عام ١٣١٣هـ = ١٨٩٦م،
لكن جولدتسيهر الذي تناول الموضوع عام ١٣٠٧هـ = ١٨٨٩م - أو قبل ذلك التاريخ - قد استفاد
من النسخة الخطيّة لذلك الكتاب. وهو يشير أيضاً إلى حكايات مُشابهة نقلها فون كرم في المجلد
الثاني من كتابه (Culturgeschichte, p. 159) معتمداً في ذلك على مصادر أخرى.
(تعليق م. ع): طبع الكتاب بعد ذلك أكثر من مرة في مصر وبغداد، وعكف على تحقيقه أساتذة
جهابذة أمثال عبد السلام هارون. وعلى الدارس أن ينظر في ترجمة الجاحظ:
معجم الأدباء ١٦/٧٤؛ وأمالى المرتضى ١/١٩٤؛ والممل والنحل للشهرستاني؛ ص ١٥٢ ونزهة
الألباب لابن الأنباري، ص ٢٥٤؛ وتاريخ بغداد ١٢/٢١٤؛ والفن ومذاهبه في الشر العربي لشوقي
ضيف؛ ص ١٥٤؛ الجاحظ: حياته وآثاره لطف الحاجري.

(٢) توفي عالم النحو الإيراني الأصل هذا حوالي عام ٧٩٥م = ١٧٩هـ. و«الكتاب» اسم كتاب وضعه
في النحو، وهو أقدم بحث مرّتب منظم في النحو العربي.

(تعليق م. ع) سيبويه هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، وقد طُبِع كتابه «الكتاب» في مصر، في
المطبعة الكبرى الأميرية ببلاط عام ١٣١٦هـ = ١٨٩٨م، ويحظى سيبويه بإعجاب النحاة ويكتبون
حوله أكثر من سواه. انظر: على سبيل المثال: مقال «موقف سيبويه من الضرورة» لخديجة الحديثي،
ضمن كتاب (دراسات في الأدب واللغة)، نشر جامعة الكويت ٧٦ - ١٩٧٧م - ١٣٩٧هـ.

(٣) تعليق المترجم الفارسي: وردت هذه القصّة في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، طبع القاهرة عام
١٣٦٦هـ = ١٩٤٧م، ص ٣٧٨ وذلك على النحو التالي: ومرّ رجل من قريش بفتى من ولد
عتاب بن أسيد وهو يقرأ كتاب سيبويه فقال: أف لكم، علم المؤدّبين ومهنة المحتاجين. وقال
ابن عتاب: يكون الرجل نحويّاً عروضيّاً ونسّاباً فرضياً وحسن الكتابة جيد الحساب حافظاً للقرآن
راوية للشعر وهو يرضى أن يعلم أولادنا بستين درهماً. ولو أن رجلاً كان حسن البيان حسن
التخريج للمعاني ليس عنده غير ذلك لم يرض بألف درهم.

وإذا استثنينا من كانوا تحت سيطرة اليهود والنصارى واليونان وإيران، فإن
عرب الجاهلية لم تكن لهم دراية - إلى حد ما - بفن الكتابة، حتى إنَّ
الشاعر في العهد القديم - وفقاً لقول جولدزيهر - كان إذا ما تحدّث عن
رجل عاقل وأراد أن يؤكد أن هذا الرجل عالم عارف، يقول:
«إنَّه ذاك الذي يقرّر، ويثبت مجمل قوله على الجلد كتابة».

وحثّى في زمن الرسول، لم يكن جلُّ العرب يزدون على ذلك، فهم لم
يكتبوا القرآن على أشياء عجيبة فحسب، بل أطلقوا سراح من تعهدوا بالكتابة
[379] من بين الأسرى دون دفع الفدية^(١) وإذا رجعنا إلى (فتوح البلدان -
طبع دوخويه، ص ٤٧١ - ٤٧٢) نجد أنَّ البلاذري يصرّح (نقلًا عن
الواقدي) أنَّه في أوائل الإسلام، كان في قبيلة قريش سبعة عشر شخصاً فقط
- وهم من أشرف مكة - يعرفون الكتابة. وقد ذكر البلاذري أسماءهم واحداً
واحداً، فكان من بينهم عمر وعلي وعثمان وأبو عبيدة بن الجراح وطلحة
وأبو سفيان وابنه معاوية. وعلى الرغم من معرفة ذي الرمة - الذي يُعدُّ آخر
شاعر بدوي - الكتابة، فإنَّه اضطر إلى نعت نفسه بالأميِّ معللاً ذلك بقوله:
«السرُّ في إخفائي أنَّي متعلِّم»^(٢) أن هذا الأمر يعتبر في عرفنا عاراً وشيئاً
مشيناً.

ومن جهة أخرى فإنَّ الإيرانيين - حتى في أوائل العهد الساساني - كانوا
يعدُّون الكتابة فضيلة من فضائل الأمراء^(٣).

(١) تعليق المترجم: كان بعض الأسرى يقومون بتعليم الخط (الكتابة) بدلاً من دفع مال الفدية.

(٢) انظر: جولدتسيهر، جا من دراسات إسلامية، ص ١١٢.

Goldziher, Muhammedanische studien (2 Vols. Halle, 1889-1890).

(تعليق م.ع): طبع هذا الكتاب بعنوان (العقيدة والشرعة في الإسلام) في دار الكاتب المصري،
القاهرة ١٩٤٦ م = ١٣٦٦ هـ.

(٣) انظر: نولدكه، تاريخ ارتخشير بابكان، ص ٣٨، الحاشية رقم ٣.

Nöldeke, Gesch. des Artach shir-i-Papakan ausdem Pehlewi übersetzt (Göttingen, 1879).

وكان الكثير من الأمراء - قبل الإسلام - يعرفون اللغة العربية معرفة جيّدة، فبين عرب الحيرة درس بهرام گور (٤٢٠ - ٤٣٨م) لدى المناذرة، وتعلّم الفارسيّة والعربيّة واليونانيّة^(١)، وتنسب إليه أشعارٌ باللغة العربيّة^(٢) أثبتها العوفي في كتابه (لباب الألباب)^(٣).

[380] وقد صار «خسره» - وإلى اليمن الإيراني - عربي النزعة تماماً، يحفظ الشعر ويلقيه، ويدرس على طريقة العرب وكان ميله للتعرّب سبباً في استدعائهم له، ومطالبته بالعودة إلى بلاده^(٤).

(١) انظر: الدينوري، ص ٥٣؛ نولدكه ص ٨٦ - ٨٨.

Nöldeke, Gesch, der Perser und Araber zur Zeit d. Sasaniden, (Leyden, 1879).

(تعليق م.ع): ألا يكفي هذا دليلاً وشاهداً على أن العرب كانوا بمثابة الأساتذة للفرس، وأنهم كانوا يسبقونهم في العلم والمعرفة؟

(٢) طبقاً لرأي بديع الزمان فروزانفر فإن أشعار بهرام گور مشكوك في أمرها، بل أنه لا أصل لها. (تعليق م.ع): من أشعار بهرام الخامس بن يزدجرد الأول (بهرام گور) التي نظمها بالعربيّة ورواها راوية الحيرة «سوار بن زيد عدي بن دريد» كما ذكرت كتب التراجم:

لقد عَلِمَ الأنامُ بكلّ أرض	بأنّهم قد اضحّوا لي عبيدا
ملكك ملوكهم وقتلت منهم	عزّيزهم المسوّد والمسوّد
وكنث إذا تشاوس ملك أرض	عبأت له الكتائب والجنود
فيعطيني المقادة أو أوافي	به يشكو السلاسل والقيود

وروى له قومٌ بيتاً في الفخر بنصره يوم خاقان:

أقول له لمّا فضضت جنودك كأنك لم تسمع بصولات بهرام

انظر: الثعالبي: تاريخ غرر السير في أخبار ملوك الفرس وسيرهم، تهران ١٩٦٣م = ١٣٨٣هـ، ص ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٥٦.

محمد عوفي: لباب الألباب، بكوشش سعيد نفيسي، تهران ١٣٢٥هـ. ش، ليدن ١٩٠٣م = ١٣٢١هـ. ويمكن الاطلاع أيضاً على أشعاره الفارسيّة التي تتعلّق في بيت واحد هو:

منم آن شیر شله، منم آن بیرله منم آن بهرام گور، منم آن بوجبله

والمعنى: أنا الأسد الهصور، أنا الفهد الكاسر، أنا بهرام جور، أنا أبو جبلة.

كما يمكن الاطلاع على ما قيل في هذا الشأن بالرجوع إلى:

- مقال: «التأثير والتأثر بين الأدبين: العربي والفارسي» للدكتور أحمد كمال، كتاب أبي ريدة التذكاري، نشر جامعة الكويت ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م، ص ٤٢٢، ٤٢٣.

- كتاب «٣٥٠٠ عام من عمر إيران» للدكتور أحمد كمال، نشر مؤسسة الصباح بالكويت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م، ص ٢٥١، ٢٥٢.

ويستطرد جولد زيهر قائلاً:

وبين علماء الإسلام وفقهائه يرد ذكر رجال من أصل إيراني.. لم يكن أول احتكاك لآبائهم وأجدادهم بحياة العرب عن طريق الإسلام، وإنما كانوا ضمن الجيوش الإيرانية^(١) التي اختارت بلاد العرب لسكناها، يقودها سيف بن ذي يزن.

وفي مجال التعرُّب والمشاركة في المجال العلمي للمجتمع الإسلامي حققت العناصر غير العربية في الممالك الإسلامية تقدماً سريعاً قل نظيره في تاريخ الحضارة البشرية. وفي أواخر القرن الأول الهجري كان بُشكست (بضم الباء) Bushkast - عالم النحو - يعيش في المدينة. ويبدو من اسمه أنه كان إيرانياً خالصاً. وقد لعب هذا الرجل - الذي كان يشتغل بتدريس علم النحو - دوراً بارزاً في ثورة الخوارج بقيادة أبي حمزة، مما جعل أتباع مروان يقومون بأسره وقتله.

[381] وكان عددٌ كبيرٌ من جُلّة المسلمين ينحدر من نسل أسرى الحرب الإيرانيين؛ فيسار جدُّ ابن إسحق^(٢) - الذي كتب سيرة الرسول، ويعتبر كتابه مصدراً أصلياً من مصادر تاريخ صدر العصر الإسلامي - كان أحد أسرى الحرب الإيرانيين. وكذلك الحال بالنسبة لوالد موسى بن نصير الذي اشتهر في بلاد الأندلس وحظي بمرتبة سامية.

كما أن آباء العديد ممن أحرزوا منزلة رفيعة في ميادين السياسة والعلم والأدب وأجدادهم.. كانوا من أسرى الحرب الإيرانيين والأتراك الذين انضموا إلى إحدى الطوائف العربية باسم الموالي. وبسبب ما أبداه هؤلاء من نسبة إلى العرب.. نسوا أصلهم الأجنبي تقريباً^(٣)، غير أن بعض الموالي لم يمحوا ذكرى أصلهم الأجنبي تماماً من صفحة ضميرهم، فلم تكن لهذا الأمر صفة العمومية.

(١) جولدتسيهر، نفس الكتاب، حاشية رقم ٢، هامش الصفحة الخاصة بينى الأحرار، حيث ترد الإشارة إلى المراجع التالية: كتاب الأغاني ج ١٦ ص ٧٦؛ سيرة ابن هشام ص ٤٤ - ٤٦؛ نولدكه ص ٢٢٣. (Gesch, d. Sasaniden).

(٢) تعليق المترجم: كتب المؤلف (أبا إسحق) وهذا خطأ.

(٣) رُتب البلاذري (ص ٢٤٧) فهرساً يمثل هؤلاء الأشخاص، وكان أبرز أفراد هذه الجماعة أبناء سيرين الأربعة.

وقد حافظ أبو إسحق إبراهيم الصولي (المتوفى عام ٨٥٧م = ٢٤٣هـ) على ذكر جدّه صولتكين - أحد رؤساء خراسان - عن طريق إيقائه على اسم الأسرة وهو الصولي^(١). وقد هُزم نتيجة حملة يزيد بن المهلب، وفقد تاجه وعرشه. وحين قَبِلَ الإسلام صار من أكبر الفدائيين الموالين للعدوّ الفاتح. ويقال إنّ الكلمات التالية كانت مدوّنة على السهم الذي فوقّه صوب جيش الخليفة: «إنّ صول يدعوكم إلى اتباع كتاب الله وسنّة رسوله».

[382] وقد نقلنا هذا القسم من كتاب جولد تسيهر القيم. والحقّ أن هذا الفصل برمته يشتمل على معلومات جامعة تشدّد ذهن القارئ وتثير فكره. لهذا نوصي من يريدون مزيداً من الاطلاع بالرجوع إلى هذا المصدر. وحول زيادة نفوذ الموالى الأجانب يورد جولد تسيهر شواهد وأدلة مهمّة للغاية.

من بين هذه الشواهد والأدلة محاورّة دارت بين الخليفة الأموي «عبد الملك» والعالم الرّبّاني المعروف «الزّهري»^(٢)، ومنها يتّضح أنّ الموالى الأجانب - في مكّة أو اليمن أو مصر أو الشام أو بين النهرين أو خراسان أو الكوفة أو البصرة - كانوا على رأس السلطات المذهبيّة المهمّة.

فحين أبدى الخليفة تعجّبّه من هذا الوضع أجاب العالم الرّبّاني بقوله: «يا أمير المؤمنين، هذه حقيقة الحال، بأمر الله وتقديره تمّت هذه المسألة، وكلّ من أطاع أمره نال القوّة والقدرة، ومن تغافل عن تنفيذ أمره انقلب وسقط».

وكان المؤمنون المتّقون في صدر الإسلام - طبقاً لما ورد في العديد من الأحاديث، وبناء على ما ذكره جولد تسيهر - يعتمدون على أقوى المراجع في تجنّب الأهواء العنصريّة فيما يتعلّق بالأمور المذهبيّة. ومن الأحاديث في ذلك الشأن حديث معناه:

(١) حول كينيّة إدراج الأعلام الفارسيّة بأشكال عربيّة، ارجع إلى كتاب جولد تسيهر الذي مرّ ذكره، هامش ص ١٣٣، حاشية رقم ٢.

فمثلاً (ماهان) جاءت على صورة ميمون، و(بسفروج) جاءت على صورة (أبي صبرة). كما حلّ اسم (محمد بن عبدالله) الرسول الكريم - في موضع آخر - محلّ زردشت بني إيران القديمة.

(٢) الكتاب السابق، ج ١ ص ١١٤ و ١١٥.

(أيُّها الناسُ، إِنَّ إِلَهَكُمْ لواحد وإنَّ أباكم لواحد، الدين نفس الدين. ليست اللغة العربيَّة أبا أحدكم أو أمَّة، إنها لاتعدو أن تكون وسيلة للكلام، ولهذا يسمُّون من يتكلَّمها عربيًّا^(١). ومن اعتنق الإسلام من أهل فارس بات كالقرشي سواء بسواء.

[383] «لو كان العلم بالثريَّا لتناولته رجال من فارس». وقد تغيَّر هذا الحديث فيما بعد فصار على هذه الصورة: «لو تعلَّق العلم بأكناف السماء لناله قومٌ من أهل فارس»^(٢).

(١) يقول جولدتسيهر: كُذِّب هذا الحديث المنسوب إلى ابن عساكر (١١٠٦ - ١١٦٩ م) (٥٥٠ - ٦٦٥ هـ) أخيراً، غير أنَّ هذه الفكرة كانت سائدة ولاشك في عصر صدر الإسلام.

تعليق المترجم: «لو كان الإيمان معلقاً بالثريَّا لناله رجال من العجم». (نقلًا عن سفينة البحار للقمي، ج ٢، ص ١٦٥).

(تعليق م.ع): تشغل المؤلف والمترجم الفارسي قضية المساواة في الإسلام وعدم تطبيقها على أيدي بعض الحكام. ومن آيات القرآن الكريم العديدة ومن الأحاديث الشريفة الصحيحة يتَّضح أنَّ مبدأ المساواة هو غاية الشريعة الإسلاميَّة. من هذه الآيات:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (سورة ٤٩ - الحجرات - الآية ١٣).

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (سورة ٤٩ - الحجرات - الآية ١٠).

ومما جاء على لسان الرسول عليه السلام (نقلًا عن سنن أبي داود، ج ٢ ص ٣٣٢، مصر ١٣٤٨ هـ):

- إن الله عز وجل قد أذهب عنكم حميَّ الجاهليَّة وفخرها بالآباء.

- ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى - أنتم بنو آدم وآدم من تراب.

- لِيَدْعَرَنَّ رِجَالٌ فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكوننَّ أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها التَّن.

ومن خطبة حجة الوداع تقتطف مما يلي، نقلًا عن البيان والتبيين للجاحظ، ج ٢، مصر ١٩٢٦ م = ١٣٤٥ هـ، ص ٣٩.

أيها الناس ربيكم واحد وإنَّ أباكم واحد. كلُّكم لآدم وآدم من تراب.

أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى.

وقد استغلَّ البعض ما قرأوه وأضافوا إليه من عندهم لتأكيد أنَّ المساواة قد فرضت على العرب ثم غلبت مشاعرهم العنصريَّة على المذهبيَّة فنبذوا المساواة.

(٢) الكتاب السابق، ج ١ ص ١١٧ - ١٤٦.

تعليق المترجم الفارسي:

انظر المصادر التي ذكرها الدكتور حسين على محفوظ في تعليقاته على رسالة:

«مزية اللسان الفارسي على سائر الألسنة ما خلا العربيَّة» تأليف ابن كمال باشا، ص ٤٠ - ٤١.

وفيما يتعلّق بغلبة مشاعر العرب العنصريّة الخالصة على مشاعرهم المذهبيّة، وعدم توافقها مع ماورد في هذا الحديث ونظائره، يتحدث جولد تسيهر ويورد الأدلّة التي تثبت أنّ العرب كانوا ينظرون نظرة احتقار إلى الموالى الأجانب، ولايجيزون زواج العرب (خاصة النساء) من غير العرب^(١).

واليوم نرى هذا الأمر في هندوستان رأى العين، فهناك لا يكتفى الإنجليز برفض المساواة الاجتماعيّة بين المسيحيين وغير المسيحيين، بل إنّ العكس هو الصحيح. والواقع أنّ المقارنة هنا لصالح الإسلام لأنّ من اشتهروا بالورع والتقوى كانوا دائمي المعارضة للأهواء العنصرية التي سادت في ذلك الزمان، وكانوا يعبرون عن معارضتهم بطريقة يندر حدوثها بين مبشرينا ودعاتنا. ولاشك أنّ هذه المسألة كانت السبب في قلة نجاحهم في كثير من بقاع آسيا. وبسقوط الأمويين وتولية العباسيين - الذين بدأوا حركتهم في خراسان^(٢) - تحقّق جانب من جوانب الخطر الذي أعلنه نصر بن سيار في قوله لولي نعمته مروان الحمار:

[384] ففرّى عن رحالك ثم قلّى على الإسلام والعرب السلام.

وفي هذه الآونة، ظهرت على مسرح الوجود السياسي فرقة معيّنة تسمّى الشعبيّة أو الموالين للعجم^(٣). وكانت هذه الفرقة في بداية أمرها تقول إنّ كلّ المسلمين سواسية، ثم انتهى بها الأمر إلى القول بأنّ العرب أحقر من كثير من الشعوب.

(١) مما يؤكّد وجود هذه النظرة قبل الإسلام ماذكر من أنّ النعمان ملك الحيرة وأعوان بلاطه لم يوافقوا على تزويج إحدى بنات الملك حتى من ملك إيران الذي كان ينعم آنذاك بحمايتهم.

(٢) انظر: كتاب جولدتسيهر السابق الذكر، ج ١ ص ١٤٨.

(٣) خصّص جولدتسيهر فصلين من كتابه القيم للحديث حول هذه الفرقة (ج ١ ص ١٤٧ - ٢١٦، ٢٧٢). تستعمل كلمة شعوب (جمع شعب) في الدلالة على الأقوام من العجم.

انظر: سورة ٤٩ - الحجرات - الآية ١٣:

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾.

يقول جولدتسيهر (صفحة ١٤٨ من كتابه السالف الذكر):

«في زمن الخليفة أبي جعفر المنصور كنّا نشاهد القافلة العربيّة تلزم مكانها أمام بوابة قصر الخليفة حائرة تنتظر الإذن بالدخول، بينما يدخل أهالي خراسان ويخرجون في حرية، وهم يسخرون من هؤلاء العرب الذين لا يتحلّون بالأدب».

وقد تعرّض أبو تمام الشاعر (المتوفى عام ٨٤٥م = ٢٣١هـ أو ٨٤٦م = ٢٣٢هـ) للذم والتوبيخ من قِبَل الوزير نتيجة تشبيهه الخليفة بحاتم الطائي وغيره ممن كانوا موضع فخر العرب^(١). فقد قال الوزير للشاعر: أتعتقد مقارنة بين أمير المؤمنين وهذا الأعرابي الجلف^(٢).

وكان كل أفراد الشعب من شوام ونبطيين ومصريين ويونان وأسبان وإيرانيين يفخرون بقوميّتهم ويعتزون بأرومتهم. وكان عدد الإيرانيين أكثر، ومشاعرهم القوميّة أشد وأقوى؛ ففي عهد بني أميّة، أمر الخليفة هشام (٧٢٤-٧٤٣م = ١٠٦-١٢٦هـ) أن يُلقى إسماعيل بن يسار في بركة بتهمة أنه كان يفخر في أشعاره بأصله الإيراني.

(١) انظر: ص ١٤٨ من كتاب جولدتسيهر السابق الذكر.

(٢) تعليق المترجم الفارسي: هذا بيت أبي تمام كما أثبت فروزانفر:

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس
(تعليق م.ع): الخليفة هو المعتصم، والوزير هو أبو يوسف الكندي. وتروج هذه القصّة في الكتب التي تناولت سيرة أبي تمام، ويمكن الوقوف على تفاصيلها بالرجوع إلى «الموازنة» للآمدي، ج ١، وتاريخ الأدب العربي (في مجلدين) لعمر فروج، وغيرهما.

وتذكر المراجع أنّ أبا تمام قد اعتذر بارتجال البيتين التاليين:

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباس
فأله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس

انظر: الآمدي (أبا القاسم الحسن بن بشر): الموازنة، طبع الآستانة بمطبعة الجوائب، وطبع القاهرة بدار المعارف، بتحقيق سيد أحمد صقر؛

عمر فروج: تاريخ الأدب العربي (في مجلدين)؛

توفيق الفيل: مقال «بلاغة التشبيه في القرآن الكريم» في (قضايا الأدب واللغة)، مؤسسة الصباح بالكويت، ١٩٨١م = ١٤٠١هـ.

[385] وهذه منظومة له في هذا الشأن :

أصلي كريمٌ ومَجْدِي لا يُقَاسُ به	ولي لسانٌ كحدُّ السيفِ مَسْمُوم
أحمي به مجدَ أقوامِ ذوي حَسَب	من كلِّ قِرمِ بتاجِ الملكِ معصوم
ججاجحٌ سادةٌ بُلُججٌ مرَازِيهٌ	جُرْدٌ عتاقٌ مسامِيحٌ مطاعِم
مَن مثلُ كسرى وسابور الجنودِ معا	والهرْمُزانِ لفخْرِ أو لتعظيم
أشدُّ الكتائبِ يومَ الروعِ إن زَحَفوا	وهم أذلُّوا ملوكَ التركِ والروم
يمشون في حلقِ الماذيِّ سابغة	مشي الضراغمةِ الأسدِ اللهاميم
هناك إن تسألني تُنبئني بأنَّ لنا	جرثومةٌ قهرت عِزَّ الجراثيم ^(٢)

وكان هذا الفخر والتشُّدُّ بالبطولات من جانب الموالي من الإيرانيين بمثابة الشجى في حلق العرب، لأنَّهم (أي العرب) كانوا يودُّون لو انحصر ذلك فيهم واقتصر عليهم. فلما وجدوا أنَّ هذا ليس في مقدورهم لجأوا إلى [386] إنشاد منظوماتٍ على النحو التالي^(٣) يردُّون بها عليهم:

صُنِعَ من الله أني كنت أعرفُكم	قَبْلَ اليسارِ وأنتم في التباينِ
فما مضت سنةٌ حتى رأيتكمو	تمشون في القَرِّ والقوهيِّ واللينِ
وفي المشاريق ما زالت نساؤكم	يَصِحْنَ تَحْتَ الدوالي بالوراشينِ
فصِرْنَ يرفُلْنَ في وُشَى العراقِ وفي	طوائفِ الخزِّ من دكن وطارونِ

(١) انظر: صفحة ٣٠ من كتاب فون كرم في تاريخ الحضارة الإسلامية.

(٢) تعليق المترجم: أصل الأشعار العربية منقول من صفحة ١٥٤٧ من كتاب الأمثال والحكم للعالم الفاضل أقاوي دهمخدا (المجلد الثالث)، وهذه بدورها منقولة عن الجزء الرابع من كتاب الأغاني.

(٣) انظر: كتاب فون كرم السابق ذكره، ص ٣١ و ٣٢ و ٦٩ و ٧٠.

تعليق المترجم: من المؤسف أن المؤلف لم يذكر المصدر الأصلي، واكتفى بذكر كتاب فون كرم. ولما كان الحصول على الكتاب أمراً غير ميسر لي، والذاكرة لا تسعفني، فقد اضطررت إلى الاتصال بالبرفسور اريري الأستاذ بجامعة كمبريدج، وسألته أن يرجع إلى مكتبة البرفسور براون، ويعرف المصدر الأصلي للأشعار عن طريق كتاب فون كرم. وقد سررت لإجابته طليبي وأطلعته على المصدر المذكور. والشيء الثاني هو أن البيت السابع والأبيات الاثني عشر التي تليه قد أغفلها المؤلف، وقد نُقلت هنا من كتاب الأغاني - طبعة بولاق بمصر ١٢٨٥ هـ - ق، ج ١٢، ص ١٧٦ و ١٧٧.

أُنْسِينَ قَطَعَ الحَلَانِي مِنْ مَعَادِنِهَا
حَتَّى إِذَا أَيْسَرُوا قَالُوا وَقَدْ كَذَبُوا

.....

لَوْ سِيَّلَ أَوْضَعُهُمْ قَذْرًا وَأَنْذَلَهُمْ
وَقَالَ أَقْطَعَنِي كَسْرِي وَوَرِّثْنِي
مَنْ ذَا يَخْبُرُ كَسْرِي وَهُوَ فِي سَقَرٍ
وَأَنْتُمْ زَعَمُوا أَنْ قَدْ وَلَدْتَهُمْ
فَكَانَ يَنْحَرُ جَوْفَ النَّارِ وَاحِدَةً
أَمَّا تَرَاهُمْ وَقَدْ حَطُّوا بِرَادِعِهِمْ
وَأَفْرَجُوا عَنْ مِشَارَاتِ الْبَقُولِ إِلَى
تَغْلِي عَلَى الْعُرْبِ مِنْ غَيْظٍ مَرَّاجِلُهُمْ
فَقُلْ لَهُمْ وَهُمْ أَهْلٌ لَتَرْبِيَةٍ
مَا النَّاسُ إِلَّا نَزَارٌ فِي أَرْوَمَتِهَا
وَالْحَي مِنْ سَلَفِي قَحْطَانِ أَتُّهُمْ
فَمَا عَلَى ظَهَرِهَا خَلَقَ لَهُ حَسَبٌ
قِرْمٌ عَلَيْهِ شَهْنَشَاهِيَّةٌ وَنَبَا
وَإِنْ شَكَّكَتْ فِي الْإِيْوَانِ صَوْرَتُهُ

وَحَمَلَهُنَّ كَثُوثًا فِي الشَّقَايِينِ
نَحْنُ الشَّهَارِيْجُ أَوْلَادُ الدِّهَاقِيْنَ
(١)

.....

لَقَالَ مَنْ فَخَّرَهُ إِنِّي ابْنُ شَوْبِينِ
فَمَنْ يَفَاخِرْنِي أُمُّ مَنْ يَنَاوِينِي
دَعَوَى النَّبِيطِ وَهُمْ بِيضُ الشَّيَاطِينِ
كَمَا ادَّعَى الضَّبُّ أَنِّي نَطْفَةُ النُّونِ
يَفْرَى وَيَصْدَعُ خَوْفًا قَلْبَ قَارُونِ
عَنْ أَتْنِهِمْ وَاسْتَبَدُّوا بِالْبِرَازِيْنَ
دُورَ الْمُلُوكِ وَأَبْوَابِ السَّلَاطِينِ
عِدَاوَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ فِي الدِّينِ
شَرُّ الْخَلِيقَةِ يَا بُخْرَ الْعِثَانِيْنَ
وَهَاشِمٌ سَرْجُهَا الشَّمُ الْعِرَانِيْنَ
يَزْرُونَ بِالنَّبِيطِ اللَّكْنِ الْمَلَاعِيْنَ
مِمَّا يَنَاسِبُ كَسْرِي غَيْرَ حَمْدُونِ
يُثْبِيكَ عَنْ كَسْرِي الْجَدِّ مِيْمُونِ
فَانْظُرْ إِلَى حَسَبِ بَادٍ وَمَخْزُونِ

وطبقاً لقول المسعودي^(٢)، فإن طبقة الأشراف من الإيرانيين قد قلّدوا
[387] العرب تقليداً تاماً في حفظهم لسلسلة أنسابهم، وكانوا يتفاخرون فيسيئون
إلى روح العرب ومشاعرهم، وكان تفاخرهم - في كثير من الأحوال - يقوم

(١) (تعليق م.ع): آثرت حذف هذا البيت وعففت عن ذكره لما ينطوي عليه من فحش وكلمات
بليغة.

(٢) مروج الذهب، طبع دومينار، ج ٢ ص ٢٤١، نقلا عن كتاب جولد تسيهر، ص ١٦١.

على أساس صحيح. وكانت معلومات الإيرانيين في مجال علم الأنساب العربي أكثر من معلومات العرب أنفسهم. ويمكننا استخلاص ذلك بسهولة من قصة نقلها جولد تسيهر (كتابه السالف الذكر، ص ١٩٠)، يقول فيها:

كان القرشي عندما يحتاج إلى معلومات حول أجداده يلجأ مضطراً إلى أحد الإيرانيين^(١)، لذا سرعان ما وقف الإيرانيون على نقاط الضعف عند العرب، فاستغلّوها في الهزء بهم والسخرية منهم. وأظهروا احتقارهم (كما يقول جولد تسيهر)^(٢) لفضائلهم ومكارم أخلاقهم (ومن بينها السخاء والكرم) مما كان أساس فخرهم بصفة خاصة.

وقد كان للمأمون - على سبيل المثال - ثلاثة كتّاب من الإيرانيين، من بينهم سهل بن هارون المتعصّب للشعويّة. ولهذا الرجل رسالات عديدة كتبها في مدح الخسّة والبخل^(٣). أما بشار بن برد^(٤) الأعمى - شاعر المديح الإيراني الذي كان يمتدح الخليفة المهدي - فإنه هو نفسه الشاعر الملحد المعروف الذي مات مقتولاً في عام ٧٨٣ أو ٧٨٤م بتهمة الارتداد عن الدين. وقد بلغ به الأمر حد قوله:

الأرضُ مظلمةٌ والنارُ مشرقةٌ والنارُ معبودةٌ مُذْ كانت النارُ^(٥)

(١) (تعليق م.ع): يتبدّى في هذا الخبر افتعال جولد تسيهر ومبالغته وميله لمهاجمة العرب والافتراء عليهم، مما يجعل أقواله فاقدة لمصداقيتها ويفقدها احترامها عندنا.

(٢) انظر كتابه السالف الذكر.

(٣) قام الدكتور فلوتن في الآونة الأخيرة بطبع كتاب في ليدن عنوانه «البخلاء»، تأليف شعوبي آخر معروف هو الجاحظ.

(تعليق م.ع) تمّ طبع هذا الكتاب أكثر من مرّة على يد الباحثين العرب أمثال عبدالسلام هارون وطه الحاجري: القاهرة ١٩٤٣م = ١٣٦٣هـ، ١٩٥٨م = ١٣٧٨هـ.

(٤) انظر كتاب ابن خلكان، ترجمة دي سلان DE Slane، ص ٢٥٤-٢٥٧؛ الأدب العربي لبروكلمان، ج ١ ص ٧٣، ٧٤.

Brockelmann, Gresch. d. Arab, Lit

Von Kremer, Streifzüge

وانظر ثون كرمر، ص ٣٤ وما بعدها.

(٥) تعليق المترجم الفارسي: يقول محمود سرشار المستشار القانوني الذي ظهرت له دراسات حول هذا الموضوع إن المصراع الأول قد ورد على النحو التالي (نقلًا عن بلوغ الأرب):
الأرض سافلة سوداء مظلمة.

[388] وقد اعتمدنا في معلوماتنا المتعلقة بخلافات الشعوية والمؤلفات الخاصة بهم، والتي تتركز في مؤلفات الجاحظ (المتوفى ٨٦٩م = ٢٥٦هـ) وابن عبد ربه (المتوفى ٩٤٠م = ٣٢٩هـ). . اعتمدنا كثيرا على كتاب جولد تسيهر القيم الخاص بالدراسات الإسلامية^(١)، ونقلنا عنه بحرية لنُعطي هذا الفصل. ومن بين من دافعوا عن دعاوى الإيرانيين، يذكر جولد تسيهر اسم إسحق بن حسن الحزمي الذي كان من أهالي سغد (توفي عام ٨١٥-٨١٦م = ٢٠٠-٢٠١هـ). وفي إحدى المنظومات، يفخر إسحق هذا بنفسه، ويباهي بأن أباه هو ساسان، وبأن كسرى بن هرمز والخابان كانا من أبناء عمومته. كما يذكر جولد تسيهر اسم أبي عثمان سعيد بن حميد بن يختگان الذي صنف كتاباً في أفضلية الإيرانيين على العرب، وقد توفي في عام ٨٥٤-٨٥٥م = ٢٤٠-٢٤١هـ^(٢).

ووفقا لقول جولد تسيهر، ترتفع في آثار أبي سعيد الرستمي (القرن العاشر الميلادي) صرخات الإيرانيين القومية ضد العرب، فتبلغ أوج ارتفاعها وحدتها. ومن بين من ذكرهم الباحث كذلك العلامة الكبير أبو ریحان البيروني الذي توفي عام ١٠٤٨م = ٤٤٠هـ.

ولقد تصدّى لهؤلاء الأشخاص من عارضوهم وخالفوهم الرأي، واعتبروا العرب أفضل من غيرهم. ومن أشهر المدافعين عن العرب وعن أفضليتهم المؤرخ المعروف ابن قتيبة^(٣) (توفي عام ٨٨٣م = ١٦٧هـ) أو (عام ٨٨٩م = ١٧٣هـ)، والبلاذري (توفي عام ٨٩٢م = ١٧٦هـ). ومع أنهما كانا من أصل إيراني^(٤)، فإن مؤلفاتهم كانت بالعربية دون سواها.

(١) Goldziher Muhammedanischs Studien.

(٢) نفس المرجع، ص ١٦٣.

(٣) (تعليق م.ع): انظر له كتاب «تأويل مشكل القرآن» تحقيق السيد صقر - دار التراث ١٩٧٣م = ١٣٩٣هـ.

(٤) الفهرست، ص ١٢٣.

(٥) جولد تسيهر، ص ١٦٦.

وفي العصر التالي، يجب أن يُضم اسم ناصر خسرو - الشاعر الفارسي [389] والكاتب الإيراني - إلى هذه الزمرة، وهو من اشتهر بسياحاته ونشره مذهب الإسماعيلية (توفي عام ١٠٧٤م = ٤٦٧هـ). وقد طبع ديوان هذا الشاعر في تبريز عام ١٨٩٢م = ١٣١٠هـ. وفي صفحة ١٥٠ من الديوان المذكور يردّد ناصر هذين البيتين.

* لقد كان هذا موضعُ فخارٍ من افتخر من العرب على العجم إلى يوم الدين.
* فالخسيس التافه الملحد من اتّخذ من فريدون خالاً ومن جمشيد عمّاً^(١).

ويقول جولد تسيهر أيضاً إنّ جدال الشعويّة^(٢) قد عرف طريقه إلى علم الأنساب وفقه اللغة وعلم اللغة. وهذان القسمان موضع فخر العرب بصفة خاصّة، إذ كانوا يرون أنّه لا يوجد ما يفوق الأصل والنسب العالي والكلام الخالص والعربيّة الفصحى قيمة وأهميّة. وقد ركّز محبو إيران هجماتهم على هذين الفرعين.

فبالنسبة للقسم الأول - ونعني به علم الأنساب - نجدهم قد أذاعوا كلّ ما يعرفونه من فضائح ومثالب مختلف قبائل العرب، وما وقفوا عليه خاصّاً بسلسلة نسب أبطالهم وقوادهم المحبوبين. وجمعوا هذه القصص المشينة في سلسلة منظومات تغصّ بالاتهامات، وهي التي أطلق عليها اسم «المثالب».

(١) بدین کرد فخر آنکه تاروز حشر بدو مفتخر شد عرب بر عجم

خسيس است وبيقدر بيدین اگر فريدونش خال است وجمشيد عم

(تعلیق م.ع): انظر في ترجمة ناصر خسرو:

سيد ناصري: حکيم ناصر خسرو وديگر شاعران، مشهد ١٣٥٣هـ.ش،

مجتبى مينوى: مقدمته على ديوان ناصر خسرو، تهران ١٣٥٣هـ.ش،

أحمد كمال حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة، الكويت ١٩٨٦م، مقال «الفكر والشعر

في حياة ناصر خسرو، مجلة الشعر، القاهرة ١٩٨٤م، العدد ٣٣، والعدد ٣٤.

(٢) تعلیق المترجم الفارسي: انظر سلسلة مقالات اقاي جلال همائي حول الشعويّة، مجلة مهر،

العام الثاني (١٣١٣-١٣١٤هـ) ص ٥١، ١٣٥، ٢٣٦، ٣٤٩، ١١٣٧، ١٢٥٦، ١٢٩٦، العام

الثالث (١٣١٤-١٣١٥هـ) ص ٦٥، ١٠٨، ٢٥٧.

وبالنسبة للقسم الثاني - ونعني به علم اللغة - نجدهم يلجأون أيضاً إلى نفس الوسيلة لإثبات أفضليّة سائر اللغات على اللغة العربيّة وبخاصّة الفارسيّة واليونانية.

وقد تحدّث جولد تسيهر بإسهاب حول واحد من جِلّة العلماء الموالين لإيران، ونعني به أبا عبيدة معمر بن المثنّى (المتوفى حوالي عام ٨٢٤م = ٢٠٩هـ)^(١).

[390] ويؤثر عن هذا الشخص - الذي يُعدّ من أعلم علماء اللغة وفقه اللغة، ويُعتبر من مشاهير الشعبيّة - أنّه كان لا يسأم من ترديد أنّ ما يراه العرب من أخصّ خصوصياتهم، ويعتبرونه من ابتكارات قومهم الخاصّة، ويعتزون به لهذا السبب.. هم في الواقع مدينون في وجوده إلى سائر الشعوب^(٢).

وقد بيّن - على سبيل المثال - إلى أيّ حد يُعدّ الشعر العربي وعلم المعاني والبيان العربي تقليداً للفارسي، وكشف عن القصص العربيّة التي اقتبست عن مصادر فارسيّة، وقس على هذا. ويتحدّث ابن هشام^(٣) عن الأساطير الفارسيّة الشائعة الكثيرة، ويقول إنّ الرسول الكريم لم يكن يتقبّلها، وكانت تضايقه كثيراً. كما أنّ النضر بن الحارث العبدي كان يدخل في عراك مع مستمعيه حين ينقل قصص رستم واسفنديار وملوك إيران القدامى، وكانوا يهجرون مجلسه^(٤).

(١) جولد تسيهر، ص ١٩٥-٢٠٦.

(٢) (تعليق م.ع): هذا غير مستغرب من شعوبي كبير موالٍ للفرس كما ذكر المؤلف.

(٣) طبعة ويستنفلد، ص ٢٣٥-٢٣٦.

(٤) (تعليق م.ع): هذا أمر طبيعي يُتوقّع حدوثه في مجتمع إسلامي يكره المجوسيّة. ولكي نعرف سر هذه الكراهية التي كان المسلمون يكتونها للنضر على سبيل المثال، علينا أن نعرف أنّه هو الذي كتب صحيفة المقاطعة التي أعلتها قريش تُقاطع فيها النبي عليه السلام وأصحابه بعد أن فشا الإسلام، وأن نعرف أنّه كان شديداً على الإسلام، وأنه قاوم الرسول بشدّة، وحاول جاهداً أن يجعل السلطة في قريش لنفسه، وحاول أن يأتي قومه بأحاديث تشبه فيها بالقرآن الكريم، حتى أمر النبي بقتله بعد بدر. وقد رثته قتيلة بشعر قيل فيه إنّ من أكرم شعر موتورة. وكان النضر =

وفيما يتعلّق بفقه اللغة، فإنّ جولد تسيهر يذكر الأسماء التالية باعتبار أصحابها من المدافعين عن العرب:

الزمخشري: المفسّر الكبير الإيراني الأصل (ت ١١٤٣ أو ١١٤٤ م = ٥٣٨ هـ أو ٥٣٩ هـ)، وقد أثر عنه أنّه كان في مقدّمته للأدب يشكر ربّه أن هداه إلى معرفة اللغة العربيّة، ووفّقه إلى حبّها، وعصمه من الميل إلى الشعبيّة^(١).
ابن دريد: (ت ١٩٣٣ م = ١٣٥٢ هـ).

أبو الحسن بن فارس: (أوائل القرن الحادي عشر الميلادي).

وبناء على قول جولد تسيهر فإنّ أبرز معارضيه هو حمزة الأصفهاني الذي كان يبدي تعاطفه مع الإيرانيين وحماسه لهم وغيرته عليهم^(٢). وكان يكشف عن حبه لهم بطرق شتى، من بينها إيجاد مادة اشتقاق فارسيّة لأسماء تعدّ في [391] حكم العربيّة الخالصة، لكنه كان نادراً ما يوفّق في إقناع من يتوجّه إليهم بكلامه. فهو فيما يتعلّق باسم مدينة «البصرة» - على سبيل المثال - يذكر أنّ أصل كلمة البصرة هو (بس راه) بمعنى الطريق البعيد، وهو اشتقاق يذكّرنا بكتاب دبستان الفارسي الذي نوّهنا بأهميّته الكبيرة من قبل (ص ٨٦، ٨٧ من

= إذا ما انفضّ مجلس الرسول خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: إنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه فهلّموا فأنا أحدثكم أحسن من حديثه. ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسبنديار. ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً مني؟

انظر: ودیعة طه النجم: القصص والقصاص في الأدب الإسلامي، ص ١٢-١٥، نشر وزارة الإعلام بالكويت سنة ١٩٧٢ م = ١٣٩٢ هـ؛ سيرة ابن هشام، ج ١ ص ١٩١، ٢٣؛ الزمخشري: الكشف ج ٢ ص ١٣، ١٩٣؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ج ٢ ص ٢٠-٢٣.

(١) (تعليق م. ع.): من مؤلّفات الزمخشري (محمود بن عمر بن محمد أحمد جارالله أبو القاسم) الشهيرة: «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل»، وقد طبع في دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٤٧ م = ١٣٦٧ هـ، وفي مطبعة الاستقامة سنة ١٩٤٦ م = ١٣٦٦ هـ.

(٢) الآثار الباقية لأبي ریحان البيروني، طبع زاخو Sachau، ص ٥٢. وقد نقل جولد تسيهر (في كتابه ج ١ ص ٢٠٩) عن أبي ریحان البيروني. وعبارة أبي ریحان هي: «التعصّب الفارسي». (تعليق م. ع.) قام سخاو (زاخو) بطبع هذا الكتاب (الآثار الباقية) في ليزج عام ١٨٧٨ م = ١٢٩٥ هـ. ولمعرفة الكثير عن هذا العالم يُرجع إلى مقدّمة بول كراوس التي وضعها لرسالة البيروني: (البيروني: رسالة للبيروني في فهرست كتب محمد بن زكريا الرازي، نشر وتصحيح بول كراوس، مطبعة القلم، ١٩٣٦ م = ١٣٥٥ هـ).

الترجمة الفارسية)؛ فقد ورد فيه أنَّ (مكة) لفظ فارسي أصله (مه گه) بمعنى مكان القمر. ولا زالت مثل هذه الإشارات الطفولية تحظى إلى اليوم باهتمام الكتاب الإيرانيين وإعجابهم بصورة تفوق الحدَّ المألوف^(١).

وقد كتب البرفسور دوخويه^(٢) - المستعرب الكبير - مقالة حول الطبري^(٣) ومؤرّخي العرب القدامى (دائرة المعارف البريطانية Encyclopaedia Britannica، عام ١٨٨٨م = ١٣٠٦هـ، المجلد ٢٣). وأبرز المؤلف بصورة تستحق الثناء كيف تقدّمت مسيرة العلوم المختلفة - خاصة التاريخ - في المجتمع الإسلامي بفضل القرآن، وكيف تركزت هذه العلوم في أطراف النواة المركزية للحكمة الإلهية. وكان من الطبيعي أن يجعل العلوم المتّصلة بعلم اللغة والكلام في المتزلة الأولى.

وعندما زاد إقبال الأجانب على الإسلام باتت الحاجة ماسّة إلى الصرف والنحو وكلام العرب، فقد نزل كلام الله المجيد باللغة العربية. ولما كانت الأشعار القديمة بمثابة كنز اللغة العربية الذي لا ينضب فقد جُمعت قدر الإمكان. ولكي يقف القوم على معاني هذه الأشعار، كان هناك إحساس بضرورة معرفة علم الأنساب، ومعرفة الغزوات، والوقوف على أخبار العرب بصفة عامة.

(١) لقد شوّهوا اسم أحد الإنجليز المقيمين في إيران فغيروه من جلوفر Glover إلى (كُل آور)، بينما لم يحفظ مواطن له - من الدعاة المسيحيين المبشرين - بمثل ما حظي به، لأنّه كان يدعى ريد Reid (الغائط)، فقد اضطّروه بسبب اسمه إلى وقف نشاطه واعتزال عمله.

(٢) Pro. de Goeje, Tabari and Early Arab Historians

(٣) محمد بن جرير الطبري، من أدباء القرن الثالث الهجري، له كتاب في التاريخ وآخر في التفسير. وقد تمت ترجمتها إلى الفارسية في العصر الساماني، ثم طُبعا فيما بعد. لمعرفة محتوى الكتابين، انظر:

تاريخ الأمم والملوك، طبع القاهرة ١٣٣٦هـ = ١٩١٧م، ليدن ١٨٧٩-١٩٠١م = ١٢٩٧-١٣١٩هـ؛ مقال «الآداب الفارسية في ظل الإسلام والعربية» لأحمد كمال ضمن «دراسات في الأدب واللغة»، نشر جامعة الكويت ١٩٧٦-١٩٧٧م = ١٣٩٦-١٣٩٧هـ، جامع البيان؛ طبع بولاق ١٣٢٨هـ = ١٩١٠م.

ولكي تستكمل الأحكام المرتبطة بأمور الحياة، والتي نزلت بنزول القرآن [392] الكريم صار من اللازم سؤال الأصحاب والتابعين فيما يتعلق بأقوال النبي وأفعاله في شتى الأحوال والمناسبات، وقد نجم عن ذلك ظهور علم الحديث. ولتحديد قيمة الحديث ومدى صحته، كان ضروريا أن يقف القوم على متن الحديث وإسناده. والمراد بالإسناد هو تحديد سلسلة رواة الأخبار الذين نقلوها من صدر إلى صدر إلى أن تم تدوينها في نهاية الأمر.

وللتحقق من صحة الإسناد، كان من اللازم معرفة تاريخ حياة الرواة وسيرتهم وأوصافهم، وقد أدى هذا الأمر - من ناحية أخرى - إلى قراءة شرح حياة مشاهير الرجال، ومعرفة تواريخ المعارك والأحداث وترتيبها، والوقوف على أخبار الأزمنة والعصور^(١). ولم يكن تاريخ العرب كافياً، فكان من الضروري اللجوء إلى تواريخ جيران العرب - وأهمهم الإيرانيون واليونانيون والحميريون والأحباش - لفهم الكثير من معاني الإشارات الواردة في القرآن الكريم، والواردة في الأشعار القديمة. ولهذا السبب نفسه - ولأسباب عملية أخرى ترتبط بتوسع الإمبراطورية الإسلامية السريع - اعتبر علم الجغرافيا بدوره واجباً وحتمياً.

ولم يكتب أي كتاب في القرن الأول الهجري^(٢)، وإنما كانت كل هذه

(١) المقصود هو علم الدراية.

(٢) رجعت إلى العلامة الجليل شيخ الإسلام الزنجاني أحد كبار علماء العصر الحاضر فيما يتعلق بأول المؤلفات الإسلامية أو أقدمها. ولهذا الشيخ دراسات عديدة حول هذا الموضوع، وله كتاب نفيس بالعربية في «معتقدات الشيعة الإمامية في العلوم الإسلامية». وقد أخذنا الشرح التالي عن ترجمة قام بها آقاي صادق ضيائي لجزء من الكتاب المذكور: من المسلم به أن التدوين قد ظهر على مسرح الاستعمال أول ما ظهر لضبط الآثار المروية وإثباتها، وحفظها من لدغات الأحداث، وتجنّبها شرّ التغيير والتبديل أو التحريف والتصحيف. وسوف نخطئ خطأ جسيماً إذا تصوّرنا أن المسلمين قد بدأوا جمع الحديث في منتصف القرن الثاني الهجري أو حوالي ذلك الوقت. . لأنّ الملابس والأدلة التي مشير إليها في بحثنا التالي تثبت خلاف هذا التصوّر.

ويمكننا أن نؤكد أن الشروع في ذلك كان مع بداية بعثة الرسول عليه السلام، وأن بعض الصحابة كانوا يكتبون ما يسمعون منه. ومن الأخبار الكثيرة المنقولة ما يدل على أن بعض الأحاديث قد كتبت بناء على أمر الرسول نفسه. ففي رواية للبخاري حول مصرع شخص من قبيلة بني الليث =

على يد آخر من قبيلة خزاعة وحكم الرسول في هذا الصدد، نجده يقول إن رجلاً من أهل اليمن ذهب إلى رسول الله بعد سماعه هذا الخبر، وطلب أن يكتب له الحديث الذي صدر عن الرسول في هذا الشأن. كما يرد في الروايات أن رسول الله كان قد أمر بأن يُثبت في دفتر أسماء من اعتنقوا الإسلام.

وسوف نأتي إلى ذكر الصحيفة والكتاب الذي أملاه الرسول عليه السلام وحرره علي رضي الله عنه بخط يده فيما يلي من دراسات، وكذلك الحال بالنسبة للرسائل التي كتبها الرسول للملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام. وتحفظ لنا الكتب نسخة من معاهدات الرسول مع البلاد التي كانت تؤذي الخراج.

وبعد موت الرسول، وفي زمن الصحابة وبخاصة عمر، تصاعدت الجهود في ذلك الشأن، لأن الممالك الإسلامية زاد اتساعها في عهده، وبلغت الفتوحات الإسلامية مدناً عظيمة وبلاداً كبيرة. وقد نجم عن تلك الفتوحات اتصال المسلمين بالحضارات المختلفة، ووقوفهم على عادات الشعوب ورسومها وتقاليدها. وينقل أن عمر كان يمتلك صندوقاً وخزانة، وأنه كان يجمع فيهما المعاهدات التي وقّعها مع الدول الأخرى، وفي عهد هذا الخليفة تأسس الديوان رسمياً للمرة الأولى، ودوّنت فيه أسماء المسلمين مع الإشارة إلى طبقاتهم ومراتبهم.

وقد قام بعض أصحاب أمير المؤمنين علي بجمع بعض خطبه ومواعظه وكلماته القصار (الحكم) التي تُقسم بين الأخبار والآثار بدقتها، وقاموا كذلك بتدوينها.

ويروى أن زيد بن ثابت كان يكتب الأخبار المتعلقة بالفرائض، وأن ابن عباس كان يكتب الأخبار المتعلقة بالفتاوى.

وينقل عن هشام بن عروة قوله: يوم الحرة (عام ٦٣ هـ = ٨٦٢ م) أحرق والذي كتب الفقه التي كانت لديه، وكانت هذه الكتب أعز علي من أسرته وثورته.

وهناك روايات أخرى يستفاد منها بوضوح أن التدوين كان موجوداً في عهد الخلفاء، ثم توالى الجهود في سبيل جمع الحديث، وبرزت بصورة أكبر في عهد التابعين وتابعيهم، وذلك حوالي منتصف القرن الثاني الهجري.

ففي هذه الفترة بدأت عملية التدوين في الظهور شيئاً فشيئاً، وبذل العلماء في شتى المدن جهودهم لجمع الحديث. وكان كل واحد منهم يجمع ما يروى له، وما يرى أن سنده صحيح. ويقال إن أول من جمع الحديث في ذلك الزمن هما الربيع بن صبيح وسعيد بن أبي عروبة. وجاء الدور على عظماء الطبقة الثالثة، فصنّف الإمام مالك كتاب (الموطأ) في المدينة، وأعدّ كل من عبد الملك بن جريج في مكة والأوزاعي في الشام وسفيان الثوري في الكوفة وحماد بن سلمة بن دينار في البصرة كتباً في ذلك المجال. ثم حل الدور على غيرهم.

ويروى عن الغزالي أنه قال: من أول الكتب التي ألّفت في الإسلام كتاب ابن جريج في الآثار، وحروف التفاسير لمجاهد، وكتاب عطاء الذي كتب في مكة، وكتاب معمر بن راشد الصنعاني الذي كتب في اليمن، ثم كتاب الموطأ لمالك، ومن بعده كتاب الجامع لسفيان الثوري.

وسوف نشير مستقبلاً إلى أسماء بعض المؤلفين والكتّاب الذين كتبوا في هذا المجال، وهكذا =

يتضح لنا أن المسلمين منذ صدر الإسلام قد شرعوا في التدوين . كما أنهم - على خلاف ما كان متبعاً في الجاهلية - لم يكتفوا بحفظ الأحاديث، بل تجاوزوا ذلك إلى كتابة الأخبار والآثار وضبطها في كتب وصحف ومجاميع إلى أن وصل الحال إلى ما هو عليه الآن .

ومن الموضوعات الجديرة باهتمامنا موضوع الخلاف الذي نشب بين الصحابة في صدر الإسلام الأول حول كتابة الحديث، وقد رُوِيَ في هذا الصدد أخبار متناقضة .

يقول السيوطي: كان بين السابقين من الصحابة والتابعين خلاف حول كتابة العلم النبوي، ففريق لا يستحسن هذا العمل، وفريق يراه أمراً جائزاً . وكان عليّ وابنه الحسن عليهما السلام ينتميان إلى الفريق الثاني، ولو لم يكونا لضاع العلم النبوي .

ويبدو أن من كانوا لا يستحسنون تدوين الحديث كانوا يخشون أن يختلط ما يكتب من أحاديث بالقرآن والآيات القرآنية - وقد روي عن الزهري عن عروة بن الزبير أنه قال إن عمر بن الخطاب كان يرغب في كتابة السنن، وقد تشاور مع الصحابة في ذلك الصدد فاستحسن الجميع رأيه . لكنه عاد فتردد في هذا الشأن مدة شهر لجأ خلاله إلى الاستخارة . وذات صباح - بعد استيقاظه من نومه - استخار الله فحسنت استخارته، فجمع أصحابه وقال لهم: سبق لي أن حدثتكم عن كتابة الحديث . . ثم تذكّرت أن قوماً من أهل الكتاب قد سبقوكم إلى كتابة كتب على الرغم من وجود الكتاب السماوي، وشغلوا بذلك كثيراً فتركوا الكتاب الإلهي، ولكنني أقسم ألا أسمع بحدوث خلط بين الكتاب الإلهي والكتابات الأخرى . وروي أن بعض الصحابة قد نقل إليه كتابة الحديث على يد عبدالله بن عمرو بن العاص لكنه كان يكتب كل ما كان يسمعه عن الرسول عليه السلام . وعن الواقدي عن مجاهد أنه قال: رأيت صحيفة لدى عبدالله بن عمر فسألته عن أمرها، فقال إنها مجموعة من الأحاديث الصحيحة التي سمعتها بنفسي في حضرة الرسول العظيم دون أن يكون بيننا وسيط .

ومع ذلك، فإن دراسة المؤلفات تثبت لنا أن فريقاً ممن كانوا يتقنون كتابة الحديث قد أجبرتهم الضرورة ومقتضيات الأمور على ممارسة هذا العمل آخر الأمر . . فعرفنا زيد بن ثابت باسم كاتب كتاب الفرائض، وابن عباس باسم كاتب الفتاوى . وقبل أن ينتهي القرن الأول الهجري كانت بين أيدي المسلمين مؤلفات مدوّنة في أنواع العلم والآثار .

وقد ورد في شرح أحوال محمد بن شهاب الزهري - المحدث المعروف - أنه كان يعكف في منزله على جمع شتات كتبه، ولا تشغله في وحدته سوى مطالعتها . كما ذكر أن أبا عمرو بن العلاء - القاريء والنحوي المعروف - كان يمتلك كتباً في آثار فصحاء العرب تملأ غرفته وتكاد تلامس سقفها .

يقول معمر: كنا نظن أننا نعرف الكثير عن الزهري إلى أن قتل الوليد بن يزيد فرأينا مجموعات من الكتب تخرج من مكتبته على دفعات منتظمة، محمولة على ظهور الدواب، وقيل لنا إنها من علم الزهري أي من أحاديثه ومروياته .

وقد ورد في بعض المصادر المهمة المعتمدة كالموطأ وصحيح البخاري أن عمر بن عبدالعزيز هو الذي أصدر أمراً رسمياً بجمع الحديث . ويقال إنه كتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن

[393] العلوم تنقل مشافهة من صدرٍ إلى صدر ومن نسلٍ إلى نسل. وكان
[394] القرآن وحده تقريبا. هو الأثر الوحيد الذي بقي بالنثر العربي (وأكثر
هذا النثر موزون ومسجع)^(١).

[395] وكان على من يرغبون في القراءة في فقه اللغة وأساطير العرب -

= حزم الأنصاري - عامله في المدينة - يطلب منه النظر في حديث الرسول وسنته، وأن يقوم بتدوين ما يصل إليه، لأنه كان يخشى زوال العلم (النبوي) وفقدان العلماء. ويرد في تاريخ أصفهان نقلا عن أبي نعيم الحافظ أن عمر بن عبدالعزيز قد كتب إلى جميع البلاد يطالب عماله ببذل الجهد في جمع أحاديث الرسول وتدوينها.

ويقول صاحب الظنون: هناك خلاف حول أول شخص أُلّف في هذا الموضوع، فالبعض يرى أنه الإمام عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج البصري (المتوفى عام ٧٧١م = ١٥٥هـ)، بينما يرى آخرون أنه أبو نصر سعيد ابن أبي عروبة (المتوفى عام ٧٧٢م = ١٥٦هـ). وقد ذكر الخطيب البغدادي في تاريخه اسمي هذين الشخصين. وهناك من يرى أنه ربيع بن صبيح (المتوفى عام ١٦٠هـ = ٧٧٦م). وهذا ما يعتقده أبو محمد رامهرمزي.

ثم أُلّف في هذا الموضوع كل من: سفيان بن عيينة ومالك بن أنس في المدينة، وعبدالله بن وهب في مصر، ومعمّر وعبدالرزاق في اليمن، وسفيان الثوري ومحمد بن فضل بن غزوان في الكوفة، وحماد بن سلمة وروح بن عباد في البصرة، والهيثم في واسط، وعبدالله بن مبارك في خراسان، وقد كانوا يسعون من وراء تدوين الحديث إلى ضبط مشكلات القرآن والحديث وذكر المعاني، لذا أُلّفوا في موضوعات كانت بمثابة السبيل لبلوغ هذا الهدف.

(إلى هنا تَمَّت الترجمة عن كتاب العلامة الكبير السيد الزنجاني، شيخ الإسلام).

(١) (تعليق م.ع): أعجز القرآن البلغاء فبهرت العقول بلاغته. وظهره على كل قولٍ فصاحته، وأحكمت آياته وفصّلت كلماته، فحارت فيه عقولهم وهم رجال النظم والنثر وفرسان السجع والشعر، وقد جاء على وصفٍ مباين لأوصاف كلامهم المنشور؛ لأن نظمه لم يكن كنظم الرسائل والخطب ولا كأشعار أو أسجاع الكهان. وقد تحدّاهم الرسول به ودعاهم لمعارضته والإتيان بسورة منه فلم يستطيعوا لأنّ الله تعالى هو الذي أنزله معجزة خالدة. وقد شاء سبحانه أن ييسر القرآن للحفظ (ولقد يَسِّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر - سورة القمر، الآية ١٧) فجاء الوزن في كتابه كتابه الكريم دون تكلف وجاء السجع فيه دون تعمد، فسهل حفظه.

إنّ ما تكلمت به العرب من جيد المنشور أكثر مما تكلمت به من جيّد الموزون فلم يحفظ من المنصور عُسْره ولا ضاع من الموزون عُسْره. وإذا كان هذا حال الكلام الموزون فما بالكم بكلام الله سبحانه ذي اللغة الخاصّة.

انظر: خديجة الحديشي: مقال «موقف سيّويه من الضرورة»، ضمن (دراسات في الأدب واللغة)، نشر جامعة الكويت ٧٦ - ١٩٧٧م = ٩٦ - ١٣٩٧هـ؛ محمد ماضي أبو العزائم: الإسلام دين الله، ط ٢ ص ١٤٢ - ١٤٥.

بغية الدراسة والتحقيق - أن يتوغلوا في صحراء بلاد العرب، ويذهبوا إلى [396] القبائل التي تسكن البادية وتقيم بها، وعلى من كانوا يبحثون في علم الحديث والعلوم الدينية أن يتخذوا طريقهم نحو المدينة^(١).

وكان تحصيل العلم لا يتحقق إلا عن طريق السفر. وكان للأسفار التي يقومون بها طلبا للعلم ما يبررها في أول الأمر، ثم صارت بمرور الوقت تقليداً، وتحولت في النهاية إلى نوع من الجنون تقريباً. ومن الأحاديث التي كانت تؤيد الأسفار العلمية:

قال رسول الله: من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً في الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى به. وإنه يستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض... حتى الحوت في البحر^(٢).

[397] كان مكحول (المتوفى عام ١١٢ هـ = ٧٣٠ م) في الأصل عبداً في مصر، فلما تحرّر رفض أن يتركها إلا إذا أحاط علماً بكل العلوم المتداولة فيها، فلما وُقِّق في الوصول إلى ما أراد، ترك مصر إلى الحجاز والعراق والشام لكي يحصل على حديث صحيح موثوق به حول تقسيم غنائم الحرب. وأخيراً، التقى برجل هَرَم يدعى زياد بن جارية التميمي، فاستوعب منه الحديث الذي كان قد استقاه بدوره عن حبيب بن مسلمة الفهري^(٣).

-
- (١) تعليق المترجم الفارسي: أو الكوفة أو البصرة أو الشام أو مصر حيث كان يعيش الصحابة.
- (٢) كتاب جولد تسيهر، ح ٢ ص ١٧٧، وكذلك ص ٣٢ - ٣٣، ١٧٥ وما بعدها.
- تعليق المترجم الفارسي: نُقِل الحديث من كتاب «الأصول الكافية» شرح ملا صدرا - باب ثواب العلم والمتعلم.
- (الحديث الأول وهو السابع والخمسون)، وتمّ النقل بناء على توجيه العلامة محمد سنكلجي الأستاذ بكلية الحقوق.
- (تعليق م.ع): تكثر في الكتب الأحاديث حول العلم ووجوب التعلم، ومن بينها: «أغدُ عالماً أو متعلماً ولا تغدُ بين ذلك».
- انظر: بهجة المجالس لابن عبد البر الأندلسي، ح ١ ص ٢٥٧، تحقيق محمد مرسي الخولي، داء الكتاب العربي.
- (٣) انظر: الأصول الكافية.

وهذه القصّة تطابق تماماً ما ورد في المقولة التالية، وهي التي تنسب لأبي الدرداء:

لو اعترضتني صعوبة في شرح عبارة وردت في كتاب الله، وسمعت أنّ في «برك الجماد» من يستطيع شرحها لي، لسافرت إلى هذا المكان دون إبطاء^(١).

(برك الجماد: مكان جنوبي بلاد العرب يصعب الوصول إليه، فيضربون به المثل وكأنه نهاية الكرة الأرضية)^(٢).

وأقدم وأهم كتب نثرية وصلتنا - بإستثناء القرآن - كتابان:

الأول: سيرة ابن هشام^(٣)، وهو تهذيب سيرة ابن إسحق (توفي ابن إسحق عام ٧٦٧م = ١٥٠هـ)، (وتوفي ابن هشام عام ٨٣٤م = ٢١٩هـ).

الثاني: في الأنساب، كتبه ابن الكلبي (توفي عام ٧٦٣ - ٧٦٤م = ١٤٦ - ١٤٧هـ)، وله نسخة في مكتبة المتحف البريطاني واسكوريال Escorial^{(٤)(٥)}.

[398] غير أن البعض - أمثال أبي هريرة وعبدالله بن عمرو بن العاص والزهري^(٦) (المتوفى عام ٧٤٢م = ١٢٥هـ) وحسن البصري^(٧) - كانت لهم

(١) المرجع السابق، ص ١٧٦ و ١٧٧.

(٢) (تعليق م.ع): «برك الجماد» خطأ صحّته «برك الغماد» وهو موضع في اليمن يصعب الوصول إليه.

(٣) طبع ويستفلد (١٨٥٨ - ١٨٦٠م = ١٢٧٥ - ١٢٧٧هـ)، وقد ترجمه وايل إلى الألمانية عام ١٨٦٤م = ١٢٨١هـ.

(تعليق م.ع): طبع الكتاب بعد ذلك مراراً، ومن طبعاته الحديثة:

السيرة النبوية - ابن هشام - تحقيق السقا وجماعته، القاهرة ١٩٥٥م = ١٣٧٥هـ.

(٤) تعليق المترجم الفارسي: اسكوريال قصر يقع على بعد ٢٧ ميلاً شمالي غربي مدريد، بتاه فيليب الثاني وهو مقبرة للحكام الأسبان.

(٥) اقتبس تلك الموضوعات وما سيرد من تفاصيل - في مجملها - من مقالة دوخوية القيّمة وقد طبعت تلك المقالة في دائرة المعارف الإسلامية وسبقت الإشارة إليها.

(٦) كتاب جولد تسيهر السابق ذكره، ص ١٩٥ - ١٩٦.

(٧) كتاب دوخويه السابق ذكره.

حواشيهم وتعليقاتهم الدائمة في القرن الأول الهجري. وكانوا يوصون في بعض المواضع بأن تحرق حواشيهم وتعليقاتهم بعد موتهم، فهي لم تصدر عنهم إلا لتنشيط الذاكرة.

وكان هؤلاء العلماء ينقلون ما يعرفونه إلى غيرهم مشافهة، وفي القسم الذي أثبتته جولد تسيهر^(١) يتّضح أنّ تحرير الأحاديث كان - حتى أوائل القرن الثاني الهجري - يُقَابَل بمعارضة شديدة، حتى لقد اضطر عبدالرحمن بن حرمة الأسلمي (ت ٧٦٢ م = ١٤٥ هـ) إلى الحصول على تصريح خاص من معلّمه سعيد بن المسيّب، ليتمكّن - بحجة ضعف الذاكرة - من كتابة تعاليمه.

وهناك سببان لهذه المعارضة يرجحان غيرهما:

الأول: الخوف من أن تُقَابَل هذه الكتب التي تثبت فيها أحاديث الرسول المقدّسة بأقل ما تستحقّه من احترام.

الثاني: الخوف من أن يقال بعدم جواز الأحاديث - كما حدث في سائر الأديان - خشية الإضرار بكتاب الله.

وفي مقابل هذا الاعتراض كان هناك رأى يحظى بتأييدي يتردّد في الأمثال والأقوال، كقولهم: «كل علم ليس في القرطاس ضاع» فما تُرِكَ للذاكرة ضاع وما كُتِبَ بقي^(٢). وقولهم:

«أفضل معلّم للحديث أثر مكتوب». وتؤيّد هذا الاتجاه أيضاً كلمات الإمام أحمد بن حنبل الشهيرة «اجعلوا متون الكتب وحدها وسيلة نشر [399] الأحاديث» و«الكتاب أفضل وسيلة للإثبات»^(٣) ولم تكن هذه الاعتراضات - بالطبع - توجّه للمؤلّفات غير الدينية.

(١) كتاب جولد تسيهر، ج ٢ ص ١٩٦ وما بعدها.

(٢) تعليق المترجم الفارسي: يذكر المحدث مير جلال هذين الحديثين: العلم صيد والكتابة قيد، قيّدوا العلم بالكتابة.

(٣) كتاب جولد تسيهر، ص ١٩٩.

وفي القسم المختصر الذي خصَّصه بروكلمان^(١) في كتابه للحديث حول النثر في عهد بني أمية يذكر المؤلف مؤلفات الكتاب الأوائل الذين ينتمون إلى هذا العصر، وذلك على النحو التالي؛ من عرب الجنوب، وهب بن منبه^(٢) - الإيراني الأصل - وعبيد بن شربه وكلاهما من صنعاء، تُوفي الأول كهلاً في عام ٧٢٨ م = ١١٠ هـ، وتُوفي الثاني في عهد عبدالملك (٦٨٥ - ٧٠٥ م) = (٦٦ - ٨٦ هـ)، لوط بن يحيى الأزدي الذي تسببت حكاياته التاريخية في شهرته (تُوفي في حدود عام ٧٥٠ م = ١٣٣ هـ)، الزهري السابق الذكر (ت ٧٤٢ م = ١٢٥ هـ)، وتلميذه محمد بن عبد الرحمن العامري صاحب الموطأ (ت ٧٣٧ م = ١١٩ هـ). وهذا الكتاب أقدم من كتاب الفقه الذي يحمل نفس الاسم والذي كتبه الإمام مالك بن أنس (ت ٧٩٥ م = ١٧٩ هـ).

ومن أقدم مؤلفات النثر العربي^(٣) التي بين أيدينا كتاب الزهد لأسد بن موسى بن إبراهيم (ت ٧٤٩ م = ١٣٢ هـ)، وكتاب الجوامع (في تفسير الأحلام) لمحمد بن سيرين (التعليق رقم ٢، ص ٣٨١ من الترجمة الفارسية)، وكتاب الإشارة بعلم العبارة تأليف محمد بن علي بن عمر السالم.

وأخر كاتبٍ يجدر بنا ذكر اسمه باعتباره لا يقلُّ عن سواه منزلةً هو الأمير

(١) تاريخ الأدب العربي، ج ١ ص ٦٤ - ٦٧.

Carl Brockelmann, Gesch. d. Arab. lit.

(٢) (تعليق م.ع): رواية من يهود اليمن لا يكاد كتاب في التفسير أو التاريخ الإسلامي أو الجغرافية أو الأدب يخلو من ذكره والنقل عنه. يؤثر عنه أنه قال: قرأت من كتب الله تعالى اثنين وسبعين كتاباً، ويقال إنه كتب بعض الكتب عن الملوك القدماء. ويُعدُّ وهب من جملة الأبناء، أي من الفرس الذين أنجد بهم كسرى أنوشروان سيف بن ذي يزن الحميري لقتال الحبشة.

لتفاصيل كثيرة حول وهب بن منبه، ارجع إلى: «القصص والقصص في الأدب الإسلامي» للدكتورة وديعة طه النجم، نشر وزارة الإعلام بالكويت، ص ٩٢ - ٩٨.

(٣) انظر: كتاب وستنفلد الخاص بالمؤرخين العرب، طبع جوتنجن (١٨٨٢ م = ١٣٠٠ هـ) ص ٤

حاشية ١٦ (Gottingen, Wüstenfeld: Diegeschichtschreiber der Araber und ihre Werke (1882).

الأموي خالد بن يزيد (ت ٧٠٤م = ٨٥هـ)، وقد درس علم الكيمياء على يد [400] راهب يدعى مريانوس Marianus، وكتب ثلاث رسائل في العلوم الغربية، وكان جابر بن حيان^(١) (توفي حوالي عام ٧٧٦م = ١٦٠هـ) - صاحب الشهر المدوِّية في العلوم الغربية - تلميذاً من تلامذته.

ويقسّم بروكلمان^(٢) العصور الأدبية في كتاب القيم إلى ما يلي:

١ - الأدب العربي الخالص (ويشتمل على كل أشعار شعراء الجاهلية تقريباً والبعض من شعراء اليهود والنصارى) من أقدم العهود حتى عهد الرسول.

٢ - الأدب المرتبط بالرسول وعهده (وجميعه - باستثناء القرآن - منظومات عربية خالصة).

٣ - أدب العصر الأموي (٦٦١ - ٧٥٠م = ٤١ - ١٣٣هـ)، وهو بدوره أدب عربي خالص:

٤ - الأدب الإسلامي الفصيح (٧٥٠ - ١٠٠٠م = ١٣٣ - ٣٩١هـ)، وهو المدوّن بالعربية، وإن كان أكثر كُتّابه من غير العرب.

٥ - أدب الفترة التالية (١٠٠٠ - ١٢٥٨م = ٣٩١ - ٦٥٧هـ) وتنتهي بفتنة المغول، ونهب بغداد، وانقراض السلسلة العباسية.

وتتصل العهود الثلاثة الأولى بموضوعنا إلى حد ما، وقد تحدّثنا - حتى الآن - حول ما شعرنا بحاجتنا إليه. بينما تخرج العصور التالية لفتنة المغول عن موضوع كتابنا، لأنّ انفصالاً تاماً قد حدث بين حياة إيران القومية وحياة

(١) (تعليق م.ع): لمعرفة الكثير حول جابر بن حيان وأفكاره ومؤلفاته، ارجع إلى: د. زكي نجيب محمود: جابر بن حيان - سلسلة أعلام العرب ١٩٦٨م = ١٣٨٨هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٢، ١٩٧٥م = ١٣٩٥هـ. وكذلك مقال د. أحمد صبحي «الكيمياء وجابر بن حيان»، الكتاب التذكاري الصادر عن جامعة الكويت في ذكرى المرحوم د. أبي ريده، ص ٢٤٧ وما بعدها.

(٢) Carl Brockelmann, Geschichte der Arabischen literatur (Weimar, 1897-1899).

بلاد العرب وآسيا الغربية، حتى قبل وقوع تلك الواقعة المهمة الخطيرة، ونجم عن ذلك الانفصال أن باتت أفكار الإيرانيين تُثبت في الغالب باللغة الفارسية وتُنشر بها.

أما العصر الرابع والعصر الخامس فإنهما وثيقا الصلة بموضوعنا، ففي العصر الرابع (٧٥٠ - ١٠٠٠ م = ١٣٣ - ٣٩١ هـ) خرجت اللغة الفارسية من الكسوف الأدبي بصعوبة بعد أن توارت نتيجة انتصار العرب وسيطرتهم، ونشرت ضوءها ثانية في سماء الأدب.

[401] وفي العصر الخامس - وعلى الرغم من أن اللغة الفارسية حققت نجاحاً كبيراً في النواحي الأدبية واتسع مجالها وزاد الاهتمام بها - كان سوق الأدب العربي رائجاً هو الآخر رواجاً كبيراً في إيران. وكان الإيرانيون يكتبون مؤلفاتهم بالعربية، وما ظهر في إيران من مؤلفات باللغة العربية - بعد فتنة المغول - كان يُنسب بضيق الموضوعات والميل إلى تحديدها. وقد روعيت تلك المحدودية بصورة أكبر مما كانت عليه في العصور السابقة، فأصبح التأليف محصوراً بصفة خاصة في فروع الإلهيات والفلسفة والفقه والأصول.

ولما كان اهتمامنا بهذا الموضوع يرتبط بما يخص إيران، فقد حصرنا جلّ اهتمامنا في الأدب العربي الذي ظهر في عهد العباسيين. ويدور بحثنا في هذا الفصل حول كتاب هذا العصر الذهبي (٧٤٩ - ٨٤٧ م = ١٣٢ - ٢٣٣ هـ)، وننقل هنا فهرساً بأهمهم، مرتباً وفق تواريخ وفاتهم:

١ - ابن المقفع (ت ٧٥٧ م = ١٤٠ هـ)^(١) مجوسي دخل الإسلام. وعلى الرغم

(١) (تعليق م.ع): قُتل ابن المقفع (عام ١٤٢ أو ١٤٣ هـ = ٧٥٩ أو ٧٦٠ م) متهماً بالزندقة. انظر: ص ٧٥، ٩٦ من مقالنا «شاهنامة الفردوسي.. ملحمة الفرس الخالدة» في مجلة عالم الفكر، العدد الأول، المجلد السادس عشر، وذلك لمعرفة دور هذا الأديب في حفظ آثار قومه التاريخية.

ويمكن معرفة الكثير عن كتاب كلیلة ودمنة الذي كان أحد أسباب شهرته بالرجوع إلى: كتاب: السلاجقة في التاريخ والحضارة لأحمد كمال، ص ٢٧٧ وما بعدها. وقد كانت ترجمة ابن المقفع العربية لكلیلة ودمنة عاملاً مساعداً في ترجمتها إلى الفارسية. انظر: أبو المعالي نصر الله بن محمد بن عبد الحميد: كلیله ودمنه، تهران ١٣١١ هـ. ش.

من انحداره من صلب أب وأم زردشتيين إيرانيين فإن ابن مقلة (ت ٩٣٩م = ٣٢٨هـ) وابن خلدون (ت ١٤٠٥ - ١٤٠٦م) = (٨٠٨ - ٨٠٩هـ) يعدّان من أساتذة اللغة العربية.

وابن المقفع - كما ذكرنا - واحد من فحول علماء اللغة البهلوية، وقد ترجم العديد من الكتب البهلوية إلى اللغة العربية، ومما ترجمه إلى العربية كتاب (كليلة ودمنة) الذي تعدّه البلاد العربية كتاباً أساسياً رفيع القدر. وهو الترجمة الوحيدة التي بقيت لنا كاملة من بين ترجمات ابن المقفع؛ فقد ترجم عن البهلوية كتاباً بالغ الأهمية يدعى (خدای نامه)^(١)، غير أنّ ما بقي في يدنا منه لا يعدو قطعات تناقلتها كتب التواريخ.

٢ - ابن عُبّة (ت ٧٥٨م = ١٤١هـ) أقدم كاتب لسيرة الرسول، وقد ضاع كتابه [402] للأسف.

٣ - محمد بن سائب الكلبي (ت ٧٦٣م = ١٤٦هـ) وابنه هشام بن محمد الكلبي، وقد تبخّرا في تاريخ العرب القديم.

٤ - عيسى بن عمر الثقفي (ت ٧٦٦ = ١٤٩هـ)، وهو أحد واضعي أساس

(١) (تعليق م.ع): كانت مكوّنات هذا الكتاب البهلوي قصصاً قومية وحوادث تاريخية مغلّة في القدم، ويعتبره المؤرخون أهم مصدر في تاريخ إيران وبعض ممتلكاتها في اللغة البهلوية والأدب القومي الساساني. وقد سلك «خذ اينامه» طريقه إلى العالم الإسلامي وإيران عن طريق ترجمته إلى العربية في النصف الأول من القرن الثاني الهجري على يد ابن المقفع، وترجمته إلى الفارسية في القرن الرابع الهجري. وقد سُميت الترجمة العربية باسم (سِير الملوك أو سِير ملوك الفرس)، بينما سُميت الترجمة الفارسية باسم (الشاهنامه) الشائع حالياً. راجع: «شاهنامه الفردوسي كمصدر من مصادر الدولة الساسانية» مقال للدكتور أحمد كمال، مجلة الثقافة العربية، جامعة الكويت ١٩٧٢م، ١٣٩٢هـ، ص ٥٢؛ تاريخ الأدب في إيران لبراون، تعريب أحمد كمال، ج ١ ص ٢٠٤؛ مقال «شاهنامه الفردوسي.. ملحة الفرس الخالدة» لأحمد كمال، عالم الفكر، العدد ١، المجلد ١٦، ص ٩٦، «شاهنامه فردوسي وتاجنامه هاي ساساني»، مقالة دكتور مهدي محمدي، مجلة هترومردم ١٣٥٤هـ.ش.

الصرف والنحو العربي، ومعلم الخليل بن أحمد (واضع علم العروض في العربية) وسيبويه العالم الإيراني الكبير^(١).

٥ - ابن إسحق (ت ٧٦٧ م = ١٥٠ هـ) كاتب سيرة الرسول. (يذكر دوحويه أنَّ هناك نسخة من كتاب ابن إسحق بصورتها الأصلية في مكتبة كوبرولو باستانبول)، غير أنَّ الدراسة التي أجريناها على كتابه كانت تتناول كيفية تنقيح ابن هشام له وتهذيبه أيَّاه.

٦ - أبو حنيفة النعمان (ت ٧٦٧ م = ١٥٠ هـ)، وهو أحد أئمة السنة والجماعة الأربعة ومؤسس المذهب الحنفي، إيراني الأصل، يُحبُّ آل علي بن أبي طالب حباً جما^(٢).

(١) (تعليق م.ع) سيبويه عالم نحو إيراني الأصل. اسمه الكامل: «أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. عمل في حقل اللغة العربية وقدم لها خدمات جليلة. من كتبه في النحو: «الكتاب»، وهو يُعتبر أقدم بحث منظم مرَّتب في النحو العربي، وقد طبع في القاهرة عام ١٣١٦ هـ = ١٨٩٨ م. تتلمذ سيبويه على يد عيسى بن عمر الثقفي (ت ٧٦٦ م = ١٤٩ هـ)، ونبغ من بين تلاميذه قطرب النحوي اللغوي (ت ٨٢١ م = ٢٠٦ هـ) والأخفش الأوسط (توفي ٨٣٥ م = ٢٢٠ هـ) أو قبل ذلك. ويحظى سيبويه بإعجاب النحاة العرب ويكتبون حوله أكثر من غيره.

(٢) انظر: براون تاريخ الأدب في إيران، ج ١، ترجمة علي باشا صالح للفرسية، صفحات متفرقة. (تعليق م.ع): أبو حنيفة: إمام سني، وهو مؤسس المذهب الحنفي أحد مذاهب السنة الأربعة. يذكر بعض الباحثين أنه خرج من بين صفوف فرقة المرجئة وأنه كان يميل إلى علي رضي الله عنه وأبنائه، بينما يقول القاضي نور الله الشوشتری إنه كان يعترض على أقوال الإمام جعفر الصادق، ويقول لتلاميذه إنَّ هذا الإمام يقول ثلاثة أشياء لا استحسناها:

أولها: «إنَّ الشيطان سوف يعذب بالنار»، إذ كيف يمكن أن يعذب بالنار وهو منها؟
وثانيها: «إنَّ الله لا يمكن رؤيته»، إذ كيف يمكن أن يكون هناك شيء له وجود ولا يمكن رؤيته؟
وثالثها: «إنَّ فاعل الفعل هو الشخص نفسه»، بينما جاء خلاف ذلك في النصوص.
ويقول الشوشتری إنَّ بهلولا قد استطاع إفحام أبي حنيفة وجعله عاجزاً عن الردِّ عليه بكلام معقول حين ناقشه في هذه الأمور، مما تسبَّب في خجله ونهوضه ومغادرته المجلس.
ولد في الكوفة عام ٧٠٠ م = ٨١ هـ، ويؤكد ابن خلكان (ترجمة دي سلان، ج ٣ ص ٥٥٥)، أنه إيراني الأصل، ويؤيد براون هذا القول.

ويتحدث ابن النديم في المقالة السادسة (الفن الثاني) من كتابه «الفهرست» حول أخبار أبي حنيفة النعمان وأصحابه وأسماء كتبهم، ويمكن الرجوع إلى هذه الأخبار لمعرفة الكثير في هذا الصدد.
وقد تُوفي هذا الإمام عام ٧٦٧ م = ١٥٠ هـ، ويقول ابن خلكان (ج ٢ ص ٥٧١).
إنَّ الشافعي وضران الله عليه قد ولد في نفس العام الذي تُوفي فيه أبو حنيفة، بل في نفس يوم وفاته.

- ٧ - حَمَاد بن سابور (سابور) الرواية (ت ٧٧٢ - ٧٧٥ م = ١٥٦ - ١٥٩ هـ).
أصله من ديلم إيران، وقد جمع المعلقة السبع العربية وصححها.
- ٨ - جابر بن حيّان. كان له باعه في العلوم الغربية (توفي حوالي عام ١٧٧٦ م = ١٦٠ هـ) (انظر: صفحة ٣٩٩ من الترجمة الفارسية).
- ٩ - محمد بن عبدالله الأزدي (ت ٧٧٧ م - ١٦١ هـ) تقريباً، وهو كاتب تاريخ فتوح الشام.
- ١٠ - أبو دلامه (ت ٧٧٧ م = ١٦١ هـ). كان أسود اللون يميل إلى السخرية أكثر من ميله إلى نظم الشعر، وكان يعمل مهرّجاً في البلاط، ويحظى بعطف [403] الخليفين: المنصور والمهدي.
- ١١ - بشار بن بُرد^(١) (ت ٧٨٣ م = ١٦٧ هـ)، شاعر أعمى كثير الشك، أشرنا إليه من قبل.
- ١٢ - المفضل الضبي (توفي عام ٧٨٦ م = ١٧٠ هـ)، معلّم الخليفة المهدي. جمع في شبابه مجموعة أشعار عربية قديمة لا تقل في أهميتها عن المعلقة وإن لم تحقّ نفس شهرتها.
- ١٣ - السيد الحميري (توفي عام ٧٨٩ م = ١٧٣ هـ). شيعي متحمّس، أشعاره في مدح الرسول وأثرة الرسالة. ويتحدّث بروكلمان عن أشعاره (في كتابه ص ٨٣) فيقول: «تتميّز أشعاره بسهولة الألفاظ شأنها شأن أشعار أبي العتاهية وبشار».
- ١٤ - الخليل بن أحمد (توفي عام ٧٩١ م = ١٧٥ هـ). من النحاة، تبخّر في علم العروض والقوافي. وقد ورد اسمه في البند الرابع من فهرسنا هذا.
- ١٥ - سيبويه (توفي عام ٧٩٣ م = ١٧٧ هـ). وهو من النحاة الإيرانيين^(٢)، وقد ورد اسمه في البند الرابع من فهرسنا هذا.

(١) (تعليق م.ع): يمكن معرفة الكثير عن بشار بن برد بالرجوع إلى: «ديوان بشار»، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر، عام ١٩٥٧ م = ١٣٧٧ هـ.

(٢) (تعليق م.ع): من الأفضل أن يقال: «وهو من النحاة الذين هم من أصل إيراني».

- ١٦- أبو يوسف يعقوب الأنصاري (توفي عام ٧٩٥ م = ١٧٩ هـ). كان فقيهاً، وهو من تلاميذ أبي حنيفة.
- ١٧- مالك بن أنس (توفي عام ٧٩٥ م = ١٧٩ هـ). ثاني أئمة السنّة والجماعة الأربعة، ومؤسس المذهب المالكي.
- ١٨- مروان بن أبي حفصة (توفي عام ٧٩٧ م = ١٨١ هـ). شاعر من يهود خراسان.
- ١٩- مسلم بن الوليد (توفي عام ٨٠٣ م = ١٨٨ هـ). شاعر بلاط هارون الرشيد. حظي بحماية البرامكة وفضل بن سهل.
- ٢٠- محمد بن الحسن الشيباني (توفي عام ٨٠٤ م = ١٨٩ هـ). من فقهاء الحنفية. [404] تولّى منصب القضاء في الرقة فترة إبان حكم هارون الرشيد.
- ٢١- علي بن حمزة الكسائي (توفي عام ٨٠٥ م = ١٩٠ هـ). نحوي، من أب وأم إيرانيين. عهد إليه هارون الرشيد بتعليم ولديه: الأمين والمأمون.
- ٢٢- العباس بن الأحنف (توفي عام ٨٠٦ م = ١٩١ هـ). شاعر آخر من شعراء بلاط هارون الرشيد. نصف إيراني. يشتهر بغزليّاته أكثر من سواها.
- ٢٣- أبو نواس^(١) (توفي ٨٠٦ - ٨١٣ م = ١٩١ - ١٩٨ هـ). نصف إيراني. من جلة شعراء بلاط هارون الرشيد. اشتهر بالمجون وعدم الحياء، ويستطيع قارئ ألف ليلة وليلة أن يقف على طريقة حياته المشينة، ويلحظ حضور بديهته وعمق مفاهيمه العلميّة والأدبيّة وحنّة ذكائه ويقظة قريحته.
- ٢٤- ابن زبالة (توفي عام ٨١٤ م = ١٩٩ هـ). أحد تلاميذ مالك بن أنس، وهو كاتب أخبار المدينة.
- ٢٥- يحيى بن البطريق (ازدهر في روضة العلم والأدب حوالي عام ٨١٥ م =

(١) (تعليق م.ع): طبعت أشعار أبي نواس (الحسن بن هانيء) في مصر وبيروت، ووضع حوله الكثير من الأبحاث.

انظر: ديوان أبي نواس، آصاف، مصر ١٨٩٨ م = ١٣١٦ هـ، بيروت ١٩٦٢ م = ١٣٨٢ هـ، أبو هفان: أخبار أبي نواس، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مصر ١٩٥٣ م = ١٣٧٣ هـ.

٢٠٠هـ)، وهو أحد المترجمين الذين اهتموا بنقل آثار أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان إلى اللغة العربية.

٢٦- هشام بن الكلبي (توفي ٨١٩ - ٨٢٠ م = ٢٠٤ - ٢٠٥هـ). كان مؤرخاً. انظر البند الثالث من هذا الفهرست (ص ٤٠٢ من الترجمة الفارسية).

٢٧- الشافعي (توفي عام ٨٢٠ م = ٢٠٥هـ) ثالث أئمة السنّة والجماعة، ومؤسس المذهب الشافعي.

٢٨- قطرب (توفي عام ٨٢١ م = ٢٠٦هـ): أحد النحاة واللغويين، وواحد من [405] تلاميذ سيبويه والثقفى.

٢٩- الفراء (توفي عام ٨٢٢ م = ٢٠٧هـ): أحد النحاة وتلميذ من تلامذة الكسائي، ويتفق معه في أصلهما الإيراني.

٣٠- الواقدي (توفي عام ٨٢٣ م = ٢٠٨هـ): مؤرخ الفتوحات الإسلامية. كان ينعم بحماية يحيى البرمكي ورعايته وكرمه، وقد ترك من بعده ستين صندوقاً كبيراً غاصّة بالكتب والنسخ الخطيّة والتعليقات، وكان الصندوق الواحد في حاجة إلى شخصين لتحريكه.

٣١- أبو عبيدة معمر بن المثنى (توفي عام ٨٢٥ م = ٢١٠هـ): من اللغويين. كان يميل كل الميل إلى الشعويّة. أصله من يهود إيران. كان منافساً للأصمعي، وقد هجا القبائل العربيّة بقسوة (انظر: صفحة ٣٨٩ من الترجمة الفارسية).

٣٢- أبو العتاهية^(١) (توفي عام ٨٢٨ م = ٢١٣هـ): أحد مشاهير شعراء هذا العهد كان لفرط حماسة وجدّيته وشكّه في الأمور المذهبيّة وبساطته في الكلام يتصرّف على العكس تماماً من الشاعر المعاصر له - أبي نواس - الذي كان يعتبر شهوانياً فاسقاً فاسد الخلق يفتنم المتعة.

(١) (تعليق م.ع): اقرأ الكثير حول هذا الشاعر الكبير في كتاب:

أبو العتاهية (أشعاره وأخباره) لشكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٥ م = ١٣٨٥هـ.

- ٣٣- العكوك (توفي عام ٨٢٨ م = ٢١٣هـ): شاعر مداح إيراني الأصل.
- ٣٤- ابن قتيبة (توفي عام ٨٢٨ م = ٢١٣هـ): من المؤرخين الإيرانيين الذين يحتلّون مكان الصدارة، ومن أشهر مؤلفاته الاثني عشر التي ذكرها بروكلمان Brocelmann (ص ١٢٠ - ١٢٣، ج ١ من كتابه): كتاب المعارف (طبع وستنفلد عام ١٨٥٠ م = ١٢٦٧هـ)، أدب الكاتب (طبع القاهرة عام ١٣٠٠هـ = ١٨٨٢ م)، عيون الأخبار (يطبع في برلين بإشراف بروكلمان)^(١).

[406]

- ٣٥- الأصمعي (توفي عام ٨٣١ م = ٢١٦هـ): نحوي لغوي، وواحد من أعضاء المجمع العلمي البارزين الذين جمعهم هارون الرشيد حوله.
- ٣٦- ابن هشام (توفي عام ٨٣٤ م = ٢١٩هـ): مصحح سيرة الرسول^(٢) التي كتبها ابن إسحق (انظر: البند الخامس من هذا الفهرست).
- ٣٧- الأخفش الأوسط (توفي عام ٨٣٥ م = ٢٢٠هـ أو قبل ذلك). نحوي لغوي، وواحد من تلامذة سيويه، وربما يكون إيراني الأصل شأنه شأن أستاذه^(٣).
- ٣٨- قسطاي بن لوقا: من مسيحي بعلبك، مترجم معروف، له مؤلفاته في الطب والنجوم والرياضة، وقد اتّجه في نفس الوقت إلى حقل العلم والأدب، وفي أواسط القرن الحادي عشر الميلادي كانت شهرته مازالت مدوية، وكان يرجع إليه فيما يتعلق بالموضوعات المذكورة، فقد قال ناصر خسرو في حقّه:

* كلّ يقول ما يمليه عليه رأيه الفاسد

(١) (تعليق م.ع): هو أبو محمد عبد الله بن مسلم، ومن مؤلفاته: الشعر والشعراء (تحقيق أحمد شاکر، مصر، ج ١ عام ١٩٦٦ = ١٣٨٦هـ، ج ٢ عام ١٩٦٧ م = ١٣٨٧هـ، عيون الأخبار، له نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٣ م = ١٣٨٣هـ؛ المعارف (تحقيق ثروت عكاشة)، مطبعة دار الكتب ١٩٦٠ = ١٣٨٠هـ.

(٢) (تعليق م.ع): انظر: السيرة النبوية - ابن هشام - تحقيق السقا وجماعته، القاهرة ٣٤٤ هـ = ٩٥٥ م.

(٣) لا يملك المؤلف الدليل على ذلك، والأرجح أنّه ليس إيرانيّاً.

ليوهمك بأنه قسطنطين بن لوقا^(١).

٣٩- المدائني (توفي عام ٨٤٠ - ٨٤٥ م = ٢٢٦ - ٢٣١ هـ): كاتب تاريخ بارز ناجح، له مؤلفات عديدة. لكن المؤسف أنه لم يبق لنا من مؤلفاته سوى عناوين أثبتها ابن النديم في الفهرست.

٤٠- الكندي (توفي عام ٨٤١ م = ٢٢٧ هـ)، وهو حكيم وطبيب عربي مشهور^(٢).

٤١- ابن الإعرابي (توفي عام ٨٤٤ م = ٢٣٠ هـ): أحد النحاة المعروفين، هندي الأصل^(٣). كان تلميذاً للمفضل (انظر البند الثاني عشر من هذا الفهرست).

٤٢- أبو عبدالله محمد بن سلام الجمحي (توفي عام ٨٤٥ م = ٢٣١ هـ). وهو [407] مؤلف كتاب طبقات الشعراء الذي ضاع للأسف، ولم يبق منه سوى أقسام اقتبسها المؤلفون ونقلوها^(٤).

(١) النص الفارسي:

هرکسی چیزی همی گوید ز تیره رای خویش تاگمان آیدت کو قسطنطین بن لوقاستی
(٢) (تعلیق م.ع): الکندی أحد الفلاسفة الذين یتمتعون بشهرة كبيرة، وقد كثرت حوله المؤلفات، انظر: د. حسام محي الدين الألوسي: فلسفة الکندی وآراء القدامی والمحدثین فيه، بیروت ١٩٨٥ م = ١٤٠٥ هـ؛ انطون سیف: الکندی ومکائنه عند مؤرخي الفلسفة العربیة، بیروت ١٩٨٥ م = ١٤٠٥ هـ؛ عزمي طه السيد أحمد: الکندی ورأیه فی العالم بالمقارنة مع أفلاطون وأرسطو (رسالة غیر منشورة) جامعة الكويت / ١٩٧٩ م رسائل الکندی الفلسفية؛ رسائل الکندی الطبیعیة، جزءان، دار الفكر العربی بالقاهرة.

(٣) هناك شك فی أنه هندي الأصل.

(٤) تعلیق المترجم الفارسي:

«الجمحي فی اصطلاح الرجال - بناء علی قول بروجردی - هو زید بن عبد الله، وينسب إلى مکان یرسمى جمح، وهو فی اصطلاح العلماء والأدباء محمد بن سلام بن عبدالله بن سلام المکنی بأبي عبدالله، کان من كبار الأدباء، وقد أخذ عنه أحمد بن حنبل وعلب النحوي درجتیهما العلمیتین ومن مؤلفاته کتاب «صفات الشعراء»، وقد طبع فی مصر عام ١٩٢٠ م = ١٣٣٩ هـ، وقد كانت وفاة الجمحي فی عام ٨٤٦ م = ٢٣٢ هـ.

(نقلًا عن ریحانة الأدب فی تراجم المعروفین بالکنیة أو اللقب أو الکنی والألقاب، تألیف محمد علي التبریزی الخیابانی المدرس، ص ٢٧٩).

٤٣- ابن سعد (توفي عام ٨٤٥ م = ٢٣١ هـ): كاتب الواقدي العالم الشهير (انظر البند ٣٠ من هذا الفهرست)، ومؤلف كتاب الطبقات^(١)، وهو كتاب عظيم تقرر طبعه قريباً في ليدن Leyden.

٤٤- أبو تمام^(٢) (توفي عام ٨٤٦ م = ٢٣٢ هـ): عمل مداحاً للخليفة المعتصم في بداية أمره، ثم صار مداحاً لأبي عبدالله بن طاهر حاكم خراسان.

تعتمد شهرته في معظمها على مختاراته التي جمعها من نظم العرب القديم، والتي أطلق عليها اسم الحماسة، ويقول الخطيب التبريزي شارح كتابه: «إن أبا تمام في حماسته أشعر منه في شعره».

٤٥- ديك الجن (توفي عام ٨٤٩ م = ٢٣٥ هـ): من شعوية الشام وشعراء الشيعة.

وعلى هذا النحو، يمكن أن يضاف عدد آخر من الأسماء، غير أن مذكرناه كاف لبيان قصدنا، لأنه يوضح إلى أي حد كان أشهر من أدوا خدمات للأدب العربي القديم (أي ثلاثة عشر من بين من ذكرناهم) يتمون إلى أصل إيراني^(٣)، ولمزيد من التفاصيل حول آثارهم وأوصافهم نحيل القراء إلى الكتب الخاصة بتاريخ الأدب واللغة العربية.. تلك التي وضعها فون كرم وبروكلمان وغيرهما.

(١) (تعليق م.ع): تم طبعه في ليدن عام ١٣٢٢ هـ = ١٩٠٤ م، كما طبع في بيروت عام ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٧ م.

(٢) (تعليق م.ع): لمعرفة الكثير عن أبي تمام ونتاجه الشعري وقيمت الأدبية، انظر: الأمدي: الموازنة بين أبي تمام والبحري، ط ٢، تحقيق السيد صقر، ١٩٧٨ م = ١٣٧٨ هـ؛ د. نسيم راشد الغيث: التجديد في وصف الطبيعة.. بين أبي تمام والمتنبي، مصر ١٩٩٢ م = ١٤١٢ هـ.

(٣) (تعليق م.ع): لم يبالغ براون في هذا الشأن - وفق رأيي - فقد جمع في هذا الفهرس بين ٤٥ كاتباً من فرس وعرب وأحباش، وقرر أن ثلاثة عشر من بينهم يتمون إلى أصل إيراني، وأنهم ممن أدوا خدمات جليلة للأدب العربي القديم. وباستعراض الأسماء نجد من يتمون إلى أصل فارسي يكاد عددهم يبلغ الرقم الذي ذكره، ويمكن الرجوع في ذلك الشأن إلى معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، طبع القاهرة؛ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، ليزج ١٨٥٨ م = ١٢٧٥ هـ، استانبول ج ١، ١٣٦٠ هـ = ١٩٤١ م، ج ٢، ١٣٦٢ هـ = ١٩٤٣ م؛ الأعلام للزركلي، القاهرة ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٧ م.

الفصل الثامن

**رواج سوق المذهب والفلسفة
في عصر الإسلام الذهبي**

الفصل الثامن

[408] رواج سوق المذهب والفلسفة

في عصر الإسلام الذهبي

من الفرق المهمة الأولى في الإسلام فرقة الخوارج دعاة الجمهور، تليها فرقة الشيعة، وهي التي كانت ترى أنَّ الإمامة من حق أسرة النبوة. وسوف نتحدث هنا حديثاً تفصيلياً حول هاتين الفرقتين. كما ستحدث في الفصل التالي حول غلاة الشيعة وعقائدهم العجيبة المرتبطة بالحلول والبعث والتناسخ. ويمكننا القول بأن الجانب السياسي للفرقتين - كما يبدو لأول وهلة - كان قويا. أو أن نقول - بعبارة أخرى - إن الخوارج كانوا - فيما يتعلق بالأمور المذهبية - يميلون للحكم الديمقراطي شأنهم شأن العرب، وإنَّ الشيعة كانوا يبدون ميلهم للحكم على طريقة الإيرانيين.

أما الفرقة الثالثة فهي فرقة المرجئة التي كان يغلب عليها الجانب السياسي. والفرقة الرابعة هي فرقة القدرية أو المعتزلة، وكان يغلب عليها الجانب الديني والفكر الفلسفي الصرف أكثر من أي شيء آخر.

ويرى فون كرم^(١) - أسوة بابن حزم^(٢) - أنَّ الفرق الأربع الإسلامية.

(١) انظر كتاب «العقائد الشائعة والمهمة في الإسلام»، صفحة ١٥ ومابعد.

Alfred Von Kremer. Geschichte der herrschenden Ideen des Islams, Leipzig, 1868.

(٢) انظر نفس المرجع، ص ١٠ و ١٢٤.

وابن حزم واحد من العرب الأندلسيين، من أهل قرطبة. توفي عام ١٠٥٤م = ٤٤٦هـ، وهو مؤلف أقدم كتاب وضع حول الفرق الإسلامية، ونسخ الكتاب الخطية (باعتباره لم يطبع بعد) نادرة للغاية. وقد وردت سيرة ابن حزم في الترجمة التي وضعها دي سلان لكتاب ابن خلكان (المجلد ٢، ص ٢٦٧ - ٢٧٢).

تعليق المترجم: يطلق على كتاب ابن حزم الظاهري اسم «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، وقد طبع في مصر في خمسة مجلدات، فيما بين عامي ١٣١٧ و ١٣٢١هـ = ١٨٩٩ و ١٩٠٣م. (تعليق م.ع): لمعرفة الكثير عن ابن حزم ارجع إلى كتاب: «الإحكام في أصول الأحكام»، تصحيح أحمد شاكر، مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٤٨هـ = ١٩٢٩م. وقد طبع كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل». في مكتبة المثنى ببغداد (دون ذكر تاريخ الطبع).

[409] المذكورة من أوائل الفرق الإسلامية^(١). وبناء على رأيه^(٢)، كان ظهور الفرقتين الأخيرتين في دمشق عاصمة بني أمية، في النصف الأول من القرن الثامن الميلادي (٧١٨ - ٧٤٧ م = ١٠٠ - ١٣٠ هـ). وكانتا خاضعتين - إلى حدما - لنفوذ المسيحيين.

أما الفرقتان الأوليان فيرجع ظهورهما - كما يقال - إلى أواخر القرن السابع عشر الميلادي^(٣).

والمرجئة كلمة مشتقة من المادة (أَرْجَأَ) بمعنى (أَخَّرَ). ويسمى القوم بالمرجئة لاعتقادهم أن المسلم الآثم تؤجَّل عقوبته إلى يوم القيامة^(٤)، وأنَّ كلَّ مؤمن - مهما بلغت درجة معصيته - يجب ألا يعتبر ملعوناً^(٥).

وكانت هذه الفرقة الإسلامية في الأصل - على خلاف الشيعة والخوارج - تقرُّ الخلافة لبني أمية، أما من جهة الأصول العقائدية فإنها تتفق في تفكيرها اتفاقاً تاماً مع أهل السنة والجماعة، وكأنما أفرادها يسعون جاهدين -

(١) قال الشهرستاني أيضاً بوجود أربع فرق، لكنه ذكر فرقة «الصفائية» بدلاً من المرجئة. أما الإيجي (١٣٥٥ م = ٧٥٦ هـ) فقد ادَّعى أنَّ الفرق الإسلامية الأساسية - التي انفصلت عن بعضها لخلاف في أصول المذهب - كان عددها سبعة.

انظر: كتاب المعتزلة لإشتاير، ص ٢ و ٣.

Dr.H.Seiner, Die Mu'taziliten, 1865.

تعليق المترجم:

انظر: «أوائل المقالات في المذاهب المختارات»، تأليف العلامة الشيخ المفيد محمد بن نعمان المتوفى سنة ٤١٣ هـ؛ وانظر مقدمة الكتاب، وما كتبه عليه العلامة الفقيه شيخ الإسلام الزنجاني (شيخ فضل الله) من تعليقات، طبع تبريز ١/٣/٦٤ ق = ١٦/١١/٢٣ ش؛ كتاب «خاندان نوبختي»، تاريخ مختصر ظهور فرق إسلامي ومذهب شيعة ومتكلمين أوليه أن وفرقه هائي كه از میان طایفه شیعه برخاسته اند، تأليف عباس اقبال، ١٣١١ هـ. ش، طبع طهران.

(٢) انظر الكتاب الذي وضعه فون كرم حول دراساته في تاريخ الحضارة الإسلامية طبع لايبزج ١٨٧٣ م = ١٢٩٠ هـ، ص ١ - ٩.

(٣) (تعليق م.ع): الصحيح هو القرن السابع الميلادي، فالبارة: «إلى أواخر القرن السابع الميلادي».

(٤) انظر كتاب لين: (Lane, Arabic English Lexicon) الكتاب الأول، ص ١٠٣٣.

(٥) تعليق المترجم: كافراً.

كما يقول فون كرم - إلى تلطيف الجوانب الموحشة وتخفيفها إلى أقصى حد. وكانوا يرون أنّ أيّ مؤمن مسلم لن يخلد في جهنم إلى الأبد^(١). [410] وكانوا بصفة إجمالية يقدمون الإيمان على العمل^(٢). ولعلمهم كانوا في آرائهم هذه يسايرون روح البلاط الأموي الذي لم يكن يتفق مع روح أي شيعي حقيقي أو خارج من الخوارج على الإطلاق، ونتيجة لمنهجهم هذا يمكن وصفهم بأنهم مسايرون لعصرهم، وبأنهم أبناء وقتهم. كما يمكن تشبيههم بالديك الحبشي، وهو نفس التشبيه الذي شُبه به قسيس قرية برى المعروف (بانجلترا)^(٣). وكان النهج الذي يسير عليه بنو أمية في بلاطهم هو الرحمة بالمسيحيين وغير المسلمين من أبناء الطوائف الأخرى، واحاطتهم

(١) انظر كتاب فون كرم الخاص بتاريخ عقائد الإسلام المهمة الشائعة، ص ٢٥.

Alfred Von Kremer, Gesch d. herrsch Ideen des Islams, 1868.

(٢) تعليق المترجم: يقول بديع الزمان فروزانفر: الإيمان لدى المرجئة عبارة عن قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، والعمل ليس جزءاً من الإيمان، لهذا فإن من يؤدّي الشهادتين مؤمن وإن لم يعمل بمقتضى الإيمان. . وعلى هذا الأساس كانوا يعدّون مرتكب الكبائر مؤمناً، ويرجئون أمره إلى الله، على العكس من الخوارج الذين كانوا يعتبرونه كافراً. وكانت عقيدة المرجئة في ذلك الشأن تتفق مع تصرفات خلفاء بني أمية، وهم الذين كانوا لا يعفّون عن ارتكاب الكبائر*، ولهذا السبب كان بنو أمية يساندون هذه الطائفة.

* (تعليق م.ع): ينقل المؤلف أمثال هذه العبارة عن شعوبيين أو عن مستشرقين مُعرضين يميلون إلى الشعوبيّة، وهؤلاء جمعاً يميلون إلى توجيه الاتهامات ضدّ العنصر العربي بصفة عامة وبني أمية بصفة خاصّة. وهنا يهاجم فروزانفر خلفاء بني أمية دون تفرقة ويتهمهم بأنهم كانوا لا يعفّون عن ارتكاب الكبائر. إن مثل هذه الأحكام المطلقة التي لا سند لها غير السماع ونقل المتأخّر عن المتقدم. . لا يمكن قبولها على علاقتها، ويجب أن يتعد الكاتب المنصف عن إثباتها. ولا أعتقد أن هناك عربياً أو غير عربي يمكنه أن يخوض مثلاً في سيرة عمر بن عبدالعزيز أو يتهمه بأنه كان لا يعفّ عن ارتكاب الكبائر. . . أليس عمر بن عبدالعزيز هذا أحد الخلفاء الأمويين؟

(٣) تعليق المترجم: توجد على الشاطئ الأيمن لمجرى نهر التيمز The Thames جهة برشاير قرية تدعى برى Bray. وترجع شهرة هذه القرية إلى وجود قصة منظومة تتعلّق بها، تسمى (قسيس برى) The Vicar of Bray. ووفقاً للمنظومة، كان هذا القسيس يغيّر سلوكه ومعتقداته ويتلون وفق مقتضى العصر، مما جعله يحتفظ بمنصبه من فترة حكم شارل الثاني إلى فترة حكم جورج الأول، ويقال إن هذه القصة تنطبق على قسيس يدعى سايمون ألين Simon Aleyne عمل قسيساً لتلك القرية من ١٥٤٠ - ١٥٨٨ = ٩٤٧ - ٩٩٧ هـ (أي مدة ثمان وأربعين سنة (ميلادية)). (ترجمة عن دائرة المعارف البريطانية).

بصنوف الرعاية والحب، وإسناد المهام المهمة لهم^(١).

ولم يترك سقوط الدولة الأموية - التي لا تخشى الله^(٢) - حجة أخرى [411] لبقاء فرقة المرجئة ففقدت استقلالها. غير أنَّ أبا حنيفة مؤسس أحد مذاهب السُّنة الأربعة - الذي ما زال مذهبه باقياً إلى اليوم^(٣) - قد خرج من بين صفوف هذه الفرقة.

يقول فون كرم^(٤):

«مما يؤسف له غاية الأسف أنَّ الدراسات الصحيحة الدقيقة حول هذه الفرقة جد قليلة إلى الحد الذي لمسناه، فقد اندثرت المصادر العربية المتعلقة بدراسة العصر الأموي اندثاراً تاماً، ولقيت نفس المصير الذي لقيه العصر المذكور. ولما كانت أقدم الآثار التي بقيت لنا ترجع إلى عهد العباسيين فإن ما لدينا من دراسات عن المرجئة قائم على أخبار متناثرة سجّلها كتابُ عرب متأخرون».

وكانت فرقة القدريّة أو المعتزلة تفوق سابقتها أهمية إلى حدٍ كبير. وكانت تنادي بحرية الإدارة وتساند طريقة التفويض والاختيار^(٥). ويقول الدكتور

(١) انظر - دراسات فون كرم في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٢ (Streifzüge) وكان الأخطل - شاعر البلاط - مسيحياً.

(٢) (تعليق م.ع) تتردد أمثال هذه العبارة كثيراً نتيجة نظرة الشيعة لهذه الدولة وكراهيتهم لها.

(٣) نفس المرجع، ص ٦ (طابق بين ما جاء في الصفحة المذكورة وما جاء في صفحة ٢٦ من كتاب كرم المتّصل بالعقائد الإسلامية الهامة): Gesch. d. herrsch. Ideen des Islams. 1868.

(٤) نفس المرجع، ص ٣.

(٥) تعليق المترجم:

انظر: تصحيح الاعتقاد در شرح عقائد الصدوق با مقدمه وتعليقات علامه شهير آقاي سيد هبة الدين شهرستاني، طبع تبريز، ١/٣/٦٤ ق = ٢٦/١١/٢٣ ش؛ وخاندان نوبختي تأليف عباس إقبال: تهران ١٣١١ هـ. ش، ص ٣٢ وما بعدها؛ ومقدمة الجزء الثاني من كتاب كنز الحكمة (ترجمة تاريخ الحكماء لشمس الدين الشهرزوري) بقلم ضياء الدين دري مدرس علم المعقول، مرداد ١٣١٦، طبع طهران؛ وكتاب پرتو اسلام، الجزء الأول (ترجمة كتاب فجر الإسلام للأستاذ المصري أحمد أمين)، بقلم عباس خليلي؛ وكتاب تاريخ سياسي إسلام (تاريخ الإسلام السياسي للدكتور حسن إبراهيم حسن) ترجمة آفاق أبو القاسم پاينده؛ وكتاب علوم عقلي در تمدن إسلامي تا اواسط قرن پنجم، المجلد الأول، للدكتور ذبيح الله صفاء، طهران ١٣٣١ ش؛ وكتاب حجة الحق أبو علي سينا، تأليف آقاي صادق گوهرين، ١٣٣٠ ش.

[412] اشتاينر في حقهم^(١): «وأفضل ما نصف به المعتزلة أن نقول: إن ظهور هذا اللون من الفكر يُعدُّ بمثابة اعتراض دائم وجَّهه العقل البشري السليم ضد الأحكام الظالمة والأوامر المقررة المقننة»^(٢).

وكان المعتزلة يرون في أنفسهم أهل العدل والتوحيد أو أنصار العدل الإلهي والتوحيد، وكانوا يقولون إن الجانب الأزلي - وفقاً لعقيدة أهل السنة - هو تحديد الله لمصير كل شخص مسبقاً، وهو سبحانه يعاقب على الآثام التي قد فرضها جبراً على البشر، وليس للبشر قدرة على مواجهة التقدير والمصير. ويرى القدرية أن هذا اللون من الفكر مخالف للعدل الإلهي.

كما أن أهل السنة يرون أن القرآن - شأنه شأن الحق الواحد - أزلي أبدي. ويرون أن صفات الحق منفصلة عن ذات الحق أو هي قابلة للانفصال، لهذا فإنهم مشركون.

الحسن البصري وواصل بن عطاء:

خلاصة ما كُتب حول نشأة هذه الطائفة وسبب تسمية الفرقة بالمعتزلة هو أن واصل بن عطاء الغزال كان أحد مريدي الحسن البصري أحد مشاهير الصوفية، ثم دبَّ خلاف بينه وبين أستاذه حول هذه المسألة: لو أنَّ مؤمناً ارتكب كبيرة هل يمكننا أن نظلَّ على مخاطبتنا له بالمؤمن؟ وقد أعرب واصل عن اعتقاده بأنَّ مثل هذا الشخص لا يمكن أن يقال عنه إنه غير مأمّن، كما لا يمكن أن يقال إنه غير كافر، بل يجب أن يقال إنه بين هاتين المرحلتين^(٣).

(١) انظر الكتاب الذي وضعه اشتاينر حول المعتزلة، ص ٤:

Dr. H. Steiner, Die Mu'tziliten, Leipzig. 1865.

(٢) (تعليق م.ع): هذا قول خاطيء فيه تجاوز وهجوم سافر على أحكام الخالق العادل، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ولولا الأمانة العلمية لأسقطته من الترجمة. والمعروف أن المعتزلة لم يقولوا ذلك، وإنما فهم هذا المؤلف وأمثاله مثل هذا الفهم نتيجة قول أصحاب هذه الفرقة إن الله سبحانه قد فرض على البشر فعالهم فكيف يعاقبهم على آثامهم؟ يكفي أن تعرف أن المعتزلة كانوا يؤمنون بأنَّ الله منزّه ومبرأ عن أي عمل يخالف العدل لنردُّ على هؤلاء المفرضين.

(٣) تعليق المترجم الفارسي: المنزلة بين المنزلتين.

(تعليق م.ع) الاصطلاح الدارج هو: في منزلة بين المنزلتين.

وبعد تصريحه هذا، اعتزل واصل هذه الجماعة، وانتحى ركناً في المسجد غير ركن أستاذه، يتباحث فيه مع من تبعوه من الطلاب، وقال الحسن البصري لمريديه: «اعتزل عنا»، يقصد بذلك واصل، وإثر هذا التصريح من جانبه أطلق معارضو واصل على أتباعه اسم المعتزلة^(١) وهناك إجماع على [413] صحّة ما ذكرنا فيما يتعلق بأصل هذه الفرقة ونشأتها، وهو يدل على أن العراق كانت مسقط رأس هذه الفرقة ومهدّها، والعراق هي نفس بابل القديمة التي كانت محلّ التقاء الجنسين السامي والإيراني واختلاطهما.

ولم يمض طويل وقت حتى صارت تلك البلاد مركزاً للعلم، ثم صارت بعد ذلك بقليل - في زمن الخلافة العباسية - مقراً للحكم^(٢).

لكن الملاحظ أن دمشق - كما يقول فون كرم^(٣) - كانت محل تكوين معتقدات هؤلاء القوم ومحل تكاملها^(٤). وقد كانت تحت سيطرة البيزنطية المتألهين، خاصة يحيى الدمشقي ومريده ثيودور أبو قره.

(١) انظر كتاب اشتاينر حول المعتزلة، ص ٢٤ - ٢٦:

Steiner, Mu'taziliten.

وانظر: تاريخ الإسلام لدوزي، ص ٢٠٤:

Dozy, Histoire de l'Islamisme.

(٢) كتاب دوزي السابق، ص ٢٠١.

تعليق المترجم: دوزي Reinhart Pieter Anne Dozy عالم مستعرب هولندي من أصل فرنسي، ولد عام ١٨٢٠ في لندن، وتوفي عام ١٨٨٣ م. له كتاب مهم أيضاً يتحدث فيه عن مسلمي إسبانيا، كتبه بالفرنسية وعنوانه:

Histoire des Musulmans d'Espagne jusqu'à la Conquête de l'Andalousie Par les Almoravides 711-1100 (Leiden-1861).

وقد ترجم استوكس F.G. Stokes الكتاب عام ١٩١٣ م إلى اللغة الانجليزية، وأورد في مقدمته شرحاً لحياة دوزي. وقد نشر دوخويه بدوره ترجمة سيرته عام ١٨٨٣ م. (دائرة المعارف البريطانية، الطبعة الرابعة عشرة).

(٣) انظر: كتاب فون كرم (ص ٧ - ٩):

Alfred Von Kremer, Gult - Streifzüge.

(٤) لا يوجد دليل على هذا القول.

والاسم الآخر لهذه الفرقة هو «القدرية»، وقد عُرِفَتْ به أكثر من غيره، وهو ينبىء عن إيمان هؤلاء القوم بحرية الإرادة^(١). (فهم يرون أنهم قادرون على أداء أي عمل يشاءون)^(٢).

وكانت الحديث الموضوع: «القدرية مجوس هذه الأمة» بمثابة الحربة [414] يستخدمها أعداء هذه الطائفة بحرية ضدها. (يقول اشتاينر: لإثبات وجود الشر قليل بوجود أصل آخر في مقابل إرادة الله، وهو إرادة البشر). حتى إننا نجد بعد مدة - في القرن الثالث عشر الميلادي - شاعراً صوفياً إيرانياً يدعى محمود الشبستري^(٣) يقول مشيراً إلى الحديث المذكور:

* كل من اتخذ غير الجبر مذهباً، أطلق عليه النبي: (المجوسى) لقباً^(٤).

كما نلاحظ أن فون كرمر يعتقد أن معبد الجهني (توفي عام ٦٩٩م) كان يروج فكرة حرية الإرادة في دمشق في نهاية القرن السابع الميلادي مقلداً في ذلك إيرانياً^(٥) يدعى سنويه. وقد قُتِلَ بناء على أمر الخليفة الأموي عبدالملك أو الحجاج بن يوسف طبقاً لرواية أخرى.

ويتحدث عوفي (الكاتب الإيراني الذي كان يعيش في القرن الثالث عشر

(١) انظر: كتاب اشتاينر سالف الذكر. ص ٢٦ - ٢٨، حيث يبحث المفاهيم المختلفة للفظ القدر.

(٢) تعليق المترجم:

يقول بديع الزمان فروزانفر: «يعتقد المعتزلة أن القدرة البشرية التي يعبر عنها بالقدرة الحادثة يمكن أن تستند إلى فعل، وأن القدر الإلهي لا تأثير له في إيجاد أفعال البشر. وهذا عكس ما يعتقد أصحاب الحديث الذين يقولون إن القدرة لا يمكن أن تستند إلى فعل، وإن قدرة الله القديمة وحدها هي التي تستند إلى فعل، ويرتبون على ذلك أن تكون أفعالنا من خلق الله تعالى لا من خلقنا نحن، على خلاف المعتزلة الذين يقولون إن فعلنا من خلقنا.

ومن هذا يتضح أن المعتزلة لا يقصدون أن الإنسان يستطيع فعل كل ما يريد وأنه قادر على فعله.

(٣) انظر: كلشن راز لمحمود الشبستري، ص ٣٢، ٤٥ - طبع وهيئفيلد. 1. 538. Whinfield.

(٤) النص الفارسي:

هرانكس راکه مذهب غیر جبراست نبی فرمود کاو ما نندگبر است

(٥) تعليق المترجم: من هذا ندرك أن هذه العقيدة لم تؤخذ عن المسيحية.

الميلادي) في كتابه المخطوط النادر «جوامع الحكايات»^(١) حول الخلفاء [415] الأمويين فيقول: إن هشام بن عبد الملك (١٠٦ - ١٢٦هـ = ٧٢٤ - ٧٤٣م) قد قتل غيلان القَدري في دمشق بتهمة نشر فكرة التفويض أو حرية الإرادة. ولم يكتف العوفي بذلك بل عمد إلى شرح كيفية استجواب الخليفة لغيلان أمام علماء الشام. ويقال - من جهة أخرى - إن يزيد الثاني (١٠٢ - ١٠٦هـ = ٧٢٠ - ٧٢٤م) قد قبل عقيدة القدرية. ولو أمكننا تصديق كلام العوفي لقلنا إن يزيد الثاني كان يعدُّ نفسه من مريدي أسرة على (ع).

والواقع أنَّ خطَّ سير آراء الشيعة والقدرية وعقائدهم كان يتَّخذ اتِّجهاً واحداً في الغالب، كما أن أصول عقائد الشيعة السائدة في إيران حالياً تتفق في كثير من جوانبها مع عقائد المعتزلة، ولهذا فإن أبا الحسن الأشعري - معارض المعتزلة الكبير - موضع نفور وكرهية يفوقان الحد.

ويقول محمد دارابي^(٢) في الشرح الذي وضعه دفاعاً عن حافظ^(٣):
أحد الموضوعات الثلاثة التي تشكّل الصعوبة في أشعار حافظ بصفة عامة

(١) تعليق المترجم: طبعت وزارة المعارف الإيرانية قسماً من هذا الكتاب عام ١٣٢٤هـ. ش. وقد قام محمد تقي بهار ملك الشعراء - الأستاذ بجامعة طهران - بتصحيح متن الكتاب، ونشر بعنوان «منتخب جوامع الحكايات ولوامع الروايات - بخش نخست - براي ديپرستانها».

(تعليق م.ع): عوفي هو سديد الدين محمد بن محمد عوفي البخاري صاحب كتاب (لباب الألباب) الذي طبع في ليدن عام ١٩٠٣م = ١٣٢١هـ. أما كتابه القيم: (جوامع الحكايات ولوامع الروايات) فقد طبع عام ١٣٢٤هـ. ش، ثم طبع عام ١٣٣٥هـ. ش، وقُدِّم له وعلّق عليه الأديب محمد معين.

(٢) انظر الصفحة الخامسة من الرسالة الصغيرة القيمة «الطيفه غيبية» التي كتبها محمد دارابي، وقد طبعت تلك الرسالة طبعة حجرية في طهران عام ١٣٠٤هـ (= ١٨٨٧م). ويذكر براون أن صديقه سيدني جرجيل Mr. Sidney Churchill - أفضل العلماء العارفين بالفارسية في نظره - هو الذي لفت نظره إلى الرسالة المذكورة.

(٣) ديوان حافظ، ج ١ ص ١٦، طبع روزن تسوايگ شوانو Rozen Zweig Schwannaw . =

أنه كان يبدو - في قسم من أشعاره - ميّالا لمبادئ العقائد الأشعرية ويقول: «إن علماء الإمامية (الشيعية الإمامية الاثني عشرية) يعدّون عقائد الأشعرية باطلة. ثم يورد هذا البيت شاهداً^(١)»:

درکوی نیکنامی مارا کذرنداند

کرتونمی پسندی تغییر ده قضا را!

لقد وطئوا حيناً ذا السمعة الطيبة، فبدّل القضاء إن لم يعجبك ذلك!

[416] وقد بلغت طريقة المعتزلة أوج قوتها في أوائل خلافة بني العباس، خاصة إبان حكم الخليفة المأمون (٨١٣ - ٨٤٢م) وحكم ابنة الواثق^(٢) (٢٢٨ - ٢٣٣هـ = ٨٤٢ - ٨٤٧م).

لقد كان الحاکمان وبلاطاهما تحت سيطرة المعتزلة وسلطتهم. وقد أضاف المعتزلة دراساتهم وقراءاتهم في مجال الفلسفة اليونانية إلى مصادرهم في الاستدلال وأساليبهم المنطقية، وبات من المحتمل - نظراً لقوتهم الذاتية وحماية الطبقات الحاكمة لهم - أن يطفئوا سراح الفرقة السنية تماماً.

ومع أن سلوك المعتزلة كان يعتمد على الإدارة والحرية بصفة عامة، إلا أنهم كانوا يُبدون عداوتهم سافرة للسنة والجماعة.

وكان اعتقاد أهل السنة في قِدَم القرآن وفي أنه غير مخلوق.. موضع نفور المعتزلة أكثر من سواه.

= (تعليق م.ع): انظر في ترجمة حافظ الشيرازي: د. الشواربي «أغاني شيراز أو غزليات حافظ الشيرازي (في جزئين) القاهرة ١٩٤٤، ١٩٤٥م = ١٣٦٤ - ١٣٦٥هـ؛ وكذلك «حافظ الشيرازي شاعر الغناء والغزل في إيران» لنفس المؤلف، القاهرة ١٣٦٤هـ = ١٩٤٤م. وترجع أحدث طبعة لديوان حافظ إلى عام ١٣٧١هـ. ش، وقد نشرها فخر الرازي بعنوان «ديوان خواجه شمس الدين محمد حافظ شيرازي».

(١) هذه الانتماءات تشبه في بعض جوانبها ما كان لدى أتباع جان كالفن نحو الدين المسيحي ٩١٥ - ٩٧٢هـ (١٥٠٩ - ١٥٦٤م). وجان كالفن Jean Calvin هو أحد المصلحين البروتستانت.

(٢) تعليق المترجم:

يلذكر آقاي تقي زاده أن الواثق لم يكن ابن المأمون، بل كان ابن المعتصم.

وقد هيا ميل المأمون إلى مذهب الشيعة كل الظروف لإشعال نار حرب أهلية، خاصة عندما اختار ثامنُ الأئمةَ حضرةَ الإمام علي بن موسى الرضا (ع) لولاية عهده وخلافته. (عَدَل المأمون عن رأيه بطريقة عجيبة، فلكي يتخلَّص من هذه المشكلة عمد إلى دسِّ السِّمِّ سرّاً للإمام، وحرَّض على قتل وزيره فضل بن سهل. وكانت جريمة فضل بن سهل تنحصر في تحمُّسه بشأن ولاية الإمام أكثر من الحدِّ. وحثُّه المأمون على هذا... مفكراً في مصلحته).

وفي عام ٢١١هـ = ٨٢٦م (انظر الطبري، ج ٣ ص ١٠٩٩)، أعلن المأمون^(١) أنَّ القرآن مخلوق وليس قديماً، وأن هذا الأمر حقيقة لا تقبل البحث. وبعد سبع سنوات - في آخر عام من خلافة المأمون - أجبر هذا الخليفة سبعة من فحول العلماء (من بينهم ابن سعد الكاتب الواقدي المؤرخ العظيم) على اتِّباع هذا الرأي واعتناقه. ثم كتب خطاباً مطوّلاً إلى إسحق بن [417] إبراهيم يأمره فيه أن يحاكم العلماء الذين يشك في قبولهم لهذا الرأي، وأن يعاقب كل من لا يقول إن القرآن مخلوق وحادث. وقد سيق إلى هذه المحاكمة ما يقرب من أربعة وعشرين شخصاً من جَلَّة المسلمين، من بينهم ابن حنبل مؤسس أحد مذاهب السُّنة والجماعة الأربعة، وأُجبرت الغالبية - بالتهديد والحبس - على التصديق على قول الخليفة بأن القرآن مخلوق. وقد وقَّعت الغالبية باستثناء أحمد بن حنبل الذي بقي على عناده وصلابته، ولولا وفاة المأمون المفاجئة لتعرَّضت روح ابن حنبل لخطرٍ كبير^(٢).

(١) (تعليق م.ع): وَلَدُ هَارُونَ الرَّشِيدِ مِنْ أُمِّ إِيرَانِيَّةٍ. حَارَبَ أَخَاهُ الْأَمِينَ فَتَسَبَّبَ فِي قَتْلِهِ وَاسْتَوْلَى عَلَى الْخِلَافَةِ بَدَلًا مِنْهُ، وَمُنِحَ وِلَايَةُ خُرَّاسَانَ لِقَائِدِهِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ فَأَسَّسَ الدَّوْلَةَ الطَّاهِرِيَّةَ. انظر: براون: تاريخ الأدب في إيران، ج ١ (الباب الأول والثاني)، تعريب أحمد كمال، نشر جامعة الكويت ١٩٨٤، ١٩٩٣م صفحات متفرقة؛ الجوارى والشعر في العصر العباسي الأول لسهام الفريخ، نشر الكويت ١٩٨١م = ١٤٠١هـ، ص ٢٤؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد أو مدينة السلام، بيروت (بدون تاريخ)؛ ٣٥٠٠ عام من عمر إيران لأحمد كمال، نشر مؤسسة الصباح بالكويت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م، ج ١ ص ٢٦٨.

(٢) انظر الطبري، ج ٣ ص ١١٢١-١٣٣١، حيث يذكر هذه الحادثة بالتفصيل.

وقد اقتدى الواثق بأبيه^(١)، فحرّض أحمد بن نصر الخزاعي - في عام ٢٣١هـ (٨٤٥-٨٤٦م) على أن يحيك مؤامرة خطيرة. غير أن افتقار بعض معاونيه إلى الحيلة والحذر وفقدانهم السيطرة على عقولهم بسبب إفراطهم في الشراب وئملهم بتأثير النيذ^(٢) كان سبباً في إفشائهم سر المؤامرة. ومع ذلك فقد أمر الواثق - في أثناء تبادل الأسرى في نفس العام^(٣) - أن يُسأل كل من يطلق سراحه عن رأيه في هذا الموضوع الهام، وأن يظلّ في الأسر من يقول: إنّ القرآن لم يُخلق وإنّه قديم (لأنه كان يعتقد أن مثل هؤلاء الأشخاص خارجون عن حدود الإسلام).

وطبقاً لما أدلى به الطبري^(٤) في موضع آخر حول من أطلق سراحهم من [418] الأسرى.. يتضح أنه قد طلب منهم أن يقولوا إن الله سوف لا يتجلّى يوم القيامة لأعين خلقه^(٥). وكان القولُ بغير هذا^(٦)، كما كان القول بقدّم القرآن وإنكار خلقه.. بعض عقائد السّنة والجماعة الذين يتبعون نص القرآن في كل الأمور، ويتجنّبون التأويل الذي يفضّله أعداؤهم ويولونه اهتمامهم. [419] وهذه النقطة هي الأخرى محل موافقة الشيعة والمعتزلة اليوم.

(١) تعليق المترجم: يذكر تقي زاده أن الواثق لم يكن ابناً للمأمون بل كان ابناً للمعتصم.

(٢) الطبري، ج ٣ ص ١٣٤٣-١٣٥٠؛ كتاب دوزي حول الإسلام، ص ٢٣٨-٢٣٩.

. Dozy, I' Islamisme

(٣) الطبري، ج ٣ ص ١٣٥١.

(٤) الطبري، ص ١٥٣٣-١٥٣٤.

(٥) تعليق المترجم: يقول بديع الزمان فروزانفر موضحاً: «يعتقد أصحاب الحديث والأشعرية أن الله يُرى يوم القيامة، ويجيزون الرؤية، ويستندون في ذلك إلى حديث الرسول ﷺ: إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر. وذلك على خلاف المعتزلة والشيعة.. الذين ينكرون جواز الرؤية بالأدلة العقلية والتقليدية، وبصريح الآية الشريفة: لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار».

(تعليق م.ع): سورة الأنعام، الآية ١٠٣، وبقية الآية «وهو اللطيف الخبير».

(٦) تعليق المترجم: فيما يتعلق بإمكانية رؤية الله أو عدم رؤيته يحكي القاضي نورالله الشوشري هذه الحكاية عن بهلول في «مجالس المؤمنين»: «الشيخ الفاضل الواصل بهلول بن عمرو العاقل، رُوّح الله روحه، هو وهب بن عمرو الذي كان من عقلاء المجانين، ويدعوه الجهلاء بالمجنون».

ويقول محمد دارابي في رسالته «لطفه غيبه»: إنَّ حافظاً قد نظم بيتاً في مجال الشك، يميل فيه إلى إحياء حياة السنَّة المقتربة باسم الأشعري:

* إن الروح التي أودعها الحبيب لدى حافظ لهي بمثابة العارية،
وسوف أرى وجه الحبيب يوماً وأسلمها له^(١).

= مولده الكوفة. وطبقاً لما جاء في تاريخ كزنده فقد كان من بني أعمام هارون الرشيد العباسي، والتلميذ المصطفى لحضرة الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وأحد أتقيا عصره. ويقال إن هارون كان - في سبيل المحافظة على ملكه العقيم - دائم التصدي للإمام واجب التعظيم. وكان يثير الحجج على يبلغ منزلة الشهادة. وبلغ به الأمر حد اتهام الإمام بالتمرد. واستفتى أتقيا زمانه - ومن بينهم بهلول - في شأن قتل الإمام المعصوم، فأفتوا بذلك، باستثناء بهلول الذي توجه لمقابلة حضرة الإمام وأخبره بالأمر وطلب مشورته، فأشار عليه بالتظاهر بالجنون وعدم الوقار؛ فعمل بهلول وفق إشارة الإمام واجب الطاعة وخلّص نفسه من تكليف هارون. وكانت لبهلول مناظرات عديدة مع أبي حنيفة الكوفي، وكان دائم الملازمة له والاحتكاك به. ويقال إن بهلول مرّ يوماً بباب أبي حنيفة فاستمع إليه يقول لتلاميذه: إن الإمام جعفر الصادق عليه السلام يقول: ثلاثة أشياء لا أستحسنها: أولها أن الشيطان سوف يعذب بالنار، إذ كيف يمكن أن يعذب بالنار وهو منها؟ وثانيها: أن الله لا يمكن رؤيته، إذ كيف يمكن أن يكون هناك شيء له وجود ولا يمكن رؤيته؟ وثالثها: أن فاعل الفعل هو الشخص نفسه، بينما جاء خلاف ذلك في النصوص.

فلما انتهى من كلامه التقط بهلول قالباً من الطين وألقاه عليه وولّى هارباً. وأصاب الحجر جبهة أبي حنيفة فشجّها وتسبب في إيلائه. وجرى أبو حنيفة وتلاميذه وراءه وأمسكوا به، وسبق إلى الخليفة وقدمت شكوى في حقه. فقال بهلول لأبي حنيفة: ما الظلم الذي حاق بك على يدي؟ قال أبو حنيفة: لقد ألقيت قالباً على جبتي، وما زالت رأسي تؤلمني. قال بهلول: أرني الألم. قال أبو حنيفة: كيف يمكن رؤية الألم؟ قال بهلول: لماذا إذا كنت تحتج على الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وتقول كيف يكون الله تعالى موجوداً ولا يمكن رؤيته؟

ثانياً.. أنت كاذب في ادّعاءك الألم نتيجة إصابتك بقالب الطين، فالقالب من تراب وأنت من تراب، ويجب ألا يتأثر التراب من التراب ويتعذب بسببه قياساً على الاعتراض الذي وجهته للإمام، وقولك: الشيطان من نار فكيف يتعذب بالنار. كما أنك استبعدت صحة قول الإمام: «إن العبد فاعل فعله». وما دام العبد لا يفعل فعله فلماذا أحضرتني إلى الخليفة طالبا القصاص؟ ورأى أبو حنيفة أنه عاجز عن الرد عليه بكلام معقول، فخجل، ونهض تاركاً المجلس. (تعليق م.ع): مثل هذه الروايات في حاجة إلى الأسانيد، ويقصد بها وبأمثالها النيل من شخصية سنّة عظيمة، وهذا غير مقبول.

(١) النص الفارسي:

آين جان عاريت كه بحافظ سپرد دوست روزي رخس به بينم وتسليم وي كنم

إن مشاعر التقريظ والاحترام التي ذكرناها تجاه المعتزلة، وجلال هذا العصر العجيب الذي يدين لأفكار المعتزلة التحررية يجب ألا يصرف انتباهنا عن جوانب أخرى من جوانبها هو جانب الخشونة المفرطة التي تستوجب [420] الأسف، تلك الخشونة التي كان المعتزلة يبدونها تجاه بعض العقائد، بينما هذه العقائد ما تزال جارية سارية تحظى بقبول العامة في الممالك السنية بأسرها، ولعل هذه الخشونة كان لها ما يبررها، ولعل المعتزلة أو القدرية كانوا يعلمون أن الالتزام بالجبر^(١) سيؤدي بالتالي إلى ضياع العمل والجهد وسد سبيل الرقي والتقدم. (يصدق هذا المعنى - بدلالة العقل وحكم المنطق - على حياة الأفراد اليومية في آسيا أكثر منه في أوروبا. . وبعبارة أخرى فإن سكان آسيا يطبقون المسائل النظرية - وفق منطقهم (أو معتقداتهم) - على شؤون الحياة العامة أكثر مما يفعل سكان أوروبا)^(٢). ووجوب الاعتقاد بالأزلية والأبدية يوحى بالطبع بوجوب الاختصار على ظاهر الألفاظ ومخالفة التأويل.

(١) تعليق المترجم: استعمل المؤلف هنا لفظ الكالفينية المفرطة (Extreme Calvinism) مرادفاً للفظ (Fatalism) ومعناه الجبر. لكنه يقول إن اللفظ الثاني على ما يبدو هو الأرجح. وليكن معلوماً لنا أن أحد رجال الدين الفرنسيين، واسمه جان كالفن Jean Calvin، هو الذي أسس هذا المذهب الكالفيني. ولد جان كال عام ١٥٠٩م، وتوفي عام ١٥٦٤م. وتعد مسألة القدر إحدى النقاط الخمس التي تنحصر فيها تعليماته. وقد قال فيها إن الله يختار أفراداً تواكب مصيرهم عنايته ورحمته. وقد أطلق على أتباع هذا المذهب هذه التسمية: «المُصْطَفُونَ». انظر: فرهنك ويست:

Webster's New International Dictionary, Second Edition, Unabridged, 1952, Spring Field, Mass. U.S.A.

ويتميز مذهب كالفن عن بقية مذاهب البروتستانت بإنكاره التام للآداب والسنن والتقاليد، واعترافه بالقدرة والمشيئة الأزلية. وقد انتشر أتباع كارل فن في سويسرا وهولندا والمجر واسكتلندا. (انظر: لاروس).

(٢) تعليق المترجم: متن هذه العبارة في الأصل الإنجليزي. . مبهم غامض إلى حد ما. وربما كان المقصود أنهم في ممالك أوروبا يؤمنون بحرفية كلمة المصير والقسمة الأزلية، بينما هم في الممالك الآسيوية قل أن يعملوا وفق هذا المفهوم.

[421] وربما تنبّه المعتزلة إلى أن هذا التفسير يجعل الدين بالضرورة محصوراً في دائرة ضيقة محدودة ثابتة جامدة على نحو يقضي على إمكانية التعاطف والتلاقي مع الأوضاع الجديدة، ولا يتيح الفرصة لإدخال العقيدة والإيمان في ذهن الأذكياء. ولعلهم فكّروا أيضاً في أنّ الإيمان بإمكانية رؤية جمال الحق تعالى يؤدّي إلى تصوّر باطل، يلزم في وجوده أن تبدو ذات الله على صورة البشر. والمهم أن ما قرّره تلك الطائفة وما لم تقرره كان علة انتصار المتمسكين بالموازن والمقولات العامة.

وحقيقة الأمر أن ما ترتّب على ذلك من آثار، وما ترتّب على انتصار أبي الحسن الأشعري (موضوع حديثنا في أحد الفصول القادمة)، وما ترتّب على سقوط الخلافة ونهب بغداد وتخريبها بيد المغول المغيرين المتوحّشين الهدّامين في أواسط القرن الثالث عشر قد سارع بتفهم الإسلام. لقد سعى جنكيز وهولاكو^(١) من جانب وأبو الحسن الأشعري من جانب آخر في تقويض صرح مفاخر العصر الذهبي العباسي الماديّة والمعنويّة. لقد اجتهدوا أكثر من سواهم - وعلى نحو لا يمكن تصوّره - في تخريب ما شيّده الخلفاء العباسيون الأوائل.

وقد شرح دوزي بوضوح واختصار مظاهر التقدّم العديدة التي حقّقها المعتزلة^(٢)، وذلك في قوله: «عدّلت مبادئ عقائد المعتزلة وانتشرت فيما بعد في صورة أكثر جدّة، وفي ثوب آخر وصورة مختلفة خاضعة لنفوذ فلسفة أرسطو. وطبقاً لما تقتضيه طبيعة الأشياء وماهيّتها. . انقسمت فرقة المعتزلة بدورها إلى عدّة فرق. لكن المعتزلة جميعاً كانوا - فيما يتعلق بالنقاط الأساسية

(١) (تعليق م.ع): لمعرفة الكثير حول هذين الحاكمين وحول المغول بصفة عامة، ارجع إلى كتاب الدكتور الصياد (فؤاد عبدالمعطي): «المغول في التاريخ»، طبع مصر، وكذلك كتاب المؤرخ جويني (عظاملك): «جهانگشا»، طبع طهران بإشراف سيد جلال الدين تهراني، طبع ليدن ١٩١١م = ١٣٣٠هـ، ١٩١٦م = ١٣٣٥هـ، ١٩٣٧م = ١٣٥٦هـ، طبع لندن ١٩٢١م = ١٤٣٠هـ وكتاب: «دراسات في تاريخ المغول والعالم الإسلامي» للدكتور محمد السعيد جمال الدين، وكتاب «تاريخ إيران از مغول تا افشاريه» لرضا بازوكي، ١٣١٧هـ = ١٨٩٩م.

(٢) انظر كتاب دوزي Dozy حول الإسلام، ترجمة شون Chauvin، ص ٢٠٥.

[422] - متفقين في آرائهم، مجمعين على إنكار وجود صفات الحق وكل ما يخالف مبدأ التوحيد. ولما كانوا يؤمنون بأن الله منزّه ومبرأ عن أي عمل يخالف العدل، فقد اعتقدوا بأنّ الإنسان حُرٌّ ومخيّر تماماً في سلوكه وعمله. وقد نصّت إحدى تعاليم المعتزلة على أنّ كل الحقائق اللازمة لخلاص البشر ونجاتهم من المعاصي ومن العقاب.. مرتبطة بالعقل^(١). وفي ظل العقل وحده وبقوّته وسلطانه يمكن تتبّع حقائق الأمور. ويصدق هذا الأمر سواء قبل نزول القرآن أو بعد نزوله، على نحو يُقيّد الإنسان بهذه الحقائق في كلّ زمان ومكان. لكن الفرق المختلفة التي انشعبت عن هذا الحزب أضافت إلى الآراء وتعمّقت فيها بشدّة اهتمّ بعضها - على العكس من ذلك - بالجزئيات الدقيقة وتفاصيل الأمور، وعمدوا إلى المعارضة، حتى لقد أبدوا اختلافات كبيرة حول روح الإسلام، فقد آمن بعضهم - على سبيل المثال - بالتناسخ، وكانوا يتصورون أن كل نوع من الحيوانات يشكّل تشكيلاً اجتماعياً، ويتّخذ من بينه رسولا. ومن عجيب ما قيل إنهم كانوا يعتمدون في ذلك الاعتقاد على آيتين قرآنيتين. وقد اتّخذ هذا اللون من الجنون أشكالا عدّة. غير أن الإنصاف والعدل يقتضي ألاّ نعتبر كل فرقة من فرق المعتزلة مسئولة عن أخطاء بعض أفرادها، فلو نظرنا إلى أقوالهم وأفعالهم مجتمعة لرأينا وجوب احترامهم.

وقد تبع المعتزلة طريقة العقل والاستدلال بفضل تدبّرهم وتأملهم في أحكام الشرع، وعن هذا الطريق برزت إحدى مقولاتهم الأساسية، ومفادها أن القرآن حادث لا مخلوق. رغم مخالفة هذا الكلام لقول الرسول عليه السلام. وكانوا يقولون: إن قولنا بقدّم القرآن وكونه غير مخلوق مرجعه أننا نؤمن بالموجودين: الأزلي والأبدي. كما أننا نعتبر القرآن - أي كلام الله - في زمرة المخلوقات، فلا يمكن اعتباره - بناء على ذلك - مرتبطاً بذات الخالق، لأن ذاته لا تتغيّر^(٢).

(١) تعليق المترجم: المقصود هو أن الحسن والقبيح عقليّان لا سمعيّان.

(٢) تعليق المترجم: يرى بديع الزمان فروزانفر أنه لا صلة بين الاعتقاد بخلق القرآن وبين هذه الموضوعات والاستنباطات التي ذكرها الكاتب، والتي لا أساس لها. (تعليق م.ع): وأرى نفس رأي بديع الزمان، وكان الأولى بالكاتب أن يلتزم بأساسيات المذهب دون الخوض في موضوعات لا يسيطر عليها ولا دليل لديه على صحة ما يستنتجه من خلالها.

[423] وعن هذا الطريق تزلزل أساس نزول الوحي إلى حد كبير، وصرح العديد من المعتزلة علانية بأن كتابة نظير للقرآن - بل وأفضل منه - أمرٌ ممكن. ونجم عن ذلك اعتراضهم على كون القرآن كتاباً سماوياً، واعتراضهم على نزوله بطريق الوحي. وكان اعتقادهم في الله أظهر وأسمى من اعتقاد أهل الشرع والتمسكين بأوامر الله والموازنين الشرعية وأهل السنة؛ لأنَّ المعتزلة لم يخضعوا قط للفكرة القائلة بأن خالق الدنيا يمكن أن يظهر على صورة جسمانية، بل ولم يكن لديهم استعداد لسماع هذا الكلام.

وقد ورد في الخبر أنَّ الرسول الكريم قال: سوف ترى ربك يوماً كما رأيت قمر التمام في حرب بدر^(١). ولما كان المتمسكون بالشرع يتلقون الكلام المذكور وفق منطوقه فإنَّ هذه المسألة كانت تشكُّل دائماً حجر عثرة في طريق المعتزلة، مما ألجأهم إلى التفسير والتوضيح.

ومما قاله المعتزلة إنَّ الإنسان سوف يرى الله - بعد الموت - بعين الروح المبصرة أي بدليل العقل. كما أنهم أنكروا القول بأن الله الكريم هو خالق [424] الكافرين^(٢)، ولم ينظروا بارتياح إلى الكلام المقدس القائل في حق الله سبحانه: هو الذي يضرُّ وينفع^(٣).

(١) ربُّما يكون الخبر الذي تمسكوا به فيما يتعلق برؤية الله هو ذات الخبر الذي توصل إليه دانش پژوه: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر (أو ليلة تمامه)». انظر: شرح عقائد النسفي للتفتازاني، طبع مصر ١٣٢٩م، ج ١ ص ١٤٠. وقد رجعنا إلى المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي - باهتمام فنسك Wensink أستاذ العربية بجامعة ليدن، ١٣٥٥هـ = ١٩٣٦م، فلم نجد حديثاً حول «حرب بدر» أو ما يتضمن موضوع هذه الفزوة.. فلا شك أن هذا الخبر خاطيء.

(تعليق م.ع): لا وجود لهذا الحديث في كتب الحديث المعتمدة.

(٢) كان هدفهم ولا شك أن خالق الكائنات المؤمنة قد خلق بقوته جميع المخلوقات، وأن الكفار - بسبب عصيانهم - قد أحبوا الكفر ورغبوا فيه وأتجهوا إليه، ولم يك ذلك بإرادة الخالق سبحانه.

(٣) في «الجوشن الكبير» (شرح الحاج ملاهادي سبزواري، ص ١٣٣) جاءت هذه الصفات جزءاً من أسماء الله: «يا ضار يا نافع». وفي الآية ٤٩ من سورة يونس، يقول الحق سبحانه: ﴿قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله﴾ ويقول حافظ:

=

ولم تكن المعجزات الواردة في القرآن موضع قبولهم، فقد أنكروا أن يكون البحر قد جفَّ ليعبره بنو إسرائيل بقيادة موسى عليه السلام، كما أنكروا أن تتخذ عصا موسى صورة الحية، وأن يُحيي عيسى عليه السلام الموتى بعد موتهم^(١).

ولم يسلم الرسول عليه السلام بدوره من هجومهم، فقد ذكر أتباع إحدى الطرق الإسلامية أن زوجاته كنَّ يتجاوزن الحد، وأنَّ أبا ذر الغفاري - أحد معاصري الرسول - كان يفوقه زهداً وطاعة وتقوى إلى حدٍ كبير^(٢).

إذا ما داهمك التعب أو دانت لك الراحة أيُّها الحكيم

فلا تنسب حدوث أي منهما لأحدٍ غير ربِّك العظيم.

گررنج پشست آید و گر راحت آید حکیم نسبت مکن بغير که اينها خدا کند

ولا وجود لذلك في قسم الضاد والنون في كشف الأحاديث لفنسينك المسمى بالمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي عن الكتب الستة وعن مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل.

(١) مصداق ذلك الآيات: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾، البقرة: ٥٠. ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فُلٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ﴾ الشعراء: ٦٣. ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَمْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ الشعراء: ٣٢. ﴿وَأَبْرَأَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأَحْيَى الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ آل عمران: ٤٩.

(٢) تصريحات دوزي Dozy - المستشرق الهولندي - التي أطلقها في حق خير الأنام . . موضع الاستنكار والنفور، ولا تحظى بالقبول، بناء على الأدلة التالية:

أولاً: لم يُطْلَعنا على اسم الفرقة الإسلامية التي ادَّعت مثل هذا الادعاء الباطل ومنحته تأييدها. ثانياً: كان أبو ذر - مذ أسلم حتى لفظ أنفاسه - واحداً من أتباع الرسول المخلصين. وكان شأنه شأن غيره من قادة المسلمين يعتبر نفسه فصَّ خاتم الجلال وجوهر عنصر الكمال. وكان يسير في طريق الطهر والعفة تبعاً للرسول الكريم.

لقد كان أبو ذر مريداً والرسول مراداً، وتلميذاً والرسول أستاذاً والمريد الذي يقفو خطوات قائده لا يكون إماماً. ولا يمكن بداهة أن يكون التابع هو المتبوع أو أن يكون هذا وذاك في آن معاً. الحق أن أبا ذر كان أحد الزهاد النادرين في عصره . . فلو أن صفوة الخلق أجمعين أبدى ضعفاً في نقطة كهذه ما تبعه وما اقتدى به. وفي ذلك يقول فروزانفر: أي عفة تلك التي كان يتحلَّى بها أبو ذر، وأي تقوى تلك التي كان يتَّصف بها، وأي طاعة تلك التي كان يتمتع بها . . ولم تكن مقتبسة عن رسول الله! لقد كان واحداً من آلاف الصحابة الذين رثيهم روح الرسول الطاهرة.

(تعليق م.ع): اتَّفَقَ تمام الاتفاق مع المؤلف والمعلِّق الفارسي في دفاعهما، واستنكر تمام الاستنكار ما ذكره «دوزي» في هذا الشأن. وما دأما قد دافعا بإخلاص بالنسبة للمقارنة بين أبي ذر والرسول عليه السلام، فإنني يهمني أن أعلِّق على النقطة الخاصة بزوجات الرسول وأنهنَّ كن يتجاوزن الحد. فإن كان المقصود كثرة العدد، فإن الرسول الكريم (إلى أن يبلغ الخمسين من

[425] ونترك دوزي إلى أفضل شرح للأورويين متعلقاً بالمعتزلة. وكتاباً هذا الشرح هما اشتاينر^(١) وفون كرممر. غير أن الواجب يقتضي منا أن نكتفي بالاختصار، وأن ندرج نتائج دراستيما الخاصة بتقدم هذه الطائفة ونفوذها، ثم نجمل الكلام بعد ذلك في موضوع زوال هذه الحركة المهمة.

= عمره) لم يكن قد تزوج بغير «خديجة». وإن كان بعد ذلك قد تزوج الكثيرات فإن ذلك كان قبل التحديد بأربعة. ولم يكن زواجه عن شهوة وإنما لظروف بيئية ودينية؛ فقد تزوج من الأسارى ليرد الجميل لبني المصطلق، وتزوج من «جويرية» ودفع فديتها فقلده الصحابة وأفرجوا عن السبايا. ولو كان يسعى إلى إشباع شهوة لتزوجهن أبكاراً، فباستثناء «عائشة» كانت الباقيات ثيبات. وإذا كان عليه السلام لم يطلق بعد التحديد الذي جاء به القرآن فهذا من خصوصياته عليه السلام، لأن نساءه - بموجب كلام الله سبحانه - لا يحلون لإحد من بعده. فحرام تركهن. وإن كان مقصود الكاتب أن زوجاته عليه السلام كن يتناولن عليه بإفشاء سره أو التظاهر عليه، فهذا شيء يعرفه كل المسلمين، وتفصله سورة التحريم، فمن تفسير الآية: «يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم» نفهم أن الرسول الكريم قد حرم على نفسه شرب العسل حتى يرضي زوجته «عائشة» و«حفصة» اللتين تواطأتا أن تقولاً له إذا دخل عليهما إنا نجد منك ريحاً. وقيل إنه حرم جاريته «مارية» على نفسه حين غضبت زوجته حفصة لأنه أتى الجارية في بيتها. ولأنه حرم على نفسه ما أحله الله. عاتبه ربه عليه. ومن تفسير الآية: «وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير» نفهم أن حفصة قد أفشت سراً ائتمنها عليه كالخلافة أو غير ذلك. ومن تفسير الآية: «إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير» نفهم أن الرسول الكريم كان يوجه الخطاب إلى حفصة وعائشة اللتين تظاهرتا عليه، وتعاضدتا وتعاونتا في الغيرة عليه، وإفشاء سره. وقيل: كان التظاهر بين عائشة وحفصة في التحكم على النبي عليه السلام في النفقة. ومن تفسير الآية: «عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً» نفهم أن الله سبحانه قد وجه إليهن تهديده تخويفاً لهن حتى يكفوا عن التظاهر على الرسول وإفشاء أسرارهم. وهكذا تجاوزن الحد، وهكذا وقف الرسول منهن موقف المعاتب الناصح، وهكذا نصره ربه وأطلعه على نواياهم، وعاتبه على تحريم ما أحله الله له، ولئلا يحزن الله المعاندين ويرد كيد الكائدين.

(١) كتب «شتاينر» رسالتين طبعتا عام ١٨٦٥م = ١٢٨٢هـ.

Die mu'taziliten oder die Freidenker im Islam: die Mu'taziliten als Vorläufer der Islamischen Dogmatiker und Philosophen.

nebst Anhang. enthaltend Kritische Anmerkungen Zu Gazalli's Aunqidh.

لقد اختلف هذان العالمان في أصل المعتزلة ونشأتهم. يقول اشتاينر: «نشأت فرقة المعتزلة في أول مراحل الإسلام، وكانت منعزلة مستقلة عن كل المؤثرات الخارجية».

أما ثون كرمر فيرى أن حركتهم كانت - منذ البداية - خاضعة لتأثير الديانة المسيحية، وأن فكرهم كان - على أي حال - خاضعاً في أول الأمر لتأثير الفلسفة اليونانية الشديد.

يقول شتاينر في الصفحة الخامسة من رسالته:

«يمكننا أن نقول إن المعتزلة كانوا أول من عُني بالاطلاع على ترجمة مؤلفات الطبيعيين والفلاسفة اليونانيين، واستنبطوا من علوم تلك المؤلفات كل دراساتهم المفيدة. وقد كانت ترجمة المؤلفات المذكورة في حوزتي المنصور والمأمون (٧٥٤ - ٧٧٥ م و ٨١٣ - ٨٢٣ م)، (١٣٧ - ١٥٩ هـ و ١٩٨ - ٢٠٨ هـ).

[426] وبفضل الجهد والاهتمام الكبيرين غيّر المعتزلة مسيرة أفكارهم التي كانت ماتزال محدودة في دائرة عقائد القرآن الضيقة^(١)، فسارت في مسارٍ جديد خلطوا فيه بين ثقافة اليونان والمعارف الإسلامية.

(٢) تعليق المترجم:

«ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين». سورة البقرة/ ٢. لعل هذا الشخص لم يفهم تشابهات القرآن الكريم؛ إذ أنه لا توجد - بحالٍ من الأحوال - دائرة أوسع من دائرة القرآن. وكلام اشتاينر لا أساس له من الصحة على الإطلاق؛ لأن المعتزلة والأشاعرة كليهما كانا يتمسكان بالقرآن ويسنّه الرسول الكريم. وقد ثار متكلمو الأشاعرة والمعتزلة وسائر الفرق، ووقفوا في وجه انتشار العقائد اليونانية التي كان لها رونقها وشهرتها آنذاك، وأوجدوا علم الكلام في ذلك العهد بهدف إبطال الفلسفة اليونانية. والمعروف أن مبحث الآيات المحكمات والمتشابهات من المباحث الصعبة الشائكة في علم القرآن.

انظر:

(أ) «كليد فهم قرآن» (مفتاح فهم القرآن)، تأليف العلامة فقيد الشريعة «سنگلجی» رضوان الله عليه، طبع طهران ١٣٦١ هـ = ١٩٤٢ م ص ٦٦ وما بعدها.

(ب) كتاب «المعجزة الخالدة»، تأليف سماحة الحجة السيد هبة الدين الشهرستاني، الطبعة الثانية، ١٣٧١ هـ = ١٩٨١ م، مكتبة الجوادين العامة في الكاظمية، خاصة الفصل الذي يحمل عنوان: «إقرار عظماء الافرنج بعظمة القرآن».

= (ج) كتاب «تفسير القرآن الكريم» (سورة الحمد المباركة)، تأليف علامة المجتهدين حجة الإسلام السيد محمد سنكلجي، الأستاذ بكلية الحقوق بطهران، ١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م.

(د) كتاب «تلخيص البيان في مجازات القرآن» تأليف السيد الأجل الشريف الرضى، مع مقدمة للعلامة التحرير السيد محمد مشكوة، الأستاذ بكلية الحقوق والمعقول والمنقول، طبع طهران، مطبعة المجلس، رمضان ١٣٧٢هـ ق = اردى بهشت ١٣٣٢ هـ. ش.

وقد أورد السيد مشكوة في تلك المقدمة معلومات. نوجزها فيما يلي:

«إذا كان المقصود هو أن دائرة القرآن ضيقة بالنسبة لمن يتغنون التوصل إلى فهم معانيه وموضوعاته وحقائقه.. فهذا كلام صحيح؛ فقد قيل إنَّ للقرآن ظهراً ويطناً وَحَدّاً ومطلعاً.. (انظر: الإلهيات، خاصة أسفار ملاصدرا، في الفصل الذي يحمل نفس العنوان، وانظر كذلك: مفاتيح الغيب، ومقدمة تفسير الصافي، والمجلد الأول من تفسير البرهان).

أما إذا كان المؤلف يهدف من وراء قوله (دائرة القرآن) أن هذا الكتاب المدون الواقع بين الدفتين لا ينبغي توضيح الحقائق والمباحث، ويفتقر إلى الموضوعات، فهذا كلام غير صحيح، لأنَّه: أولاً: يشتمل على مخالفة صريحة لنص القرآن نفسه، ونعني به النص القائل: «ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين» (الأنعام/٥٩)، فالمقصود - طبقاً للتفسير - هو القرآن نفسه. ويتضح من النص أنه لا يوجد رطب ولا يابس إلا وقد ذكره القرآن الكريم.

ثانياً: يتضح من فلسفة الشرط وكتب العرفان أنَّ الكتاب التدويني والكتاب التكويني متطابقان في كل شيء، ومتماثلان في سائر الجزئيات والكليات. والكتاب التكويني عبارة عن عالم الوجود بأسره، أي وجود الخالق والمخلوق والصانع والمصنوع الذي يرى على مستويين: ننظر مرة فنراه قائماً بالموجد والخالق، ونقرأ كلام الله فإذا بعالم الوجود برؤيته هو منشور الفيض الأقدس الذي هو مرتبة الذات الإلهية في حالة تحديد كل الأسماء والصفات، فتعبّر عن هذه المرتبة بالله. وننظر مرة أخرى فنظن أنَّ المخلوق منفصل عن الخالق معزول عنه، ونسمي العالم التكويني بأسره كتاب الله:

كُنَّا حُرُوفاً عَالِيَاتٍ لَمْ تُثْقَلْ مَتَعَلِّقَاتٍ فِي ذُرَى أَعْلَى الثَّقَلِ

انظر («مصباح الأسم» لصدر الدين القونوي؛ و«إلهيات» - أسفار ملاصدر - الفصل الذي ذكر فيه الفرق بين كتاب الله وكلام الله، والفصل الذي يحمل نفس العنوان في كتاب «مفاتيح الغيب» لملاصدرا؛ و«شرح فصوص الحكم» للقيصري؛ وغير ذلك من المراجع التي دُكرت آنفاً).

(تعليق م.ع): هذا رد بليغ لم يعمد فيه الكاتب إلى مصادرة رأى شتاينر وإنما وضع به يد القارئ على خطأ من يقولون إنَّ الكتاب المدون بين الدفتين قاصر عن توضيح الحقائق مفتقر إلى الموضوعات. ويبقى هنا أن أسجل شكّي في نوايا هذا المستشرق.

وقد دار حديث حول هذا الموضوع في كتب الفلسفة وفي مباحث التطبيق بين العالمين (العالم الصغير والعالم الكبير) لهذا يتقل ملاصدرا - في رسالة متشابهات القرآن (النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة الجامعة) - عن الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي قوله في آخر مؤلفه المسمّى «رسالة أقسام الذات»:

... وقد تتبعت الطرق الكلامية والمذاهب الفلسفية فما وجدت شيئاً منها يشفى عيلاً أو يروي غليلاً إلا القرآن.

والإمام فخر هذا هو عين الشخص الذي اعتبره صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي في كتابه «الوافي بالوقيات» أكبر رجال العلم والمعرفة وأكثرهم شمولاً. استناداً إلى سيطرته الكاملة على فروع العلوم كلها. ويدرك أهل العلم والمعرفة أن ما قاله الصفدي في حق الإمام فخر صادق كل الصدق.

كما ينقل ملاًصدر عن خونجي - أحد كبار المشاهير - ما قاله، ويستشهد به في أوائل «شرح الهداية» وفي عدة مواضع من تصانيفه. ومما قاله: حين نعمن - نحن العلماء - النظر في قول أي عالم ترى هذا العالم مسيطراً على قوله، لكننا حين نقرأ آية من آيات القرآن الكريم نجد أنفسنا خاضعين لها عاجزين أمامها. وبعبارة أخرى فإن باستطاعتنا التحكم في كلمات الآخرين والتصرف في أقوالهم، أما القرآن الذي نقرأه فإنه قول إلهي يتحكم فينا ويصرفنا، ولا نملك إلا الخضوع له والعجز قبلته... «قل لئن اجتمعت الجن والإنس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» (الإسراء / ٨٨).

وليس إعجاز القرآن كامناً في الفصاحة والبلاغة وتراكيب الكلام فحسب، بحيث لا يستطيع الفصحاء والبلغاء أن يأتوا بمثله، بل إن العلماء وكبار الفلاسفة يرونه - من جهة تجليته للموضوعات وبيانه للحقائق - أكبر المعجزات الخالدة. ولهذا استنبط ملاًصدر قاعدة... اتحاد العاقل والمعقول من قراءة سورة الحديد المباركة ظهر يوم عيد الأضحى، وقد فصل ذلك الموضوع في أواسط المجلد الأول من الأسفار، في قوله:

أعتقد أن أي عاقل يقرأ الفصول الأولى من «الهيئات الأسفار»، وشرح مبحث التوحيد في شرح إشارات خواجة نصير، ويفهم ما يقرأ، ثم يتلو من آيات القرآن الكريم هذه الآية الشريفة «شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط»... (آل عمران / ١٨)، سوف يدرك في الحال أن الآية الكريمة ليست محل مقارنة في بيان برهان الصديقين على توحيد واجب الوجود، وأنها قد فصلته وجلته أفضل ألف مرة مما فعل المرجعان المذكوران لقد كان علي بن أبي طالب (ع) يقول في دعاء الصباح بعد أن يتلو القرآن: «يا من دل على ذاته بذاته». وكان ابنه الرشيد سيد الشهداء (ع) يقول في دعاء عرفه: «الغيرك من الظهور ما ليس لك؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك! أو متى بعثت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك... عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً».

لقد فهم هؤلاء العظماء مضمون هذه الآية الكريمة أفضل من غيرهم، ووضحوا مضمونها أفضل مما وضح سواهم. وقد استفاد آخرون من فيض نبهم... أمثال ابن سينا والغزالي والإمام فخر وراغب وأبي البركات والبغدادي واللوكري وخواجة نصير وملاًصدر وملاًمحسن فشرحوا أقوالهم ووضحوها.

إن من ينظر إلى قول ابن سينا في كتاب «المبدأ والمعاد». ونصه: «الأول تعالى لا برهان عليه بل هو البرهان على كل شيء»، ثم يقرأ هذه الآية الشريفة: «أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد»... سوف يدرك أن ابن سينا قد بين مضمون الآية وجلاء. (فصلت / ٥٣).

انظر: مادة «قرأ» من كتاب دائرة المعارف لفريد بك وجدي، وانظر مقدمة تفسيره المسمى: «صفوة القرآن» لتعرف كيف يعظم علماء العرب القرآن الكريم، ولتقف على سر هذا التعظيم. وانظر: كتاب «الهادي» للمرحوم ميرزا هادي نياوراني، وهو كتاب لا يورد غير شهادة فلاسفة =

وَيُعَدُّ «الفارابي» (ت ٩٥٠ م - ٣٣٩ هـ)، و«ابن سينا» (ت ١٠٣٧ م = ٤٢٩ هـ)، و«ابن رشد» (ت ١١٩٨ م = ٥٩٥ هـ) من حكماء الفترة التالية، ويستحق كلٌّ منهم - عن جدارة - أن يلقَّب بالحكيم^(١).

= أوروبا على عظمة القرآن الكريم ورسول الإسلام، وقد تمَّ طبعه في طهران.
وانظر: تفسير مصطفى المراغي؛ و«تفسير المنار» للشيخ محمد عبده؛ والقسم الأخير من الكتاب الفارسي «گوهر مراد» لملاً عبدالرزاق اللاهيجي؛ و«شمع اليقين» لابنه ميرزا حسن اللاهيجي.
«وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين» (تعلق م.ع): سورة البقرة آية ٢٣، ٢٤.
انظر: كتاب الإتقان للسيوطي؛ وأسرار الآيات - بصفة خاصة - لملاصدرا، طبع طهران؛ وتفسيره الذي قام الحاج الشيخ أحمد الشيرازي بطبعه؛ وترجمة تفسير السيد أحمد خان الهندي، ج ١، وهو التفسير الذي قام بترجمته السيد فخر الداعي، وتمَّ طبعه في طهران.
(١) (تعلق م.ع): مما لا شك فيه أن الفارابي وابن رشد والقرطبي قد نالوا شهرتهم كحكماء عن جداره. أما أولهم: الفارابي فإنه حكيم مثالي النزعة، يؤثر طريق التأمل لمفهوم الوجود وتحليل هذا المفهوم. وهو يؤمن بأن الموجودات على ضرين: ممكن الوجود، وواجب الوجود. ويمكن الرجوع في ترجمته إلى:
الفارابي: الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون وأرسطو؛ وكذلك الرجوع إلى: فصوص الحكم، طبع القاهرة ١٩٥٠ م = ١٣٧٠ هـ.
وأما ثانيهم: ابن رشد القرطبي فكان بدوره حكيماً كبيراً، كتب كتاباً قيماً بعنوان «تهافت التهافت» تأثر فيه بكتاب الغزالي «تهافت الفلاسفة». وقد حظى هذا الكتاب بإعجاب المتخصصين ودارت حوله عدة أبحاث لها قيمتها.
انظر في ترجمته: فصل المقال - طبع القاهرة ١٩٤٩ م = ١٣٦٩ هـ.
وأما ثالثهم: ابن سينا فإنه مفكر كبير وحكيم عظيم، عاش في فترة حكم السلطان محمود الغزنوي، وتعرض لِنِقْمته وكاد يُقتل على يديه لولا تدخل الأمير قابوس.
وقد ألف ابن سينا العديد من الكُتُب التي يوصلها البعض إلى المائة، ومن بينها: الشفاء، والقانون، وظفر نامه، وحي بن يقظان، وسلامان وأبسال. كما نظم الكثير من الأشعار العربية والفارسية. وتعلم في الفلسفة على تعاليم أرسطو، وفي الطب على تعاليم بقراط وجالينوس، وأثر بفكره المتميز في الفكر الآسيوي والأوروبي، ودارت الأبحاث حوله وحول مؤلفاته بالعديد من اللغات.
هذا، وقد وُلِد ابن سينا في بخارى عام ٣٧٠ هـ = ٩٨٠ م، ومات في همدان أو أصفهان عام ٤٢٩ هـ = ١٠٣٧ م.
ويمكن الرجوع في ترجمته إلى:
براون: تاريخ الأدب في إيران، ج ٢ (تعريب الشواربي)، ص ١٢٢ - ١٢٥ القاهرة ١٣٧٣ = ١٩٥٤ م.

وقد عاش الكندي^(١) قبل هؤلاء الحكماء، وكان يتقدمهم زمنياً، فقد تُوفي [427] عام ٢٥٠هـ = ٨٦٤م تقريباً. وقد اهتم اهتماماً خاصاً بالمسائل التي شغل المعتزلة ببحثها.

[428] أما أتباعه فكانوا يتحاشون المسائل المرتبطة بالإلهيات، فكانوا لا يهاجمون الدين هجوماً مباشراً، وكانوا لا يبدون - قدر إمكانهم - أيّ لون [429] من ألوان المعارضة ضدّ الدين. وكانوا يعتبرون علم الدين علماً منفصلاً عن الطبيعيات والفلسفة^(٢). ولم يبذلوا جهداً أو يتعبوا أنفسهم في سبيل التوفيق بين هذه العلوم والتوحيد بينها.

وكان ابن سينا - فيما يبدو - رجلاً مؤمناً تقيّاً، لكن الشهرستاني^(٣) قد أدرجه ضمن من لا يعتنقون مذهباً معيّناً، وسلّكه في عداد الخارجين عن الدين المُبين، والخاضعين لعقائدهم وميولهم وأهوائهم ممن يُطلق عليهم أهل الأهواء.

ويُنظر إلى ابن رشد بدوره على أنه أحد المسلمين الورعين. ولم يكتف هذا الرجل بالسعي في إثبات أنّ الدراسات الفلسفية جائزة، وإنما تجاوز ذلك إلى محاولة إثبات أنها فريضة، وأنّ القرآن قد حكم بذلك. وقد اتّبع نفس الطريقة وسلك نفس المسلك فيما يتعلق ببقية المسائل، واشتملت آثاره - إلا في بعض المواضع - على موضوعات فلسفية وعلمية.

(١) (تعليق م.ع): الكندي (أبو يوسف يعقوب بن إسحق) فيلسوف العرب، أحد الحكماء الخلص ممن لهم امتيازهم في فرع الحكمة والعلم والأدب، وله شهرته المدوية في هذا السبيل. تُوفي - في الغالب - عام ٢٦١هـ = ٨٧٤م. وهو يُعتبر أستاذاً للمنجم الكبير «أبي معشر». لمعرفة الكثير عن الكندي، انظر:

مقدمة د. محمد عبد الهادي أبي ريدة على كتاب:

رسائل الكندي الفلسفية، دار الفكر العربي، ١٣٧٠هـ = ١٩٥٠م.

(٢) يقول اشتاينر Steiner: يندرج العرب الموالون لأرسطو في سلك العلماء الطبيعيين، ولا يندرجون في زمرة الفلاسفة. وأبرز خدماتهم وأجلّها ما ارتبط بمراقبة مظاهر الطبيعة، وهي أسمى من علوم الطب والفلك قاطبة.

(٣) (تعليق م.ع): صاحب كتاب: «الملل والنحل».

انظر في ترجمته مقدمة محمد سيد كيلاني على كتاب: الشهرستاني (عبد الكريم): «الملل والنحل»، ج ١، ج ٢، - تحقيق «محمد سيد كيلاني»، طبع دار صعب بيروت، ونشر «فتح الله بدران» بالمطبعة الأزهرية بمصر.

وبهذه الطريقة^(١) أوجد ابن سينا صدعاً بين الفلسفة وأحكام الشرع. [430] وكانت فرقة المعتزلة قد استفدت قوتها في مشاحنات مدارس البصرة وبغداد، تلك المشاحنات المرتبطة بالموضوعات الدقيقة واللطيفة. وأبو الحسن البصري - أحد معاصري ابن سينا - هو آخر من درس تعاليم المعتزلة مستقلة عن غيرها، وأكمل بعض النقاط.

وفي كتابه «الكشاف»، أورد المؤلف الألمعي المشهور «الزمخشري» - المتوفى عام ١١٤٣-١١٤٤م = ٥٣٨ - ٥٣٩هـ التعاليم والعقائد المعتدلة التي تبعها أسلافه بصورة مقبولة، ونعتها بكمال الذوق، وطبقها في مهارة ودقة على تفسير القرآن، غير أنه لم يتمكن من بسط هذه التعاليم والتوسع فيها بالقدر المناسب^(٢).

(١) تعليق المترجم الفارسي: يقول فروزانفر:

بأية طريقة؟ إن المؤلف «اشتاتير» لم يبحث الأمر، والموضوع ليس مترتباً على أية مقدمة سابقة. يضاف إلى ذلك أن هذا الكلام برمته باطل خاطيء، فالجميع يعرفون أن ابن سينا قد رأب الصدع بين المذهب والفلسفة، وضيق الهوة بينهما بحسن التأويل وترتيب الكثير من المقدمات، ووفق - قدر الإمكان - بين الفلسفة والشرع.

(٢) (تعليق م.ع): هذا رأي الكاتب وهو رأي قاصر، إذ الحق أن الزمخشري - بشهادة العديد من الباحثين - قد توسع في بسط هذه التعاليم.

والزمخشري هو جارالله محمود بن عمر. وُلد بزمخشري من إقليم خوارزم الفارسي سنة ٤٦٧هـ = ١٠٧٤م، حيث كان مذهب الاعتزال لا يزال مزدهراً، فكان طبيعياً أن يعتنقه. وأقبل على دراسة العلوم اللغوية والدينية، ورحل كثيراً فأقام ببغداد مدة، وجاور بمكة طويلاً وبها أتم تفسيره «الكشاف»، وعاد إلى بلده وتوفي بها سنة ٥٣٨هـ = ١١٤٣م، وقد طبع هذا الكتاب في مصر في المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق.

وللزمخشري - إلى جانب الكشاف - مصنفات من أهمها:

المفصل في النحو، والفائق في غريب الحديث، وأساس البلاغة وهو معجم مشهور. وكان كاتباً وشاعراً، وكتابه «أطواق الذهب» مطبوع ومعروف، كما أن له ديواناً.

انظر في ترجمة الزمخشري: الأنساب للسمعاني؛ ومعجم البلدان في مادة زمخشري؛ ومعجم الأدبا ١٢٦/١٩؛ وتاريخ أبي الفدا ١٦/٣؛ وروضة الجنات ص ٦٨١؛ واللباب في الأنساب ٥٠٦/٢؛ وإنباه الرواة ٢٦٥/٣؛ وابن كثير ٢١٩/١٢؛ وبغية الوعاة ص ٣٨٨؛ والنجوم الزاهرة ٢٧٤/٥؛ وتاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، تأليف براون وتعريب الشواربي، ص ٤٥٨.

وقد فقدت المعتزلة قوتها السياسيّة مع بلوغ المتوكل - عاشر الخلفاء العباسيين (٢٣٣هـ = ٨٤٧م) - منصب الخلافة. ثم عادت الطريقة فاكستبت قوّة^(١) - كما لوحظ - بعد انقضاء ثلاثة قرون تقريبا، وذلك بفضل إرشادات الزمخشري مفسر القرآن الكبير. وسوف ترد في الفصول القادمة نتائج أفكار المعتزلة. لكننا بُغية تسهيل المطالعة، ورغبة منا في عدم انقطاع خيط البحث سوف نكتفي بذكر المراحل الرئيسية في حياة المعتزلة باختصار، وهي المراحل التي طويت على يد الغزالي وخلفائه قبل اندثار الفلسفة، والتي كانت موضع قبول عامة المسلمين، والتي حظيت بتأييدهم ونصرتهم على النحو السائد حاليا في كل الممالك السنيّة.

[431] ١- بدأ عهد الرجوع إلى السنّة بخلافة المتوكل (٨٤٧-٨٦١م = ٢٣٣-٢٤٧هـ) أخي الخليفة الواثق وخليفته.

بعد أن يذكر «دوزي» جانبا من وحشية هذا الحاكم (الظالم الذي لا يرقى الحق)^(٢)، يتحدّث عن جحوده قائلا:

... ومع هذا كان المتوكل في طريق السنّة - وبلا حدود - متمسكا أو مشرعا^(٣). ولذا فإن حكم رجال الدين عليه يختلف عن حكمنا تمام الاختلاف. ويعتقد «أبو الفدا» - أحد مؤرخي الإسلام المعروفين - أن

(١) تعليق المترجم: يقول فروزانفر:

«شاعت طريقة المعتزلة وانتشرت في بلاد خوارزم بصورة كبيرة في زمن الزمخشري... أي في أواخر القرن الخامس وأوائل السادس الهجريين. وقد سار عليها أبو نصر الضبي (ت ٥٠٧هـ = ١١١٣م)، وهذا الخبر مأخوذ من قول الزمخشري في ربيع الأبرار».

(٢) انظر: ترجمة Chauvin (ص ٢٤٨) وما بعدها من كتاب الإسلام، تأليف دوزي

. Dozy, L'Islamisme

(٣) تعليق المترجم: يقول فروزانفر:

تشريع المتوكل من المسائل التي لا يصدّقها أي منصف مطلع، أين الفسق والفساد وشرب الخمر وعشق النساء والغلمان من التشريع!! إن منع زيارة حضرة أبي عبد الله الحسين، ومنع الماء عن حرم كربلاء المطهر والنهي عن تنظيفه... كلها من علامات فساد باطن هذا الخليفة المخدول، بل إنها دليل سفاخته وجثونه.

المتوكل كان يغالي بعض الشيء في كراهيته لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، إذ أنَّ أتباع السنَّة والجماعة يُعزُّونه ويوقِّرونه إلى حدٍّ بعيد باعتباره ابن عم النبي وصهره.

ومع ذلك فإنَّ أبا الفدا يعتبر المتوكل - لأسباب أخرى - أحد الخلقاء ذوي المكانة العالية، لأنَّه حرَّم الاعتقاد بحدوث القرآن. وكان الخليفة المتوكل يشرب الخمر وينغمس في الشهوات، وحين يعمد إلى الظلم يلجأ إلى الغدر ويتحوَّل إلى شيطان مريد. وكان على الرغم من تبعيَّته للسنَّة والجماعة لا يخاف ارتكاب كلِّ هذه المعاصي. وكان في سنَّته يفوق أيَّ سني ويرجحه، إذ كان في تنزيه الشريعة حادَّ المزاج شديد الإصرار، يعاقب كلَّ من يفكِّر بأسلوب مغاير ويعذِّبه وينكِّل به باذلاً كلَّ جهده في هذا السبيل، حريصاً على أن يهلك أمثال هؤلاء ويبطش بهم، وقد بالغ - بطريقة أسوأ - في إحياء ما كان قد صدر من قرارات في حقِّ النصارى واليهود، وهي القرارات التي كانت يد النسيان قد طوتها في عهد سابقه من الخلفاء^(١).

[432] لقد كان الخليفة الخبيث يطوي قلبه على لونٍ خاص من الضغينة لعلي وآله. وكان مهرِّج بلاطه يضع لنفسه بطناً متنفخاً، ويعمِّدُ إلى تقليد علي

(تعليق م.ع): يخرج المترجم الفارسي عن الحدود المعقولة في النقد معتمداً على آراء غيره، فيورد أقوال «فروزانفر» التي تحمل قدراً كبيراً من الكراهية لهذا الحاكم الأموي. وهكذا يخلط بين موقف المتوكل من أحكام الشرع، وتشدده في طريق التسنن، وتحريمه الاعتقاد بحدوث القرآن وبين سيرته الدائبة، فينعتة بالمتوحِّش والظالم والخبيث، ويزعم أنه كان يشرب الخمر وينغمس في الشهوات، ويصمه بالسفاهة والجنون، وكان المفترض في الكاتب أن يفرِّق بين سيرة الخليفة وبين موقفه من أحكام الشرع، وألا يأتي بالأحكام دون أسانيد، وألا ينسب له أشياء يتعقَّف عنها المسلم بصفة عامة، وألا يخضع لتأثير مذهبي في ذلك الشأن. وقد اعتمد المؤلف بدوره على كتابات «دوزي» وأخذ يردد القصص التي قيلت في بيان كراهية المتوكل لعلي وآله رضوان الله عليهم، وإن ذكر ضمناً أن هناك من كان يرفع مكانة الخليفة إلى حد بعيد، فليت المؤلف والمترجم حصراً كلامهما في دائرة الأحكام الشرعية باعتبارها مُعلنة معروفة.

(١) الطبري، ج ٣، ص ١٣٨٩ وما بعدها، وص ١٤١٩.

(الذي كان قد مال إلى السمينة في أواخر عمره)، ويرقص هازئاً أمام الخليفة،
ويأتي بحركات هستيرية غريبة.. محاكياً ابن عم رسول الله وصهره، راسماً
له صورة ماجنة^(١) بينما الخليفة يتلذذ بمتابعة تلك الحرمات الممجوجة.

(١) تعليق المترجم إلى الفارسية: رحم الله الشاعر الذي قال:
قل لي.. من أحقر في دنيانا ممن يطوي قلبه على كراهية علي؟
هر آنکس که در دلش کین علی است از او خوارتر در جهان گو که کیست؟
وقد فاتحني عدد من الأصدقاء في وجوب حذف هذا القسم لأن مثل هذه الأعمال القبيحة لا
تجوز ترجمتها، وأشاروا عليّ بإيجاز محتوى القسم والمرور عليه مرّ الكرام، لكنني مراعاة مني
لأصول الترجمة وتقاليدها رأيت الإثبات فهذه طريقتي التي أحببها وذاك مسلكي.
ويكفي تدليلاً على عظمة مولى المتقين أنّه لم يلوّث أصابعه على مائدة الدنيا، وأنه قد سبق أهل
زمانه في ميدان الرياضة والزهد والشهامة والرجولة وإحقاق الحق.
وهناك حكاية مطوّلة يحكيها نادرة عصره «جلال الدين المولوي» - محبوب الخاصّة والعامة -
في حقّ هذه الروح المصفّاة والنفس الأكمل، سلطان السخاء والكرم، وأتقى وأزهد وأعلم
الخلق بعد النبي الأكرم.. حكاية في حقّ من لا نظير له في إحقاق الحقّ والشهامة والصبر..
حكاية تروي قصة آثم أهان حضرة الأمير، فهدته أعمال الأمير السماوية الطريق المستقيم،
وقوّمت اهوجاجه، وأزالت انحرافه. يبدأ الشاعر حكايته قائلاً:

- تعلّم من علي الإخلاص في العمل..
واعلم أنّ أسد الحق منزه عن الخطأ.

(از علی آموز اخلاص عمل شیر حق را دان منزّه از دغل)
وتتوالى الأبيات جامعة بين النصيحة والرواية على هذا النحو:

در غزا بر بهلوانی دست یافت	زود شمشیری بر آورد وشتافت
او خدو انداخت بر روی علی	افتخار هر نبی وهر ولی
در زمان انداخت شمشیر آن علی	کرد او اندر غزایش کاهلی
گفت بر من تیغ تیز افراشتی	از چه افکندی مرا بگذاشتی؟
آن چه دیدی بهتراز کون و مکان	که به از جان بود وبخشیدیم جان؟
ای علی که جمله عقل و دیده ای	شمه ای واگو از آنچه دیده ای
تیغ حلمت جانهارا چاک کرد	آب علمت خاک مارا پاک کرد
باز گو دایم که این اسرار هوست	زانکه بی شمشیر کشتن کاراوست
راز بگشا ای علی مرتضی	ای پس از سوء القضا حسن القضا
در محل قهر این رحمت چیست	ازدهارا دست دادن کار کیست؟
گفت من تیغ از پی حق میزنم	بندهء حقم نه مأمور تنم
رخت خود را من زره برداشتم	غیر حق را من عدم انگاشتم

=

کوه را کی در ریاید تشد باد
زانکه با نا موافق خود بسی است
برد او را که نبود اهل نیاز
تیغ را دیدم نهان کردن سزا
جمله لله ام نیم من آن کس
بحر را گنجای اندر جوی نیست
نفس جنبید و تبه شد خوی من
شرکت اندر کار حق نبود روا
من ترا نوعی دگر پنداشتم
بل زیانهء هر ترازو بوده ای
کوئین پوهد در آرد در ظهور
بل زصد لشکر ظفر انگیزتر

که نیم کوهم ز صبر و حلم و داد
آنکه از بادی رود از جاحسی است
باد خشم و باد دشهوت باد آرز
چون در آمد علتی اندر غزا
بخل من لله عطا لله و بس
بیش از این با خلق گفتن روی نیست
چون خدو انداختی بر روی من
نیم بهر حق شد ونیمی هوا
گفت من تخم جفا میکاشتم
تو ترازوی احد خو بوده ای
من غلام موج آن دریای نور
تیغ حلم از تیغ آهن تیزتر
الترجمة العربية:

- طالما تغلب في الغزو على الأبطال
وما أسرع ما شهَرَ سيفه وبادَرَ بالنزال
- لقد بصق على وجه علي.. قمر كل نبي وولي
- بصق على الوجه الذي يسجد القمر أمامه في المصلی
- ووقت أن استل علي سيفه..
وأرهب خصمه في حروبه وغزواته
- قال: قد شهَرْتُ علي سيفاً ماضياً
فلم تركتني بعد أن تمكنت مني؟!!
- إن ما أبصرته بفضل الكون والمكان،
أهناك ما يفضل الروح؟ ها نحن وهبناها.
- يا علي، إن كل ما لي من عقل وبصر..
بعض قولك، وقسم مما رأيت.
- قد مزَّق سيف جليكَ أرواحنا،
وطهر ماء علمك ثرانا وتربتنا
- كرّر قولي، أعلم أن هذه أسرار الله،
فالقتل بلا سيف طريقته ووسيلته
- اكشف السر وافش، يا علي المرتضى،
يا من بعد سوء القضاء يأتي منك حسن القضاء!!
- كيف حلّت الرحمة مكان القهر والبطش؟
ومن الذي سوف يقضي على الثعابين؟

* *

- قال: إني أضربُ بالسيفِ في سبيل الحق،
فأنا عبدٌ للحق لا تابعٌ للجسد.
- تسربت بغطاء الحق واتخذت منه درعاً،
فجعلت ما هو غير الحق عدماً.
- أنا جبلٌ نصفه صبرٌ وحلمٌ وعطاء،
متى كانت للرياح العاتية قدرة على خطف الجبال؟
- إن من تزيحه الريح من مكانه.. يلحقه العطب..
وما أكثر ما تأتينا الرياح بما لا نشتهي.
- ريح الغضب وريح الشهوة وريح الطمع،
قد أزالت من لم يكن له مطمع أو حاجة.
- حين لحقت بالغزو العلات ودخلته الأسباب
رأيت أن إخفاء سيفي قد بات من الضرورات
- بخلي لله وعطائي لله، لا أحد سواه..
كلّي لله، ولست بالشخص الذي تُسيّر الأسباب والعلل.
- لا ضرورة للإفاضة في الحديث مع الخلق في هذا الشأن،
فقد ضاق البحر بمجرأه وما احتواه.
- حين بصقت على وجهي.
تحركت نفسي وفسد طبعي..
- صار النصف للحق والنصف للضلال..
والإشراك في أمر الحق لا يجوز بحالٍ من الأحوال.

* *

- قال: كنت أبلدُ بلورَ الجفاء..
وظننت أنك نوع آخر من العالمين.
- قد كنت في طبعك تعدلُ جبلَ أحدٍ وزنا ورسوخاً
بل كنت لسانَ كلِّ الموازين.
- فأنا - منذ الآن - خادمٌ موج ذاك البحر من بحارِ النور،
ذاك الذي يبدو كالجوهرة عند الظهور.
- إن سيفَ الحلم أحدٌ وأقطع من سيف من حديد،
بل إنه يحقق من الظفر ما لا يحققه مائة جيش.
ارجع كذلك إلى اعترافات كبار رجال السُّنة والجماعة وإقرارهم بعظمة علي وأفضليته، ويتبدى
ذلك جلياً في:
(أ) مقدمة ابن أبي الحديد - أحد كبار العلماء عامة والمعتزلة خاصة - على شرح نهج البلاغة =

[433] ولقد تجرأ لغويّ مشهور^(١) فجابه الخليفة قائلاً إن أولاد علي يفضلون أولاده، فساقه خدم البلاط والأتراك، وظلّوا يركلونه بأقدامهم إلى أن أسلم الروح. وبأمر من هذا الخليفة حُرب قبر الحسين بن علي شهيد كربلاء، وحُرثت الأرض التي كان يقع عليها، وزُرعت، ومُنعت زيارته. كما وجّهت الاتهامات إلى أسمى العلماء الربانيين مقاماً وأشرفهم منزلة.. أمثال البخاري المحدث الكبير، ونُسبت إليهم البدع الدينيّة.

[434] ٢ - تعليمات الأشاعرة: (٢)

وفقاً لقول دوزي، فإنّ انتصار اتباع السنّة والجماعة كان يغطّي الجانب المادي الصرف. وقد ظلّوا على احتقارهم للمعتزلة الذين يخالفونهم من الوجهة المعنويّة، ويعارضونهم في طريقة الاستدلال والمنطق.

وبعد مرور اثنتي عشر عاماً على موت المتوكّل (٢٦٠ هـ = ٨٧٣ - ٨٧٤م) وضع شخص قدمه في ساحة الوجود. وقد تربّى هذا الشخص - فيما بعد - على طريقة المعتزلة، لكنه في سن الأربعين رفض أصول عقائدهم وترك فرقتهم والتحق بمعسكر خصومها بعد أن تسلح بأسلحة المنطق والاستدلال التي وضعتها بين يديه. وقضى أبو الحسن الأشعري - وهذا اسمه - بقية عمره في كفاح مرير وصراع شديد ومقاومة مستميتة ضدّ آراء المعتزلة.. لكنه لم يصب غير القليل من التوفيق.

وأبو الحسن هذا من نسل أبي موسى الأشعري، ذاك الأحق الذي يدين

= (مجموعة خطب حضرة الأمير عليه السلام).

(ب) كتاب «ينابيع المودّة» للقاضي قند روزي.

(تعلّق م.ع) لا خلاف هناك على تعظيم أهل السنّة لعلي رضي الله عنه وتوقيرهم لآل البيت، ولذا يجب الثبوت مما ينسبه البعض إلى أيّ مسلم يبدي استخفافاً بمقامهم ومنزلتهم.

(١) تعلّق المترجم إلى الفارسية: اللغويّ المشهور هذا هو «ابن سكيّت»، صاحب «إصلاح المنطق».

(٢) انظر رسالة «اشييتا» القيّمة حول أبي الحسن الأشعري، طبع ليزج.

Spitta - Zur Geschichte Abu'l Hasan Al-Asha'ri (Leipzig. 1876).

معاوية لرأيه السخيف الذي أبداه في قضية تحكيم دومة الجندل^(١)، وكان لأبي الحسن نشاط عظيم في الأمور الأدبية. وبعد اصطدامه بأستاذه الجبائي^(٢) - أحد علماء المعتزلة - وبعد اعتزاله إياه.. كتب ما يقرب من [435] مائتي رسالة رَفُض أو ثلاثمائة لها ارتباط بموضوعات دينية، وقد ذكر اشبيتا^(٣) اسم مائة رسالة منها.

٣ - إخوان الصفا:

[436] إِنَّ ما لدينا من دراسات ومعلومات عن هذه الجماعة، وما لدى إخواننا مؤلفي دائرة المعارف والحكماء.. ندين جميعنا فيه لشخصين: أولهما فلوجل^(٤)، وثانيهما ديتريسي^(٥).

(١) (تعليق م.ع): مثل هذه الشخصية البارزة المسلمة التي كان عليّ رضوان الله عليه يثق بها ويؤمن بصلاحها وتقواها، يجب ألا يوجه إليها مثل هذا السباب. وليعلم «دوزي» وأمثاله من المتطاولين على مثل هذه الشخصيات الدينية أن خطأ أبي موسى قد ترتب على صفاء نفسه وخلوصها ولم يكن نتيجة حمقه كما يزعمون، وأن عمرو بن العاص قد استغل الموقف بدهائه. كان أبو موسى يبغى حقن الدماء مستهدفاً صالح المسلمين، فإن يك قد أخطأ فإن ذلك كان عن غير عمد أو قصد، والله أعلم بالسرائر.

(٢) تعليق المترجم: جاءت تفاصيل اعتزال أبي الحسن الأشعري للمعتزلة في مقدمة الجزء الثاني من كنز الحكمة للشهرزوري ترجمة ضياء الدين الدري، وذلك على النحو التالي:
«سأل أبو الحسن الأشعري أبا علي الجبائي.. زوج أمه وأستاذه: هل صلاح عبيد الله ومصلحتهم أمر واجب أم غير واجب؟ فأجاب أبو علي: إنه واجب. فقال أبو الحسن: فما قولك في أخوة ثلاثة، مات أحدهم في طفولته وشب الآخران، فكفر أحدهما وأسلم الآخر، لو أن من مات في طفولته سأل ربه لم أهلكتني وتركتهما أحياء، فماذا تتوقع أن تكون الإجابة؟ قال أبو علي: كان صلاحه في موته لأنه لو بقي حياً لصار كافراً. فقال أبو الحسن: والذي بقي حياً واختار سبيل الكفر، لماذا إذا لم يهلك في طفولته ليكون ذلك أصلح لحاله؟ قال: تركه لعله يصل إلى منازل علي.

قال أبو الحسن: لماذا إذا لم يترك أخاه حياً ليصل بدوره إلى تلك المنازل كأخيه؟ وهنا سكت أبو علي ولم يستطع الإجابة عن سؤال تلميذه. فقال أبو الحسن: أعجزت؟ قال: لاشك.

(٣) انظر: دوزي، ص ٦٢ - ٨١.

(٤) Flügel, Z.D.G. Vol. Xiii, pp. 1-43

(٥) نشر Dieterici ما يقرب من اثنتي عشرة نشرة (متون وتراجم ورسالات)، وذلك فيما بين عامي ١٨٥٨ و ١٨٨٦ م = ١٢٧٥ و ١٣٠٤ هـ.

وإنّا لندين أكثر لثانيهما بصفة خاصة، فقد سجّل دراساته في سلسلة من الرسائل ذات الطابع الأكاديمي وعلى نحو مختصر واضح.

في أواسط القرن العاشر (٩٤٥م = ٣٣٤هـ) بلغ آل بويه - في بغداد - ذروة قوتهم تقريباً. والأسرة البويهية أسرة شيعية إيرانية احتلت مكان الأتراك فترة من الزمن. وكانت هذه الجماعة التي تغلفها الأسرار - إلى حد ما - تواصل مسيرة المعتزلة، وتستهدف التأليف بين العلم والدين، وتطبق شريعة الإسلام على الفلسفة اليونانية، وتركيب العلوم الكلية في صورة دائرة معارف.

وقد أنتجت هذه الجماعة خمسين رسالة، نُشرت - وفق قول فلوجل - في حدود عام ٩٧٠م = ٣٦٠هـ، وعكست كلّ العقائد والآراء التي كتب لها الرواج آنذاك في محافل جلة العلماء الموالين للخلفاء العباسيين^(١).

(١) طبعت في أربعة مجلدات في بمباي وذلك بتاريخ ٥ - ١٣٠٦هـ = ٧ - ١٨٨٨م. وطبعت ترجمتها الفارسية طبعة حجرية في بمباي عام ١٣٠١هـ = ١٨٨٤م. وتشتمل الترجمة الفارسية خمسين رسالة، وتقع في ١٦٧ صفحة.

فيما يتعلّق بمحتويات هذه الرسائل، انظر: ص ١٣١ - ١٣٧ من الرسالة التالية:

Dieterici, Die philosophie der Araber in X Jahrhundert nach. Christ, erster Theil. Einleitung u. Makroskopos (Leipzig, 1876).

(تعليق م.ع): يُنسب البويهيون إلى بويه من أهل الديلم. وهو يتسب إلى الملوك الساسانيين وينحدر من سلالة بهرام گور. وتقع الديلم القديمة في مرتفعات گیلان الحالية جنوبي بحر الخزر وفي مقابل سلسلة البرز. وقد انهارت الدولة بعد وفاة عضد الدولة فانتزع محمود الغزنوي جزأها الغربي، وبقي الشرقي إلى أن انتزعه السلاجقة قبيل منتصف القرن الخامس الهجري. ومن أشهر وزرائها صاحب إسماعيل بن عباد - وزير فخر الدولة - الذي حاز منزلة كبيرة في عالم الأدب العربي والفارسي. لمعلومات أكثر تفصيلاً، انظر: ٣٥٠٠ عام من عمر إيران لأحمد كمال، ج ١ ص ٣٠٢ - ٣٠٧، طبع مؤسسة الصباح بالكويت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

وللقراءة حول إخوان الصفا والوقوف على الكثير من أخبارهم وأفكارهم ومؤلفاتهم، يُرجع إلى: (أ) رابحة نعمان عبد اللطيف، مقال «الإنسان عند إخوان الصفا» ضمن كتاب أبي ريده التذكارى، نشر جامعة الكويت ١٩٩٣م = ١٤١٣هـ.

(ب) إخوان الصفا وخلان الوفا، رسالة مقدّمة من الدكتور أبي الوفا التفتازاني إلى جامعة بيروت ١٩٥٧م = ١٣٧٧هـ.

(ج) محمد فريد حجاب: الفلسفة السياسية عند إخوان الصفا، الهيئة العامة للكتاب، عام ١٩٨٣م = ١٤٠٣هـ.

[437] ومن بين العلماء الذين ألفوا الرسائل المذكورة، ذكر الشهرزوري أسماء خمسة أشخاص، هم: أبو سليمان محمد بن نصر البستي المعروف بالمقدسي (بتشديد الدال)، أو المقدسي (بفتح الميم والدال)، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني، وأبو أحمد النهرجوري (أو المهرجاني)، والعوفي، وزيد بن رفاعه.

وعلى أي حال، فإنَّ الثلاثة الأولين من بين هؤلاء كانوا - فيما يبدو - إيرانيين. يُفهم ذلك من نسبتهم (وجود ياء النسبة في آخر أسمائهم). كما أنَّ ابن سينا الطبيب والحكيم كان بدوره إيرانياً. وقد توقَّف تقدُّم الفلسفة وتوسُّعها في الشرق بعد موته على حدِّ قول ديتريسي^(١).

٤ - حجة الإسلام الغزالي، نصير السُّنة وحاميها.

شغل هذا العالم الرِّباني الشهير منصب الأستاذية في المدرسة النظامية ببغداد^(٢) في الفترة ما بين عامي ١٠٩١ و ١٠٩٥ م = ٤٨٤ و ٤٨٨ هـ، وودَّع الحياة في عام ١١١١ م = ٥٠٥ هـ، وقد تبحَّر في كل الفنون والشؤون التي وَّجه إليها فكره وخاطره. وتعلَّق في النهاية بذيل العرفان وانخرط في سلك المتصوفة، وسار سيرة من يميلون إلى الاعتدال والوسطية من بين أفراد هذه الطائفة. ويرى اشتاينر^(٣) أنه كان يُحسُّ في قرارة ضميره أن الانتساب للإسلام يستوجب منه الدفاع عنه علمياً، كما يستوجب إقرار مباني الدين - التي تعرَّضت للتهديد - بقوة الأدلَّة والبراهين، وتشيدها مرَّة أخرى على أساسي أكثر استقراراً وأدعى للطمأنينة.

(١) المرجع السابق، ص ١٥٨.

(تعليق م.ع): يلاحظ في الفقرة السابقة أن المؤلِّف قد اعتمد على وجود ياء النسبة في بعض الأسماء فحكم بأنَّ أصحابها إيرانيون، والواقع أن وجود ياء النسبة ليس حجة وليس وقفاً على الأسماء الإيرانية.

(٢) (تعليق م.ع): لمعرفة الكثير عن المدارس النظامية، انظر: «النار تتكلم» لأحمد كمال، المقال الملحق بالكتاب، طبع مؤسسة الصباح بالكويت ١٩٧٩ م = ١٣٩٩ هـ.

(٣) انظر: كتاب المعتزلة، تأليف اشتاينر، ص ١٢.

وقد ذكر «ثلوك»^(١) بعض مناقب الغزالي السامية: ونقل هومز ما قاله ثلوك [438] في الصفحتين السابعة والثامنة من ترجمة كيمياء السعادة^(٢)، الذي تُرجم من التركية إلى الإنجليزية: فقال:

«إذا كان هناك من يستحق أن يطلق عليه صفة الروحانية الحقّة فهو الغزالي. لقد اكتسب الغزالي شهرة وقيمة في مجال الفضائل العلمية والكمالات النفسية والصدق والصفاء وقوة الابتكار، وحقق براعة في شرح مبادئ قواعد الإسلام وتفسير أصولها على نحو قل أن حققه سواه، وبلغ فيه منزلته. ويمكن اعتبار الغزالي واريجن^(٣) بحق من طراز واحد. لقد منحت روحه العظيمة للإسلام ما كسبه خلال مسيرته وطيّه المراحل الطيبة والمدارج اللاتقة والمعارج الأخلاقية والملكات الفاضلة. وجَمَل أحكام القرآن بالتقوى والفضيلة والمعرفة على نحو يجعلني اعتقد أن تلك الأحكام - بالصورة التي عرضها الغزالي - جديرة بأن تكون موضع قبول المسيحيين ورضاهم»^(٤).

Steiner, Mu'taziliten.

(١)

H.A.Homes, Alchemy Happiness Albany, (I.Y. 1873)

(٢)

(٣) تعليق المترجم إلى الفارسية:

أريجن Origen أحد علماء الإسكندرية وأحد المدافعين عن الكنيسة اليونانية، ويقال إنّه وُلد فيما بين عامي ١٨٢ و ٢٥١ م.

(٤) (تعلق م. ع) انظر في ترجمة الغزالي (أبي حامد):

(أ) «القسطنطين المستقيم»، تحقيق الشيخ محمد مصطفى أبو العلا.

(ب) الجزء الأول من «الفصول العوالي من رسائل الإمام الغزالي»، نشر مكتبة الجندي، القاهرة (بدون تاريخ).
(ج) تاريخ الأدب في إيران لبراون، ج ٢ (تعريب الشواربي)، ص ٣٦٨ وما بعدها، القاهرة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م.
هذا، ويُعتبر الغزالي من كبار المفكرين والفقهاء الذين خدموا التصوف إلى حد كبير، وخدموا الدين الإسلامي على نحو جعله يستحق لقب (حجة الإسلام).

وُلد في طوس عام ٤٥٠ هـ - ١٠٥٨ م أو بعد ذلك بعام (في قول آخر). عمل بالتدريس في نظامية بغداد في عهد نظام الملك الوزير السلجوقي الكبير، وتنقل بين الحجاز والشام وبغداد ونيسابور وطوس حيث توفي في عام ٥٠٥ هـ - ١١١١ م. وتبلغ مؤلفات هذا المفكر الفذ السبعين تقريباً، من بينها: إحياء علوم الدين، وضعه بالعربية أول الأمر، ثم نُقل إلى الفارسية مختصراً بعنوان (كيمياء سعادته)، ورسالة في الرد على الباطنية أو الإسماعيلية، والمنقذ من الضلال، وتهافت الفلاسفة. وقد طُبعت كتبه أمثال «إحياء علوم الدين» في القاهرة عام ١٣٠٦ هـ = ١١٨٨ م، وكما طبع منها (المنقذ من الضلال) في القاهرة عام ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢ م.

وتحظى مؤلفاته باهتمام بالغ من جانب الدارسين.

لقد أخذ من حكمة أرسطو وتصوُّف المتصوفة أسمى ما فيهما وأكملهُ، وطبَّقه على شريعة الإسلام على أساس من الحزم والاحتياط^(١). وكان يتلمَّس في كل طريقة الموضوعات التي من شأنها إجلال مقام الإسلام، ويكدُّ في البحث عن الوسائل التي تؤدي إلى توضيح المسائل وتجليتها. ولما كان في الحقيقة عفيفاً ذا ضمير حيٍّ يقظ، فقد انعكست في كل آثاره هذه الصفات الجليلة وذاك الجلال القدسي، واحتلَّ المقام الأول بين علماء المسلمين. ومع ذلك فإن ديتريسي^(٢) - حين يبدي وجهة نظره بشأنه - يهاجمه بقسوة، ويقول: «ولما كان مُنكراً لوجود الله، فإن هذا الملحد اليائس كان - كمن يريد الانتحار - يضع قدمه في عالم وحدة الوجود ليتمكَّن من محو الأفكار العلميَّة كليَّة».

[439] وقد وَجَدَت تعاليمُ إخوان الصفا طريقها في الغرب على يد رجلٍ عربيٍّ من أهل مدريد اسمه مسلم بن محمد أبو القاسم المجريطي الأندلسي. وقد كانت وفاة هذا الرجل في حدود عام ١٠٠٤ أو ١٠٠٥ م = ٣٩٥ أو ٣٩٦ هـ.

وفي ظل تعاليم إخوان الصفا - في بادئ الأمر - ثم في ظل ابن رشد الحكيم المغربي^(٣) صارت البلاد الإسبانيَّة إحدى المراكز الفلسفيَّة. وفي القرون الوسطى أخذت أوروبا نورَ المعرفة عن أسبانيا فيما يختص بالمسائل الفلسفيَّة. وبناءً على قول ديتريسي^(٤) فإنَّ صراعاً قد دبَّ في الوجود الذهني أو خارجه بين المذاهب نوعاً وجنساً، ممَّا عرَّض دنيا العلم - عدَّة قرون - للقلق والاضطراب.

(١) يؤكد فروزانفر أنَّه يطبِّق شيئاً من حكمة أرسطو على الإسلام، بل إنَّه - كما لا يخفى - قد تصدَّى للردِّ على الفلسفة ومعارضتها وإنكار الفلاسفة.

(٢) الكتاب السابق، ص ١٥٧.

(تعليق م.ع): ينسب ديتريسي إلى الإلحاد على نحو لا يقبله مسلمٌ مُطَّلِعٌ على مؤلفاته واتجاهاته، وهذا شأن الكارهين لمخالفهم في الدين أو العقيدة والرأي.

(٣) (تعليق م.ع): لمعرفة الكثير عنه، انظر:

(أ) عاطف العراقي: النزعة العقليَّة في فلسفة ابن رشد، القاهرة ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م.

(ب) المنهج النقدي في فلسفة ابن رشد، دار المعارف، ط ٢، القاهرة ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م.

(٤) الكتاب السابق، ص ١٦١.

وخلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين تسبَّب الجدال بين المذاهب الفلسفيَّة المذكورة في إثارة النشاطات الذهنيَّة في المشرق بأسره.

ولا لزوم هنا للإسهاب في الحديث حول السُّنَّة والجماعة، فعلى الرغم من كثرة عددهم في إيران ابَّان حكم الأسر التركية ونصف التركيَّة - قبل قيام الدولة الصفويَّة في أوائل القرن السادس عشر الميلادي - وعلى الرغم من أنَّ عظماء إيران - أمثال فريد الدين العطار وسعدي وجلال الدين الرومي والعديد ممن يناظرونهم - يندرجون في عدادهم.. فإنَّ هؤلاء السُّنَّة والجماعة لم يكونوا - في حقيقة الأمر - يجارون الإيرانيين مطلقاً في ميولهم وأمانيتهم.

واليوم قد انقرضت السُّنَّة والجماعة تقريباً إلَّا في «لار» وعددٍ آخر من المناطق. غير أنَّه يجدر بنا القول بأنَّ مؤسسي المذاهب الأربعة - الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي - قد شبُّوا جميعاً في عهود سيطرة المعتزلة وسيادتهم. ويتقدَّم أبو حنيفة الباقر زمنياً، فقد ولد عام ٧٠٠ م = ٨١ هـ وتوفي عام ٧٦٧ م = ١٥٠ هـ. وهو إيراني الأصل^(١).

[440] وكانت ولادة مالك في المدينة عام ٧١٣ أو ٧١٤ م = ٩٥ - ٩٦ هـ، وكانت وفاته عام ٧٩٥ م = ١٧٩ هـ. وكان المنصور يسيء به الظن، ولمَّا كان يعتقد أنَّه لا يحبُّ الأسرة العباسيَّة فقد قام بجلده دون رحمة.

وفي ذلك الشأن يقول ابن خُلِّكان^(٢):

ويوماً بعد يوم، زاد قدره، وعظمت قيمته في أنظار العامة، وباتت تلك العقوبة موضع فخاره.

(١) ابن خُلِّكان، ترجمة دي سلان، ج٣، ص ٥٥٥.

(٢) ابن خُلِّكان، ترجمة دي سلان، ج٢، ص ٥٤٧. ويحتمل أن تكون تلك الحادثة قد وقعت في عام ١٤٧ أو ١٤٨ هـ = ٧٦٤ أو ٧٦٥ م.

والشافعي من قريش. وُلد في نفس العام الذي تُوفي فيه أبو حنيفة (يقول البعض إن يوم مولده هو نفسه يوم وفاة أبي حنيفة)^(١) وقد ودَّع الحياة في مدينة القاهرة عام ٨٢٠م = ٢٠٥هـ.

وكان أحمد بن حنبل من أهالي مرو، لكنه - على ما يبدو - من أصل عربي. ولد في عام ٧٨٠م = ١٦٤هـ وتُوفي في بغداد عام ١٨٥٥م = ٢٤١هـ، وهو تلميذ الشافعي الأثير لديه، والذي قال بشأنه عندما اعتزم السفر إلى مصر: ذهبت عن بغداد ولم أترك بها بعدي رجلاً أتقي وأفقه وأعلم من ابن حنبل^(٢).

كما ذكرنا من قبل، فإنه لا أدل على رسوخ عقيدته وكمال جرأته من تحمُّله عبء التصدي لموضوع إحدائية القرآن.

[441] هؤلاء الأربعة هم أئمة السُنَّة والجماعة، وقد استحدث كل واحدٍ منهم طريقة تُخالف طريقة الباقيين في بضع نقاط جزئية لا أكثر^(٣)، أمَّا العلاقات بينهم فكانت حسنة.

طُرق السُنَّة والجماعة الأربعة:

تروج الطريقة الحنفيَّة في تركيا، والمالكيَّة في مُراكش، والشافعيَّة في مصر وبلاد العرب، والحنبليَّة في بعض مناطق أفريقيا. وينظر الشيعة إلى الفرق الأربعة برُمَّتها باحتقار^(٤).

(١) ابن خُلِّكان: ترجمة دي سلان، ج ٢، ص ٥٧١.

تعليق المترجم إلى الفارسيَّة: يقول الخاقاني: مات أبو حنيفة أوَّل الليل وولد الشافعي آخره. انظر: ديوان حُسان المعجم أفضل الدين إبراهيم بن علي خاقاني الشيرازي - تصحيح وتحشية وتعليق علي عبد الرسول أستاذ الأدب الفارسي ١٣١٦هـ. ش، مطبعة السعادة، تهران، ص ٦١٢.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ٤٤.

(٣) تعليق المترجم الفارسي: كتب فروزانفر: يبدو أنَّ المؤلف لم يكن قد اطلع على الخلاف العظيم بين الحنفيَّة والمالكيَّة والحنابليَّة حول قبول القياس وعدم قبوله.

(٤) تعليق المترجم الفارسي: كتب العلامة التحرير السيد محمد سنكلجي - الأستاذ بكلية الحقوق رسالة في غاية الإتقان، باللغة الحجَّة والبرهان، عنوانها: «الحجة البالغة». وتدور الرسالة حول اختلاف العائمة والخاصَّة، وموضوع الخلاف، ووجوب الأخوة والاتحاد والتلاحم بين الفريقين لإعلاء كلمة التوحيد وصيانة المجتمع، الإسلامي، ووجوب الإغضاء عن التشاجر، وما زالت هذه الرسالة - للأسف - غير مُعدَّة للطبع.

(تعليق م.ع): خطوة إيجابية في سبيل التقارب.. وافق الأزهر الشريف في مصر على تدريس المذهب الجعفري الشيعي في كلية الشريعة إلى جانب المذاهب السنيَّة.

ويضع ناصر خسرو - الشاعر والداعية الاسماعيلي الذي كان يعيش في القرن الحادي عشر الميلادي - المذاهب المذكورة موضع الاتهام. ويقول إنها حكمت بصواب أكثر المفاصد والشرور التي تبعث على النفور، وآمنت بها^(١). وباستثناء أصحاب ابن حنبل - الذين يقال إنهم كانوا يقيسون أحوال البشر وأوصافهم ومسلكتهم مع الله بطريقة سخيفة - فإن هذا الاتهام غير قابل للتعميم بصورة جديّة.

وفي أحد الفصول التالية سوف يرد بحثٌ تفصيلي حول أهل التشيع. لكننا يمكن أن نذكر هنا أن بداية الإنشقاق والتشعب الكبير - الذي أدّى إلى انقسام الشيعة إلى الفرقة الإمامية السبعية (الفرقة السبعية) أو الإسماعيلية، والفرقة الإمامية الاثني عشرية الإيرانية الحالية (الفرقة الاثني عشرية) - قد كان في هذه الفترة.

[442] وبالنسبة لأصول إمامة كلتا الفرقتين يسود الاتفاق والاعتقاد بأنّ الرياسة الدينيّة الساميّة تصل إلى أحد أخلاف علي بن أبي طالب، وأن الإمام يُختار من جانب سلفه، ويُمنح سجايا فوق الطبيعة (لا يتمتع بها البشر - خارقة للعادة)، بل ويمنح صفات سماويّة.

ويُتفق قول الفرقتين حول الأئمة الستة الأوّل، ويبدأ الخلاف بينهما عند الإمام جعفر الصادق الذي رَحَلَ عام ٧٦٥م = ١٤٨هـ. لقد عيّن الإمام جعفر الصادق - أول الأمر - ابنه الأكبر «إسماعيل» خليفة له، لكنه عاد فأخذ منه الإمامة وأسندها إلى أخيه الأصغر.. «موسى الكاظم» (حينما علم - بناءً على قول العامة - أنّ إسماعيل قد شرب عصارة العنب المحرّمة). وما لبث إسماعيل أن مات، فترك جسده - قبل إيداعه الثرى - تحت بصر العامة وعلى مرأى منهم.. حتى لا يكون هناك شكٌ في وفاته.

(١) قارن بين ماجاء في ديوان ناصر خسرو (طبعة تبريز الحجرية، ١٢٨٠هـ = ١٨٦٣م، ص ١١٥، ٢٠٩)، وما جاء في كتاب الإسلام لدوزي (Dozy, Islamisme, p, 441-443). وانظر: ديوان قصائد ومقطّعات حكيم ناصر خسرو (طهران، ١٣٠٤ - ١٣٠٧ هـ. ش، ص ٤٤١ - ٤٤٣).

وعلى الرغم من أنَّ أكثر الشيعة قد بايعوا موسى - فإنَّ عدداً منهم بقي على وفاته لإسماعيل. وقد أنكر البعض موته أثر قول عدد من الأشخاص إنَّه شوهد في البصرة في وقتٍ لاحق، وبعد التاريخ الذي حدَّده من ادَّعوا وفاته^(١). أو تصريح البعض بأنَّ الإمامة قد انتقلت من إسماعيل إلى ولده محمد (لأن إسماعيل قد أسلم الروح قبل وفاة أبيه، وبناءً عليه - من وجهة نظر هذه المجموعة - فإنَّه لم يأخذ مهام الإمام على عاتقه).

وفي الحالتين، فإنَّ هذه الطائفة قد حدَّدت عدد الأئمة بأربعة، ورفضت ادَّعاءات موسى الكاظم وخلفائه الخمسة. ومن الأفضل أن نحيل بقيَّة البحث فيما يختصُّ بالفرقتين إلى أحد الفصول التالية.

وعلينا الآن أن ننهي حديثنا في هذا الشأن بعدَّة كلمات يجب أن يقال في حقِّ الصوفيَّة الأوائل.

لقد طوى مبحث وحدة الوجود في طريق الصوفيَّة مراحل الكمال كما [443] سيُتضح في موضع آخر. ولا توجد أيَّة صلة بين اسم طائفة الصوفيَّة وكلمة سوفوس اليونانيَّة. وقد باتت هذه المسألة موضع تصديق العامة (الكلمتان فيلسوف وسفسطة كلتاها تكتبان بالسين لا بالصاد). وما ادَّعاه الصوفيَّة أنفسهم من أنَّ هذا اللفظ مشتق من الجذر العربي «صفا» يُعدُّ ادَّعاءً غير صحيح. كما أنَّ ما قيل من أنَّ الصوفي مرتبُّ بأهل الصُفَّة أو السائلين الذين يجلسون خارج المساجد يطلبون الصدقة من المؤمنين هو الآخر قولٌ مجافٍ للصواب. فـ (صوفي) مأخوذة ولا ريب من الكلمة العربيَّة - (صوف)؛ بدليل أنَّ الصوفيَّة يطلق عليهم في الاصطلاح الفارسي بصفة عامة (لابسو الصوف). وكان اللباس الصوفي في البداية دليل بساطة المسلمين الأوائل ورقَّة حالهم.

(١) الشهرستاني، جاب كورتون Cureton، ص ١٤٦.

يقول المسعودي^(١) «كان عمر يرتدي جُبَّة من الصوف ذات رقعات من الجلد وأمثاله». ويقول في حديثه عن سلمان الفارسي^(٢): «كان سلمان يرتدي لباساً صوفياً». وهذا نفس ما قيل في شأن أبي عبيدة بن الجراح.

ولما شاع أمر التجمُّل والتزيُّن أطلق البسطاء من أتباع خلفاء الرسول ألسنتهم بالاعتراض شيئاً فشيئاً على عبادة الدنيا وتكالب المعاصرين عليها، وكان يُطلق على هؤلاء المعترضين: الصوفيَّة.

والصوفيَّة على هذه الصورة - بملابسهم البسيطة، واعتراضهم على التزيُّن [444] والإفراط، واحترافهم الزهد والاعتكاف والتدبُّر بغية سمو النفس ورفعها - يشبهون طائفة الكويكرين^(٣) إلى حدٍ يلفت الانتباه.

وهناك طائفتان تميلان دائماً إلى وحدة الوجود:

الأولى: تلك التي يتعد أفرادها - إلى حدِّ الإفراط - عن النشاطات الخارجية لنيل الدرجات الدينيَّة العالية، ويجاهدون في سبيل تهذيب أنفسهم وأفكارهم الداخليَّة.

(١) مروج الذهب، طبع باريه دومينار Barbier de Meyn، ح ٤، ص ١٩٣.

(٢) الكتاب نفسه، ص ١٩٥.

(تعليق م.ع): لمروج الذهب نسخة مطبوعة في باريس عام ١٨٦١ - ١٨٧٧م = ١٢٧٨ - ١٢٩٤هـ.

(٣) تعليق المترجم: في القرن السابع عشر الميلادي، شكَّلت طائفة مسيحيَّة جماعةً باسم «جمعية الأصدقاء»، يختلف أعضاؤها كثيراً عن سائر أعضاء الفرق في بساطة العبادات وُسْرها، وتترك الحرية للأفراد لعبادة الله دون وساطة القسيس والكنيسة، والمساواة بين النساء فيما يتعلق بحقوقهن في التشكيلات الكنسيَّة ومسائل أخرى كثيرة. ويقال إنَّ أعضاء الجمعية قد أطلق عليهم الكويكريون (أي المرتعدون) لأن مشاعرهم كانت إذا ما تحرَّكت انتابتهم الرغدة. ومؤسس المذهب هو «جورج فاكس George Fox» ابن أحد النساجين الانجليز (١٦٢٤ - ١٦٩١ / ١٠٣٤ - ١١٠٣هـ. وبسَّفره إلى أمريكا كُتِب النجاح لتلك الطريقة هناك أيضاً. وفي إنجلترا وأمريكا، تعرَّض أعضاء الجمعية سنوات طويلة لتعذيب المجتمع المسيحي وتكفيره لهم. ومن اشتهروا من أعضاء تلك الجمعية الكاتب المعروف ويليم بن William Penn (١٦٤٤ = ١٧١٨م) ١٥٤ - ١١٣١هـ مؤسس إحدى المستعمرات الإنجليزية في أمريكا، والتي كانت إحدى مراكز الكويكرين، وهي الآن ولاية تسمي (هذبة بنسلفينيا). . . وهي من كلمتين بن وسيلفا بمعنى الغاية. وأول تكليف أرسل إلى مجلس المبعوثين خاص بالغاء تجارة الرقيق كان من طرف الكويكرين (١٧٨٣م) = ١١٩٨هـ. كما كان للجمعية دور بارز في الصراعات التي حدثت فيما بعد لتحرير الرقيق.

والثانية: تلك التي لا يملك أفرادها القدرة - من الوجهة الدينية - على تحمُّل العبادة الظاهرية واللسانية.

غير أنَّه يمكن القول بأن هذا الميل قد تجلَّى كثيراً - فيما بعد - إثر نفوذ العقائد الإفلاطونية الجديدة، وشوهد في القرن الرابع عشر بين الصوفية الأوائل، وقليل من المتأخرين أمثال اكهارت Eckhart وتاولر Taulr والصوفية الألمان.

وفيما يتعلَّق بمتقدِّمي الصوفية^(١).. يقول القشيري (١٠٧٣م = ٤٦٦هـ).

[445] «القول في إنَّه متى سُمِّيت الصوفية صوفية.. قال الإمام القشيري رحمه الله:

اعلموا - رحمكم الله - أنَّ المسلمين بعد رسول الله ﷺ لم يُسمَّ أفاضلهم في عصرهم بتسمية علَّم سوى صحبة الرسول ﷺ، إذ لا فضيلة فوقها، فقليل لهم الصحابة. ولما أدركهم العصر الثاني سُمِّي من صحب الصحابة بالتابعين، وليس وراء ذلك تسمية أشرف، ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين. ثم اختلف الناس وتباينت المراتب، فقليل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزَّهاد والعباد. ثم ظهرت البدعة وحصل التداعي بين الفِرَق، فكلُّ فريق ادَّعوا أن فيهم زهاداً؛ فانفرد خواصُّ أهل السُّنة، المراعون أنفسهم مع الله، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التَّصوف، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المئتين من الهجرة» [قبل نهاية المائة الثانية للهجرة] (١٨١٥ - ١٨١٦م) = (١٢٣١ - ١٢٣٢هـ).

وبعد قليل، نجد الجامي (في ص ٣٤ من كتابه نفحات الأنس - طبع كلكتة) يقول صراحةً إنَّ لفظ صوفي كان يُطلق - أوَّل ما أُطلق - على أبي هاشم. وقد وُلِدَ أبو هاشم^(٢) في الكوفة، ولكنَّه أمضى معظم سِنِّي عمره في سوريا، ومات في عام ١٦١ - ١٦٢هـ = ٧٧٧ - ٧٧٨م.

(١) انظر نفحات الأنس للجامي، طبع كلكتة Nassau Lees، ص ٣١.

(٢) (تعليق م.ع) انظر في ترجمته: عوارف المعارف ص ٤٨؛ نفحات الأنس ص ٣٤؛ تاريخ أدبي إيران، ج ١ ص ٤٤.

[446] ويقول في صفحة ٣٦ إنَّ ذا النون المصري^(١) أوَّل من شرح أصول عقائد الصوفيَّة .

وذو النون هو تلميذ مالك (مؤسَّس المذهب المالكي السالف الذكر)، وقد تُوفي عام ٢٤٦هـ = ٨٦٠م .

وقد توسَّع جنيد البغدادي^(٢) (ت ٢٩٨هـ = ٩١٠م) في أصول هذه العقائد، وقَدَّمها مكتوبةً بنظام وترتيب صحيحين، وألقاها شبلي^(٣) (ت ٣٣٤هـ = ٩٤٥م) علناً على منابر الوعظ والخطابة فجلاها للسامعين .

وقبل أن ينتهي القرن الثاني الهجري (٢٠٠ - ٢٠١هـ = ٨١٥ - ٨١٦م) كان يعيش عددٌ من علماء الصوفيَّة الكبار . وأعتقد أنَّ أصحاب الأسماء التالية هم فقط الذين حازوا شهرة وكانت لهم أهميَّتهم بعد أبي هاشم :

إبراهيم بن أدهم (ت ١٦١هـ = ٧٧٧م)، داود الطائي (ت ١٦٢هـ = ٧٧٨م)، فضيل بن عياض (ت ١٨٨هـ = ٨٠٣م)، ومعروف الكرخي (ت ٢٠٠هـ = ٨١٥م)^(٤) .

وهناك من يدرج الحسن البصري (ت ١١٠هـ = ٧٢٨م) في زميرتهم، وهو الذي ورد ذكره أثناء بحثنا حول المعتزلة، لكن مذهبه - طبقاً لقول دوزي^(٥) - كان يصدر أكثر ما يصدر عن الخوف، ولذا كان يتباين تبايناً تاماً مع مذهب العشق الذي هو طريقة العرفاء .

(١) (تعليق م.ع.): انظر في ترجمته: طبقات الصوفيَّة - الطبقة الأولى؛ حلية الأولياء ج ٩ ص ٣٣١ - ٣٩٥، ج ١٠ ص ١٣؛ طبقات الشعراني ج ١ ص ٨١ - ٨٤؛ صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٨٧ - ٢٩٣؛ الربيع (بهارستان) للجامي، ترجمة وتعليق أحمد كمال، نشر جامعة الكويت، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م، ص ٢٣٥، ٢٣٦ .

(٢) (تعليق م.ع.) انظر في ترجمته: الرسالة القشيرية ص ٢٤؛ مرآة الجنان ج ٢ ص ١٣١ - ٢٣٦؛ دائرة معارف البستاني ج ٦ ص ٥٦٧؛ الأنساب ص ٤٦٤ .

(٣) (تعليق م.ع.): انظر في ترجمته: نتائج الأفكار القدسيَّة ج ١ ص ١٨٧ - ١٨٩؛ الديباج المذهب ص ١٦٦؛ هديَّة الأحباب ص ١٤٠، نشوار المحاضرة ص ١٧٢ .

(٤) (تعليق م.ع.) يمكن معرفة أخبار هؤلاء الصوفيَّة بالرجوع إلى: كتاب بهارستان (الربيع)، صفحات متفرقة .

(٥) كتاب الإسلام لدوزي، الترجمة الفرنسية لشوفن Chauvin، ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

أما رابعة العدوية^(١) (ت ١٣٥ - ١٣٦ هـ = ٧٥٢ - ٧٥٣ م) فإنها قديسة طوت طريق الحقيقة بخطوات أفضل.

ويعيد الكثير من أقوالها إلى الأذهان ذكرى سانت تريز^(٢). وفي نفحات الأنس^(٣)، يقول الجامي في حقها^(٤):

[447]

ولو كان النساء كمن ذكرنا لفضلت النساء على الرجال
فلا التأنيت لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهِلال

وقد نقل دوزي^(٥) القصّة التالية على أنّها نموذج لمسلكها:

ذات يوم، وكانت رابعة تعبّة مريضة، توجّه الحسن البصري وشفيق البلخي لعيادتها:

قال الحسن: «من لا يصبر على عذاب مولاه ليس صادق الإيمان».

وأراد شقيق أن يصحّح كلام الحسن فقال: من لا يتلذذ من ضرب سيّده ليس صادق الإيمان». وهنا قالت رابعة: «من لا ينسى ألمه حين يفكر في مولاه لا يكون صادق الإيمان».

(١) ابن خلّكان - ترجمة دي سلان، ج ١ ص ٥١٥ - ٥١٧.

(تعلّيق م.ع): رابعة هي ابنة اسماعيل العدوي القيسي، وتكنّى بأُم الخير. ذكرها الشيخ فريد الدين العطار النيشابوري في كتابه القيم (تذكرة الأولياء) ضمن حديثه عن الرجال، وبرز ذلك بقوله: إنّ الله لا ينظر إلى صوركم (اقتباساً عن قسم من حديث الرسول عليه السلام). . . فابعة إذا تنسب إلى الصوفية بل إنّها من كبارهم. والتعبير بقديسة (كما ذكر المؤلف) تعبير مسيحي أجنبي لا يتسق مع الألقاب التي اصطلح عليها المسلمون في هذا الشأن.

انظر في ترجمتها: تذكرة الأولياء، ص ٧٢ - ٨٨، والصفحات ٣٣، ٣٧، ٧٠، ٨٣١.

. St. Theresa,

(٢)

(٣) طبعة ناسوليز، ص ٧١٦.

(٤) تعلّيق المترجم الفارسي. يذكر بديع الزمان فروزانفر أنّ هذه الأشعار لأبي الطيّب المتنبي.

(٥) طبعة ناسوليز، ص ٣١٩.

ويُنقل عن كتاب تذكرة الأولياء للشيخ العارف الإيراني الكبير فريد الدين العطار^(١) الذي كان يعيش في القرن الثالث عشر الميلادي - أن رابعة سُئلت: أتعاين الشيطان؟

فأجابت: لا. قيل: لماذا؟ قالت: بسبب محبة الرحمن لا أخشى عداوة الشيطان.

ثم قالت: رأيت نبي الله ليلة في منامي، فسألني: أي رابعة، أتحييني؟

فأجبت: يا رسول الله، ومن يملك ألا يحبك؟، ولكن محبة الحق قد تملكتني فلم يعد هناك مكان لحب غيره أو كراهيته.

ولو أردنا إن نعدّد هذه الأقوال ما توقفت عند حد لكنها تعكس صورة التصوف وتوضّح كيفيته في الإسلام في بدايته.

ثم اتّخذ التصوف بعد ذلك - في إيران بصفة خاصّة - إتجاهاً حاداً في طريق وحدة الوجود. وفي تصوّري أنّه أحرز هذا الاتجاه الجديد في تاريخ متأخّر كثيراً. وأعتقد أن المبنى الفلسفي الذي أوجده التصوف تدريجياً بحيث يمكن أن يطلق عليه (فلسفة).. هو في معظمه فلسفة الأفلاطونيين الجديدة^(٢).

(١) تعليق م.ع) انظرة في ترجمة العطار: السلاجقة في التاريخ والحضارة لأحمد كمال، ص ٣٦٨ - ٣٦٩، ط ٢، ذات السلاسل بالكويت، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

(٢) حلل السيد نيكلسون - صديقي وتلميذي السابق - هذه النقطة في كتابه: (منتخبات أشعار ديوان شمس تبريزي)، طبع كمبريدج عام ١٨٩٨م. وكان تحليله رائعاً خاصة في الصفحات من ٣٠ حتى ٣٦.

Mr. R. A. Nicholsun, Selected Poems From the Divan-i- shams-i-Tabrizi (Cambridge, 1898).

قارن هذا بما جاء في كتاب تحقيقات كرمز حول تاريخ تمدن الإسلام، ص ٤٥:

Alfred Von Kremer. Cult-Gesch, Streifzüge aufdem Gebiete des Islams (Leipzig, 1873).

[448] وإذا كنا لا نعتبر تأثير العقائد والأفكار الهندية^(١) في التصوف صفراً فالواجب علينا أن نقول إنَّ هذا التأثير كان تافهاً للغاية، وهذا يخالف الرأي الذي يتبنّاه أنصارُ ضعاف، ومع ذلك فإنَّه الرأي الشائع إلى وقتنا هذا بصورة كبيرة^(٢).

ويرى فون كرممر أنَّ هناك فرقاً بين قُدامى المتصوفة من العرب الذين لجأوا إلى الاعتكاف والتفكير وتهذيب النفس من جهة وبين من لجأوا إلى طريقة وحدة الوجود التي ظهرت بعد ذلك في إيران من جهة أخرى، ويؤكد - عن اعتقاد - أنَّ^(٣):

«التصوف بالمعنى الصحيح للكلمة - كما يبدو من تصرُّفات الدراويش المختلفة - قد نشأ على أساس من عقائد الهند وأفكارها. ومبدأ التصوف ومبناه على الأخص أحد مذاهب الهند الفلسفية المعروف بالثيدانتا «Vedanta».

(إلى هنا دار الحديث حول الدراويش. ويجب علينا أن نقرّر وجود فرق كبير بين مسلك الزهاد القابعين في الصوامع في صدر المسيحية - الذين تحوّل [449] هدفهم البسيط من الزهد والتقوى إلى الإسلام - وبين مسلك الدراويش). ويقول في موضع آخر^(٤).

(١) هذا نفس رأى دوزي (حول الإسلام، ص ٣١٧)، وينقل عن ترومب Trumpp قوله: «لا يمكن الشك في أنَّ التصوف من نتاج الهند - غير أنَّ المسلم به أكثر من غيره والأمر المحقّق أكثر من سواء هو أنَّ التصوف بعض ثمار المذهب البوذي بصفة خاصّة». «انظر: المجلد ١٦ ص ٢٤٤. (Z.D.M.G.)».

(تعليق. م.ع):

(٢) هذا كلام غير دقيق بل وغير صحيح. والصحيح هو ما قاله «فروزانفر» في الهامش التالي مباشرة. يرى بديع الزمان فروزانفر أنَّ المنبع الأصلي للتصوف هو الإسلام، وأنَّه بدأ بالزهد الكبير والتقوى المفرطة والورع الدقيق، وتميّز عن الزهد المتداول والإخلاص في العمل وصفاء النية، واتَّخذ له في النهاية صورة فلسفية.

(٣) كتاب دراسات فون كرممر حول تاريخ تمدن الإسلام.

(٤) كتاب العقائد تأليف فون كرممر، ص ٦٧ Herrschenden Ideen.

والحق أن التصوف - فيما يبدو - قد أدخل على نفسه عنصرين مختلفين:

* في المرحلة الأولى.. عنصر الزهد والتقوى المتبع في المسيحية، والذي حقق تقدماً كبيراً حتى في بداية الإسلام.

* في المرحلة الثانية.. عنصر التفكير والتأمل البوذي الذي تغلب على العنصر الأول إثر نفوذ الإيرانيين المتزايد في الإسلام، وأوجد عرفاء الإسلام بالمعنى الصحيح للكلمة.

وكان هدف التصوف الأول (الزهد والتقوى) سمة أخلاق العرب، وهدف التصوف الثاني (التفكير والتأمل) سمة أخلاق الإيرانيين^(١).

ومع الاعتراف الكامل بقوة هذا القول وقيمة هذا التمايز وأهميته فإنني لا أعتقد أن وجود نفوذ الهند أمر ثابت على نحو مقنع.

وقد تعرضت الدراسات الخاصة بإيران للعديد من اللطحات على يد علماء الهند وعلماء الأساطير التطبيقية وفقه اللغة؛ إذ حاول هؤلاء على سبيل المثال أن يفسروا الأفسستا من وجهة نظر القدا وحدها - من جهة - دون اهتمام بالروايات الزردشتية، واهتموا - من جهة أخرى - باللهجة الكريهة التي يتحدث بها الهنود الفارسية وبخاصة في انجلترا وألمانيا. كما أنهم قد بالغوا في مدح المؤلفات التي كتبها الكتاب الهنود باللغة الفارسية، متغافلين - في نفس الوقت - عن كل المؤلفات الأدبية الفارسية التي ظهرت في إيران خلال القرون الأربعة الأخيرة^(٢).

(١) (تعليق م.ع): صلة المسيحية والبوذية بالتصوف مرفوضة تماماً، أما فيما يتعلق بالتفكير والتأمل وقصرهما على الإيرانيين وعلى التصوف الإيراني، فقد شهد شاهد من أهل إيران بطلان هذا الادعاء، فقد كتب فروزانفر يقول: التفكير والاعتبار من المسائل التي أورد القرآن ذكرها مراراً، وقد أمر الله المسلمين بهما، ومنحهما الصحابة اهتمامهم. وينقل أبو نعيم في «حلية الأولياء» أن زوجة أبي الدرداء سُئِلت: ما كان أكثر عمل أبي الدرداء؟ قالت: التفكير والاعتبار. وبناءً عليه لا يمكن أن يكونا مما يُعَيَّرُ التصوف الإيراني.

(٢) من باب التمثيل: انظر مقالة الدكتور Dr. Ethé المتعلقة بالأدب الفارسي والتي كتبها في دائرة المعارف البريطانية، فقد راعى العدالة كثيراً فيما يتعلق بشعراء إيران الجدد في أثناء تناوله الأدب الفارسي الحديث. انظر: Neuper siche literature المجلد الثاني، ص ٣١١ - ٣١٦ من الكتاب الخاص بأساس فقه اللغة الإيراني، طبعة استراسبورج.

[450] ونحن محققون في أن نَحْذِرَ شيئين يشتهر بهما علماء الهند..
أولهما: ميلهم الكبير إلى تمجيد كل ما هو هندي الأصل، وثانيهما:
تعميمهم النبوغ الآري وتأكيده.

ومنذ زمن طويل - قبل أن تتجه الفلسفة الأفلاطونية الجديدة نحو العرب
(كما ذكرنا في ص ٢٤٧ من ترجمتنا الفارسية) - وصلت هذه الفلسفة إلى
إيران، وكان ذلك في عهد أنوشيروان (في القرن السادس الميلادي).

وإنني أقرُّ أنَّ وجه الشبه بين وحدة الوجود الصوفيَّة والفلسفة الأفلاطونيَّة
الجديدة أكثر بكثير من وجه الشبه بين وحدة الوجود الصوفيَّة ومذهب الفُدا
أو المذهب البوذي. وهناك احتمال كبير من وجهة النظر التاريخية.. أن
يكون الصوفيَّة قد استعاروا عقيدة وحدة الوجود من الفلسفة الأفلاطونيَّة
الجديدة أكثر من استعارتها من مذهب الفُدا وبوذا. وسوف نعود للبحث مرَّة
أخرى حول ارتقاء التصوُّف وتقدُّمه وذلك في أحد الفصول القادمة.

وقبل أن نترك التجليات المذهبيَّة الخاصَّة بهذه الفترة نلفت نظر القراء إلى
الديانات الأخرى غير اليهوديَّة والزردشتيَّة والمسيحيَّة، وإلى الفلسفات الأخرى
غير الفلسفة اليونانية.. تلك التي لها نشاطها وقوتها إلى الآن في آسيا الغربيَّة.

والآن نتحدَّث عن المانويَّة، ففضلاً عن المانويين كان الماندائيون أو
الصابئون الحقيقيُّون^(١) - في المستنقعات والبطائح بين واسط والبصرة (كلدة
القديمة) - يشكِّلون مظهراً من مظاهر مدينة بابل القديمة.

(١) (تعليق م.ع): يمكن معرفة الكثير عن الصابئة (تعريف بها، الأصل الاشتقائي لتسميتها، سبب
التسمية، ماورد بشأنها في القرآن الكريم، جذورها في الحضارة العربيَّة، أقسام الصابئة، الفرق بين
الصابئة والحرثانيَّة، عقيدة الصابئة ومذهبهم الفلسفي) وذلك بالرجوع إلى: مقال «الصابئة والحرثانيَّة
عقيدة ومذهباً» للدكتورة ميرفت عزت بالي، ضمن الكتاب التذكاري الصادر من جامعة الكويت، عام
١٩٩٣م = ١٤١٣هـ، في ذكرى الدكتور عبد الهادي أبي ريده، وكذلك بالرجوع إلى:
(أ) د. جبور عبد النور: الصابئة وأثرها في الفكر العربي، بحث منشور بمجلة الكتاب، المجلد
الثاني، السنة الأولى، الجزء السابع، دار المعارف للطباعة والنشر، مايو ١٩٤٦م = ١٣٦٦هـ.
(ب) السيد عبد الرازق الحسني: الصابئة قديماً وحديثاً، مصر ١٣٥٠هـ = ١٩٣١م.
(ج) الدمشقي (شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي طالب): نخبة الدهر في عجائب البر
والبحر، ليبزج ١٩٢٣م - ١٣٤٣هـ.

وكان العرب يسمُّون المانديين: «المغتسل»، إذ كانت هذه الجماعة تكثر من ممارسة آداب الاغتسال ورسومه ولم يفهم البحارة البرتغاليون - في القرن السابع عشر الميلادي - معنى هذا اللفظ ومغزاه فهماً جيِّداً، فأطلقوا عليهم [451] - بطريق الخطأ والتهريج - تسمية: (نصارى يوحنا المعمدان)^(١).

ويجب أن نفرِّق بدقّة بين الصابئين الحقيقيين وصابئة حرّان الكاذبين (وكانت حرّان تسمّى قديماً كرهه). وأول من كشف عن هذا الخطأ - الذي لايقبل الإصلاح - هو العالم الشهير خولسون، فقد تحدّث في كتابه العظيم^(٢) عن هذا الخطأ الذي نجم عنه شيوع لفظ الصابئين في الأطراف حتى هذا العهد، ونكتفي هنا بذكر موضوع واحد يشمل النقطة التي وضّحها: بحلول عام ٨٣٠م = ٢١٥هـ تقريباً وقع خطأ في حق طائفتين: فأخذت كل منهما تسمية الأخرى على الرغم من اختلافهما عن بعضهما تمام الاختلاف. والطائفتان هما:

الأولى: طائفة المانديين أو مغتسلي كلدة.

والثانية: طائفة الوثنيين السريانيين الذين اشتهروا في حرّان (الواقعة في منتصف الطريق تقريباً بين حلب وماردين) حتى القرن الحادي عشر الميلادي^(٣).

(١) انظر: كتاب Ssabier und Ssabismus ج ١ ص ١٠٠. وأهم المؤلفات حول المانديين:

Dr. A.J. Wilhem Brandt, Diemandäische Religion (1889).

Dr. A.J. Wilhem Brandt, Mandäische Schriften (1893).

Th. Nöldeke Mand, Grammatik, 1875,

H.Pognan, Consul de France à Alep, Inscr. Mand. des Coups de Khouabir (1898).

توجد طبعتان لكتاب المانديين المسمّى سدراربا (Sidrâ Rabbâ) أو جزئه (Ginza)، أوولى طبعة نوربرج Norberg في ثلاثة مجلدات (١٨١٥ - ١٨١٦م) = (١٢٣١ - ١٢٣٢هـ)، والثانية طبعة بيترمن Petermann في مجلدين (١٨٦٧م = ١٢٨٥هـ)، وقد وصف نولدكه مؤلّفات المانديين بقوله: «مؤلفات حافلة بالاختلافات العظيمة والموضوعات المتضادة، وقد كُتبت بلهجة لو قرأها من يعرف السريانية لتصوّر لأول وهلة أنه قد وقعت بها تحريفات كثيرة».

(٢) الكتاب في مجلدين، طبعة سان بطرسبورج، عام ١٨٥٦م: Die Ssabier und der Ssabismus.

(٣) انظر كتاب خولسون Chwolson الذي مضى ذكره، ج ١ ص ٦٦٩ و ٦٧١.

[452] وقد برز هذا الخطأ على النحو التالي^(١):

بينما كان الخليفة المأمون - في نهاية حربه مع الروم الشرقيين - يمر في ولاية حِران، شاهد بين المستقبلين عدداً من الأشخاص ذوي أشكال غريبة غير معهودة، وشعور طويلة للغاية، وهم يرتدون عباءات ضيقة، ودهش المأمون لمراهم وسألهم عن هويّتهم، فأجابوه: «حُرانيون». وسألهم ثانية، فأجابوه: لسنا مسيحيين ولسنا يهودا ولسنا مجوساً.

وعندما حاول معرفة ما إذا كان لهم كتاب مقدّس أو رسول، سمع منهم جواباً مبهماً، فأيقن آخر الأمر أنهم من الزنادقة^(٢) أو عبدة الأوثان، عندئذ أمر الخليفة بأن يقتلوا أو يعتنقوا الإسلام، أو يدخلوا أي دين ذكره الله تعالى في كتابه. وأمهّلهم حتى عودته من الحرب ليعطوه قرارهم. وقد أخافت هذه التهديدات الحرانيين وملأت قلوبهم رعباً، حتى إنهم قصّوا شعورهم الطويلة، وخلعوا ملابسهم الخاصّة، واعتنق الكثير منهم الإسلام أو المسيحيّة، وإن بقي بعضهم على دينه. وإزاء قلق الكثير منهم واضطرابه.. أبدى فقيه مسلم استعداداً لحلّ مشكلتهم هذه لقاء أجر ومكافأة؛ فأحضروا له من خزائهم قدراً كبيراً من الذهب النضار، فنصحهم أن ينسبوا أنفسهم - حين يعود [453] المأمون من سفره ويسألهم - إلى طائفة الصابئين، لأنّ للصابئة ذكراً في القرآن.. ولمّا كانت الأخبار المتعلّقة بهم قليلة، فإنّ تغيير الاسم لن يستلزم بالضرورة تغيير المعتقدات أو الآداب والرسوم التي درجوا عليها.

وداهم الموت المأمون قبل عودته من سفره، فترك أغلب الحرانيين - ممن اعتنقوا المسيحيّة - الدين المسيحي على الفور وبصورة علنيّة، وارتدّوا إلى دينهم السابق. أمّا من دخلوا الإسلام فإنّهم لم يجرؤوا على الارتداد إلى دينهم السابق لأنّ القتل في الشريعة الإسلامية جزاء المرتد.

(١) نفس المرجع، ج ٢ ص ١٤ - ١٩. وقد سُجّلت هذه الموضوعات في كتاب الفهرست لابن النديم (طبعة فلوجل، ص ٣٢٠ - ٣٢١) اعتماداً على قول كاتب مسيحي معاصر يُدعى «أبو يوسف القاطعي».

(٢) بناء على قول تقي زاده. يجب حذف لفظ الزنادقة.

ويقول راوي الخبر إنهم احتفظوا باسم «صابيء» لأنفسهم منذ هذا التاريخ، لأنَّ حَران وأطرافها لم تكن تعرف قبل ذلك أحداً باسم صابيء.

والآن، فإنَّ هؤلاء الصابئين الحرّانيين الكاذبين المنحدرين من نسل وثنيي بين النهرين القدامى والسريانيين يشكّلون جماعة من المثقفين والعلماء ممن سَمُوا بأرواحهم، وسعوا لكسب أفضل العلوم، وشحنوا مؤلفاتهم العديدة بالآداب السريانية والعربية^(١). وكانت حران في عهد الإسكندر الأكبر خاضعة تماماً لنفوذ اليونانيين إلى حدٍّ أنها اتَّخذت لها اسماً جديداً هو النوبوليس أو هلنوبوليس، ومع أن سكّانها كانوا آنذاك يتحدثون بلهجة سريانية خالصة فإنَّ قسماً منهم كان يوناني الأصل يخالف الذين المسيحي بعنف - وهو دين أكثر المواطنين - ويعشق الحضارة اليونانية، وبخاصة الفلسفة الأفلاطونية الجديدة. لهذا السبب ظلَّت مدينتهم - مدّة طويلة - بوتقة يينصهر فيها من تعلّقوا بحماسة بالغة بثقافة عبدة الأوثان. ويمكن أن يُسلّك الإمبراطور كاركالا^(٢) وجوليان المرتد (قيصر الروم) في عدادهم^(٣).

[454] وفي زمن الخلافة العباسية، علّم وثنيو حَران المسلمين كلَّ حِكَم اليونان، ولقّنوهم علمهم الذي كانوا يكتُمونه ويفضّلونه على ماعداه. كما أعدّوا لعاصمة الخلفاء طائفة من أجلّ العلماء، أمثال ثابت بن قره (ت ٢٨٩هـ = ٩٠١م) وابنه أبي سعيد سينان وحفيديه إبراهيم وأبي الحسن ثابت وأعقابهم إسحق وأبي الفرج، وغيرهم ممن ورد ذكرهم وشروح أحوالهم في الفصل الثاني عشر من الكتاب العظيم الذي ألفه خولسون. وقد نال أكثرهم أعلى

(١) انظر الشرح الذي وضعه كونيك Kunik حول كتاب Chwolson في Mélanges Asiatiques، المجلد الأول، ص ٦٦٣.

(تعليق م.ع): حول الصابئة والحرانية أحيل القارئ إلى مقال حديث للدكتورة ميرفت عزت، بعنوان: «الصابئة والحرانية عقيدة ومذهب» نشرته في الكتاب التذكاري الصادر عن قسم الفلسفة بجامعة الكويت في ١٩٩٣م = ١٤١٣هـ بمناسبة ذكرى د. محمد عبد الهادي أبي ريدة.

(٢) Emperor Caracolla.

(٣) Julian The Apostate

مدارج الرفعة في ميادين الطب والنجوم والرضيَّات والهندسة والفلسفة. وفي ظلّ نفوذهم أجيّز لأتباع دينهم - في البلاط المتفرّد بعشق العلم - أن يظلّوا على عبادتهم للأوثان، وكانوا قد أسدلوا ستاراً رقيقاً على عقائدهم وأفكارهم^(١) لسترها وإخفائها.

والحقّ أن السريانيين من الوثنيين والمسيحيين كانوا - بصفة عامّة - أفضل وسيلة لانتقال علوم اليونان للمشرق، ثم عادت هذه العلوم على يد العرب من المشرق إلى المغرب. وتدفعنا أهميّة هذا الموضوع إلى إيراد ترجمة المقال القيم الذي كتبه بروكلمان^(٢).

[455] «منذ عهد الإسكندر الأكبر وأتباعه وسوريا وبين النهرين تحت سيطرة الحضارة اليونانية. وقد تسبّبت سيادة الروم وخلفائهم من الروم الشرقيين في اتّساع رقعة الثقافة اليونانية في الشام وانتشارها في ربوعها. ومنذ اختلّطت ثقافة اليونان بالمسيحيّة وتسلّلت إلى إحساسات الناس للمرّة الأولى حدث تقدّم خاص. ولما كان السريانيون قليلي الميل للأمر الابتكاريّة فإنّهم كانوا يأخذون حاصل جهود الأجانب الفكرية ويحلّلونها. والحقّ أنّهم كانوا مؤهلين لهذا الأمر أكثر من اللازم، وكانوا يبدون في هذا السبيل ميلاً يفوق الوصف. وقد أعدّوا - عن ذلك السبيل - ترجمات عديدة لمؤلّفات يونانيّة انتهوا منها في الصوامع السوريّة. ولم تكن ترجماتهم قاصرة على الكتب والرسائل الدينية الواسعة الانتشار، ذات الصلة بالكنيسة اليونانيّة، فقد ترجمت

(١) توجد اليوم في آسيا الغربيّة عدّة فرق أمثال النصيريّة واليزيديّة (أو عبدة الشيطان) وغيرهما. وكما ذكر خولسون وآخرون، فإنّ هذه الفرق - باحتمال أقرب إلى اليقين - تعتبر من بقايا مجتمعات عبدة الأوثان القديمة. وربما أخفى هؤلاء عقائدهم الحقيقيّة وأعمالهم بدقة ليتمكنهم بتلك الوسيلة أن يحفظوا بالقبول لدى حكام المسلمين. وقد اختاروا لأنفسهم - في حرّية - أسماء لها قدسيّتها عند المسلمين كي يُعتبروا في زمرة أهل الكتاب، ويثبت لهم هذا الحقّ فيعاملوا معاملة أهل الكتاب، غير أنّهم لم يكونوا مهرة - على طول الخط - في اختيار هذه الأسماء.

(٢) انظر: المجلد الأول من كتاب بروكلمان في تاريخ الأدب العربي، ص ٢٠١ وما بعدها.

Carl Brockelmann Gesch. d. Arabische Literatur.

كذلك كل المؤلفات غير الدينية تقريباً، وهي التي لا ينتمي أصحابها إلى طائفة رجال الدين (خاصة أرسطو وبقرات وجالينوس) .. ممن كانوا يسيطرون على العلوم غير الدينية.

«وفي ذلك الوقت - أي إبّان حكم الساسانيين - كان السريانيون هم الواسطة في انتقال المعارف اليونانية إلى امبراطورية إيران. وطبعي أن معارف اليونان غير الدينية كانت هي وحدها التي يروّجها بلاط إيران. وفي عام ٥٥٠م تقريباً، أسّس خسرو أنوشيروان^(١) جامعة في جندي شاپور الواقعة بخوزستان لإجراء الدراسات والتحقيقات الفلسفية والطبية. وقد استمرّ نشاط هذا الجهاز العلمي اليوناني والسرياني حتى عهد العباسيين، وازدهر أيّما ازدهار».

«أما العُشُّ الثالث للآداب اليونانية فكان مدينة حران في ما بين النهرين. وكانت هذه المدينة محاطة بالنصارى الذين يراعون تقاليد الجاهلية والوثنية القديمة الخاصة بأصلهم السامي. وبقدر اهتمام بابل القديمة بالرياضيات [456] والنجوم، كان هؤلاء يرتبطون بدينهم ارتباطاً وثيقاً. وعلى الرغم من المقام السامي الذي حقّقه أهالي حران عن طريق حضارتي آشور وبابل فإنهم لم يكونوا في دراستهم بمعزلٍ عن تأثير الديانة اليونانية ونفوذها».

«عن طريق المنابع الثلاثة المذكورة وصلت العلوم اليونانية إلى العرب في أرمغان على هيئة ترجمة. وكان يبلات المنصور طبيب من أطباء جندي شاپور، وقد نجح في تعريب عدد من الكتب الطبية. وفي عهد هارون الرشيد طارت شهرة المترجم «يوحنا بن ماسويه». أما الخليفة المأمون .. فإنه كان يُفضّل سواه في التشجيع على الترجمة، وييدي اهتماماً بالغاً بالعلم، ويباشر بنفسه المساعي المبذولة في ذلك السبيل على نحو يفوق الوصف. ويكفي

(١) يمكن الوقوف على أخبار أنوشيروان بالرجوع إلى:

د. أحمد كمال حلمي: ٣٥٠٠ عام من عمر إيران، ج ١، ص ١٨٦ - ١٩٣، طبع الكويت ١٩٧٩م = ١٣٩٩هـ.

بيت الحكمة والمكتبة والمرصد - التي أسسها في بغداد - شاهداً على فرط همته ونشاطه في سبيل ترويج العلم ونشره. لقد غطت الترجمات التي ظهرت في عهده وعهود خلفائه على ماسبقها من ترجمات، وبقيت لنا دون غيرها». ويعتبر العلماء المسيحيون التالية أسماؤهم من أعلى المترجمين قدراً في ذلك العصر:

قسطا بن لوقا من أهل بعلبك، وحنين بن إسحق من أهل الحيرة، وابنه إسحق، وابن أخيه حبش.

وبهذه الطريقة ورثت حضارة بغداد - في عهد العباسيين - عقلية آشور وبابل وإيران والهند واليونان القديمة، وورثت حكمتها. وهذا الميراث مدين في معظمه للخدمات التي قدّمها الوثنيون أمثال ثابت بن قرّة، والمسيحيون أمثال حنين وقسطا، والمجوس أمثال ابن المقفع، سواء منهم من ارتدّ عن دينه ومن لم يرتد^(١)، أو «أهل البدعة» من المعتزلة أمثال عمرو بن بحر الجاحظ وغيره من اليهود والنبط.

[457] ومع أنه قد قيل في حقّ العرب: «الشعب العربي من أذكى الشعوب التي وجدت إلى الآن»، فإنّ ماقدموه باللغة الرائعة التي ذكرناها في مجال تصنيف هذه المجموعة العلميّة العظيمة.. كان قليلاً، ولكنّا نقرأ أنهم جمعوا العلوم وأحاطوا بها، وبذلوا جهداً في تحليلها وتفسيرها ونقلها، وأنجزوا ذلك الأمر على نحو جعل البشريّة - خاصة في أوروبا - مدينة لهم.

وقد نقل من ذكرناهم من غير المسلمين روائع القدماء العلميّة إلى العرب

(١) من المترجمين الذين عربوا الآثار البهلويّة - غير ابن المقفع - وورد ذكرهم في الفهرست لابن النديم (طبعة فلوجل ص ٢٤٤، ٢٤٥): أسرة نوبخت (الفهرست، ص ١٧٧، و ٢٧٤)، وهي أسرة شيعيّة متحمّسة، ومنهم أيضاً بهرام بن مردانشاه رجل الدين في نيشابور (الموید)، وعشرة أشخاص أو أحد عشر آخرين.

وقد ورد ذكر عالمين هنديين ترجما عن السنسكريتيّة، كما ورد ذكر ابن الوحشيّة مترجم الكتاب المعروف (الفلاحة التبعية).

في أرمغان، ورَدَّ العرب لهم الجميل لقاء خدماتهم. ويتَّضح هذا المعنى من تلك الأشعار التي نظمها سري الرفاء^(١). يقول الشاعر المذكور في رثاء^(٢) ثابت بن قرَّة الطبيب والرياضي الصابىء:

أحيا لنا رسمَ الفلاسفة الذي أودى وأوضح رسمَ طبِّ عافى
وكانت العناصر التي تشكَّل وَسَطَ بغداد العلمي - في القرن الأول من حكم العباسيين - عناصر عجيبة لاتجانس بينها وقد غرق المسلمون الأتقياء والزَّهاد القادمون إلى بغداد من مكة والمدينة في بحار الحيرة لدى رؤيتهم لشيئين:

أولهما: أنَّ غير المؤمنين كانوا يشغلون أعلى المناصب في البلاط.

وثانيهما: أنَّ علماء كل مذهب كانوا يبحثون في مباحث الوجود العالية وماهيتها وكنهها، وفيما وراء الطبيعة، وفي الحكمة الإخوانية، وكانوا متَّفقين فيما بينهم على عدم الاعتماد - في مباحثاتهم - على الكتب السماوية.

[458] ومع ذلك وجدنا في هذا المحيط جماعة دينية لم تحظ قط - فيما يبدو - بإغضاء البلاط. . رغم أنها كانت تبدي التسامح في ذلك، وتنادي بتطبيقه على جميع المذاهب. هذه الجماعة هي المانوية. . التي كان يُطلق عليها - بصفة عامة - الزنادقة. وقد كتب الطبري عنهم قائلاً انهم تعرَّضوا للمطاردة والإيذاء إبان حكم المهدي (٧٨٠ - ٧٨٢ م = ١٦٤ - ١٦٦ هـ) والهادي (٧٨٦ - ٧٨٧ م) = (١٧٠ - ١٧١ هـ).

وفي خلافة هارون الرشيد كان هناك قاضٍ خاصٌّ يُطلق عليه «صاحب الزنادقة»، وكان مكلفاً باكتشافهم ومعاقبتهم^(٣).

(١) ابن خلكان (متن ووستنفلد Wāstenfeld) ج١، العدد ١٢٧؛ ترجمة دوسلان، ج١ ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

(٢) تعليق المترجم: يورد ابن خلكان سيرة ثابت بن قرَّة ويقول فيها إنَّ هذا الشعر لم يُنظم في الرثاء، وأنَّ سري الرفاء قد كتبه لثابت بعد شفائه من مرضه ليشكره على علاجه له ويعترف له بالجميل.

(٣) انظر: ص ٢١٠ ومابعدا من كتاب تحقيقات فون كرمر حول تاريخ تملُّن الإسلام.

ولم يكن بين الزنادقة إيرانيون وخوارج فحسب، بل وكان بينهم عربٌ خُلص.. أمثال: صالح بن عبد القدوس ومطيع بن إياس، وهما من شعراء هذا العصر. ولم يكن وضع الزنادقة يقابل في خلافة المأمون بنفس الدرجة من التشدد، لأن المأمون كان كالإيرانيين - سواء بسواء - مولعاً بدراسة المذاهب السريّة؛ ولهذا لُقّب بأمير الكافرين^(١).

ولقون كرم (ص ٤١ و ٤٢ من الكتاب السابق الذكر) رأي آخر، فهو يقول: إن المتّبع في ذلك العصر هو التظاهر بالتبعية لمذاهب البدع والضلال. وقد رأينا أحد شعراء ذلك العهد يعترض على إلباس الكباش جلد الذئب، فيقول في ذلك الشأن مقررّاً مويّخاً:

يا ابن زياد يا أبا جعفر	أظهرت ديناً غير ماتخفي
مزندق الظاهر باللفظ في	باطن إسلام فتّي عَفّ
لست بزنديقي ولكنّما	أردت أن توسم بالظرف ^(٢)

(١) اليعقوبي - طبع هوتسما، ص ٥٤٦.

(٢) تعليق المترجم: نقلاً عن مُصحى الإسلام لأحمد أمين، طبع القاهرة ١٣٦٥هـ = ١٩٤٦م، الذي نقل بدوره عن الأغاني ١٥ - ١٧.

الفصل التاسع

**رؤساء الفرق الكبرى في إيران
في هذا العصر**

الفصل التاسع

رؤساء كبرى الفرق الإيرانية في هذا العصر

[459] مُواكبةً للفرق التي ظهرت في الإسلام، وجلبت العقائد السابقة عليه - أي العقائد غير الإسلامية - وجلّتها في صورة جديدة... نهضت في إيران ديانات ومعتقدات كان لها وجودها قبل الإسلام، ونشطت وراجت. ويعتبر النبي الكاذب «بهافريد» آخر مظهر لذلك الأمر، وقد ورد بشأنه شرح مختصر في الفهرست (ص ٣٤٤)، وفي الآثار الباقية لأبي ريحان البيروني (ترجمة زاخو، ص ١٩٣ و ١٩٤)^(١)، وهذه ترجمة لما جاء في الكتاب الأخير:

في زمان أبي مسلم مؤسس الدولة العباسية^(٢).. ظهر في قرية خواف بنيسابور التابعة لقصبة سيراوند شخص يدعى بها فريد بن ماه فروردين. وكان الرجل من أهالي زوزن، غاب عنها - بادئ الأمر - سبع سنوات سلك فيها طريقه إلى الصين^(٣). وحين عاد جاء معه بعدة أشياء عجيبة، من بينها قميص أخضر ناعم رقيق إلى حدّ أنّ اليد يمكنها أن تطبق عليه إذا ما طوى.

واتّخذ بها فريد طريقه ليلاً إلى أحد المعابد، وترك المعبد مع شقشقة [460] الفجر هابطاً إلى القرية، فرآه فلاح يحرق أرضه. وأخبره بها فريد أنه صعد إلى السماء في فترة غيابه عن الأنظار، وهناك رأى الجنة والجحيم، وأوحى الله إليه، وألبس هذا اللباس الأخضر، وأنه قد أُرسِلَ تَوْأماً إلى الأرض. وصدّقه الفلاح، وأخبر الناس أنّه رأى بعينه نزوله من السماء. وادّعى بها فريد النبوة، وأعلن مبادئ عقائد الجديدة فأمن به الكثير من المجوس. وقد اختلف معهم في أكثر المراسم والآداب، لكنه كان يصدّق زرادشت ويعترف بمذهبه بين أتباعه. وقد ادّعى أنّ الوحي ينزل عليه سرّاً، وفرض على أتباعه سبع

(١) Chronology of Ancient Nations, (Sachu's trons. 1879)

(٢) تعليق المترجم: يري تقي زاده أنّ لقب (داعية العباسيين) أنسب.

(٣) ريثما يكون قد تأثر بأسطورة ماني.

صلوات؛ إحداهما في توحيد الله الواحد وعبادته، والثانية في خلق السماء والأرض، والثالثة في خلق الحيوان ورزقه. والرابعة في الموت، والخامسة في البعث والحساب أو القيامة ويوم الحشر والحساب، والسادسة في أهل الجنة وأهل النار، وما يُتدارك من أجلهم، والسابعة في مدح أهل الجنة.

وكتب لأتباعه كتاباً باللغة الفارسية، وأمرهم بالسجود للشمس، وبأن يضعوا ركلة واحدة على الأرض أثناء عبادتها، وأن يولّوا وجوههم دائماً شطرها. كما أمرهم أن يتركوا شعورهم تطول، ويتوقفوا عن الزمزمة في أثناء تناول الطعام^(١). ونهاهم عن ذبح الأنعام إلا إذا هزلت وضعفت، وعن شرب الخمر. وأمرهم بالامتناع عن أكل الميتة، وعن الزواج من أمهاتهم وبناتهم وأخواتهم وبنات أخواتهم أو بني إخوانهم^(٢)...

[461] وأمرهم ألا يقبضوا أكثر من ٤٠٠ درهم مهراً للعروس، وأن يدفع الشخص سُبع ما يملكه وما يكسبه من عمله وكذّاه مساهمة منه في تعمیر الطُّرُق والجسور.

ودخل أبو مسلم نيسابور فتجمّع حوله الموابدة والهرابدة^(٣)، وشكوا إليه من أنّ بها فريد^(٤) قد أفسد دين الإسلام ودين زردشت. وأرسل أبو مسلم عبدالله بن شعبة إليه، فقبض عليه في جبال بادغيس وأحضره، فقتله أبو مسلم وقتل كل من تمكّن من القبض عليه من أتباعه.

(١) المراد بالزمزمة الأدعية والأذكار التي كان الزردشتيون - بصفة خاصّة - يتلون بها ببطء وبصوت مسموع.

(٢) كان دين زرادشت يوافق على الزواج بالمحارم ويستصوب الأمر.

(هذا ما يدّعيه خوتو - دس Khvetu-des)

(٣) المراد بهم رجال الدين من الدرجة الثانية والدرجة الثالثة في الدين الزردشتي، وكانوا يسمون رئيس الجماعة الدينيّة (الدستور)

(٤) (تعليق م.ع): وردت إشارات في بعض الكتب التي تتحدّث عن الكتب الشريّة الفارسيّة التي ترجع إلى عصر السامانيين. ومن هذه الإشارات يُفهم أنّه كان هناك كتاب بالفارسيّة في أحكام مذهب بها فريد المتنبّي غير أنّه ضاع. وقد وردت الإشارة عند مجد خوافي في كتابه «روضة الخلد» سنة ٧٢٣هـ = ١٣٢٣م، الذي أرجع تأليفه إلى صدر الدولة العبّاسيّة. ولا ندري ما إذا كان الكتاب بالخط العربي أو البهلوي.

(تعليق م.ع): انظر: ٣٥٠٠ عام من عمر إيران، ج ١، ص ٣٢٠.

وما زال «البها فريدون» أتباع بها فريد - يطبقون إلى الآن تعاليم مؤسس ديانتهم، ويتشدّدون في عدائهم للمجوس المعتقدين في الزمزمة. وهم يتوهمون أن خادم نبيهم قد قال عنه إنه امتطى جواداً أصفر اللون وتوجّه به إلى السماء، وإنه كما صعد سوف ينزل وينتقم من أعدائه^(١).

وبناء على الشرح الذي أورده ابن النديم باختصار حول بها فريد (ص ٣٤٤) نفهم أنه دَخَلَ الإسلام على يد داعيتين لأبي مسلم.. هما شبيب بن داح وعبدالله بن سعيد، وأنّه ارتدى رداء العباسيين الأسود، ثم ارتدّ فيما بعد عن الإسلام، وقُتل.

وراوى هذا الخبر هو إبراهيم بن العباس الصولي (ت ٨٥٧ - ٨٥٨م) ٢٤٣-٢٤٤هـ. وطبقاً لما رواه.. «ما زال هناك في خراسان عدد من الناس يتبع أصول عقائد بها فريد».

[462] وبناء على قول الشهرستاني (ص ١٨٧) فإنّ هذه الفرقة تتخذ لها اسماً آخر هو: (السيسانية). وهو يرى أن هؤلاء القوم «أكثر خلق الله عداوة للمجوس المزمزمين»، وأنهم يعرفون زردشت بالنبي، ويحترمون الملوك الذين يجلوّنه».

ولا تمكّنا الدراسات الناقصة التي بين أيدينا حول بها فريد من اتّخاذ قرار واضح يتعلّق بماهيّة عقائده وكُنه أصولها. ولعلّ أهمّ عقائده وأبرزها تلك التي تقول بالعدد سبعة، وتلك المرتبطة بغيبة مؤسس الفرقة ورَجْعته. وسوف

(١) يضاهي ذلك انتظار أتباع المقتّع له. وفي الصفحات القليلة التالية يدور البحث حول المقتّع ورَجْعته التي انتظرها أتباعه. وفي عام ٣٥٠هـ = ٩٦٠م كتب البلخي حول البها فريدين الموجودين في عهده والذين كان يعرفهم معرفة شخصية. انظر: المجلّد الأول من كتاب «المبدأ والتاريخ» طبع وترجمة هوار الفرنسي Cl. Hurat ص ١٦٤ من الترجمة.

تعليق المترجم الفارسي: يذكر تقي زاده ما يلي: مؤلّف هذا الكتاب هو مظهر بن طاهر المقدّسي. وهذا يعني أنّ هوار الفرنسي قد أخطأ في أثناء طبع الكتاب ونشره، فنسبه إلى أبي زيد البلخي، وظلّ اسمه عليه.

نجد في ذلك العصر وما تلاه عن عصور - بل وفي العصر الحاضر - نماذج متعددة للفرق المذكورة، ولمن كانوا يعتقدون - أو ما زالوا يعتقدون برجوع أبطالهم.

وفيما يتعلّق بالغلاة... يقول الشهرستاني (ص ١٣٢):

يغالي الغلاة في حقّ أئمّتهم إلى حدّ أنّهم يعتبرونهم فوق المخلوقات، وينسبون إليهم الفضائل الملكوتية والصفات الإلهية. وهم في أغلب الأحيان يشبّهون أحد الأئمة بالله. وكثيراً ما يرون الله إنساناً، ويدّعون أنّهم يقرطون ويقرطون في الغلوّ والتقصير، وهم بهذا اللون من التشبيهات يترزون ميلهم إلى اعتناق الحلولية (الاعتقاد بأن الله قابل للحلول في جسم الإنسان). وكذلك يفعل التناسخية^(١) واليهود والنصارى؛ لأنّ اليهود يشبّهون الخالق بالمخلوق.

[463] وقد بلغ ميلُ غلاة الشيعة لهذا اللون من التشبيهات إلى حدّ أن زينت لهم أفكارهم أن ينسبوا فضائل الحقّ الواحد الفرد لأئمّتهم. وكانت هذه التشبيهات بادية ذي بدء قاصرة على الشيعة دون غيرهم، ثم قبلها عدد من أهل السنة بدورهم.

ومبادئ عقائد غلاة الشيعة المبتدعين أربعة: التشبيه، والبدء، والرجوع؛

(١) (تعليق م.ع): التناسخ مذهب قديم عرفه الهنود وعرب الجاهلية؛ فقد زعموا أنّ الإنسان إذا مات أو قُتل اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته وانتصبت هامته فيرجع إلى رأس القبر على رأس كل مائة سنة، وقد ردّ الرسول الكريم زعمهم فقال: لا هامة ولا عدوى ولا صغر. ومنذ أواخر القرن الأوّل كثر علم العرب بهذا المذهب، وكان فريق من غلاة الشيعة قد تدبّن به كأصحاب «عبدالله بن سبأ» الذي قال لعلي رضي الله عنه: (أنت أنت) أي أنت الإله، فنفاه إلى المدائن، فأدّعى بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي. ومثل هؤلاء أصحاب «أبي كامل» الذي كان يدّعي أنّ الإمامة نور «يتناسخ متنقلاً من شخص إلى شخص». وذلك النور يكون في شخص نبوة، أو يكون في شخص إمامة، وربما تناسخت الإمامة فصارت نبوة... وقال بتناسخ الأرواح وقت الموت. والغلاة على أصنافهم متفقون على التناسخ والحلول.

انظر: عمر الخيام: عصراً وبيئةً ونتاجاً، لأحمد كمال، نشر دار العروبة بالكويت طبع الخانجي بالقاهرة ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م، ص ٨٣، ٨٤.

والتناسخ. ويُطلق على أتباع هذه العقائد في كل مملكة اسماً مغايراً؛ ففي أصفهان يسمّون الخرمية والكودية، وفي الري المزدكية والسنادية، وفي آذربايجان الداقلية، وفي بعض المناطق المحمرة (ذوي الأردية الحمراء)، وفي ما وراء النهر المبيضة (ذوي الملابس البيضاء).

وغلاة الشيعة - موضوع بحثنا الآن - والذين أثاروا ضجةً آنذاك في إيران حول زهد وعقّة سنباد المجوس والمقنّع نبي خراسان المنقّب وبابك وآخرين. هؤلاء الغلاة - أمثال الإسماعيلية الذين جاءوا بعد ذلك والباطنية والقرامطة والحروفية - قد أبرزوا ثانية وبشدّة نفس العقائد المرتبطة بالتشبيه وظهور الحق في صورة البشر والتجسّد الثانوي والرجعة والتناسخ.

ويبدو أن هذه العقائد توجد في إيران بشكل مزمن، وأنها تنتظر دائماً وجود المحرّك المناسب لتسري كالعدوى، وقد عادت تلك الأفكار للظهور في تلك الأيام في صورة «الحركة البائية».

وفي أوائل عهد الحركة البائية (١٢٦٠ - ١٢٦٩ هـ = ١٨٤٤ - ١٨٥٢ م) كانت روح كلامهم هي نفس الأصول. أما فيما بعد وهم بزعامة بهاء الدين (ت ١٣١٠ هـ = ١٨٩٢ م)، والآن وهم بزعامة ابنه عباس افندي - فإنّ غصن تلك الأصول - ذلك الغصن العظيم - قد اتخذ صورة فرع قلّ أن يجذب الانتباه.

(يبدو أن أتباع عباس افندي كانوا يرون في مجيئه رجوع عيسى المسيح. وفي أمريكا، ارتبط عدد كبير نسبياً بهذه الأصول، وصاروا من الموالين لها). والشبه الموجود بين الفرق المتعدّدة المذكورة شبهٌ يستحقّ الاهتمام إلى أقصى حد، وربما يكون تاريخها - على مدى الأحد عشر قرناً ونصف الأخيرة - قد بُحث تفصيلاً.

[464] ويمتد التشابه ليشمل الجزئيات والدقائق المتّصلة بالاصطلاحات والألفاظ، ويؤدّي إلى انتخاب الفرق لعدد من الألوان (خاصة الأحمر والأبيض) على أنها علامات لها، فالبائية على سبيل المثال - كانوا في بداية

أمرهم يرتدون رداءً أبيض^(١) شأنهم شأن فرقة المبيضة في تلك الفترة التي نبحتها. وكان ميلهم إلى اختيار الحبر الأحمر - لتحرير كتبهم - تقليداً من جانبهم لفرقة المحمرة. أمّا رواج هذه العقائد في إيران قبل الإسلام، ودرجة رواجها بأشكال وصور أخرى.. فمسألة تلفت الانتباه. إنّ حركات غلاة الشيعة المختلفة تُعدّ في نظر مؤرخي الإسلام الأقدمين والمتأخرين في حكم عودة مذهب مزدك وتجدد ظهوره. وسوف نتحدث هنا بالضرورة حول الحركات المذكورة. صحيح أننا تحدثنا عن مزدك في الفصل الخاص بالساسانيين (ص ٢٤٩ - ٢٥٥ من هذه الترجمة الفارسية) لكن معلوماتنا حول أصول مبادئه تعتبر ضحلة لسوء الحظ، مما يجعل إثبات آرائنا أمراً صعباً. غير أن هناك كتاباً ذوي دراية يمكنهم ذلك، أمثال:

مؤلف الفهرست (ص ٣٤٢ - ٣٤٥) الذي ألف كتابه عام ٣٧٧هـ = ٩٨٧م؛ والشهرستاني (ص ١٩٣ - ١٩٤) الذي ألف كتابه عام ١١٢٧م = ٥٢١هـ؛ وخواجه نظام الملك^(٢) وزير السلاجقة الشهير الذي قتله مندوب طائفة الإسماعيلية عام ١٠٩٢م = ٤٨٥هـ لأنه كان قد هاجم هذه الطائفة بشدة، وأدانها في كتابه بجريمة إحياء أفكار مزدك^(٣) المضللة (سياست نامه، ص ١٨٢ - ١٨٣، طبع شفر)؛ وغير هؤلاء.

[465] وطبقاً لرأي المؤرخين الإيرانيين: لسان الملك ورضا قلى خان، والمؤرخين الأوروبيين. ليدي شيل^(٤) ونولدكه^(٥) فإنّ البائية في العصر

(١) انظر: كتاب التاريخ الجديد، الباب الذي ترجمه براون، كمبريدج ١٣١١هـ = ١٨٩٣م، ص ٧٠، ٢٨٣.

(٢) انظر في ترجمته «النار تتكلم» لأحمد كمال، المقال الخاص بنظام الملك والملحق بالكتاب، طبع مؤسسة الصباح بالكويت. ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م.

(٣) (تعليق م.ع): لمعرفة الكثير عن مزدك وأفكاره، انظر: «٣٥٠٠ عام من عمر إيران»، ج ١ ص ١٨٣ - ١٨٦؛ وكذلك: «النار تتكلم» لأحمد كمال.

(٤) Lady Sheil, Glimpses of life and Manners in Persia (1856) P. 180.

(٥) Nöldeke, Orientalischer Socialismus.

انظر: مقالة نولدكه في المجلد الثامن عشر Deutsche Rundschau، ص ٢٨٤-٢٩١ (عام ١٢٩٧هـ = ١٨٧٩م).

الجديد لهم بدورهم أفكار وعقائد مشابهة. وفي صفحة ٣٤٢ من «الفهرست».. هناك بحث تحت عنوان مذهب الخرمية والمزدكية - ومؤلف الكتاب يرى المذهبين مذهباً واحداً. كما أنَّ المحمرة (أصحاب العلامة الحمراء) وأتباع بابك الخرمي والمسلمية أو الفرق التي كانت تقول بإمامة - أو حتى ألوهية - أبي مسلم - كفرقة سنياد المجوسية وإسحق الترك - تشكل، على ما يبدو، مع الخرميين والمزدكيين مذهباً واحداً.

(يقال إن إسحق قد سُمي بالترك لا لأنه من أصل تركي، بل لأنه دخل بلاد الترك، ودعاهم إلى قبول رسالة أبي مسلم).

وفيما يتعلّق بالمقنّع يقول أبو ريحان هو الآخر (في كتابه ص ١٩٤): «حَكَمَ المقنّع بأنَّ أتباع كُلِّ قوانين مزدك وأحكامه فَرَضَ على أتباعه وواجبٌ عليهم».

ويعتقد الشهرستاني - كما بيّنا أنَّ الألفاظ: مزدكي وسنيادي وخرمي ومبيضة ومحمرة.. كُلُّها ألفاظ مترادفة.

وفي الفصل الخامس والأربعين من سياستنامه (المتن، ص ١٨٢ - ١٨٣. طبع شفر)، وفي الصفحات ٢٦٥ - ٢٦٨ من الترجمة الفرنسية للكتاب^(١) جُلِّيَ نظام الملك هذا الموضوع بصورة أكبر: فقال صراحة:

[466] حين قُتِلَ مزدك، فرّت زوجته «خرمة» مع شخصين من مريديه قاصدة الري، حيث قامت بالدعاية وحَقَّقَت نجاحاً. وسُمي من آمنوا بدين زوجها (المزدكية) نسبةً إليه، أو أطلق عليهم (خرمية) أو حُرِّمَ دينية) نسبةً إليها. وقد راج هذا الدين في آذربيجان وارمنستان والديلم وهمدان والديتور وأصفهان والأهواز، أو بعبارة أخرى في كل شمال إيران وغربها (الفهرست، ص ٣٤٢)، واستمر الرواج حتى زمن أبي مسلم، وقد استطاع أبو مسلم أن

(١) بدءاً من الفصل الأربعين في هذا الكتاب يزيد عدد الفصول في الترجمة الفرنسية فصلاً عنه في المتن الأصلي، وذلك نتيجة لوجود فصلين متتاليين في متن الكتاب يحملان نفس الرقم (ص ١٢٥ و ١٣١)، وقد أُبَيِّنَ كلا الفصلين على أنَّهما الفصل الأربعون.

يستميل من بين أتباع هذا الدين العناصرَ غيرَ المقتنعة به، فهبَّت لمساندته وحمايته، مما جعله ينجح في قلب خلافة بني أمية وتقويض أركانها، وقد أشرنا (في صفحة سابقة) إلى أنَّ أبا مسلم كان موضع تكريم أتباعه وحبِّهم، وقلنا: إنَّ أتباعه قد أحبوّه إلى حدِّ عبادتهم له^(١).

وحين قتله الخليفة المنصور، أعلن صديقه وظهيره «سنباد المجوس»^(٢) عصيانه على الفور، ويجب أن يُعتبر عصيانه أمراً ذا دلالة؛ فقد أثبت أن هذا الداعية الكبير لم يكن متعصباً في آرائه المذهبية إلى حدِّ أن يطرد حتى المجوس^(٤) ولا يطيق تحمُّل وجود الزردشتيين.

[467] وتحرك «سنباد» من نيشابور - مسقط رأسه - للثأر لأبي مسلم، واستطاع أن يجمع حوله الكثير من الأتباع في مدّة قصيرة، واحتلَّ في البداية قومن (كومش)، [ووضع يده على الخزائن التي كان أبو مسلم قد أودعها تلك المدينة]، ثم مالَبث أن أعلن عزمه على التوجُّه صوب ولاية العرب المقيمين بالحجاز، وأعلن اعتزامه هدم الكعبة.

ومالَبث أن جلب إليه عدداً كبيراً من مجوس طبرستان وغيرها من البقاع، ومن المزدكية والرافضة^(٣) (الشيعة) والمشبهة، وقال لهم: إنَّ أبا مسلم لم

(١) تعليق المترجم: انظر كتاب أبي مسلم الخراساني في مجلدين بقلم حبيب الله آموزگار عضو مجلس الشيوخ (وزير المعارف سابقاً).

(٢) ورد شرح هذا الحدث إلى حد ما في كتاب الفخري (ص ٢٠٣)، ويمكن الرجوع إلى الطبري (ح ٣ ص ١١٩ - ١٢٠)؛ وإلى مروج الذهب للمسعودي (ح ٦ ص ١٨٨ - ١٨٩)؛ وإلى اليعقوبي (ح ٢ ص ٤٤١ - ٤٤٢)؛ وإلى كتاب البلدان للمؤلف نفسه (ح ٧ ص ٣٠٣، طبع درخويه) BIBI. Gêogr Arab وإلى تاريخ طبرستان تأليف درن (ص ٤٧)

Dorn. Gesch. Von Tabariston

ولنفس المؤلف أيضاً: Auszüge... betreffend die Gosch der Südl. Küsten länder des kaspischen Meeres, Justi, Iranisches Namenbuch. ٤٤٤ - ٤٤٢ ص PP. 314-315, article Sumbat (Sunfadh) S. 19.

تعليق المترجم: ذكر نوبخت هذه القصص نظماً بالفارسية. (شاهنامه نوبخت ط ٢، مطبعة المجلس، ١٣٢٥ هـ . ش).

(٣) تعليق المترجم: انظر مقدمة المترجم.

يمت، ولكنه حين هُدِّدَ المنصور بالقتل تحوَّل إلى حمامة بيضاء^(١) - بفضل أدائه اسم الله الأعظم - وطار، وبلغ عدد أتباعه المسلَّحين مائة ألف شخص تقريباً.

وبعد فتوحاته العديدة، انتهى الأمر بقتله على يد «جمهور بن مرار» - أحد القادة العباسيين - بعد أن حاقت به الهزيمة. وإذا كان عدد أتباعه الذين هلكوا في ميدان القتال - وفق قول ابن الطقطقي (الفخري) - قد بلغ السَّتين ألفاً، فلن تكون هناك مبالغة في القول بكثرة عدد أتباعه. ومع أنَّ ثورته كانت مخيفة ومرعبة فإنها لم تدم أكثر من ٧٠ يوماً، كما تؤكد أفضل المصادر وأوثقها. وقد ذكر نظام الملك أنَّ هذه الثورة استمرَّت مدة سبع سنوات، ولكنه أخطأ ولاشك.

ومن دعاة أبي مسلم أيضاً إسحق «الترك». وقد تحدَّثنا عنه باختصار في صفحات سابقة. وقد فرَّ هذا الداعية إلى ماوراء النهر بعد موت أبي مسلم، وادَّعى أنَّ أبا مسلم لم يمِت، وإنما اختفى في الجبال القريبة من الري، وسوف يظهر في آخر الزمان.

[468] وبناءً على ما جاء في الفهرست (ص ٣٤٥). . فإنَّ إسحق كان من نسل زيد بن علي، ولهذا ادَّعى الإمامة، غير أنَّه استفاد من شعبية أبي مسلم ولقي القبول لدى أتباعه.

وهناك رواية أخرى لراي ورد ذكره في الفهرست بصفته مطلعاً على أمور المسلمية. وطبقاً لهذه الرواية فإنَّ إسحق كان أحد الأميين العاميين فيما وراء النهر، يأنس إلى الجن ويتعامل معه. وكان يقول: إنَّ أبا مسلم نبيُّ أرسله زردشت، وإنَّ زردشت حي لم يمِت قط، وسوف يظهر ثانية في الوقت المناسب ليعيد لديانته منزلتها السابقة.

(١) قارن بين ما جاء في الملل والنحل للشهرستاني، ص ١١١، وبين ما جاء في المجلد الثاني لليعقوبي، ص ٣١٣.

ويضيف ابن النديم: قال أحد البلخيين^(١) «إنَّ أفراد المسلمية (أو أتباع أبي مسلم) يُدْعَوْنَ الحُرْمَ دينية». ويضيف أيضاً: «يوجد بيننا في بلخ جماعة منهم في قرية..^(٢) يخفون أنفسهم».

وبعد ذلك بعام أو عامين (٧٥٨ - ٧٥٩ م = ١٤١ - ١٤٢ هـ)^(٣) كشفت مجموعة أخرى من غلاة الشيعة - الذين يعتقدون في التشبيه - عن نفسها، وقد قال دوزي في وصفهم^(٤):

[469] كان أكثرهم حمقاً وغباء المتعصبون الذين يدعون ملكهم بالإله، تأثراً منهم بأفكار الهند وإيران. وطالما كان فتح العباسيين وانتصارهم أمراً مشكوكاً فيه، كان الخلفاء العباسيون يصبرون على هذا اللون من الفرق، ويتسامحون معهم. لكنهم منذ سيطروا، لم يعودوا يجيزون التسامح حتى لا يثيروا عليهم أهل السنة والجماعة، بل وكل من له أرومة عربية. ومن جهة أخرى، فإن امتناع الخلفاء العباسيين عن قبول التسمية بالإله كان سبباً في ألا يحبهم الإيرانيون، لكنهم كانوا مضطرين إلى اختيار أحد الطريقتين. وهكذا أضحى الإيرانيون المساكين - الذين أخلصوا عقيدتهم، وأبدوا صفاء نيتهم طوال تلك المدة - فداءً للعرب.

(١) تعليق المترجم: كتب براون خطأ «البلخي». أما نص ماورد في الفهرست فهو: «قال بلخي: وبعض الناس المسلمية الخرمدينية».

انظر: ص ٤٨٣ في الفهرست، طبع مصر.

(٢) اسم تلك القرية غير مؤكد، وربما يكون «حُرْم آباد»، فهو اسم متداول بين قرى إيران.
(٣) يقول الطبري (ج ٣ ص ١٢٩ فما بعد، ص ٤١٨) إن هذه الواقعة قد دُوِّنت أول ما دُوِّنت عام ١٤١ هـ (٧٥٨ - ٧٥٩ م)، غير أنه يضيف أن البعض يرى أنها حدثت في عام ١٣٦ أو ١٣٧ هـ (٧٥٣ - ٧٥٤ م). وقد دُوِّن هو نفسه قصة تماثلها في تاريخ ١٥٨ هـ = ٧٧٤ م، والواقع أن أحد التاريخيين الأخيرين هو تاريخ خلافة المتصور والآخر هو تاريخ موته. وربما يكون أحد الكتاب - ممن أرادوا توثيق تاريخ الخلافة - قد دُوِّن تلك القصة باعتبارها خيراً أو وصفاً كاملاً لوقائع تلك الفترة، دون ذكر تاريخ الضبط.

(الدينوري ص ٣٨٠، الفخري ص ١٨٨).

(٤) كتاب الإسلام لدوزي Dozy: L'Islamisme، ترجمة فيكتور شوفن، ص ٢٤١ - ٢٤٣.

وقد أدرك الروانديون^(١) هذا المعنى عندما كانوا يقدون إلى بلاط المنصور لأداء فروض الاحترام، وقد ثقل عليهم كثيراً فهم هذا الموضوع. لقد كانوا يخاطبون المنصور على أنه إلههم، وينظرون إلى حاكم مكة على أنه جبريل، ويعتبرون قائد جند الخليفة محل تجلي روح آدم^(٢)، ولم يكتف الخليفة برفض كرمهم وطاعتهم بل وألقى برؤسائهم في السجن^(٣). ومنذ هذه اللحظة لم يعد المنصور في نظر الراونديين خليفة، إذ كانوا يرون أن المَلِكَ بحق [470] لا يكون منفصلاً عن الله.. فإذا ما أنكر ملك ألوهيته فإنه لا يعدو عن أن يكون غاصباً، ويجب أن يُعزَلَ مثل هذا الشخص عن الحكم. وبناء على ذلك، بادروا بتنفيذ خطتهم التالية:

«اتجهوا نحو السجن، ولكي لا يدرك أحد هدفهم حملوا على أكتافهم تابوتاً خالياً، وتظاهروا بأنهم يحملون ميتاً لدفنه في المقابر.

وحينما وصلوا إلى السجن حطّموا الباب، وحزّروا رؤساءهم، ثم أغاروا على قصر الخليفة. وفي أعقاب هذه الأزمة سارع عددٌ كافٍ من أفراد الجيش إلى ذلك المكان وأعملوا السيوف في الراونديين فقتلوا عليهم. ومع ذلك ظلّ الآلاف من أهالي إيران على عقيدة الراونديين، وأصبحوا لا يعترفون بخلافة العباسيين لابتعادهم عن الألوهية والتأليه.

ولنفس السبب كُتبت النجاة لمن كانوا أقلّ تعصباً بالنسبة لهذا الأمر، وتمكّنوا من العيش منعمين في البلاد التي كانت تحمل بقوة ثمرة بذرة الثورة».

(١) «راوند» اسم يطلق على مكانين مختلفين، أحدهما قرب كاشان وأصفهان والآخر قرب نيسابور. (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، ترجمة دي سلان، ج١ ص ٧٧). وقد ظن دوزي أن المقصود براوند هو القرية القريبة من كاشان، ويبدو أنه أخطأ لأن الطبري (ج٣ ص ١٢٩)، وابن الطقطي (الفخري ص ١٨٨) وغيرهما.. يعتبرون الراونديين أهل خراسان.

(٢) يشير ابن الطقطي في الفخري إلى (شخص آخر). ويقول الطبري (ج٣، ص ١٢٩) إن الراونديين تصوّروا أن عثمان بن نهيك كان مظهر آدم، وأن الهيثم بن معاوية كان جبريلاً.

(٣) بلغ عدد من زُجَّ بهم في السجن لهذا السبب مائتي شخص.

وكان الراونديون الذين توجَّهوا صوب قصر الخليفة في «الهاشمية» وهم يصيحون «هذا قصرُ إلهنا» يبلغ عددهم تقريباً ٦٠٠ شخص^(١).

(لم تكن بغداد قد شُيّدت بعد)، لكن هذه الفرقة - طبقاً لقول الطبري ج ٣، ص ٤١٨ - كان لها وجودها حتى عصره هو، أي: كان لها وجودها حتى بداية القرن العاشر. وفضلاً عن اعتقاد الراونديين في الحلول والتناسخ^(٢)، فإنَّهم كانوا - على ما يبدو - يقبلون كذلك آراء مزدك بخصوص اشتراك المرأة، ويعتقدون أنَّهم يملكون قوة الإعجاز. فمما هو معروف أنَّ بعضهم - اعتقاداً منه بقدرته على الطيران - كان يقذف بنفسه من الأماكن المرتفعة، فيتمزَّق إرباً إرباً.

ومن المُسلَّم به - كما يقول الدينوري، ص ٣٨٠ - أنَّ الروانديين كانوا على علاقة بأبي مسلم، وأنَّ الثَّار له كان أحد أهدافهم.

[471] ولأنَّ الخليفة المنصور لم يكن يملك حصاناً جيداً فإنَّ حياته قد تعرَّضت للخطر خلال مدَّة قصيرة، وكان هذا سبباً في إعداد فرس النوبة،

(١) انظر: الطبري، ج ٣، ص ١٣٠.

(٢) (تعليق م.ع): كان الغلاة على أصنافهم متفقون على التناسخ والحلول. ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة في كلِّ أمه، تلقوها من المجوس المزدكيَّة، والهنود البرهمنيَّة، ومن الفلاسفة والصابئة. ومذهبهم أنَّ الله تعالى قائم بكلِّ مكان، ناطق بكلِّ لسان، ظاهرٌ بشخص من أشخاص البشر، وذلك هو معنى الحلول.

وقد يكون الحلول بجزء كإشراق الشمس في كوة أو إشراقها على البلور. وأما الحلول بالكلِّ فهو كظهور ملك بشخص أو كشیطان بحيوان.. ومراتب التناسخ أربع: النسخ والمسح والفسخ والرسخ.

وقد اتخذ جماعة من الدعاة هذا المذهب وسيلة لنشر الدعاية لآل البيت. ومن أولئك الشاعر السيد الحميري الذي أعماه تعصُّبه فأخرجه عن طريق الصواب، وجعله يأتي بترهات وسخافات يقابلها العقلاء بالسخرية. وكان المعرِّي ممن ذمَّ هذا الرأي وشنَّعه في شعره:

يقولون إنَّ الجسمَ ينقل روحه إلى غيره حتى يهذب به النقلُ
فلا تقبلن ما يخبرونك ضلَّة إذا لم يؤيد ما أتوك به العقلُ

انظر: عمر الخيام - عصراً وبيئةً ونتاجاً، ص ٨٤.

فمنذ هذا التاريخ صار في القصر - بصفة دائمة - حصانٌ جيدٌ مُجهز بالسرج واللباس. واستمر هذا التقليد متبعاً لفترة طويلة في بلاط حُكّام البلاد، وفي بلاط ملوك السامانيين أيضاً. في القرن العاشر الميلادي^(١).

وفي السنوات ٧٦٦ - ٨٦٨ م = ١٤٩ - ١٨١ هـ - وكان المنصور مازال متربعا على عرش الخلافة - ثار نبيّ كاذبٌ آخر يسمّى «استاذ سيس»، وذلك في نواحي هرات وبادغيس وسيستان^(٢)، وجمع حوله من الأتباع ما يقارب ثلاثمائة ألف شخص، وسبّب للدولة كثيراً من المتاعب. لكنّه مُني في النهاية بهزيمة على يد خازم بن خزيمة. وقد قُتل خازم سبعين ألفاً من أتباعه وأسر أربعة عشر ألفاً آخرين، وما أن انتهت المعركة حتى فصل رؤوس الأسرى عن أجسامهم.

وبعد فترة قصيرة، سلّم استاذ سيس نفسه، ولكنّهم قيّدوه بسلسلة، واقتادوه إلى بغداد حيث قُتل. وأطلق سراح ثلاثين ألفاً من أتباعه الذين كانوا قد سلّموا أنفسهم معه.

وبناء على قول سيرويليم موير Sir William Muir (الذي لم يذكر المرجع الذي استقى منه الخبر) فإن «الخيزران» - زوجة المهدي وأم الهادي وهارون الرشيد - كانت أخت استاذ سيس (ص ٤٥٩ من كتابه). وقد ذكر الثعالبي في لطائف المعارف (طبعة de jong، ص ٥٤) اسمها، وقال إن هناك ثلاث [472] نساء قد أنجبت كلّ واحدة منهن اثنين من الخلفاء، إحداهن نفسُ هذه المرأة. والثانية - هي الأخرى - إيرانية اسمها «شاه پرند»، وهي حفيدة يزدجرد آخر الملوك الساسانيين. وقد تزوجت من الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي، وأنجبت منه يزيد الثالث وإبراهيم.

(١) قارن ذلك بما جاء في ترجمة چهار مقاله لنظامي عروضي السمرقندي، فقد ترجم مؤلف الكتاب الحالي (براون) كتابَ چهار مقاله ونشره عام ١٨٩٩ م = ١٣١٧ هـ، في مجلة انجمن سلطنتي آسيائي (الجمعية الملكية الآسيوية).

انظر: ص ٥٥ من الطبعة المنفصلة للترجمة المذكورة.

(٢) الطبري، ج٣، ص ٣٥٤ - ٣٥٨، يعقوبي، ج٢، ص ٤٥٧ - ٤٥٨، ويقول يعقوبي صراحةً إن هذا الشخص قد ادّعى النبوة.

وبعد ذلك بعشر سنوات تقريباً (٧٧٧ - ٧٨٠ م = ١٦١ - ١٦٤ هـ)، وكان ذلك في بداية خلافة المهدي.. قامت ثورة أشد خطورة هي ثورة «المقنع» الذي امتدحه مور^(١) في أشعاره التي نظمها باسم الوردية الحمراء.

وثار «يوسف البرم» بدوره، غير أنَّ ثورته أقلُّ شهرة ويغلب عليها جانب الإيهام والغموض، ولم يكن له من هدف سوى دعوة الناس إلى الخير وتجنب الشر^(٢). وتعدُّ ثورته تافهة إذا قيسَت بثورة المقنع.

وفي كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية (ترجمة زاخو، ص ١٩٤، ص ٢١١ من المتن) يقول ريحان البيروني متحدثاً عن ابن المقنَّع رئيس إحدى الفرق المبتدعة وصاحب الشهرة المدوِّية:

«ثم لمع اسم هاشم بن حكيم المعروف بالمقنَّع في قرية اسمها كاوه كيمردان، وهي إحدى قرى مرو ولما كان لا يرى باحدى عينيه (أعور) فقد كان يضع على وجهه نقاباً من الحرير الأخضر.

وكان المقنَّع يدَّعي الألوهية، ويقول إنه لما لم يكن في قدرة أحد أن يراه قبل التجسُّد.. فإنه قد دخل في قالب إنسان وفي صورة البشر حتى يُرى. وقد عبَّر هذا الرجل نهر جيحون وتوجَّه إلى نواحي كش ونسف (نخشب). [473] وكاتب الخاقان وطلب منه العون، وجمع حول فرقة المبيضة^(٣) والأتراك، وأباح الأموال والنساء^(٤)، وقتل كلَّ من هبَّ لمخالفته ومعارضته. وقد اعتبر قوانين مزدك وأحكامه بأسرها فرضاً واجباً، وشتَّت جيوش المهدي، وحكم ١٤ عاماً. غير أن الأمر انتهى بمحاصرته وهلاكه في

(١) تعليق المترجم: توماس مور Thomas More شاعر إيرلندي شهير (١٧٧٩ - ١٨٥٢ م).

(٢) انظر: ص ٥٩ من دراسات فون فلوطن حول انتصار العرب:

Van Vloten, Recherches Sur La Domination Arabe.

وانظر كذلك الطبري، ج٣، ص ٤٧٠؛ واليعقوبي، ج٢، ص ٤٧٨ - ٤٧٩.

(٣) تحدثنا من قبل حول هذه الطائفة، وكما قلنا فإنها قد سميت المبيضة، وقد أطلق عليها الإيرانيون هذا اللقب لأنَّ أفرادها كانوا يرتدون ألبسة بيضاء.

(٤) تعليق المترجم: أخطأ براون في ترجمة عبارة «أباح لهم الأموال والفروج» فجاءت على هذا النحو: «أباح لهم أموال ونساء أعدائهم».

عام ١٦٩ هـ (٧٨٥ - ٧٨٦ م)، وتفصيل الأمر أنه حين وجد نفسه محاصراً من كل جهة أشعل النار في نفسه كي يتلاشى جسده ويفنى، وبذلك يتأكد - لدى أتباعه - ويتحقق صدقُ دعواه الألوهية. لكنه لم ينجح في مسعاه إذ ظهر جسده في الثُّور فقطعوا رأسه، وأرسلوها إلى المهدي، وكان وقتها في حلب. وما زالت هناك - إلى الآن - فرقة في ما وراء النهر تتبع دين المقنّع سرّاً وتتظاهر بتبعيةٍ للإسلام^(١).

«قمتُ بترجمة تاريخ المقنّع من الفارسية إلى العربية، وقد جاء ذكره في أخبار المبيضة والقرامطة، وبحثُ موضوعه بدقة واستقصيْتُ كلَّ جوانبه». وقد تسيّت ثلاثة أشياء على الأكثر في شهرة المقنّع:

أولها: النقاب الذهبي (الذي قيل في روايات أخرى إنه كان من الحرير الأخضر). وكان يضعه دوماً على وجهه كي لا يرهق أتباعه - كما يقول هو - بنوره الباهر، ولمعان قسماته الذي لا يمكنهم تحمُّله، أو ليخفي عنهم - طبقاً لقول أعدائه - قبحَ منظره وشكله المنفر.

ثانيها: القمر الذي يطلع بأمره كل ليلة - كذباً وبُهتاناً - من بثر نخشب. [474] (والذي بسببه أطلق عليه الإيرانيون لقب صانع القمر).

ثالثها: انتحاره وانتحار أصحابه. الأمر الذي يبدو أنه لم يكن يقصد من ورائه ألا يقع في يد أعدائه فحسب بل وأن يتصوّر أتباعه أنه غاب وسوف يعود ثانية. ولذا حاول أن يمحو جسده وأجساد أصحابه أيضاً.

وفي كتاب آثار البلاد^(٢) الذي كتبه القزويني في النصف الأول من القرن ١٣ م، يقول المؤلف فيما يتعلّق بالقمر الكاذب تحت عنوان نخشب: «نخشب مدينة معروفة في أرض خراسان، وقد نشأ فيها المقدّسون

(١) ليست في يدنا - لسوء الحظ - مؤلّفات أبي ربحان.

(تعليق م.ع): من مؤلّفات البيروني المطبوعة - غير الآثار الباقية - كتاب «الجماهير في معرفة الجواهر» طبع حيدر آباد ١٣٥٥ هـ، وهي الآن متوافرة في أيدي الدارسين.

(٢) طبع Wüstenfeld ص ٣١٢.

والحكماء، وإليها ينسب المقنّع^(١)، وقد حفر بها بئراً كان القمر يبرز منه فيراه الناس وكأنه القمر (الحقيقي). ذاع صيت قمر نخشب في الآفاق، فوجد الناس أفواجاً لرؤيته. وكانوا يُبدون دهشتهم، ويتصور العاديون منهم أن هذا سحر، بينما كان هذا الأمر قائماً على أساس علمي رياضي وانعكاس لأشعة القمر. مصداق ذلك أنهم وجدوا في قاع البئر - فيما بعد - كأساً كبيراً مملوءاً بالزئبق.

لقد تمّ الأمر على هذه الصورة الموفقة المدهشة، وطبقت شهرته الآفاق، وورد اسمه في الأشعار، وأصبح مضرب المثل، وبقي ذكره ماثلاً في أذهان الناس.

[475] وفي الكتاب المشهور وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان (ترجمة البارون دوسلان^(٢)، ج ٢، ص ٢٠٥ و ٢٠٦)، يقول ابن خلكان^(٣)، فيما يتعلق بالمقنّع:

«الاسم الحقيقي للمقنّع الخراساني هو عطا، ولكن اسم أبيه - على الرغم من قولهم إنه «حكيم» - ليس معلوماً لديّ. كان في بداية حياته غسّالاً (مبيّضاً) في مرو. ولما كان على دراية بأمور السحر والخداع فقد ادّعى الألوهية، وقال إنّ الله قد حلّ في جسده بطريق التناسخ. وهذا تفسيره لمحبيه وأتباعه:

(١) ورد الاسم في المتن: «ابن المقنّع» وهذا خطأ ولاشك فالمقصود هو المقنّع. وكان اسمه - كما ورد في شرح أبي ریحان ونقلناه في المتن - المقنّع هاشم، واسم أبيه «حكيم». لكن القزويني - فيما يبدو - قد أخذ الحكيم بالمعنى العام للكلمة (ذو الحكمة، ذو العقل).

(٢) Baron Mac Guckin de Slane.

(٣) يُرى متن هذه العبارة في طبعة وستنفلد في شرح حاله، العدد ٤٣١.

(تعليق م.ع): ابن خلكان هو شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشامي. وقد طبع كتابه أكثر من مرة: طبع بولاق ١٢٨٣هـ = ١٨٦٦م، القاهرة ١٢٧٥هـ = ١٨٥٨م، مصر ١٣١٠هـ = ١٨٩٢م.

«ظهر الله تعالى في صورة آدم، ودليل ذلك أنه أمر الملائكة بأن يسجدوا لآدم. وقد سجدوا له إلا إبليس الذي أبى واستكبر وأيدي غروراً^(١)، ولذا استوجب غضب الله.

عندئذ ظهر الله تعالى في صورة نوح بدلاً من آدم، وانتقل من نوح إلى الأنبياء والحكماء واحداً واحداً، إلى أن ظهر في صورة أبي مسلم الخراساني (الذي مرَّ شرحه)، وانتقل من جسد أبي مسلم وحلَّ في جسمي».

وقبلَ عددٍ من الأشخاص دعاواه وامتدحوه. وعلى الرغم من أنَّ ادعاءاته كانت كبيرة وملامحه كانت كريهة.. فقد وُجدَ من يدافع عنه بقوة السلاح. لقد كان ناقص الخلقه قصير القامة الكن، ولم تكن له غير عين واحدة، ولم يكن يكشف وجهه قط. ولما كان يضع على وجهه نقاباً ذهبياً فقد اسموه المقنَّع، وقد سيطر على أذهان أتباعه عن طريق ما كانوا يرونه بأعينهم وكأنه معجزة بينما هو قائم على الخداع، مستندٌ إلى قوَّة السحر.

[476] ومن جملة خداعاته أن جعل ما يشبه القمر يتبدَّى لعيني المشاهد، وكأنه يرتفع إلى مسافة يقطعها مسافر يسير على قدميه لمدة شهرين، ثم يأخذ في الأفول، ونتيجة لذلك زاد اعتقاد الناس فيه. وقد أشار أبو العلاء إلى هذا القمر في أشعاره، فقال:

أفق إنمَّا البدر المقنَّع رأسه ضلالٌ وغيٌّ مثل بدر المقنَّع!
وهذا البيت جزء من قصيدة طويلة.

ويشير الشاعر أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك بدوره إلى بئر المقنَّع، فيقول في بيت من أبيات قصيدة له:

(١) (تعليق م.ع):

انظر: سورة البقرة، الآية ٣٤.

«وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين»، ويخطئ براون في تحديد السورة ورقم الآية فيجعل السورة «آل عمران» ويجعل رقم الآية ٣١، ويخطئ المترجم الفارسي فيجعل رقم الآية ٣٣.

إليك فما بدرُ المقنَّع طالعاً بأسحرَ من أَلحَاط بدر المعممِ!
«وحين اشتهرت أعماله وطار صيتها ثار الخلق عليه، وأغاروا على القلعة التي كان قد لجأ إليها، وحاصروه فيها. ولمَّا أيقن أنَّه لامندوحة من الموت ولا مفرَّ منه جمع نساءه، وأعطاهن كأس سم ليشربن منه، فشربن وأسلمن أرواحن. ثم شرب بدوره جرعة مات على إثرها. وحين دخل المسلمون القلعة أعملوا سيوفهم في كل محيِّيه وأتباعه. وكانت هذه الواقعة في عام ١٦٣ هـ (٧٧٩ - ٧٨٠م)، لعنه الله، ونعوذ به سبحانه من هذه الخداع والأحاييل.

ولم أسمع من أحد قط اسمَ هذه القلعة، ولم يرد ذكرها في أي مكان حتى نثبت هنا شيئاً عنها. ولكنني قرأت - أخيراً - كتاب «الشبهات» لياقوت الحموي (وسوف نتحدَّث عنه بعد قليل إن شاء الله). وقد كتب ياقوت هذا الكتاب في التعريف بالأماكن المشتركة، وأراد بذلك أن يذكر الفرق في الأماكن ذات الاسم الواحد^(١).

[477] وفي الكتاب المذكور، يقول المؤلف فيما يتعلق بـ (سنام): إنَّ هناك أربعة أماكن لها نفس الاسم، وإنَّ رابع هذه الأماكن هو قلعة سنام نفسها التي أنشأها المقنَّع الخارجي في ماوراء النهر، والله أعلم.

ولكن يبدو أنها نفس القلعة، فقد رأيتُ فيما بعد في أخبار خراسان أنها القلعة المقصودة، وأنها تقع في ناحية كش^(٢)، والله أعلم!.

ويؤيِّد ابن الأثير في تاريخه العظيم القسم الأكبر من المعلومات التي ورد ذكرها^(٣).

(١) الاسم الصحيح لهذا الكتاب هو كتاب «المشترك وضعاً والمختلف صقماً» أو «معجم الأسماء الجغرافية»، حيث يوجد تشابه في اللفظ واختلاف في المعنى. وقد طبعه ويستفلد في جوتنجن عام ١٢٦٣ هـ = ١٨٤٦ م. والعبارة التي أشرنا إليها هنا توجد في صفحة ٢٥٤ من هذا الكتاب.
(٢) أكَّد اليعقوبي هذا الموضوع وأيَّده في كتاب: «البلدان» (المجلد السابع ص ٣٠٤. Bibl. Geogr. Arab) حيث قال: حينما ضيَّق المحاصرون الحصار على المقنَّع وأصحابه «شربوا السم وأسلموا الروح معاً جميعاً». ويُرَى مثل هذا المجلد الثالث من الطبري، من ٤٨٤ و ٤٨٤.
(٣) طبع هذا الكتاب في القاهرة. انظر الصفحات ١٣، ١٤ و ١٧، ١٨ من المجلد السادس، الستين ١٥٩ و ١٦٠ هـ - ٧٧٥ و ٧٧٦ م.

وبناءً على قوله فإنَّ المقنَّع كان يُسمَّى الحكيم، وقد ادَّعى الألوهية بين طائفة من خاصة أتباعه وأقربهم إليه. وكان يقول إنَّ الألوهية قد وصلت إلى هاشم عن طريق أبي مسلم، وكان يقصد نفسه بهاشم. وكان أتباعه عندما يؤدّون صلاة الحرب يجأرون: «يا هاشم أعنّا». وكانت طائفة المبيضة في سند وبخاري، والكثير من الترك الملحدين يساندونه، والكثير من الوثنيين يؤازرونه.

وكان المقنَّع يعتقد أنَّ أبا مسلم أسمى من الرسول. ومن الأمور التي ألزم نفسه بها الثأر ليحيى بن زيد وهو من نسل الحسين بن علي. وكان مصرعه عام ٧٤٢ - ٧٤٣ م = ١٢٥ - ١٢٦ هـ.

[478] ويقال إن عدد أتباعه الذين أطلق سراحهم في اللحظات الأخيرة - بناءً على وعد سعيد الحرشي - قد بلغ ثلاثين ألفاً. وكان سعيد الحرشي هذا - وهو قائد القوات التي حاصرت - قد أمَّن الفارَّين على أرواحهم، وتصرَّف معهم برحمة ومروءة، فلم يبق مع المقنَّع غير ألفي شخص تقريباً.

يقول ابن الأثير (ويتبعه الفخري كذلك): حين رأي الموت واقعاً لامحالة جمع نساءه وأسرته وأعطاهم السم ليشربوه، وأمر أن يُحرق جسده في النار حتى لا يوضع أي شخص (من أعدائه) يده عليه.

ويقول آخرون إنه قد أحرق كل ما كان في قلعة من بهائم ودواب وألبسة وأمثاله، ثم قال: كل من يريد أن يذهب معي إلى الجنة، فليلق بنفسه معي في هذه النار. ثم ألقى بنفسه في النار مع أسرته وزوجاته وأصحابه المختارين فاحترقوا، حتى إن جيش الأعداء حين دخل القلعة وجدها خالية. وكان حُلُو القلعة من المسائل التي جعلت البقية الباقية من أتباعه تهيم في ضلالها وتظل على غفلتها. ويُطلق على هذه الجماعة في ما وراء النهر المبيضة، وهم يُخفون عقيدتهم.

وهناك من يقول إنَّه هو بدوره قد شرب السمَّ وأسلم الروح، وإنَّ «الحرشي» قد أرسل رأسه إلى المهدي الذي كان وقتها مشغولاً بالحرب في

حلب (عام ١٦٣هـ = ٧٧٩ - ٧٨٠م). ويبدو أنَّ هذه الجماعة من أصحاب الأردية البيضاء أو أتباع المقنَّع قد بقيت على مسرح الوجود حتى القرن الحادي عشر^(١) ويضيف أبو الفرج (ابن العبري)^(٢) - الذي كان يعيش في القرن الثالث عشر الميلادي ٦٢٣ - ٦٨٥هـ (١٢٢٦ - ١٢٨٦م).

[479] أن المقنَّع كان قد وعد أتباعه بأن تظهر روحه مستقبلاً في قالب رَجُل رمادي الشعر، يركب حصاناً رمادي اللون^(٣) ثم يرجع إليهم بعد عدد من السنين (غير محدّد)، ويتسبّب في سيطرتهم على الكرة الأرضية.

وتُعَدُّ معلوماتنا التي يمكن الاعتماد عليها في الحديث حول تفاصيل عقائد قادة الفرق التي ذكرناها معلومات ناقصة. غير أن ما نعرفه يؤيد كلام الشهرستاني (الذي نقلناه)، ويفهم منه أنَّ فرقتي السنياد والمقنَّع بعد مزدك - وكان يُطلق عليها أيضاً الخرمية والمبيضة والمحمرة - كانتا في الأساس فرقة واحدة وقد أثبت تاريخ ظهور الحركات الانفصالية على النحو التالي:

عام ٧٧٨ - ٧٧٩م = ١٦٢ - ١٦٣هـ (الطبري ح ٣، ص ٤٩٣؛ الدينوري ص ٣٨٢؛ سياست نامه ص ١٩٩ - ٢٠٠)

عام ٧٩٦ - ٧٩٧م = ١٨٠ - ١٨١هـ (الطبري ح ٣، ص ٦٤٥). عام ١٩٣هـ = ٨٠٨م (الطبري ج ٣، ص ٧٣٢؛ الدينوري ص ٣٨٧).

(١) يقول الشيخ أبو المظفر طاهر الإسفرايني (ت ١٠٧٨ - ١٠٧٩م = ٤٧١ - ٤٧٢هـ) إن هذه الطائفة لم يكن لها وجود في عصره.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني - ترجمة هاربروكر Haarbrücker، ص ٤٠٩، ٣٧٨.

(٢) Bar-Hebraeu تعليق المترجم: تاريخ مختصر الدول تأليف أبي الفرج بن هارون، الطبيب الملقب المعروف بابن العبري، طبع بيروت، عام ١٨٩٠م / ١٣٠٨هـ، ص ٢١٧ - ٢١٨.

(٣) انظر ما جاء في صفحة ٤٦٠ خاصاً بعودة بها فريد.

(٤) أنظر ترجمة هاربروكر، ص ٢٠٠؛ ص ١٣٢ أيضاً من طبعة كورتن؛ والمجلد الأول من منتخبات شفر ص ١٧٧ Schefer, Chrestomathie؛ وسياست نامه لنظام الملك - طبع شفر ص ١٩٩.

وبعد المقنّع، ظهر في خلافة المأمون شخص آخر من كبار مؤسسي مذاهب البدع والضلال يسمونه بابك الخرمي. ويُعدّ الطبري أول من ذكر اسمه؛ فقد روى خبراً عنه ضمن حوادث عام ٢٠١هـ = ٨١٦ - ٨١٧م.

[480] وقد تسبّب هذا الرجل في إشاعة الرعب في غرب إيران وشمالها الغربي مدة تزيد على العشرين عاماً (أي إلى عام ٨٣٨م = ٢٢٤هـ).

وقد هزّم يحيى بن معاذ وعيسى بن محمد حميد الطوسي وسائر القوّاد الذين أرسلوا لمحاربته، غير أنّ القائد المعروف «أفشين» استطاع في نهاية الأمر - بمشقّة بالغة وبطريق المكر والحيلة - أن يغلبه ويأسره. وقد تحدّث كبار مؤرخي الإسلام - وبخاصة الطبري^(١) - عن هذه الحروب بإسهاب.

وقد كتب ابن النديم في كتبه الفهرست (ص ٣٤٢ - ٣٤٤) معلومات مفصّلة للغاية تتناول حياة بابك الخاصّة وأخلاقه وعقائده. والمعروف أنّ كتاب الفهرست قد ألف عام ٣٧٧ = ٩٨٧م تقريباً أي: بعد مائة وخمسين عاماً من وفاته.

وبعد أن ينتهي صاحب الفهرست من بحثه حول الخرميين والمزدكيّين يصل إلى الخرميّيّين البابكيّين، فيقول:

(١) انظر: الطبري ج٣، ص ١٠١٥ و ١٠٣٩ و ١٠٤٤ و ١٠٤٤ و ١٠٤٥ و ١٠٩٩ و ١١٠١ و ١١٦٥ و ١١٧٠ - ١١٧٩ و ١١٨٦ - ١٢٣٥.

وفيما يتعلّق بسقوط أفشين وموته، يمكن الرجوع إلى ص ١٣٠٨ - ١٣١٤؛ والدينوري ص ٣٩٧ - ٤٠١؛ والبلاذري ص ٣٢٩ - ٣٣٠ و ٣٤٠؛ واليعقوبي ص ٥٦٣ حتى ٥٦٥ و ٥٧٥ و ٥٧٧ - ٥٧٩.

وبخصوص موضوع أفشين، ارجع إلى ص ٥٨٢ - ٥٨٤؛ والفهرست ص ٣٤٢، ٣٤٣؛ وآثار البلاد للقرطبي ص ٢١٣ و ٣٤٤؛ وسياسة نامه ص ٢٠٠ - ٢٠٣؛ وابن خلكان - ترجمة دوسلان - ج ٣ ص ٢٧٦؛ وكتاب المعارف لابن قتيبة ص ١٩٨، وكتاب دوخويه، de Goeje Bibl. Geogr. Arab ج ٢ ص ٢٠٣، ج ٦ ص ١٢١، ج ٥ ص ٥٢ و ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٣٠٧ و ٣٠٩، ج ٧ ص ٢٥٩ و ٢٧٢، ج ٨ ص ٨٨ و ١٧٠ و ٣٥٢ و ٣٥٣؛ ومروج الذهب للمسعودي - طبع باريه دومينار - ج ٦ ص ١٨٧، ج ٧ ص ٦٢ و ١٢٣ - ١٣٢ و ١٣٨ - ١٣٩، وغير ذلك.

«أما فيما يتعلّق بالخرميين البابكيين: فقد كان صاحب هذه الطائفة يدعى بابك الخرمي، وكان يدّعي الألوهية عند كل من يريد إغواءه. وقد أباح في المذهب الخرمي القتل والنهب والحرب وأمثالها مما لم يكن للناس قبل هذا الزمان معرفة به».

- سبب ادّعاء بابك وخروجه وحروبه وقتله:

[481] «يقول واقد بن عمرو التميمي الذي سجّل الأخبار المتعلقة ببابك: كان أبوه بائع زيت من أهل المدائن (طيسفون). وكان قد هاجر إلى حدود آذربيجان وثغورها، واختار له مسكناً في قرية اسمها بلال آباد تقع في بخش ميمد^(١)».

كان الرجل يحمل وعاء الزيت على ظهره، ويتجوّل في القرى والقصبات، فوقع في هوى امرأة عوراء، صارت فيما بعد - حين تزوّجها - أمّاً لبابك، وعاشا معاً زمناً طويلاً.

وذات يوم بينما كان معاً خارج القرية، وقد شرعا في معاورة الخمر والمتعة في إحدى الغابات، خرج عدد من نساء القرية متّجهات صوب عين قرية من الغابة ليجلبن ماءً. فسمعن غناء باللغة النبطية، فتوجّهن نحو مصدر الصوت، وهجمن على هذين الشخصين، وفرّ عبدالله، لكنّ النسوة الغاضبات أنشبن أظافرهن في ضفائر أمّ بابك، وجروّها جراً إلى القرية وفضحوها.

يقول واقد: ثم توجّه بائع الزيت نحو أبيها وخاطبه بشأنها وطلبها منه، فعقد لها الأب على بائع الزيت. وهكذا جاءك بابك إلى الدنيا.

(١) تقع ميمد في نواحي اردبيل وارجان.

انظر: معجم باريه دومينار الجغرافي؛ ص ٥٧٧.

تعليق المترجم: يرى تقى زاده أنّ ذكر ارجان هنا خطأ حتماً، وأنّه ربما كان المقصود آذربايجان.

وخلال الأسفار العديدة التي قام بها بائع الزيت قادته قدماه إلى جبل سيلان^(١) حيث ضربه أحد الأشخاص من الخلف فسبب له جرحاً، ولم يمض طويل وقت حتى أسلم الروح.

[482] ومنذ هذا التاريخ، أخذت أم بابك تُرضع الرُضْع من أطفال غيرها مقابل أجرٍ تتقاضاه إلى أن بلغ بابك العاشرة، وعمل راعي بقر في إحدى القبائل. ويقال إنها ذهبت يوماً لرؤيته، فوجدته نائماً تحت شجرة وقد انتصف النهار، وكان حافي القدمين، ورأت قطرة دم تحت كل شعرة من شعرات رأسه وصدره. وفجأة هبَّ الطفل من نومه وانتصب واقفاً، واختفى الدم الذي كانت أمه قد رآته، وقالت أم بابك: كنت أعلم أن هناك أمراً جليلاً سوف يعترض مصيره ومستقبله.

يقول واقد: وفي مقاطعة سرا^(٢) كان بابك مع شبل بن المنقى الأزدي يرضى دوابه.

وقد تعلّم من غلمان شبل كيفية العزف على الطنبور، ثم توجه إلى تبريز، وعمل مدة عامين في خدمة محمد بن الرواد الأزدي. وفي سن الثامنة عشرة توجه إلى أمه، وأقام لديها.

يقول واقد بن عمرو: في جبال البذ^(٣) وما يتصل بها من جبال تشاجر اثنان من الكفار^(٤) الخرميين الأثرياء على رئاسة الخرميين سكان تلك الجبال،

(١) سيلان جبل عال قرب اردبيل يغطيه الثلج بصفة دائمة.

انظر: المعجم الجغرافي والتاريخي والأدبي المستخرج من معجم البلدان لياقوت، تأليف باريه دومينار، طبع باريس ص ٣٠٠.

(٢) سرا أو سراو تقع في آذربيجان.

انظر: ج ٧ Biblgeogr. Arab، ص ٢٧١، السطر الأخير.

(٣) حتى آخر أمر بابك. . كانت هذه الجبال أهم استحكاماته.

(٤) تعليق المترجم: لفظ علوج جمع عِلج بكسر العين، وقد استعمله ابن النديم. . وفي منتهى الأرب في لغات العرب ورد تعريف اللفظ على النحو التالي: «كبر الأعجمي وهو من لا دين له» شرح القاموس: العِلج هو الرجل من كفّار العجم، وجمع الكلمة علوج على وزن سرور، وقد ترجمها المؤلف: «البرابرة».

وكان أحد المتشاجرَيْن يُسمَّى جاويدان بن سهرَك^(١)، أما الآخر فكان يَكْنَى بـ «أبي عمران».

[483] وكانت الحرب تنشب بينهما دائماً في فصل الصيف، فإذا حلَّ الشتاء وسقط الجليد سدَّ الشعاب وحال بينهما فتتوقف الحرب.

وسار جاويدان - أستاذ بابك ومعلمه - من مدينته إلى زنجان وهو يسوق قطعاً من ألفي خروف. وزنجان مدينة تقع قرب حدود قزوین وثغورها. ودخل جاويدان قزوین وباع أغنامه وعاد إلى جبل البذ. وفي الليل سقط الثلج في ناحية ميمذ^(٢) وتسبَّب في انحراف الطريق؛ فتوجَّه نحو قرية بلال آباد وطلب من جزير^(٣) تلك المنطقة أن ينزله بها.

«ونظر الجزير إليه باحتقار، وأرسله إلى أم بابك لتستضيفه. ونتيجة لضيق ذات يدها لم تتمكن من تقديم الغذاء له، فنهضت وأشعلت ناراً، ولم تقدِّم له من واجبات الضيافة أكثر من ذلك.

وبادر بابك بدوره إلى خدمة خدمه وحشمه، وقَدِّمَ لهم الماء.

وأرسل جاويدان بابك لشراء غذاء وشراب وعلف، فلما عاد تحدَّث معه. وعلى الرغم من سوء أخلاق بابك، ولهجته العجمية البعيدة عن الفصاحة فإنَّه كان طفلاً عالماً ذا مهارة ودهاء.

وقال جاويدان لأم بابك : أيُّها المرأة! أنا قادم من جبال البذ، وإني في هذه البلاد الجبلية صاحب جاه وثروة، واحتاج إلى ولدك. أعطه لي كي آخذه معي، وسوف أودع لديه ضياعي وعقاري وأموالي، وأرسل إليك خمسين درهما شهرياً أجرَ خدمته.

(١) انظر: ص ٢٩٢ من كتاب يوستي بخصوص هذا الاسم.

(٢) انظر: ص ٥٥٧ من قاموس بارييه دومينار الجغرافي:

Barbier de Meynard, Dict., de la perse.

(٣) جاء في محيط المحيط أنَّ هذا اللفظ يُعطي في العراق معنى خاصاً. ويُطلق اللقب (جزير) على الشخص الذي يعينه أهل القرية لاستقبال موظفي الدولة واستضافتهم.

وأجابت أم بابك: يبدو أن نيتك نية خير، ويبدو عليك أثر النعمة والثناء، وأجسُّ في قرارة قلبي أنه يمكنني الوثوق بك، ولهذا يمكنك أخذه معك عندما تزمع الذهاب.

[484] «ثم نزل أبو عمران من الجبل الذي كان يتخذ مقرأ له، وهاجم جاويدان، غير أن الهزيمة والقتل كانا من نصيبه. وعاد جاويدان إلى جبله مجروح الجسد وقد تملكه القلق، وأسلم الروح بعد ثلاثة أيام.

وفي تلك المدة كانت زوجة جاويدان قد وقعت في عشق بابك، وكان بابك قد استسلم لرغبات زوجة جاويدان الآثمة. وبعد موت جاويدان قالت تلك المرأة لبابك:

الحق إنك شاب قوي ذكي! فاعلم إذاً أن جاويدان قد مات، ولم أخبر أي واحد من أصحابه بذلك الموضوع فأعد نفسك كي أدعو الجميع غداً أمامك، وأعلمهم أن جاويدان قال ساعة موته: «الليلة ليلة موتى، وسوف تفارق روحي بدني وتدخل في بدن بابك وتُحشَر مع روحه. ومن المؤكد أنه سيعمل لنفسه ولكم ما لم يعمل أحد إلى الآن، وما لن يعمل أحد فيما بعد. وسيملك الأرض ولا شك، ويقتل الظالمين، ويُجدد دين المزدكيين، ويُعزِّز ذليلكم، ويرفع من قدر وضيعكم».

ولدى سماع هذه الكلمات، غلى رجل طمع بابك، وثارت فيه مشاعر الرغبة في تحقيق الرفعة والجاه، وتملكه السرور إلى حد كبير، وأعد نفسه لهذا الأمر.

وفي الفجر، جمعت تلك المرأة مريدي جاويدان لدى بابك، فقالوا:

ماذا حدث؟، لماذا لم يدعنا «جاويدان» بنفسه ولم يصدر إلينا أمره، ولم يوصنا؟!

وأجابت زوجة جاويدان: لم يكن هناك ما يمنع سوى أنكم كنتم جميعاً

في بيوتكم متفرّقين في قُراكم فلو أنه طلبكم جميعاً لانتشر هذا الخبر في كل مكان. لكنّه بغية توفير الأمان لكم وتخليصكم من شرّ العرب أودعني ما أعيده عليكم الآن، فاقبلوه إن شئتم واعملوا وفق ما جاء فيه.

وسألها أصحابه: ماذا قال وبأيّ شيء أوصى؟، إنّا لم نعمل قط في حياته خلاف أمره، ولن نخالف أمره أيضاً بعد موته.

[485] وأجابتهم المرأة: قال لي: سأموت الليلة على وجه التحقيق، وتخرج روحي من قالب جسدي، وتدخل في قالب هذا الولد الذي هو خادمي!، وإنّي أنصيه حاكماً على أصحابي. وحين يأتي الناس أخبريهم بهذا الأمر، فمن خالف لا دين له، وقد اختار طريقاً غير الذي اخترته.

وأجاب أتباع جاويدان: نقبل وصيته بشأن هذا الولد.

«عندئذ أصدرت أمرها فأحضروا بقرة وذبحوها، وألقوا جلدها على الأرض، ووضعوا فوقه طستا مملوءاً بالشراب. وأخذت هي تفثّت الخبز وتضعه حول الطست.. ثم استدعتهم واحداً واحداً، وقالت لكلّ منهم: ارفس الجلد بقدمك، ثم احمل قطعة من الخبز واغمسها في الشراب وضعها في فمك، وقل: «يا روح بابك! أنا أوّمن بك كما أوّمن بروح جاويدان». وبعد أن فعلوا، قالت لهم: ليأخذ كلّ منكم يد بابك ويقبلها في تكريم وتعظيم.

وأخذوا في تقبيل يده بينما كانوا يعدّون الطعام. ولما أُعدّ الطعام أحضرته زوجة جاويدان، وأحضرت الشراب، وأجلست بابك على فراشها وجلست قبالة، واحتسى كلّ واحد ثلاث جرعات من الشراب وحملت عود ريحان وأعطته له، فأخذه، وبهذا تمّ عقد الزواج بينهما.

وتقدّم الأصحابُ منهما وهم يحنون رؤوسهم تعظيماً، ويقدمون مراسم التكريم، وبذلك أعلنوا موافقتهم الرسميّة على الزواج...».

وأهم ما ورد في القصة السابقة من موضوعات مرتبطة بأصول عقائد بابك ما يلي:

أولاً: أن «بابك» قد ادّعى الألوهية أو أنه على الأقل قد عدّ نفسه روح الله وصورته.

ثانياً: أن «بابك» قد صرّح أن روح سيده وأستاذه جاويدان قد حلّت في جسده^(١).

وبهذا يكون «بابك» قد نادى بأصلين - أو ربما ثلاثة - من أصول العقيدة [486] التي خصّ بها الشهرستاني (ص ٥٨٧) كلّ غلاة الشيعة:

أولاً: التناسخ أو انتقال الروح من جسد إلى آخر.

ثالثاً: الرجعة أو رجوع الروح التي فارقت الجسد إلى مأوى جديد من اللحم.

وهناك شك في أن يكون بابك من أصل إيراني خالص، لأنّ صاحب الفهرست يقول إن أباه كان يُعني بالنبطية.

ويبيد الدينوري (ص ٣٩٧) اعتقاده بأنّ بابك كان ابناً من أربعة أنجبهم مطهر بن فاطمة أخت أبي مسلم^(٢).

ويقول نظام الملك في سياساتنامه (طبع شفر، ص ٢٠٤) كان الخرمدينيون كلّما عقدوا اجتماعاً أو جلسوا لمناقشة مسألة ما وشرعوا في التشاور.. يصلّون أولاً على أبي مسلم والمهدي وفيروز بن فاطمة (ابنة أبي مسلم) الذي يسمّونه الطفل العالم (وقد سبق ذكره)، وربما يكون المطهر نفسه والد بابك. كما يبدو أن بابك قد طالب بتطبيق أصول عقائد أستاذه جاويدان دون تحريف. (ويسمّي الطبري أتباعه «الجاويدانية». انظر ح ٣، ص ١٠١٥).

والشيء الوحيد الذي أضافه بابك إلى هذه الأصول - وفقاً لقول صاحب الفهرست - هو القتل والسلب والحرب وأمثالها - مما لم يكن معروفاً حتى ذلك الزمان.

(١) أيّد الطبري بدوره هذا المعنى (ح ٣، ص ١٠١٥)

(٢) قد كان نسب بابك موضع شك إلى حد بعيد (انظر الطبري ج ٣ ص ١٢٣٢).

والشيء المسلم به هو أنه كان دموي المزاج؛ لأنه وفق قول الطبري (ح ٣، ص ١٢٣٣) .. قد قتل ٢٥٥/٥٠٠ شخص خلال عشرين سنة. ويرى المسعودي (التنبيه والإشراف، ص ٣٥٣)^(١) أن عدد القتلى (تخميناً) لا يقل عن ٥٠٠,٠٠٠.

أما عن نسبته إلى سائر الديانات التي ذكرناها، فإن بابك - وفقاً لما قاله صاحب الفهرست - قد كافح للعودة إلى أصول عقائد مزدك. ويرد في كتاب سياستنامه (ص ٢٠١) أن أحد قادته كان يُسمى «على مزدك».

[487] وكان لقب «الخرمي» يُطلق - بصفة عامة - على «بابك». وقد أطلق صاحب الفهرست اللقب نفسه على جاويدان ومنافسه أبي عمران. ونلاحظ أن صاحب سياستنامه (ص ١٨٢) قد جعل من الخرمي والمزدكي لفظين مترادفين تماماً.

ويطلق على أتباع بابك بدورهم - بصفة عامة - «الخرميون»، وإن كانوا في بعض الأوقات يدعون «المحمرة» أي لابسِي الملابس الحمراء أو أصحاب الأعلام الحمراء كما يقول الطبري (ج ٣ ص ١٢٣٥).

(ويقول الطبري في وصف المحمرة إنهم كانوا يحاربون المسلمين بمعاونة ثيوفيلوس Theophilus) ولا ضرورة هنا لتسجيل أخبار الحروب الكثيرة التي دارت بين بابك والمسلمين، ولا ضرورة أيضاً لأن نعد الانتصارات الباهرة التي كانت مراراً من نصيبه. ويكفي أن نقول إنه قد نال جزاءه في النهاية بهزيمته على يد أفشين، ووقع في أسره، وأُرسل إلى «سُرَّ من رأى»، وأُعدم في حضرة الخليفة المعتصم، وشُدَّ جسده إلى العيدان في مكان يُدعى العقبة. وقد اشتهر هذا المكان في زمن الطبري نتيجة لهذا الحدث (ج ٣ ص ١٢٣١). وانتهى الأمر بإرسال رأسه إلى خراسان. وسبق أخوه عبدالله في

(١) (تعليق م.ع) : التنبيه والإشراف، طبعة ترجع إلى عام ١٨٩٣م = ١٣١١هـ (طبعة ليدن).

(٢) نقلا عن ابن خلكان - طبع ووستنفلد WüstenFeld - العدد ٧٠٩، ترجمة دوسلان، ج ٣ ص ٢٧٦.

حراسة پورشروين الطبري إلى بغداد حيث لقي نفس المصير. وفي الطريق إلى بغداد، أنزلوه في قلعة بردان. وسأل عبدُ الله حارسه: من أنت؟. فأجابه: «أنا پورشروين أميرطيرستان». فقال عبدالله: أحمد الله أن أُسند إلى أحد الدهاقنة أمر الإشراف على إعدامي. (كان كبار الملائكة يُدعون [488] آنذاك بالدهاقنة). وأشار پورشروين إلى الجلاد الذي كلّف بقتل بابك، وكان يُدعى نود نود، وقال: إنّه من سوف يشرف على قتلك. وولّى عبد الله وجهه شطر پورشروين، وقال: إن أمري معك أنت، وما هذا الشخص إلا دخيل. والآن قل لي، هل أذنوا لك بإعطائي مايؤكل أم لا؟

فقال: الجلاد: ماذا تريد؟. فطلب عبدالله الفالودج، وأكله بشهية كبيرة. ثم قال: يافلان، غدا ستعلم إن شاء الله أنني دهقان. (كان الدهقان لقباً يطلق على قدامى الإيرانيين ذوي الأصل العريق)، وطلب عبدالله شراب البلح فجاؤوه به، فأخذ يحتسيه متمهلاً إلى أن اقترب الصباح.

وعند الفجر، سلكوا طريقهم صوب بغداد، وما إن وصلوا إلى سرپل حتى أمر إسحق بن إبراهيم حاكم بغداد بأن تُقطع يد عبدالله وقدمه، فلم يعترض عبدالله، ولم ينطق بكلمة في أثناء قطعهم يده وقدمه. وقد تمّ شنقه بعد ذلك بين جسرين في الجهة الشرقية من مجرى النهر. ولم يتعرّض عبدالله للهزء والسخرية بنفس القدر الذي تعرّض له بابك الذي أركبوه على فيل، وألبسوه رداء مطرّزاً بالذهب، ووضعوا على رأسه قبعة مستديرة من جلد السمور، وهي غطاء رأس إيراني يُسمّى القلنسوه.

وبعد عام (في سبتمبر ٨٤٠ م = ٢٢٦هـ)، علّق جسد «مازيار» - أمير طبرستان المتمرد - إلى جانب جسد بابك.

وقد نظم الشاعر أبو تمام (ت ٨٤٥ - ٨٤٦ م = ٢٣١ - ٢٣٢ هـ) أشعاراً حول هذا المنظر المؤثر، قال فيها
ولقد شَفَى الأحشاء من برحائها أن صارَ بابكُ جارَ مازيار

[489] ثانيه في كَيْدِ السماءِ ولم يكنْ
وكأنَّما ابتدرا لكيما يطويا
سودُ اللباسِ كأنما نَسَجَتْ لهم
بكروا وأسروا في بطونِ ضوامر
لايبرحون، ومن رآهم خالَهُم
لاثنين ثانٍ إذ هُما في الغار^(١)
عن باطسٍ خبراً من الأخبار
أيدي السموم مدارعاً من قار
قيدت لهم من مربط النجّار
أبدأ على سَفَر من الأسفار

وكان الشخص الثالث الذي طوى طريقَ بابك وعبدالله بسرعة هو نفس
«افشين» الذي هزم بابك، وشارك سراً في ثورة مازيار ضد عبدالله بن طاهر.
وكان عبدالله بن طاهر قد عُيِّن والياً على خراسان من قِبَل الخليفة.

ولم يكن أفشين - الذي كان في السابق أحد القادة الأساسيين المقرَّبين
إلى بلاط الخليفة - يقلُّ في أصله الإيراني وحبُّه للإيرانيين عن هذين
الشخصين اللذين ارتبطا معاً في هذا المكان الموحش^(٢).

(١) إشارة إلى الرسول وأبي بكر في غار ثور. (القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية الأربعون).
تعليق المترجم: الآية ٣٩ من سورة التوبة، ص ٢٤٨ - طبعة الخكر. ونص الآية الشريفة:
«إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا
تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى
وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم».

(تعليق م.ع): الصحيح أنها الآية ٤٠ من سورة التوبة.
(٢) لكي يُعرف إلى أي حد كانت كراهيته للعرب، انظر ص ١٩٩-٢٠٧ من تاريخ البيهقي بصفة
خاصة (كلكتا ١٨٦٢م=١٢٧٩هـ)، وارجع إلى الترجمة التي وضعها كازيميرسكي Kazimirski
لهذه العبارة العجيبة (ديوان متوجّهري - باريس ١٨٨٦م=١٣٠٤هـ، ص ١٤٩-١٥٤)، وطابق
بينها وبين ما جاء في ترجمة دوسلان نقلاً عن ابن خلكان (ج ١ ص ٦٣، ٧٢ - هامش رقم ٩).
وبناء على قول ابن شاعر* ينتمي أفشين إلى سلالة ملوك إيران القدامى، وهذا ما يؤيده البيهقي.
(تاريخ البيهقي ص ٢٠٣، السطر ١، ٢؛ ديوان منوچهری ص ٥١، الأسطر الخمسة الأخيرة).
تعليق المترجم: تاريخ المسعودي المعروف بتاريخ البيهقي، تأليف أبي الفضل محمد بن حسين
الكاتب البيهقي، تصحيح وحواشي سعيد نفيسي الأستاذ بجامعة تهران، في ثلاثة مجلدات،
طبع ١٣١٩ و ١٣٢٦ و ١٣٣٢هـ = ١٩٠١ و ١٩٠٨ و ١٩١٣م.

(*) (تعليق م.ع): يقصد ابن شاعر الكشي، صاحب كتاب «وفيات الوفيات»، الذي يتدارك فيه
الأخبار التي لم ترد في «وفيات الأعيان» لابن خلكان. وقد طبع كتاب ابن شاعر في القاهرة عام
١٢٩٩هـ = ١٨٨١م.

[490] وقد وصف الطبري محاكمة هذا الرجل بطريقة جذابة (حـ ٣٠ ص ١٣٠٨ - ١٣١٣). وترجع أهمية الوصف إلى كشفه عن أنه كان يكفي رؤساء جيش أمير المؤمنين إيداءً أقلّ قدر من مظاهر الإسلام. وقد كان أفشين بدوره يكتفي بالقليل في هذا الشأن (إلى أن تعرض للكراهية لأسباب سياسية بحتة).

وقد حضر هارون بن عيسى بن منصور تلك الأحداث وشهدا بنفسه، ونقل لنا هذه القصة التي نورد خلاصتها هنا:

ممن حضروا محاكمته: أحمد بن أبي دعاء وإسحق بن إبراهيم بن مصعب ومحمد بن عبد الملك الزيات الذي كان يمثل المدعي العام^(١) لهذه المحاكمة، وما زيار الذي كان يقتلُ بأمر الملك، ولم يُقد من وراء ذلك شيئاً كما رأينا. وممن حضروا أيضاً موبد المجوس، وأحد أمراء سُغد، واثنان من مرتدي الأسمال المنتمين لنفس الولاية. وقد استُجوب صاحبا الأسمال البالية قبلَ غيرهما، فكشفا عن ظهريهما للمحكمة، فشوهد جلدُهما وقد نُزِعَ هم جسدُهما - بتأثير ضربات السياط - وأُختت الجراح.

ووجه ابن الزيات سؤاله لأفشين: أتعرفهما؟ فأجابه أفشين: نعم [491] أعرفهما. هذا مؤذنٌ وذاك يؤمُّ الجماعة في المسجد. لقد شيدا مسجداً في أشروسنه، وقد جلدت كل واحد منهما ألف جلدة: لأنني كنت قد اتفقت مع أمراء سُغد على أن يترك لكل إنسان الحرية في اختيار الدين الذي يريد، وعدم التعرض لأحد بالإيداء، فأغار هذان على معبد يؤمُّه بعض أهالي أسروشنه لعبادة الأصنام، وحطّما الأصنام، وحوّلوا المعبد إلى مسجد. فأوقعت بهما العقاب جزاء ما عملا، وجلدت كلاهما ألف جلدة لأنهما تجاوزا ومنعا الناس من مزاولة عبادتهم.

وانتقل ابن الزيات من هذا الموضوع إلى جزء آخر من قائمة الادّعاءات:

(١) الأصل العربي لهذه الكلمة هو: «المناظر» (تاريخ الطبري ج ٧ ص ٣٠٦، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م).

قال ابن الزيات: «أيُّ كتاب هذا الذي تملكه. وقد جمَلته بالذهب والزينة والجواهر، بينما تختلط العبارات فيه بعبارات الكفر بالله؟».

وأجاب أفشين: «إنه كتاب ورثته عن أبي، به بعض الأمثال والحكم الإيرانية. فإن يكن به كفر وزندقة فأنا أفيد من الجانب الأدبي الموجود فيه، ولا أهتم بما عدا ذلك، ويوم أن صار الكتاب في حوزتي كانت به تلك الزينات الفخمة الرائعة، فأنا لم أضف أي زينة بيدي، ولم يكن هناك ما يضطرني إلى إزالة هذه الزينات؛ لذا تركت الكتاب على الصورة التي كان عليها كما تركتم كتاب كليلة ودمنة وكتاب مزدك^(١) في منازلكم، ولم أكن أعلم أن مثل هذا العمل منافٍ لاعتقادي في الإسلام».

[492] ثم تقدّم موبد المجوس وقال: لقد اعتاد هذا الرجل على أكل لحم الحيوان المخنوق، وكان يحرضني على أن أفعل فعلته، مدّعياً أن لحم أمثال هذا الحيوان أخفّ من لحم الحيوان المذبوح. يضاف إلى ذلك أنه كان يذبح يوم الأربعاء من كل أسبوع خروفاً أسود، ثم يقسمه بسيفه إلى نصفين، وبعد أن يمرّ من بين القطعتين يأكل لحمه.

وقد قال لي يوماً: لقد صرث بدوياً مثلهم (وكان يقصد العرب)، وكل ما لا يحبّه العرب لا أحبه أنا أيضاً، ولا فرق بيني وبينهم في أكل الزيت وركوب الجمل ولبس السندل، أما بدني فلم تنقص منه شعرة إلى الآن. وكان يريد أن يقول إنه لم يستخدم مادة التنظيف والأشياء التي تؤدّي إلى إزالة الشعر، كما ذكر لي أنه لم يكن مستعداً لأن يُخْتَنَ.

قال أفشين: قولوا لي: هل يمكن الوثوق بمذهب شخص يتحدّث على هذا النحو؟

(١) كما كتب نولدكه في تاريخ الساسانيين، ص ٤٦١، الهامش رقم ٢ - أسفل الصفحة. (Nöldkeke, Gesch.d, SaSaniden) فإنّ الكتاب الذي ترجمه ابن المقفع إلى العربية، وجدّد أبان اللاحقي النظر فيه (الفهرست ص ١١٨ و ١٦٣) - على الرغم من مراعاة السجع - لم يكن ولا شك كتاباً دينياً، بل كان كتاباً عادياً كُتِبَ خصيصاً للقراء، وهو على شاكلة كتاب كليلة ودمنة، ولم يكن يُنظر إليه على أنّ قراءته ضارّة بالمسلمين.

إنَّ هذا الموبد من المجوس الذين دخلوا الإسلام - فيما بعد - في عهد المتوكِّل، وصار من المقرَّين للخليفة. قال الحضور: «لا». عندئذ قال أفشين: ما معنى أن تقبلوا شهادة شخص كهذا لا تعتمدون عليه ولا تثقون به؟ ثم رفع وجهه إلى الموبد، وقال: هل كان بين منزلي ومنزلك بابٌ أو نافذةٌ حتى يمكنك رؤيتي من خلال هذا أو ذاك وتطلع على أموري وأعمالي؟.. فأجاب الموبد: «لا».

وسأله أفشين: ألم تكن عادتني أن أدعوك عندي وأأتمنك على أسراري، وأحدثك حول مشاكل إيران، وعشقي لها ولكلِّ ما يتَّصل بها؟ فأجاب الموبد: «نعم».

[493] قال أفشين: إذا فأنت لست صادقاً في دينك ولا كريم الطبع في صداقتك؛ لأنَّ ما قلته لك في الخفاء ووثقت فيك بشأنه قد استخدمته ضدِّي في العلن.

ثم قرَّبوا منه مرزبان سغد وسألوه: أتعرفه أم لا؟ فأجاب أفشين بالنفي. ثم سألوا المرزبان: أتعرف أفشين؟ فأجاب بالإيجاب، وحدَّق في وجه المتهم، وصرخ قائلاً: أيها الكاذب المخادع، إلى متى تدافع عن نفسك وتحاول قلب الحقائق؟ وأجابه أفشين: ماذا تقول يا ذا اللحية الطويلة؟ فعاد المرزبان للسؤال: كيف يُخاطبك رعاياك في رسائلهم إليك؟ وأجاب أفشين: بنفس الطريقة التي كانوا يكتبون بها إلى أبي وجدِّي.

واستمر المرزبان في سؤاله قائلاً: قل: كيف يخاطبونك؟ وأجاب أفشين: لن أقول.

وقال المرزبان: في الخطابات التي يكتبونها إليك ألا يكون عنوان الخطابات بلغة اشروسنة: ذا وذاك، أليست ترجمتها: إلى مقام إله الآلهة (رب الأرباب) من لدن خادمه فلان بن فلان؟!

وأجاب أفشين: نعم، هي كذلك.

وصرخ ابن الزيات: أيجيز المسلمون أن يخاطبهم شخص بهذا المضمون؟
إذا ماذا تركتم لفرعون!! لقد قال فرعون لأتباعه: «أنا ريكم الأعلى»^(١).

قال أفشين: لقد كانت هذه تقاليد الناس، وكانوا يراعون هذه التقاليد
بالنسبة لي قبل أن أسلم، ولم أشأ أن أقلل من شأني في نظرهم حتى لا
يقصّروا في وفائهم لي.

وصرخ إسحق بن إبراهيم بن مصعب: وإي لك يا حيدر، كيف تقسم لدينا
بالله وثق بك ونعتمد عليك، ونقبل خلفك وقسمك، ويكون مسلكنا معك
نفس مسلكنا مع فرد مسلم، بينما دعاواك كدعاوى فرعون؟!

[494] وأجاب أفشين: يا أبا الحسين! هذه العبارة قد استخدمها عجيف
ضد علي بن هشام، وها أنت تستخدمها اليوم ضدي، ولا ندري من سوف
يستخدمها غدا ضدك!!

ثم نادوا على مازيار قائد طبرستان، فتقدم. وسألوا أفشين: أتعرف هذا
الشخص؟ وأجاب أفشين: لا. فسألوا مازيار: أتعرف أفشين؟ فأجاب
بالإيجاب.

وهنا قال الحاضرون لأفشين: هذا الرجل مازيار. قال أفشين: نعم! الآن
عرفته.

فُسِّل: هل كتبت إليه؟ فأجاب أفشين بالنفي. فعادوا للسؤال: هل كتب
مازيار شيئاً إليك؟ فأجاب أفشين: نعم. كان أخوه - قلامه الظفر - قد كتب
إلى أخي حاكم الجبال خطاباً بأنه لا أحد يستطيع - غيري وغيرك وغير بابك
- أن ينصر هذا الدين^(٢) الذي هو أجل الأديان، ولا أحد سوانا يجعله يتغلب
على سائر الأديان. لكن بابك تسبب في موته بسبب جنونه. ورغم محاولتي
لإنقاذه من الموت فإن جنونه لم يعصمه من أن يُتلى بتلك البليّة العظيمة.

(١) قرآن كريم، السورة ٧٩، الآية ٢٤.

(تعليق م.ع): سورة النازعات، الآيتان ٢٣، ٢٤. ونصهما: «فحشر فنادى، فقال أنا ريكم الأعلى».

(٢) أعتقد أنه يقصد إما دين زردشت أو دين مزدك الذي كُتبت له الحياة على يد بابك.

وقال مازيار: لقد كتبت إليّ^(١):

لو ثُرتَ، فإن القوم (يعني العرب) لن يجدوا سواي لإيفاده لمحاربتك،
وبرفقتي أبطال وشجعان ومسلحون. وحين يجمع ميدان القتال بيني وبينك
فلن تقاتلنا أكثر من ثلاث فرق: العرب والمغاربة^(٢) والترك. العرب بمثابة
الكلب، ألقى أمامه بقطعة خبز ثم اسحق رأسه بهراوة ثقيلة. وهذه الذبابات
(إشارة إلى المغاربة) قليلة العدد^(٣) أما شيطان الصغار هذا (إشارة إلى الترك)
[495] فسوف يتحطم نصله في وقت قصير، ويحاصره الفرسان، ويُقضى عليه
في غارة واحدة، وتعود لديانتنا - ثانية - نفس منزلتها التي كانت لها في
عصور الإيرانيين^(٤).

وعلق أفشين، بقوله: إن هذا الرجل يتهم أخاه وأخي بأعمال لا صلة لي
بها ولا تربطني بها رابطة. وإنني عندما كتبت إليه مثل هذه الرسالة كي أستميله
إليّ وأجعله يتلقى حضوري برباطة جأش وسكون وهدوء لم أكن مخطئاً، فأنا
الذي ساعدت الخليفة بقوة ساعدي، ولي أكبر الحق في مساعدته أيضاً بقوة
العقل، وأن أستغفل عدوه وأباغته، وبذلك أرفع رأسي في عين قائده، فهكذا
نال عبدالله بن طاهر^(٥) العز والفخر.

(١) أضفت هذه الفقرة ليستقيم الحوار.

(٢) المراد بالمغربين أو المغاربة عرب وبربر شمال وشمال غربي أفريقيا.

(٣) سقطت عبارة (إنما هم أكلة رأس)، والعبارة تعني أنهم قليلو العدد، وأن الطعام المأخوذ من
رأس الحيوان يكفي لسدّ جوعهم (ص ٧٣ - القسم الأول من الكتاب الأول من قاموس لين
العربي: Lane. Arabic Lexicon).

(٤) يتضح من الموضوعات السابقة برمتها أن أفشين - على الرغم من اعتباره من أهالي ما وراء النهر
- لم يكن تركي الأصل كما ادّعى البعض، وأنه من حيث المشاعر والأحاسيس كان إيرانياً
تماماً، يشارك الإيرانيين همومهم.

(٥) (تعليق م.ع): عبدالله شقيق طلحة بن طاهر بن الحسين. تولى الحكم في خراسان بعد وفاة
أخيه في عام ٢١٣هـ = ٨٢٨م بامرٍ من المأمون. فقضى على فتنة الخوارج عام ٢١٥هـ = ٨٣٠م،
وأخضع نيسابور واتخذها عاصمة له وأكثر فيها العمران. ومات عام ٢٣٠هـ = ٨٤٤م.
انظر: ٣٥٠٠ عام من عمر إيران، ص ٢٩١هـ.

وقد ورد شرح هذه المحاكمة بصورة أكثر تفصيلاً، خاصة عند سؤالهم أفشين: لماذا لم تُخْتَن؟ (ويقول أبو دعاد إن الإسلام والطهارة مرتبطان في الشرع كليّة بالختان). وفي مقام الدفاع يصرّح أفشين بأنه لم يفعل ذلك خوف الضرر واتقاء الخطر. وقد استقبلت أعداره بالتقريع والسخرية، واعتُبرت باطلة وموضع شك وريبة، ولهذا قالوا: هل من الممكن أن يخاف مثل هذا الشيء جنديّ يحمل روحه على كفه، وهو في كل وقت معرّض لطعنة رمح أو ضربة سيف؟!

وأحسّ أفشين أنّه مُدانٌ فقال بفكرٍ مشوّشٍ ناظراً إلى ابن أبي دعاد: أنت يا أبا عبدالله ترفع طيلسانك بيدك فلا تضعه على عاتقك حتى تقتل به جماعة^(١).

[496] وخاطب ابن أبي دعاد الحضور قائلاً: الآن يتضح لكم أنّ هذا الرجل جبارٌ دخيل. ثم تحدّث إلى بغاي الترك (البُغا الكبير)^(٢)، وقال: أبعدّه!

وقبض بغا على حزام أفشين. وحين صاح أفشين: لقد كان هذا يُنتظر منك، ألقى «بُغا» ذيلَ رداءه على رأسه، وبينما كان يخنقه نصف اختناقاً أعاده إلى سجنه.

(١) المقصود أنّه من القضاة الذين يحكمون على المتهم بالإعدام. ويقول لين في قاموسه إن الطيلسان كان شبيهاً بلباس الجامعة الرسمي. وربما يكون لباس الأساتذة الرسمي تقليداً للطيلسان، وكان العلماء والفقهاء والأطباء وأمثالهم يلبسونه.

تعليق المترجم: يرد في تاريخ الطبري، ج ٧ ص ٣٠٨، طبع القاهرة عام ١٩٣٩م = ١٣٥٨هـ أن الطيلسان هو لباس الإيرانيين. وعندما كان يقال لأحدٍ يا ابن الطيلسان. . كان هذا كنايةً عن إيرانيّة الشخص. والطيلسان معرّب كلمة «تالسان» الفارسيّة (أقرب الموارد، ج ٣، ص ٧١١-٧١٢).

ويرد في فرهنگ نفيسي، ج ٣ ص ٢٢٧٢ أن هذه الكلمة مأخوذة من «تالشان» الفارسيّة التي تعني العبادة أو الرداء الذي يلقونه على الكتف. وجمع كلمة طيلسان: طيالس وطيالسة. ويقال في معرض السباب: يا ابن الطيلسان أي يا ابن الأعجمي.

(٢) بغا الكبير هو أبو موسى التركي.

ولم يحفل الخليفة «المعتصم» باستغاثته واسترحامه حتى إنه أراد أن يسمّه علانية، فأرسل إليه فاكهة سامة حملها إليه ابنه «هارون» الذي نال الخلافة فيما بعد، ولقّب بالواثق بالله^(١). ثم أصدر المعتصم أمره فأهلكوه بالجوع تدريجياً. وكما تبين لنا من قبل، فقد علّقوا جسده فترة بين المقتولين: بابك ومازيار، ثم أحرقوه ونشروا رماده في دجلة. وفي منزل أفشين، وُجدت إلى جانب الأصنام المختلفة والجواهر المتعددة الأشكال كتبٌ كثيرة تتعلق بالموضوع الديني الذي كان يرتبط به سرّاً. وقد شوهد بينها كتاب «زراوه» أحد كتب المجوس.

وكانت وفاة أفشين في شهر يونيو سنة ٨٤١م = ٢٢٧هـ. وبناء عليه لا بد وأن يكون قد أمضى تسعة أشهر في سجنه - بعد محاكمته وبعد إعدام مازيار - على الرغم من ضعفه.

[497] وكانت سياسة العباسيين أول الأمر - خاصّة سياسة المأمون^(٢) - أن يُجلّوا الإيرانيين على رغم أنف العرب. وقد أبرزنا في هذا الفصل - بدقّة تامّة - قسماً من تجلّيات روح الديانة الإيرانية القديمة التي ظهرت على مسرح الوجود بصورة أكبر وبلا مواربة. وكان هدفنا هو إبراز الجهود والصراعات التي قام بها الإيرانيون لمحو سيادة العرب والإسلام، وإحياء قوّة قادة إيران وحكمائهم القدامى^(٣). ويمكن أن يقال بتعبير آخر إن هذا اللون من الآمال التي تطلّع إليها الإيرانيون بعد ماضٍ لا يُنكر ويصعب تغييره.. قد تبدّد على قمّة ثلاث مشانق نُصِبَت في سُرٍّ من رأى. غير أن الأفكار والعقائد الإيرانية التي تبدّت في صور متعدّدة، وظهرت بأشكال مختلفة - بغية إحياء المظاهر الإيرانية والتحرّر من نفوذ الغير - قد استمرّت شدّتها إلى حدٍ جعل أبا تمام^(٤) يقول:

«ومن رأيهم خالهم أبداً على سفرٍ من الأسفار»

(١) يمكن مشاهدة قصة حمدون بن إسماعيل المهمّة في الطبري (ج٣ ص ١٣١٤-١٣١٨).

(٢) ذكر الطبري (ج٣ ص ١١٤٢) دلائل عدم اعتماده على العرب بصورة جليّة واضحة.

(٣) قارن ذلك بما ورد في الفصل الممتع الذي كتبه جولدزيهر حول الشعبيّة، ص ١٤٧ فما بعد. وارجع إلى ص ١٥٠ لمعرفة ما كتبه حول الدراسات الإسلامية بصفة خاصّة.

Goldziher, Muhammadanische Studien.

(٤) ارجع إلى صفحة ٤٨٩ من الكتاب نفسه.

الباب الرابع

عصر انحطاط الخلافة الأول من جلوس المتوكل حتى جلوس السلطان محمود الغزنوي

(٢٣٦ - ٣٩١هـ) = (٨٥٠ - ١٠٠٠م)

الفصل العاشر

المظاهر العامة لعصر انحطاط الخلافة الأول

(٢٣٣ - ٣٩١ هـ (=) ٨٤٧ - ١٠٠٠ م)

من جلوس المتوكل إلى جلوس محمود الفزنوي

الفصل العاشر

المظاهر العامة لعصر انحطاط الخلافة الأول

(٢٣٣ - ٣٩١ هـ) = (٨٤٧ - ١٠٠٠ م)

من جلوس المتوكل إلى جلوس محمود الغزنوي

[501] على الرغم من أن العصر الذي ندرسه الآن لم يكن له - من الناحية السياسية - نفس بريق العصر الماضي ولمعانه فإنه كان على نفس القدر من الأهمية من عدة نواح. فخلفاء هذا العصر كانوا ضيقي النظرة، يميلون إلى التعصب ولا يتحلون بميزة اتساع الأفق ولا بروح العفو والصبر، تلك التي كان يتحلّى بها المأمون وخلفاؤه. لكن ذلك الأمر لم يكن عقبة في سبيل نضج الحركات المذهبية والفلسفية، بل يبدو أن هذا الأمر صار مشجّعاً على ظهور عدد من الحركات الجديدة بالذكر إلى حد بعيد.

ومن النماذج المهمة لهذه الحركات المذهبية التي كُتب لها الظهور في هذا العصر دعوة القرامطة والإسماعيلية^(١) التي انتهت باستقرار حكومة الخلفاء المنافسين - أي الفاطميين - في أفريقيا الشمالية ومصر.

أما المثال البارز للحركات الفلسفية المهمة فيتمثل في جماعة الأخوة المعروفة بإخوان الصفا. وكان بلاط بغداد قد تعرّض للاسترخاء والشلل

(١) (تعليق م.ع): لمعرفة الكثير عن الإسماعيلية وتسمياتها ورؤسائها وأعمالها وأهدافها، يُرجع إلى: السلاجقة في التاريخ والحضارة - الفصل التاسع، ص ١٦٧ - ١٨٧؛ الكامل لابن الأثير، حوادث سنة ٥٢٩ هـ = ١١٣٤ م؛ تاريخ طبرستان للمرعشي، ح ١٠ ص ٥٧ - طبع سانت بطرسبرج؛ تاريخ الأدب في إيران، ح ٢ ص ٣٩٤؛ جهانگشا للجويني، ح ٣، لندن ١٣٤٠ هـ = ١٩٢١ م؛ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، حوادث سنة ٥٠٧ هـ = ١١١٣ م؛ فارسنامه لابن البلخي، ص ٦١، ٥٩، لندن ١٣٤٠ هـ = ١٩٢١ م؛ الفرق بين الفرق للبغدادي، ص ٢٣٦ طبع عام ١٣٧٩ هـ = ١٩٥٩ م؛ فرق الشيعة للنويختي، ص ٧٢، طبع النجف عام ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م؛ سياستنامه لنظام الملك، ص ٢٥٩، طهران ١٣٢٠ هـ.ش.

الدائم نتيجة تمرّد حرس حكومة الترك^(١) المتنامي وظلمهم المتزايد. وكان خلفاء العصر قد جمعوا حولهم هؤلاء الحرس في أيام الشدّة، مما تسبّب عنه ظهور سلاطين وأمراء مستقلّين تقريباً أو شبه مستقلّين. وكان ظهورهم في العديد من أنحاء الإمبراطوريّة الإسلاميّة، خاصة إيران.

وقد صار بلاطهم في الغالب مركز علم وأدب. وكان الخلفاء الذين يحكمون في مدينة بعيدة منعزلة يمكنه أن يقوموا - بصورة أفضل من سواهم - الاستعداد الذاتي لأهالي بلدهم، وأن يشجّعوا ذوي القرائح المتوقّدة. [502] يضاف إلى ذلك، أنّ العصور التالية كانت تتميز باستحكام اللامركزية، ولم تكن عيوب ذلك النظام قد ظهرت بعد، وفي كافّة الأراضي المترامية الأطراف التي كانت بغداد بمثابة مركز علمي لها، وتعتبر إلى حد كبير مركزها السياسي، كانت اللغة العربيّة ما تزال لغة السياسة والعلم والثقافة. ولم تكن روابط الشعوب الماديّة والمعنويّة تجد من العوائق ما يعرقل حريّة مسيرة الأفكار والعقائد المختلفة بين الأقوام والأمم. لقد كان العلماء يتنقلون من مركز علمي إلى آخر بكل سهولة. فكانت المباني النظرية والأصوليّة التي تطرح في أسبانيا ومراكش تدرس بسرعة في خراسان وما وراء النهر.

يضاف إلى ذلك أن هذا العصر - من وجهة نظرنا الخاصة - له أهميّة؛ لأنّ ما يُعرف لدينا باسم الأدب الفارسي قد وُجد في هذا العصر، ونعني به أدب إيران بعد الإسلام. وقد قلنا في أحد الفصول السابقة (ص ٢٠-٣٠) إنّ بإمكاننا إقامة شواهد وأدلة ضعيفة لإثبات وجود كتابات فارسيّة حديثة (عكس البهلويّة) في تاريخ أكثر تقدّماً. ورأينا أن المذكرات أو حتى الكتيبات أو الرسائل يمكن أحياناً أن يكون لها وجود سابق على أواسط القرن التاسع الميلادي.

وفي نفس الوقت، هناك شك كبير في أن يكون تحت يدنا سطر واحد بالفارسيّة من المتون التي كُتبت قبل أواسط القرن التاسع الميلادي. لأنّ

الشعر الفارسي الذي يدّعي العوفي أن عباس المروزي^(١) قد نظمه عام ١٩٤ هـ [503] = ٨٠٩ م وقت دخول الخليفة المأمون مدينة مرو شعرٌ مشكوكٌ فيه كثيراً من زاوية القيمة والإسناد، وفق رأي كازيميرسكي^(٢).

لقد كانت خراسان أبعد ولايات إيران عن مقرّ الخلافة، أي بغداد، ونتيجة لتحرّرها من قيود سلطة الخلفاء المباشرة راج الشعر الفارسي بها. وكان هذا الشعر منزوياً أول الأمر إبان حكم الطاهريين (٢٠٥-٢٩٥ هـ = ٨٢٠-٨٧٢ م) والصفاريين (٢٥٥-٢٩١ هـ = ٨٦٨-٩٠٣ م)، ثم ارتقى بصورة كبيرة في عهد السامانيين (٢٦١-٣٩٠ هـ = ٨٧٤-٩٩٩ م) الذين كانوا أكثر قوميّة من الطاهريين وأكثر أصالة من الصفاريين. وبعد العصر الذي سندر الحديث حوله مباشرة (أي في العصر الغزنوي)، بلغ الشعر المذكور أعلى أوجه، أو لنقل إنّه حقّق النضج الكامل.

وسوف تعود للحديث في هذا الموضوع في أحد الفصول التالية: غير أنّه من الأفضل أن نذكر في البداية جانباً من تاريخ هذا العصر من عصور الخلافة، وأن نلقى نظرة واسعة على جميع نواحيه السياسيّة والمذهبيّة والأدبيّة. لهذا سنقسّم هذا الباب - كسابقه - إلى ثلاثة فصول، نحاول في أوّلها أن نورد مجملًا مفصلاً عن أوضاع العصر، أما الفصل الثاني فسوف ندير الحديث فيه بتفصيل أكبر حول بعض الحركات المذهبيّة والفلسفيّة، ثم نخصّص الفصل الثالث لشرح أقدم عصور الأدب الفارسي.

(١) أنظر: ص ٣٦-٣٨ من رسالة الدكتوراه حول السابقين على الرودكي والمعاصرين له. Ethé, Rudagis' Vorläufer und Zeitgenossen, ein Beitrag Zur Kentniss der ältesten Den Kmäler Neuper sis cher poesie.

وانظر: ص ٤٧-٤٨ من تاريخ الأدب الفارسي، تأليف هارون. Horn, Geschichte der persischen literatur (Leipzig 1901).

(٢) أنظر: ص ٨ و ٩ من مقدّمة ديوان منوچهرى بقلم Kazimirski (طبع باريس). (تعليق م.ع): للوقوف على نص أبيات المروزي ومعرفة أقوال المؤيدين والمعارضين، ارجع الى: ص ٣١٠ من كتاب ٣٥٠٠ عام من عمر إيران. وتبدأ الأبيات الفارسية بقوله: اي رسانيده بدولت فرق خود تا فرقددين گسترانيده بجود وفضل در عالم پدين

وإذا اشتكى قارئ هذا الكتاب من موالاتنا الحديث - حتى الآن - حول أنحاء بغداد، وتساءل عن سبب إثارة الموضوعات كلها حول الأدب العربي دون الأدب الفارسي. فإنَّ الواجب أن يضع في اعتباره أن هذه الموضوعات تشكلُ قسماً مهماً وضرورياً من الموضوع الذي وُضع الكتاب من أدله؛ لأنَّي اعتقد اعتقاداً جازماً أنَّ دراسة اللغة الفارسيَّة تعطي أكلها إذا لم تنفصل عن دراسة اللغة العربيَّة. وهذا المعنى يصدق حتى على الفروع الأدبيَّة البحتة، [504] ويصدق بصورة أكبر على فرع المذهب والفلسفة. فكلُّما أردنا أن نتخطَّى حدود أكثر الدراسات الأدبيَّة سطحيَّة نجدنا مضطرينَّ إلى الدخول في المسائل المذهبيَّة والفلسفيَّة. إنَّ من يملكون أفقاً محدوداً في مجال الدراية بفروع الأدب الفارسي يلجأون إلى الكُليستان والبوستان^(١) وأنوار سهيلي وديوان حافظ ورباعيَّات الخيام. . وهذا الكتاب لم يُكتب لأمثال هؤلاء الأشخاص.

يبدأ هذا العصر بخلافة المتوكِّل، وقد كان عهد خلافته طويلاً نسبياً وموجباً للأسف (٢٣٣-٢٤٧ هـ = ٨٤٧-٨٦١ م). وما يتعلق بهذا العهد من الوجهة السياسيَّة هو سيادة التُّرك وقمع العرب، وقمع الإيرانيين إلى حدِّ ما. وما يتعلَّق به من الوجهة المعنويَّة هو ردُّ الفعل الذي بدا إزاء عقائد المعتزلة التحرريَّة وميول الخلفاء السابقين الفلسفيَّة؛ والنفور والكراهية الناجمان عن التعصُّب لعلِّي وشيعته؛ واحتلالُ التُّرك - من الجنود المنتفعين المشوَّشين - مكانَ البرامكة وسائر الإيرانيين ذوي الأصل العريق. (هؤلاء الجنود هم في الأصل العبيد الذين تمَّ أسرهم في الحروب الدينيَّة ضد القبائل التُّركيَّة الملحدة على حدود خراسان). وتنطبق أسماؤهم الوحشية تماماً على أعمالهم الهمجيَّة التي ارتكبوها. وتحفل صفحات التاريخ بمثل هذه الأسماء بُغا (بمعنى الثور)، وبغا الصغير، وبغا الكبير، وبغاغر، وأتامش (الذي وصل إلى الصدارة بعد قتل المتوكِّل بعامين أو ثلاثة) وباياك، وكلبتكين، وأمثالهم.

(١) (تعليق م.ع): الكُليستان والبوستان كتابان ألفهما بالأدب الفارسيَّة الأديب سعدى الشيرازي - شاعر الإنسانية - وقد طُبعا أكثر من مرَّة، وترجمهما الدكتور موسى هنداوي إلى العربيَّة.

ومع أن أمثال هؤلاء الجنود المأجورين قد اتخذوا لهم أسماء عربية فإن أصلهم ونسبهم يكشف عن حقيقتهم. فوصيف مثلاً وهو أحد رؤساء المتآمرين الذين قتلوا المتوكل اسمه كاشف، وقد كان في الأصل خادماً. ^(١)

[505] ويعتبر اليوم الذي لم يعد فيه الخلفاء يعتمدون على الشعب ويحبونه، والذي جمعوا فيه حولهم عدداً من الهمجيين المتشدديين، ونقلوا فيه مقر الخلافة من بغداد إلى سر من رأي (سامراء)، يعتبر يوم نحس عليهم. ومعنى «سر من رأي» أن (كل من يراها يسر). ويقول موير ^(٢):

«مرجع هذا السرور هو جمال المكان». وقد قال أحد الظرفاء متفكهاً مبدياً فراسته: «كل من رأى الترك الذين اختاروا لهم مسكناً بها كان يسره أن تخلصت بغداد من شرهم». ومع أن هذه الواقعة كانت في خلافة المعتصم إلا أن ثمراتها المرة بدت أول ما بدت في أيام المتوكل. والحق أن المتوكل قد فكر في أواخر خلافته (٢٤٤هـ = ٨٥٨م) في نقل العاصمة وإحلال دمشق محل بغداد. وهذا يدل دلالة خاصة على أنه كان ينظر إلى بني أمية نظرة استحسان، ويحمل الحقد والكراهية للشيعة. وقد ظهر تعصبه المذهبي ضد التشيع بصفة خاصة، وبدا ضد اليهود والنصارى في شكل قوانين وقرارات غير مستقرة، وكان تعصبه هذا يعادل تماماً ميله الطبيعي للترك، ولهذا تجد أننا مضطرون إلى تشبيهه بسلطان أسود القلب متعصب من سلاطين العثمانيين، لا أن نقول إنه كان خليفة المنصور والمأمون. لقد تصرف مع الشيعة على نحو نجم عنه سفك دم العديد منهم. ومن جملة من قتلهم: معلّم أبنائه ابن السكيت العالم النحوي المشهور ^(٣) (٢٤٣هـ = ٨٥٧م) وعيسى بن جعفر.

(١) أنظر: ح ٢ ص ٨١٠ من كتاب المتمم لكلام العرب لدوزي بشأن هذه الكلمة:

Dozy, Supplément aux Dictionnaires Arabes.

تعليق المترجم: الوصيف في اللغة بمعنى الخادم أو الغلام.

(٢) كتاب الخلافة لموير، ط ٢ (عام ١٣١٠هـ = ١٨٩٢م)، هامش ص ٥٠٩:

Sir William Muir, The Caliphate.

(٣) كتاب الخلافة لموير، ط ٢ ص ٥٢٥؛ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ح ١ ص ١١٧:

Brockelmann Gesch. d. Arab. Lit.

وكان لقتل عيسى بن جعفر دلالات عديدة، فقد كانت جريمته سباب أبي بكر [506] وعمر وعائشة وحفصة. وقد ضرب بأمر الخليفة عام (٢٤١هـ = ٨٥٥ م) إلى أن أسلم الروح. وبدلاً من أن يوارى جسمه الثرى ألقى به في نهر دجلة. وبهذا العمل - وفق تصوّره - وجّه إنذاراً ووعيداً لأهل البدع والضلال ممن يعادون جماعة المؤمنين^(١).

ولم يكن المتوكّل يكتفي بإراقة دم الشيعة، وإنما كان يبيد عداوته لكبار أئمة الشيعة، أي لعلي بن أبي طالب والحسين بن علي اللذين كانا موضع تكريم المسلمين الأتقياء قاطبة، سواء منهم الشيعي أو السني. وترتّب على ذلك أن قام (عام ٢٣٧هـ = ٨٥١م) بتخريب قبر الحسين بن علي المقدّس، وهو البناء الذي شُيّد في ذكرى شهادته في كربلاء. كما منّع الزائرين من السفر إلى العتبات^(٢)، وأمر بحرث الأرض وزرعها.

وبناءً على مشورته وموافقته وبتصريح منه - على ما يبدو - كان أحد مهرّجي البلاط يضع «وسادة» تحت قميصه بحيث يجعل بطنه تبدو كبيرة، ثم يقوم بتقليد عليّ أمّ الخليفة ورجال بلاطه في هزء وسخرية^(٣). ونعلم: إنّ الكثير من اليهود والمسيحيين كانوا موضع احترام الخلفاء السابقين على المتوكّل، أمّا المتوكّل فإنّه في أوائل خلافته (٢٣٦هـ = ٨٥٠م) وبعدها بثلاث أو أربع سنوات قد أصدر أمره ضدهم لأوّل مرّة، وألزمهم أن يلبسوا طيلساناً عسلي اللون^(٤)، وأن يضعوا شارات ملوّنة وقلنسوة وحزاماً على شاكلة

(*) (تعليق: م.ع): إذا كان الكاتب يحاول إفهام القارئ أن الجرم لم يكن يستحق هذا العقاب فقد أخطأ؛ فسباب الشخصيات الإسلامية السامية لا يُقابل بالإغضاء والفتور، أما إن كان يعنى أن قسوة الخليفة كانت متعمّدة لإرهاب من يتهجون نهج عيسى بن جعفر فقد أصاب، غير أنّ الواجب أن تناسب العقوبة الخطأ كما يقضى شرع الله.

(١) تاريخ الطبري، ح ٣ ص ١٤٢٤-١٤٢٦

(٢) تاريخ الطبري، ح ٣ ص ١٤٠٧

(٣) هامش ص ٤٣٢ و ٤٣٣

(٤) العباءات الصفراء اللون التي مازال يلبسها زردشتيو إيران إلى اليوم (في يزدوكرمان) هي آخر آثار ضعفهم. وحين يتحدّث السعدى (في القرن الثالث عشر) عن تلك الطائفة يعبر عنها بأنها مخاطة باللون العسلي (هامش رقم ٢، ص ٤٩٥ و ٤٩٦).

السفلة، وألاً يركبوا سوى البغل والحمار الأسود، وأن يختاروا عربات خشبية وسُرُج ذات رسومات عجبية، وأن يعلّقوا تصاوير الشيطان على أبواب منازلهم، وقد حُطّمت معابدهم الجديدة البناء وأخذت شكل المسجد. [507] وصدر الحكم بأن يكون سطح الأرض قبوراً لهم. ومُنِعوا من التجمّع في الحارات والأحياء ومن رسم علامات الصليب. ولم يكن مسموحاً لأطفالهم أن يتعلّموا الكتابة العربيّة والعلوم الأخرى لدى المعلّمين المسلمين^(١).

مفكرو هذا العصر وكتّابه:

أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ = ٨٥٥م) هو مؤسس أحد مذاهب السنّة والجماعة الأربعة، ويسمى مذهبه بالمذهب الحنبلي، ودائرة الأفكار فيه ضيّقة، وفيه الكثير من التشدّد. وكان أحمد بن حنبل يفوق غيره وقتها من ناحية النفوذ المذهبي، وقد تلافى المسلك الخشن الذي كان المعتزلة قد أجازوه بشأنه.

ولا يخفى على أحد أنّه في ظلّ هذه الأحداث السيئة كان الجهاز الحكومي لا يبدي - بصفة عامّة - وجهاً حسناً للعلماء والحكماء. فقد حُرِمَ حفيد رئيس مستشفى ومدرسة طب جندي شابور - في خلافة المنصور - من كل ممتلكاته. ونتيجة لتهمة باطلة، نُفي هذا الطبيب - واسمه بخت يشوع^(٢) - إلى البحرين (عام ٢٤٤هـ = ٨٥٨م).

(١) أنظر: ص ٥٢١ و ٥٢٢ من كتاب الخلافة لموير؛ تاريخ الطبري ح ٣، ص ١٣٨٩ وما بعدها و ص ١٤١٩.

(٢) معنى بُخت يشوع هو: قد نجّى عيسى وخلّصه؛ فكلمة بُخت مشتقّة من بُختن بضم أولها. وقد كان معناها في الفارسيّة القديمة: النجاة والتحرير، ولا صلة لها بكلمة بُخت بفتح أولها والتي تعني الإقبال والحظ.

أنظر: تعليقات نولدكه الهامة: (ص ٤٩ - حاشية رقم ٤ أسفل الصفحة):

Nöldeke, Gesch.b.Artachsir - i - papakân.

فلا عجب أن كان عددُ الكتاب والعلماء في عصر المتوكل أقلَّ منه في [508] سائر العصور. وفي بداية هذا العصر تقريباً كتب ابن خردادبه كتاب المسالك والممالك^(١).

وممن سيرد ذكرهم ، وقد سبق أن ذكرناهم: عبدالله بن سلام الجمحي مؤلف طبقات الشعراء، وابن سعد المؤرخ منشئ الواقدي، وقسطا بن لوقا الرياضي والعالم المسيحي، وديك الجن شاعر الشيعة والشعوبي السرياني الذي كان يعيش في هذا العصر تقريباً أو في تاريخ سابقٍ عليه بقليل، وكذلك ابن السكيت العاجز، ويخت يشوع، وأحمد بن حنبل الذي كان يحظى آنذاك بالتوفيق (توفي أحمد بن حنبل عام ٢٤١هـ = ٨٥٥م).

وممن يجب علينا ذكرهم من أرباب الفضل والأدب - غير هذا العدد من مشاهير الكتاب الذين كانوا يعيشون في هذا العصر - والذين سنورد أسماءهم طبقاً لتواريخ وفاتهم:

يحي بن ماسويه (ت ٢٤٢هـ = ٨٥٦م) الطيب الذي يترجم عن اليونانية، والأزرقي (ت ٢٤٤هـ = ٨٥٨م) مؤرخ مكي، ودعبل الشاعر الشيعي (ت ٢٤٦هـ = ٨٦٠م) ويمكننا أن نضيف هنا اسم «ذا النون» العارف المصري، و«المحاسبي» نظيره في التفكير، والذي كان يعيش في تاريخ سابق. ويضاف إلى هؤلاء: الشاعر التعس على بن الجهم السامي الذي نظم المدائح في حق المتوكل، ومازالت إحدى قصائده تحت يدنا، وكذلك الشاعرة «فضل يمامه»، والموسيقي ابن المغني المعروف في بلاط هارون.. إسحق بن إبراهيم الموصلي، وآخرون.

وفي عام ٢٤٧هـ = ٨٦١م، قُتل المتوكل أثناء سكره بيد حرسه من الترك،

(١) طبع هذا الكتاب في المجلة الآسيوية عام ١٢٨٢ هـ = ١٨٦٥م مصحوبة بترجمة فرنسية (الدورة السادسة، المجلد الخامس، ص ١-١٢٧ و ٢٧٧-٢٩٥ و ٤٤٦-٥٢٧) والمجلد السادس لدوخية: M.J. de Goeje - Bibl. Geogr.Arab. (تعليق م.ع): طبع الكتاب بعد ذلك في ليدن عام ١٣٢٤هـ = ١٩٠٦م.

وبتحرير من ولده «المنتصر» الذي لم يعيش أكثر من عام بعد قتل أبيه . وقد [509] بلغ مجموع سنوات حكم هذا الولد - قاتل أبيه - وثلاثة ممن خلفوه - وهم «المستعين» و«المعتز» و«المهتدي» - تسع سنوات فقط . وقد قُتل الثلاثة الذين ورد اسمهم - المستعين والمعتز والمهتدي - بصورة غاية في الوحشية والبشاعة على يد الأتراك الذين كانوا آنذاك في أوج اقتدارهم .

وقد أبدى المهتدي روحاً أعظم وأسمى . يقول موير (ص ٥٣٥ من كتابه):

«لعل المهتدي قد استطاع في بداية حكمه أن ينفخ في جسد الخلافة روحاً جديدةً بمساندة العرب ومظاهرتهم، غير أن الأجانب كانت لهم آنذاك الغلبة والتفوق من جهة العدد والانضباط». لكنه على أي حال قد حاول بتعقل أن يخمد كبر هؤلاء المأجورين، ويقضي على نخوة هؤلاء المدّعين سفكة الدماء وعلى اندافهم وقسوتهم. وقد استفاد خليفته بشتى الطرق من ثمار مساعيه وجهوده.

وفي هذا العصر المضطرب الحافل بالهياج، ونتيجة لنشاطات يعقوب بن الليث الصفار^(١) المتميزة.. دُبّت الحياة ثانية في استقلال إيران. وعلى الرغم من أن يعقوب قد شب في أسرة حقيرة فقد نجح في تأسيس دولة جديدة. ومع قصر عمر الدولة (الأسرة) الصفارية فإنها استطاعت أن تبسط نفوذها لا في سيستان وحدها - مسقط رأس الأسرة - بل وفي القسم الأكبر من إيران بأسرها، وقاربت جدران بغداد. والحق إن الطاهريين سابقون على الصفاريين، وقد اختير رئيسهم طاهر ذو اليمينين - من قبل المأمون - لحكم خراسان، بسبب خدماته الجليلة التي أداها في ميدان القتال (٢٠٥هـ =

(١) (تعليق م.ع): مؤسس الدولة الصفارية النخاس قاطع الطريق. حصل على منشور التولية من الخليفة عام ٢٥٧هـ = ٨٧٠م، وقضى على الدولة الطاهرية عام ٢٥٩هـ = ٨٧٢م. كاد يهزم خليفة بغداد لولا انقلاب الجند عليه. توفى عام ٢٦٥هـ = ٨٧٨م.
انظر: ٣٥٠٠ عام من عمر إيران، ح ١، ص ٢٩٢، ٢٩٣.

٨٢٠م). واستمرَّ هذا الشرف متوارثاً في أسرة طاهر نسلًا بعد نسل، ولمدة ثلاثة أصلاب. ويؤكد هذا أنَّ القادة السابقين لم تكن لهم مطلقاً في تلك الحدود ما كان لأسرة طاهر من نفوذ (هؤلاء القادة الذين كان كلُّ منهم ينصبُّ حاكماً من طرف الخليفة لعدَّة سنوات، ثم يعزل بمشيئته ووفق هواه).

[510] وممَّا يُلاحظ بعامة أنَّ من يستوطنون بلداً ما ينتزعون غالباً - بعد إقامة قصيرة في تلك البلد الأجنبية - قصبَ السبق في حبِّ الوطن، ويرجعون أهل الوطن أنفسهم إلى حدِّ ما في هذا السبيل. وفي تاريخ إيرلندا نجد الكثير من الشواهد المؤكدة لصدق هذا المعنى، ففي صراعات الإيرلنديين ضد السلطة الانجليزية، هل كان زعماء الحركات الأولى أي أسر فيتزجيرالد وإمت وولف تن ونيرتندي^(١) - بأيِّ مقياس نقيسهم - ينتمون إلى الأسر الإيرلندية الخالصة؟. فلا عجب - قياساً على ذلك - أن يصبح الطاهريُّون إيرانيين قلباً وقالباً على الرغم من انحدرهم من أصل عربي. ولكن على الرغم من الإقرار بأنَّ حنظلة البادغيسي كان يعيش في كنف آل طاهر، وينعم - على نحو ما - بحمايتهم فإنَّ هناك شكاً في أن يكون الطاهريُّون - كأعقابهم الصفاريِّين والسامانيِّين - قد سعوا إلى إحياء اللغة والأدب الفارسي:

وحين يتحدَّث دولتشاه^(٢) عن أول شعر فارسي ويبحث في ذلك الأمر، يقول: إنَّ شخصاً وقد ذات يوم إلى بلاط عبدالله بن طاهر (٢١٣-٢٣٠هـ = ٨٢٨-٨٤٤م) في نيشابور، وقدم كتاباً فارسياً من مؤلَّفات العهود القديمة. ولما سُئِل: أيُّ كتاب هذا؟ أجاب: إنَّه قصَّة وامق وعذرا، وهي قصَّة طريفة، ألَّفها الحكماء وأهدوها إلى أنوشيروان.

وهنا قال الأمير (عبدالله): إنَّا نقرأ القرآن، ولا حاجة لنا بمثل هذا الكتاب؛ إذ يكفينا كلام إلهنا وحديث رسولنا - كما أن مؤلَّف هذا الكتاب من المجوس، وهو في نظرنا مرفوض ومثير للشك والريبة. ثم أمر بإلقاء

(١) Fitz Gerald, Emmets, Wolf Tones, Napper Tandys.

(٢) تذكرة الشعراء لدولتشاه، طبع براون، ص. ٣٠.

الكتاب في الماء وإتلاف أيّ كتاب كتبه المجوس بالفارسية فور اكتشافه وفي أيّ منطقة في البلاد تخضع لنفوذه. ودون أن نحكم بأهميّة هذه القصّة تاريخياً يمكننا أن نستنتج من القصّة - قدر إمكاننا - مسلك الطاهريين حيال إيران والإيرانيين.

[511] ثم ينقل دولتشاه - بعد تلك القصّة مباشرة - قصّة أخرى مفادها أنّ الابن الأصغر ليعقوب الصفّاري قد أنشد في فترة طفولته وأثناء لعبه ومرحه أول شعر فارسي في العصر الإسلامي^(١)، وهو شعر يفتقر إلى الذوق الأدبي. وهي قصّة تعكس في ذاتها اعتقاداً عاماً وهو أنّ الصفاريين كانوا الأصل في تجديد حياة إيران القوميّة، وأنّهم يطوّقون عنق إيران بجميلهم بهذا الصنيع.

وقد ظهر يعقوب على مسرح السياسة - لأول مرّة - في نفس العام الذي تُوفي فيه المتوكّل. بمعنى أنّه هبّ من ولايته «سيستان» قاصداً هرات^(٢). وبعد ثمانية أعوام (٢٥٦هـ = ٨٦٩م) سيطر على كرمان، وأرسل إلى الخليفة المعتر تحفاً وهدايا، وأصبح من يومها وحتى يوم وفاته (٢٦٣هـ = ٨٧٦م) مولعاً بفتح البلاد، فأدخل في نطاق حكمه بلخ وطخارستان والسند ونيسابور وقسماً من طبرستان، وپارس ورامهرمز والأهواز. وقد شرح نولدكه - أحد أساتذة اشترايبورج - حياة يعقوب بالتفصيل، وذلك في كتابه القيم الذي

(١) تعليق المترجم الفارسي:

انظر: كتاب «بيست مقاله» للقزويني، مقالة «أقدم شعر فارسي»، ح ١ ص ٢٦، ٣٦، بإشراف بور داود، ضمن سلسلة انتشارات جمعيّة الزردشتيين الإيرانيين - بمباي (تاريخ المقالة ٩ ربيع الثاني ١٣٣٧هـ. ش.).

(تعليق م. ع) لمعرفة ما يتعلق بأقدم شعر فارسي بصورة مفصّلة، انظر: أحمد كمال: مقال «نشأة الشعر الفارسي قبل الإسلام وبعده»، مجلة الشعر، القاهرة، العدد ٢١ يناير ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

(٢) تاريخ الطبري، ح ٣، ص ١٥٠٠.

وضعه في تاريخ مشرق البلاد معتمداً على أفضل المراجع. ويمكن للقراء مطالعة الشرح المذكور لمزيد من المعلومات بدلاً من اكتفائهم بما ذكرناه إجمالاً^(١).

وقد انفرط عقد السلسلة التي وضع يعقوب أساسها نتيجة هزيمة أخيه عمرو في بلخ على يد إسماعيل بن أحمد الساماني (عام ٢٨٨هـ = ٩٠٠م) تقريباً، لكن هذه الدولة قد نجحت - على الأقل - في تجديد حياة إيران القوميّة وبعثها، وعزلت تاريخ إيران عزلاً تاماً عن تاريخ عاصمة الخلافة العباسيّة.

وفي نفس الفترة تقريباً (٢٥١هـ = ٨٦٥م) حققت ولاية أخرى من ولايات [512] إيران استقلالاً مؤقتاً تحت لواء أحد السادات العلويين، واسمه «حسن بن زيد» الذي كان يلقّب بجالب الحجارة بسبب قوّة جسمه الهائلة. هذه الولاية هي طبرستان الحافلة أراضيها بالغابات والمستنقعات، والواقعة بين جبال البرز والساحل الجنوبي لبحر الخزر. وقد خلفه عددٌ من سادات تلك الأسرة. وقد تحدّث ابن اسفنديار^(٢) (من كتاب أوائل القرن ١٣م) وعدد آخر من المؤرخين حول هذه الولاية، وحول فضائل حكامها الخلقيّة وسخائهم

(١) ارجع إلى ترجمة Noldeke, Sketches from Eastern History (بقلم ج. سادر لند بلك Sutherland Black ص ١٧٦-٢٠٦)

(٢) لم يطبع أثره النفيس إلى الآن، ولا نملك حتى الآن سوى النسخ الخطيّة. وتوجد له عدّة نسخ خطيّة في متاحف بريطانيا وبودلين ووزارة الهند ومكتبة باريس القوميّة وسن بطرسبرج. وقد اقتبس المرحوم الأستاذ جيمس دارمستتر Prof. James Darmesteter قدراً كبيراً من موضوعات هذا الكتاب. . تلك المعلومات التي تتعلّق بأوائل عهد السامانيين. ونشره مع الترجمة الفرنسيّة في المجلّة الآسيويّة Journal Asiatique في عام ١٣١٢هـ = ١٨٩٤م، ص ١٨٥ - ٢٥٠ و ٥٥٥-٥٠٢ وقد استفاد الدكتوراته والأستاذ نولدكه من شرح حال الفردوسي المنقول عن «چهار مقاله» (قبل أن أضع ترجمة هذا الكتاب «چهار مقاله» في المجلّة الملكيّة الآسيويّة عام ١٣١٧هـ = ١٨٩٩م، واجعل محتوياته في متناول الجميع).

تعليق م.ع): ابن اسفنديار هو بهاء الدين محمد بن حسن. وقد طبع كتابه «تاريخ طبرستان» في طهران عام ١٣٢٠هـ. ش. وأصبح في متناول الدارسين.

وكرمهم الملكى، وإعانتهم المحتاجين، وتشجيعهم أهل العلم والمعرفة أكثر من حديثهم حول أي شيء . ولا حاجة بنا إلى بيان أن هذه الأسرة تعتبر من أتباع مذهب الشيعة المتعصّبين، ولم يكن بعض أفرادها يشجعون الأدب فحسب بل كانوا كذلك ينظمون الشعر. وينقل ابن اسفنديار في كتابه قذراً من الأشعار العربيّة التي نظمها الأمراء المتتون إلى هذه الأسرة، ومن جملة ما نقله مناظرة نظمها سيد أبو الحسين المؤيّد بالله في ذمّ ابن سكره السني - ولا يُستبعد أن تكون هناك أشعار قد نظمت في هذا العصر أيضاً باللهجة الطبريّة. ونحن نعرف أن اللهجة المازندرانيّة والكيلكيّة الحاليّة هي نفسها [513] اللهجة الطبريّة. لكن أقدم الأشعار التي وقعت تحت بصري تتّصل فقط بعصر السلاجقة، أو لعل بعضها أقدم من ذلك قليلاً. (كأشعار بندار الرازي^(١) الذي كان يعيش في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي).

بناءً على ما سبق، فإنّ الجهود الإيرانيّة لتجديد الحياة القوميّة تبدأ في العصر الذي نبخته. كما يتّضح أن ما حقّقه إيران في هذا العصر نفسه من نجاح وما بلغته من مزايا مرده الاعتراف بالمذهب الشيعي، لأننا لو اعتبرنا النهضة مواكبة لنجاح يعقوب بن الليث - وهو الذي كان في الواقع يعادي الخلافة كما ذكر نظام الملك بالتفصيل في كتابه سياستنامه - لوجب علينا أن نقول إن يعقوب كانت لديه ميول شديدة إلى اتّباع المذهب الشيعي (انظر: طبعة شفر، ص ١١ - ١٧). لكنّ ما ورد في الكتاب عن علاقته بالخليفة الفاطمي خطأ صريح وكلام بلا دليل، لو سائرنا الأحداث التاريخيّة وتتبعنا تواريخها، (لأن الخليفة الفاطمي قد شرع في بسط نفوذه وإقرار قوّته بعد وفاة

(١) (تعليق م.ع): كان بندار الرازي (كمال الدين) في خدمة الصاحب إسماعيل بن عباس قبل أن يدخل في خدمة حاكم الري: الأمير مجدالدين البرهني. وكان بندار الرازي قادراً على النظم بالفارسية والعربيّة والديلميّة. وقد توفّي عام ٤٠١هـ = ١٠١٠م. انظر في ترجمته: تاريخ الأدب في إيران، ج٢ تعريب الشويري، ص ١٩٦ - ١٩٨؛ تذكرة الشعراء لدولتشاه، ليدن ١٣١٨هـ = ١٩٠٠م، ص ٤٢-٤٤.

يعقوب بخمس وثلاثين سنة تقريباً). وقد جاء في كتاب مجالس المؤمنين^(١) - الذي يفصل سيرة رجال الشيعة الكبار، والذي طبع في طهران طبعة حجرية: عام ١٢٦٨ هـ = ١٨٥١-١٨٥٢ م أن الصفاريين من جملة أتباع الشيعة.

والدليل الذي جاء به هذا الكتاب فيما يختص بعقيدتهم المذهبية دليل عجيب جداً في الواقع لكنه مقبول. كانت الأخبار قد نمت إلى يعقوب بأن أبا يوسف قد قال كلاماً يحقّر فيه عثمان بن عفّان. وظناً من يعقوب أن المقصود هو عثمان - أحد أشراف سيستان - فقد أصدر أمره بمعاينة أبي [514] يوسف. ولكن حين قيل ليعقوب: إن الذي تعرّض للسباب هو الخليفة الثالث، خليفة عمر بن الخطاب، نسخ حكمه على الفور، وقال: «لا شأن لي بالصحابة».

وثالث حدث كبير في هذا العصر، ثورة الزنج العظيمة أو ثورة الزنوج (الغلمان السود من الأحباش). تلك الثورة التي سببت الفزع والاضطراب البالغين لعاصمة الإسلام مدّة أربعة عشر عاماً (٢٥٦-٢٧٠ هـ = ٨٦٩-٨٨٣ م). ومكان وقوع هذا الحدث وظهور هذه الثورة العنيفة - التي كلّلت بالنجاح فترة طويلة - هو المستنقعات الواقعة بين البصرة وواسط. وكان زعيم هؤلاء الغلمان الأفارقة إيرانياً من أهل ورزنين (قرب الري) يدعى علي بن محمد. وعلى الرغم من أنه كان يدعى أنه من نسل علي بن أبي طالب

(١) النقص الكبير الكائن في الطبعة الحجرية لكتاب مجالس المؤمنين والذي يقلل كم الاستفادة المرجوة منه... يتركز في أن صفحاته - لسوء الحظ - غير مرقّمة، كما أنه يخلو من الفهرست. وكاتب هذا الكتاب النفيس هو سيد نورالله بن سيد شريف المرعشي الشوشتري، وقد كتبه في عام ٩٩٤ هـ = ١٥٨٥ م تقريباً.

(تعليق م.ع): يحتوي كتاب مجالس المؤمنين على تراجم العديد من الشيعة، وقد ألفه سيد نورالله الشوشتري في عام ٩٩٥ هـ = ١٥٨٦ م على الأرجح، وتعرّض فيه لمشاهير الشعراء، فنسب الأنوري (خطأ) للتشييع، وبالغ في عدد مؤلفات العطار فقال إنها بعدد سور القرآن (١١٤ مؤلفاً). وقد بحثت في الكتب والفهارس المعتمدة عن طبعات لكتابه - غير مذكّره براون - فلم أجد. انظر: تاريخ الأدب في إيران ج ٢، صفحات متفرقة.

وفاطمة الزهراء، ويتفاخر بأرومته، إلا أنه أعلن رسمياً أصول عقائد الخوارج بدلاً من أصول عقائد الشيعة. وقد فصل نولدكه هذا الموضوع وذكر أحداثه العجيبة بأسلوب يتفجر بلاغة وفصاحة، وذلك في كتابه الذي وضعه حول تاريخ المشرق^(١)، تحت عنوان: «حرب العبيد في الشرق» (الفصل الخامس ١٤٦-١٧٥).

كان زعيم الثوار مطلقاً تماماً على أحوال مرافقيه ونفسياتهم، فلم يكن قط ينصب فخاً لاجتذابهم؛ إذ كان يعلم تمام العلم أنه مهما بلغت درجة نجاح هذه الوسيلة في جذب مواطنيه فإنها لن تصمد أمام ذوي الاستعداد الذهني الكبير لقبول آراء الخوارج ذات الطبيعة الديمقراطية، والذين لا رغبة لديهم في تحقيق آمال الشيعة وأمانهم، ولا يتعلّقون بالولاية الموروثة. وبناءً على ذلك نجد نولدكه يقول في كتابه (ص ١٥٢):

«واضح تماماً لماذا أصرّ قرمط - أحد المؤسسين القرمطيّين - مستنداً إلى أدلة دينية، ألا يرتبط بزعيم الزنج، بينما الواقع أن هذا الارتباط - بفرض حدوثه - كان في صالحه ولفائدته. ويعتبر القرامطة^(٢) من غلاة الشيعة. ولم [515] يمض على هذه الحادثة طويل وقت حتى جعل القرامطة الرغب من نصيب العالم الإسلامي بأسره. ويعتبر عام ٢٦٠هـ = ٨٧٣-٨٧٤م عاماً مهماً في تاريخ الإسلام بالنسبة للشيعة بصفة خاصة، وذلك من عدة زوايا. لكننا قبل أن نتحدث حول العام المذكور يمكننا أن نذكر الكتاب والأدباء العظام الذين لحقوا برؤسهم في السنوات العشر السابقة على هذا العام، وهي السنوات التي تشمل السنوات الأربع الأولى من خلافة المعتمد:

* أبو حاتم السجستاني (السيستاني) من المشاهير. توفي في حدود عام ٢٥٠هـ = ٨٦٤م. كان تلميذاً للأصمعي ومعلماً للمبرد. وقد ذكر ابن النديم في كتابه (الفهرست) ما يقرب من ٣٢ مؤلفاً له. أمّا الكتاب الذي بقيت

(١) Nöldeke , Sketches from Eastern History.

(٢) (تعليق م.ع): لمعرفة الكثير حول الزنج والقرامطة، ارجع إلى: عبدالفتاح عليان: قرامطة العراق، ج ٥، مصر ١٣١٨هـ = ١٩٠٠م.

نسخته الكاملة محفوظة لنا فهو كتاب «المُعَمَّرِينَ» (توجد له نسخة وحيدة في كمبريج، كان يمتلكها سابقاً سائح اسمه بركهات Burckhardt). وقد نُشر الكتاب مع مقدّمة وتعليقات بقلم الكاتب العالم جلدزيهر Gold Ziher، وذلك في ليدن Leyden عام ١٣١٧هـ = ١٨٩٩م.

* الجاحظ، وهو أكثر من نذكرهم هنا أهميّة. اسمه عمرو بن بحر. لُقّب بالجاحظ واشتهر بذلك اللقب بسبب جحوظ عينيه. كان عالماً ذا نشاط أدبي عجيب (ت ٢٥٦هـ = ٨٦٩م). ويعتبر من المعتزلة ذوي العقيدة الراسخة [516] المتحمسين الأوفياء. وتُعرف إحدى طُرُق المعتزلة باسمه. وقد نُشرت له عدّة كتب معظمها في حقل الأدب، من بينها كتاب البيان والتبيين (طبع القاهرة) والبخلاء (بإشراف فون فلوطن Van Vloten - طبع ليدن). وله رسالة أيضاً في فضائل الأتراك، توجد لها أكثر من نسخة^(١). وفي زمن المأمون وأئنين من خلفائه، حظى الجاحظ بعناية ورعاية كبيرتين. ولكن بعد سقوط وإعدام ظهيره وحاميه - الوزير ابن الزيّات - جاء الدور عليه ليقتل بدوره. واستطاع بصعوبة بالغة أن يفلت من خطر الموت، ومؤلفات الجاحظ - بسبب أسلوبها ومواضيعها - جديرة بالاهتمام، ولهذا يُعدّ ضمن المتقدمين الأوائل من كتاب النثر العربي.

وبعد وفاة الجاحظ بعام (أي في عام ٢٥٧هـ = ٨٧٠م) تُوفي البخاري الدارفاني المحدث الكبير. وهو مُصنّف مجموعة الأحاديث الشهيرة المسماة كتاب الصحيح (الجامع الصحيح أو صحيح البخاري). ويُعدّ اسمى مرجع لدى جميع أهل السُنّة.

(١) (تعليق م.ع): طبعت كتب الجاحظ في العالم العربي والغربي أكثر من طبعة، انظر على سبيل المثال:

البخلاء: تحقيق طه الحاجري، مصر، عام ١٣٧٨هـ = ١٩٥٨م.
البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، مصر، عام ١٣٦٩هـ = ١٩٤٩-٤٨م.
التربيع والتدوير، تحقيق شارل بيلا، سنة ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م.
الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، مصر، عام ١٣٧٨هـ = ١٩٥٨م.
المحاسن والأضداد، القاهرة، عام ١٣٥١هـ = ١٩٣٢م.

وقد دَوَّن مُسْلِمُ النيشابوري كتاباً آخر في نفس الموضوع وبنفس الاسم .
وقد تُوفي مسلم بعد ذلك بسنوات (٢٦٢هـ = ٨٧٥م) .

وقد كَتَبَ الترمذي كتاباً آخر (ت ٢٧٩هـ = ٨٩٢م) ، وكتبَ النسائي رابع الكتب في هذا اللون (ت ٣٠٢هـ = ٩١٤م) . وهؤلاء المحدثون الكبار . .
أربعتهم من الخراسانيين ، ويحتمل أن يكونوا من أصل فارسي .

وممن عاشوا في هذا العصر ، ويلزمنا أن نذكر اسمهم : الشاعرة فضل يمامة (٢٦٠هـ = ٨٧٣م) ، وقد بدأت حياتها تابعة لمذهب الشيعة . والكاتب حنين بن إسحق الطبيب والمترجم المسيحي الديانة ، الذي قتل نفسه بالسُم [517] في عام ٢٦٠هـ = ٨٧٣م . وتفسير الأمر أن أحد قساوسته واسمه ثيودوسيوس Theododius قد حكم بكفره ، فألمه هذا الأمر ، وجعله ينفض يديه من الدنيا .

والآن نصل إلى عام ٢٦٠هـ = ٨٧٣-٨٧٤م ، وهو العام الذي يظلُّ محفوظاً في الأذهان بسبب ما وقع فيه من أحداث مهمة ، وبيانها كالتالي :

أولاً : غيبة الإمام الثاني عشر في مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية .

ثانياً : بداية تبليغ الإمامية السبعية أو الإسماعيلية التي تُعدُّ إحدى فرق الشيعة ، والتي انتهت مباشرة بقيام القرامطة وتأمين الخلافة المنافسة للعباسيين ، أي خلافة الفاطميين في أفريقيا الشمالية ومصر^(١) .

ثالثاً : استقرار الأسرة السامانية في خراسان ، ورحيل العارف الكبير بايزيد البسطامي (في نفس العام) عن الدنيا الفانية . وولادة أبي الحسن الأشعري أحد علماء الدين . وقد تسبَّب أبو الحسن هذا في توجيه ضربة قاصمة قاضية إلى نفوذ المعتزلة ، وتفوقهم في العالم الإسلامي ، وأفلح في تشكيل عقائد

(١) (تعليق م.ع) : انظر : أبو الحسن محمد النوبختي : فرق الشيعة ، النجف ١٣٥٥هـ = ١٩٣٦م .
محمد رضا المظفر : عقائد الإمامية ، القاهرة ١٣٨١هـ = ١٩٦١م .

من كانوا يملكون محيط فكرٍ أضيق، ويمارسون قدراً أكبر من التعصب، فَرُوج تلك الأفكار المحدودة. وَنَجَمَ عن ذلك أن بدا الدين الإسلامي ديناً ثابتاً جامداً يتصف بالشدة والصلابة.

وسوف نتحدث في فصل تالٍ عن أزمة هذا العصر من الناحية الدينية، ونفصل الأمر في ذلك الموضوع، وعندما سنتحدث بصورة أكبر عن الأحداث الخارجية والسياسية.

لقد كانت قوة السامانيين وسلطتهم تسير جنباً إلى جنب مع سقوط يعقوب وعمرو ابني الليث الصفار اللذين حكما مدة قصيرة. والحق أن الصفاريين قد سقطوا نتيجة تحقق سيطرة السامانيين وتأكد قوتهم. ويعتبر هذا الأمر بداية النشاط الحقيقي لتجديد حياة إيران. وكان سامان - الذي أطلق اسمه على هذه الأسرة - يعتبر نفسه متناسلاً عن بهرام چوبين (ص ٢٦٦). ويؤدي [518] العالم الدقيق أبوريغان البيروني^(١) إيمانه بصحة هذا الأصل والنسب. وقد انصرف سامان عن الدين الزردشتي واعتنق الإسلام بفضل توجيه أسد بن عبدالله والي خراسان، وأطلق اسمه على ولده. وإبان خلافة المأمون (عام ٢٠٤هـ = ٨١٩م تقريباً) حكم أربعة من أحفاده في ولاية خراسان. غير أن أحمد - حفيده الثاني - كان موفقاً أكثر من الباقين في توسعة نطاق حكمه ونفوذه. وقد أفلح ولداه: نصر الأول وإسماعيل في إنهاء قوة الصفاريين ونفوذهم، والقبض على عمرو بن الليث عام ٢٨٨هـ = ٩٠٠م، وكان قد خلف أخاه يعقوب في عام ٢٦٣هـ = ٨٧٦م. وقد استمر الحكم في سلسلة سامان حوالي ١٢٥ عاماً تقريباً إلى أن قوى الغزنويون واستطاعوا إسقاطها^(٢).

(١) انظر: كتاب الآثار الباقية للبيروني، ترجمة زاخو، ص ٤٨ (كانت وفاة البيروني في عام ٤٤٠هـ = ١٠٤٨م).

(تعليق م.ع): كان بهرام چوبين مرزباناً على بعض ولايات فارس إبان حكم الملك الساساني خسرو پرويز، من سنة ٥٩٠م إلى سنة ٦٢٧م أي حتى العام السادس من الهجرة. (٢) (تعليق م.ع): لمعرفة الكثير عن الصفاريين والسامانيين والغزنويين، تاريخهم وحضارتهم. ارجع إلى: ٣٥٠٠ عام من عمر إيران، ج ١.

وهناك قصتان حول الصفاريين تشتهران بين الإيرانيين، وتطلقهما الألسن باعتبارهما نموذجاً يحتذى، ولا نجد هنا مناصباً من ذكرهما. وقد وردتا في سياست نامه لنظام الملك (طبع شفر، ص ١٣-١٦). وتدور القصة الأولى حول الأخ الأكبر يعقوب. ومفادها أنه بعد أن فشلت جهوده الكثيرة في دخول بغداد، وهُزم على يد جيش الخليفة المعتمد وقع فريسة الحسرة وكاد يسلم الروح من فرط الألم. لكن الخليفة كان مازال يخشاه، لذا أرسل إليه خطاباً يطلب فيه الصلح. ولما كان قد نسي إلى حد ما عصيانه وتمردّه اقترح عليه المواعيد والشروط اللازمة لنيل العفو وسداد الغرامة.

يقول الراوي: «ولما قرأ يعقوب خطاب الخليفة لم يصف قلبه قط، ولم يندم على فعلته. وأمر فوضعوا كمية من الخضرة والسّمك والبصل في طبق [519] خشبي، وأتوا به إليه، ثم استدعى سفير الخليفة وسمح له بالجلوس، ونظر إليه وقال: اذهب إلى الخليفة، وقل له: إني ولد الصّفار، وقد تعلّمت من والدي طريقة تبيض الأواني النحاسية. لقد كان طعامي خبز الشعير والسّمك والخضرة والبصل. وقد توصّلت إلى المُلْك وحصلت على المال وكنوز الذهب بقوة عقلي وهمتي، لم أرثها عن أبٍ ولم تصلني عن طريقك، ولن أرتاح حتى أرسل رأسك إلى المهديّة^(١) وأمحو أسرتك، فإمّا أن أحقق ما أقول وإمّا أن أعود إلى خبز الشعير والسّمك والخضرة. ألا فاعلم أنني قد فتحت باب خزائني، واستدعيت جيوشي، وسأحضر بنفسي أنا أيضاً عقب هذا الخطاب»^(٢).

وهذه القصة تكشف عن شخصية الصّفار الشجاع وطبيعته.

(١) لا صحّة لهذا التقرير، إذ لامتراعة فيه لتاريخ العام والشهر وتقديم الوقائع وتأخيرها. لأن أساس «المهديّة» لم يكن بعد موت يعقوب بأكثر من ثلاثين عاماً قد وُضِع بعد. وقبّح كان موت يعقوب في يونيو من عام ٢٥٧هـ = ٨٧٠م. والمهديّة هي أول دار لخلافة الخلفاء الفاطميين.

(٢) يتطابق ذلك مع تقرير نولدكه Nöldeke, Sketches ص ١٩٣، وابن الأثير - طبع القاهرة ح ٧ ص ١٠٧.

(تعليق م.ع): كتبت حول هذا الموضوع في ص ٢٩٣ من كتابي ٣٥٠٠ عام من عمر إيران، ج ١.

والقصة الثانية التي تفوق الأولى شهرة تتعلق بالهزيمة الفاصلة المنكرة التي منى بها عمرو بن الليث، شقيق يعقوب وخليفته. ففي عام ٢٧١هـ = ٨٩٥م، حين منى عمرو - قُرب بلخ - بهزيمة ساحقة على يد إسماعيل بن أحمد الساماني، الذي ثار ضده بتحريض من الخليفة. وقد استعرض فرسانه قبل بداية المعركة فكان عددهم ٧٠ ألف فارس. وقد تفرق جنوده جميعاً، ولكن يُقال إن أحداً من الفرسان لم يُصب بجرح. وقضى الملك الصفاري نفس [520] الليلة أسيراً في خيمة خصمه دون عشاء. ومرّ بالمكان فراش كان يعمل في خدمة الأمير سابقاً، فأحزنه ما آل إليه حاله.. فاشتري قدرًا من اللحم، واستعار مقلاة من أحد الجنود، وأوقد ناراً باستخدام بعرات الجمال. وبعد أن بنى فرنًا من الطوب ووضع المقلاة على النار وابتعد عن المكان لإحضار الملح. وفي فترة غيابه، اشتَم كلبٌ جائع رائحة الشواء فمدَّ أنفه داخل المقلاة لسرقة جزء من العظم، واحترق أنف الكب فتراجع برأسه. وبينما هو يتراجع التفت يدُ المقلاة كالحلقة حول رقبته. وخاف الكلب، ففرَّ بالمقلاة وعشاء الأمير. ورأى عمرو ما حدث، فنظر إلى الجند والحرس الواقفين على مقربة منه وقال: «اعلموا وانتبهوا. أنا من كان يحمل طعامي إلى مطبخي - فجر هذا اليوم - أربعمئة جمل.. يخطف طعامي هذه الليلة كلبٌ».

ويقول أبو منصور الثعالبي في كتابه «لطائف المعارف» (طبعة De Jong ص ٨٨):

من أعجب الحروب حربان، الأولى هي نفس المعركة التي أودت بقوة الصفاريين، واستطاع فيها الجيش المكوّن من ٥٠ ألف محارب أن يلوذ بالفرار على الرغم من هزيمته، ونجا فيها كلُّ الجنود، ولم يقع في الأسر سوى قائد الجيش وحده. والثانية هي المعركة التي وقعت بين العباس بن عمرو والقرامطة في هجر، والتي هلك فيها جنود العباس بن عمرو كلهم - وعددهم عشرة آلاف - وفرَّ قائد الجند وحده.

وفي عام ٢٦٧هـ = ٨٨٠م تقريباً، وخلال مدّة قصيرة، امتلك رجلٌ من أهالي خجستان (قرب هرات) يدعى أحمد قوّة كافية، استطاع أن يستغلّها بصورة عامة، وبناءً على قول صاحب «چهار مقاله» (الذي ألف كتابه في [521] أواسط القرن الثاني عشر الميلادي)^(١) فإنّ بيتين بالفارسيّة من أشعار حنظلة البادغيسي كانا المحرّك الأول لهذا الرجل على الإحساس بالرغبة في نيل الجاه والرفعة، وقد سُئِلَ أحمد: «لقد كنتَ حمّاراً، فكيف وصلتَ إلى منصب الإمارة في خراسان؟». فأجاب: «كنتُ يوماً في بادغيس (من توابع خجستان) أقرأ ديوان حنظلة البادغيسي، فوصلت إلى هذين البيتين اللذين يقول فيهما:

* إذا كانت العظْمَةُ في حَلْقِ الأسد الكاسر..

فخاطر وانتزعها من حلقه ولا تخشاه.

* فإِذَا نِلْتَ العِظْمَةَ والعِزَّةَ والنِّعْمَةَ والجاه..

وإِذَا واجهْتَ الموت كالرجال وعَدِمْتَ الحياة^(٢)

وكان الصفّاريون آنذاك في ذروة اقتدارهم وأوج نفوذهم، فباع الخجستاني حميره متأثراً بإحساسه بوجوب بلوغ الجاه والمنصب، واشترى حصاناً، ودخل في خدمة عمرو بن الليث. ثم نقض عهده مع الصفاريين - فيما بعد - واستولى على خواف وييهق ونيسابور. وفي هذا يقول الخجستاني: «وعلا شأني، وأخذت أرتقي إلى أن دانت لي خراسان بأسرها وخضعت لنفوذني، وبِتُّ أسيطر عليها. وكان هذان البيتان هما أصل هذا كله».

(١) نُشِرَت الترجمة التي وضعها براون للكتاب في المجلّة الأسيويّة الملكية J.R.A.S عام ١٨٩٩م. وقد نشرت هذه الترجمة منفصلةً مرتين (ص ٤٣، ٤٤).

(تعليق م.ع): طُبِعَ الكتاب مراراً، ومن أشهر طبعاته طبعة ليدن ١٣٢١هـ = ١٩٠٣م، وطبعة طهران ١٣٣٥هـ.ش

(٢) النص الفارسي:

مهنري گر بكام شیر دراست	شو خطرکن ز کام شیر بجوی
با بزرگی وعز ونعمت وجاه	پاچو مردانت مرگ روریاروی

ولمّا كان ناقلُ هذه القضية مرجعاً قديماً، والمؤلف كاتباً دقيقاً.. فإنّي أرى في ذلك أبلغ دليل على وجود أشعار فارسيّة ذات قيمة حتى قبل عصر السامانيين. والآن لا يوجد لدينا سوى ستّة أسماء فقط لأشخاص يتّهمون إلى شعراء عهدي الطاهريين والصفاريين:

حنظلة البادغيسي - محمود الورّاق - فيروز المشرقي - أبو سليك الگريگاني وواحد آخر أو اثنان.^(١)

وكان الوضع قد تغيّر في عهد السامانيين (٢٦١-٣٩٠هـ = ٨٧٤-٩٩٩م) فبلغ النظم الفارسي - والنثر الفارسي بنسبة أقل - رونقاً تاماً. وأشهر شعراء هذا العصر هو الرودكي (أو الروذكي)^(٢) الذي كان يعيش في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي. والحق أن شهرته فاقت شهرة كلّ الشعراء السابقين عليه، ولهذا كثيراً ما يُعتبر أوّل شاعر إيراني.

[522] وفي كتاب من الكتب العربيّة تم تأليفه في بداية القرن ١٣م^(٣)، واسمه كتاب الأوائل تشاهد هذه العبارة:

«أوّل من قال الشعر الجيّد بالفارسيّة أبو عبد الله جعفر بن محمد بن حكيم بن عبدالرحمن بن آدم الرودكي^(٤) الشاعر المليح القول السائر الشعر المشهور ديوانه في العجم. كان مقدّماً في الشعر في زمانه بالفارسيّة على أقرانه، وكان أبو الفضل البلعمي الوزير يقول ليس للرودكي في العرب والعجم نظير.»

(١) (تعليق م.ع): يمكن القراءة حول هؤلاء جميعاً بالرجوع إلى: ٣٥٠٠ عام من عمر إيران : ١، الفصل الثالث (تحت عنوان أدب الدويلات المستقلّة).

(٢) (تعليق م.ع): الرودكي هو أبو عبد الله جعفر بن محمد بن حكيم بن عبدالرحمن بن آدم. كتب حوله بالتفصيل في: ٣٥٠٠ عام من عمر إيران ، ١، ص ٣٢٦-٣٣٠.

(٣) انظر: ص ١٢٥ و ١٢٦ من فهرست النسخ الخطيّة للكتب الإسلاميّة، مكتبة جامعة كمبريج، ذلك الفهرست الذي قام بترتيبه براون.

تعليق المترجم: اسم الكتاب: غاية الوسائل إلى معرفة الأوائل، واسم صاحبه إسماعيل هبة الله بن أبي الرضا الموصلي.

(٤) انظر: الصفحات من ٨٠-٨٨ من كتاب ابن سينا، تأليف: Carra de Vaux, Avicenne.

والوزير الذي ورد اسمه هو الوزير إسماعيل بن أحمد الذي توفي عام ٣٢٩هـ = ٩٤٠م. ويجب ألا نخلط بينه وبين ابنه أبي علي البلعمي؛ لأن الأخير كان وزير الأمير منصور بن نوح. وقد ترجم تاريخ الطبري الكبير إلى اللغة الفارسيّة، وتوفي عام ٣٨٦هـ = ٩٩٦م^(١).

ولو أردنا أن نتحدث ثانية عن بغداد وكتاب دار الخلافة - الولايات التسع - في خلافة المعتمد (٢٥٧-٢٨٠هـ = ٨٧٠-٨٩٣م) فإنه يجب علينا أن نولي اهتماماً بثورة الزنج في عام ٢٧٠هـ = ٨٨٣م ونشاط القرامطة المتزايد أكثر من أية أحداث لها أهميّتها في تلك الفترة. وسوف نفصل الحديث في الفصل التالي بصورة أكبر.. باحثين في تاريخ القرامطة وأصول عقائدهم. وهؤلاء هم أكبر الكتاب والمفكرين الذين توفوا فيما بين عامي ٢٦١ و٢٨٨هـ = ٨٧٤ و٩٠٠م:

[523] فيلسوف العرب أبو يوسف يعقوب بن إسحق الكندي الذي كان نشاطه في فترة أكثر تقدماً وحرية. ويُظنُّ أنَّ وفاته كانت في عام ٢٦١هـ = ٨٧٤م تقريباً. والكندي من الحكماء المعدودين الذين ينحدرون من أصلٍ عربي خالص، والممتازين بحق في فرع الحكمة والعلم والأدب، وقد كسب شهرته عن هذا الطريق.

وقد ورد اسم حنين بن إسحق في كتابنا هذا (ص ٤٥٦، ٥١٦ من الترجمة الفارسية) وهو الطبيب والمترجم المعروف الذي مات في نفس الوقت تقريباً. وفي نفس الفترة تقريباً عاش ابن الوحشية الذي حاول في كتاب الفلاحة النبطية - أحد مؤلفاته المشهورة - أن يثبت تفوق البابليين على العرب حضارياً.

وقد توفي داود بن علي في عام ٢٧٠هـ = ٨٨٣م. وهو مؤسس الطريقة الطاهرية^(٢) الذي كان يعتقد اعتقاداً راسخاً في المعنى الذي يختفي تحت اللفظ في القرآن والحديث، ويرفض - تمام الرفض - التأويلات القائمة على التشبيهات^(٣).

(١) (تعليق م.ع): لمعرفة الكثير عن هذا المؤلف وعن ترجمته، يرجع إلى ص ٣١٧ من ٣٥٠٠ عام من عمر إيران.

(٢) فيما يتعلق بهذه الطريقة، انظر الرسالة التي كتبها الدكتور چولنزيهر في عام ١٨٨٤م، بعنوان: Die Zāhiriten, Leipzig.

(٣) ارجع إلى تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ج ١ ص ١٢٠ و ١٢٣ و ١٤١:

Brockelmann, Gesch. D. Arab. Lit.

وفي عام ٢٧٢هـ = ٨٨٥م، توفي المنجم الكبير «أبو معشر»، وهو أحد تلاميذ الكندي. وفي هذا الوقت تقريباً كتب «الفاكهي» كتابه: تاريخ مكة. وحين يرد الحديث عن البخاري وخلفائه في علم الحديث يجب علينا أن نذكر اسم ابن ماجه أيضاً (ت ٢٧٢هـ = ٨٨٥م).

وقد كان العارف قارئ القرآن «سهل بن عبدالله الشوشري» تلميذ ذي النون أحد العرفاء المتقدمين، وقد توفي سنة ٢٧٣هـ - ٨٨٦م تقريباً.

و«السكري» هو أحد تلامذة الأصمعي، وهو يستحق منا أن نذكر اسم ونشبهه لأنه جمع أشعاراً عربية (كدواوين شعراء قبيلة هذيل)، ولأنه كان يمارس النقد، (ت ٢٧٥هـ - ٨٨٨م).

وكان ابن الرومي شاعراً نشيطاً ينظم الغزل والهجاء وقد أطلع برأسه لسائه الحادث المرء وأورده مورد التهلكة عام ٢٧٦ أو ٢٨٣هـ = ٨٨٩ أو ٨٩٦م.

[524] وكانت وفاة «ابن أبي الدنيا» في عام ٢٨١هـ = ٨٩٤م. وكان في فترة شبابه يقوم بتعليم الخليفة المكتفي، وهو مؤلف عدة مجموعات قصصية وحكايات.

كما يجب أن نذكر «البحري» الشاعر (ت ٢٨٤هـ = ٨٩٧م) والمبرد العالم اللغوي. ولكن طبقاً لخط سير دراستنا فإن الأشخاص الذين يستحقون منا اهتماماً أكثر من غيرهم هم هؤلاء المؤرخون الأربعة: ابن قتيبة (ت ٢٨٦هـ = ٨٩٩م) والبلاذري (ت ٢٧٩هـ = ٨٩٥م) والدينوري (ت ٢٨٢هـ = ٨٩٥م) وابن واضح اليعقوبي الذي كتب تاريخه في هذه الفترة نفسها^(١).

(١) فيما يلي أسماء مؤلفات هؤلاء الكتاب التي طبعت وبسهولة الحصول عليها، والتي يجب أن يقرأها كل من يدرس تاريخ إيران:

كتاب المعارف لابن قتيبة (طبع وستفلد)، وقد نشر عام ١٢٦٧هـ = ١٨٥٠م، فتوح البلدان (طبع دوخوة، ليدن، عام ١٢٧٢هـ = ١٨٨٥م)؛ الأخيار الطوال للدينوري (طبع ليدن، عام ١٣٠٦هـ = ١٨٨٨م)؛ تاريخ اليعقوبي (طبع Houtsma, Leyden في مجلدين، عام ١٣٠١هـ = ١٨٨٣م. (تعليق م.ع): من مؤلفات ابن قتيبة كذلك «عيون الأخيار» (طبع تراثنا- مصر ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م). وقد طبع كتاب الأخيار الطوال في مصر عام ١٣٣٠هـ = ١٩١١م، أما تاريخ اليعقوبي فقد طبع كذلك في النجف، عام ١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م. كما طبع كتاب البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر بن داود) «فتوح البلدان» في مصر ١٣٧٩هـ = ١٩٥٩م، وحققة رضوان محمد رضوان.

وكان الثلاثة الأوائل من بين هؤلاء المؤرخين - إيرانيين . أما الرابع فكان شيعياً متعصباً؛ ولهذا فإنَّ تاريخ اليعقوبي القيّم ذو أهمية خاصّة، لأنّه يتحدّث بتفصيل أكبر من سواه عن الأئمة، وينقل الكثير من أقوالهم.

والحقُّ أنّ جلدزيهر Goldziher وبروكلمان Brockelmann - وهما يعتبران من أكبر المراجع الحيّة في الأدب العربي بكلِّ ما تحمله الكلمة من معنى - متفقان على أنّ العرب في الأيام القديمة كانوا يفتقرون تماماً إلى الحسِّ التاريخي، وأنَّ الثقافة والحضارة الإيرانية هي التي نفخت حسَّ كتابة التاريخ في العرب لأوّل مرّة^(١).

ويمكن أن يضاف إلى أسماء الكتاب السابقين إسما ثابت بن قره الحراني العالم الرياضي المشهور، وابن الفقيه الهمداني العالم الجغرافي^(٢)، وقد تُوفيا في بداية القرن العاشر الميلادي تقريباً.

[525] كان السامانيون في إيران - بعد موت الخليفة المعتضد وجلس ابنه المكتفي - قد بلغوا ذروة قوّتهم، بينما بثّت طائفة القرامطة المخيفة - بقيادة «زكرويه» الخبير الكفاء - أقصى درجات الرعب في القلوب في أنحاء بغداد والبصرة، وفي سوريا واليمن. ولا يمكن أن يُقال إنّ هذا الرعب لا أساس له، لأنّه في إحدى الغارات التي تعرّضت لها قافلة من قوافل الحجّاج في أثناء عودتها من مكّة كان عددُ أجساد الموتى التي بقيت ملقاة في الصحراء - كما يقال - عشرين ألفاً.

بقي لنا أن نذكر كاتبين مشهورين ماتا في هذه الفترة. الأول هو «القُمّي»^(٣) أحد علماء الدين الشيعيين (ت ٢٩١هـ = ٩٠٣م). والثاني هو «ابن المعتز» شاعر البلاط الذي كسب شهرته نتيجة أشعار الحماسة التي

(١) كتاب بروكلمان السابق الذكر ، ص ١٣٤ .

(٢) مؤلف مختصر كتاب البلدان .

(٣) لا نعرف من هو القُمّي المقصود، فقد لُقّب العديد من الرواة والعلماء بهذا اللقب. ويرى تقي زاده أنّه إذا كان ابن بابويه الصدوق هو المقصود بأن وفاته لم تكن في عام ٢٩١هـ = ٩٠٣م، بل في عام ٣٨١هـ = ٩٩١م، أي بعد ذلك بتسعين سنة تقريباً. كما أن عام ٢٩١هـ = ٩٠٣م يقع أصلاً قبل الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر، ولم يكن وقتها للمجتهدين وجود.

نظمها بالعربية. وتقترب منظوماته من الحماسة أكثر من بقية المنظومات التي نظمت في الأدب العربي^(١). ويعتبر كتاب الطبقات الذي كتبه ابن المعتز في [526] أحوال الشعراء نموذجاً اقتدى به الثعالبي والباخرزي وسائر كتّاب التذاكر وكل من اقتطفوا من أشعار الشعراء ومنتخباتهم.

والآن نصل إلى فترة خلافة المقتدر، وهي فترة طويلة نسبياً من (٢٩٦-٣٢٠هـ = ٩٠٨-٩٣٢م). وأهم حدث سياسي فيها هو استقرار الأسرة الفاطمية أو الإسماعيلية في شمال أفريقيا وهي التي قامت ضد الخلافة، أو أنها بعبارة أخرى قد أسست خلافة منافسة ومعادية. وقد اتخذت هذه الأسرة «المهديّة»^(٢) عاصمة لها. (المهديّة يُقصد بها مدينة عبيدالله المهدي أول خلفاء هذه الأسرة) وقد استمر نشاط القرامطة ولم يتوقف على الرغم من وفاة زعيمهم زكروية والجنابي الأكبر. وقد دخلوا البصرة عام ٣١٢هـ = ٩٢٤م. وفي العام التالي، أغاروا ثانية على قافلة الحج. ثم سيطروا على مكة نفسها عام ٣١٧هـ = ٩٢٩م، وحملوا معهم الحجر الأسود، وأبقوه في ديارهم ٢٠ سنة. وأثاروا بين كل المؤمنين من الرعب والنفور ما يعجز البيان عن وصفه. وفي السنوات الأخيرة من خلافة المقتدر، دخل القرامطة الكوفة وسيطروا على عمان، إلا أن نشاطهم في تلك الأثناء بات محدوداً.

ولم تكن تلك المحدودية ناجمة عن وجود مؤثر خارجي، بل كانت فضيحة ظهور المهدي الكذاب - في واقع الأمر - سبب انتهاء نشاطهم. والمهدي المدعى المذكور هو ابن أبي زكريا^(٣) الذي ذكر أبو ريعان خلاصة تعليماته الكريهة المثيرة للتشاؤم المنذرة بالنحس في كتابه الآثار الباقية^(٤).

(١) انظر تاريخ الأدب العربي تأليف بروكلمان (الذي طبع في المجلد السادس من الرسائل. Amelang في لايبزج Leipzig عام ١٩٠١م). ويجب ألا نخلط بين هذا التاريخ والتاريخ الذي نشره المؤلف نفسه تحت نفس العنوان تقريباً في وايمار Weimar عام ١٨٩٧م، وهو تاريخ علمي أكثر من غيره.

(٢) تعليق المترجم: المهديّة ميناء من موانئ تونس.

(٣) انظر: قرامطة البحرين تأليف دوخويه، ص ١٣١ M.J.de Goeje, Carmathes du Bahrain.

تعليق المترجم: يقول تقي زاده إن المقصود ولاشك هو ابن أبي زكرياء الطمامي.

(٤) انظر: الآثار الباقية (Chronology of Ancient Nations) ترجمة زاخو Sachau ص ١٩٦ و ١٩٧ (تعليق م.ع): الآثار الباقية عن القرون الخالية، طبع ليبيج ١٣٤٧هـ = ١٩٢٨م.

[527] ومع ذلك فإننا نرى أيضاً أن القرامطة بعد عدّة سنوات (في ٣٢٨هـ = ٩٣٩م) كانت مازالت تأخذ من زوّار مكّة مبلغاً بصفة «خفارة» (ضريبة طريق)^(١).

ولو أولينا الآن أوضاع إيران في هذا العصر اهتمامنا لرأينا من الوهلة الأولى أنّ الأسرة الصفاريّة قد سقطت تماماً في حدود عام ٢٩٨هـ = ٩١٠م حتى في سيستان، وأنّ طاهر ويعقوب حفيديّ عمرو قد وقعا في الأسر، وأُرسلا إلى بغداد.

وفي عام ٣٠١هـ = ٩١٣ م، ورث نصر الثاني العرش والتاج الساماني، وفي عام ٣٣١هـ - ٩٤٢م ودّع الدارَ الفانية. وفي فترة حُكمه الطويلة وصل جلال هذه الأسرة الشهيرة ونفوذهما الأوج، وبلغ أقصى درجاته. وكان الرودكي آنذاك - وهو أول شاعر إيراني كبير - يعيش في كمال شهرته وشعبيّته^(٢). وقد انتزع أحد السادات العلويين «السيد حسن بن علي أطروش» طبرستان من مخالفه. وحتى عام ٣١٩هـ = ٩٢٨م، كانت أسرة أطروش ثابتة راسخة الأقدام في طبرستان، وظلّ الأمر كما هو إلى أن نجح «مرداويج بن زيار»^(٣) في السيطرة على هذه الولاية وأقربها أسرة آل زيار التي بقيت هناك أكثر من قرن. وقد لعب الزياريون دوراً مشرفاً في ترويج العلم وحماية الأدب إلى أن انطفأ سراج أسرته في النهاية على يد الغزنويين، كما لعب مرداويج من جهة أخرى دوراً مهماً في تاريخ إيران. فالحظّ الحسن وأولى

(١) انظر: كتاب دوخويه سابق الذكر، ص ١٤٠.

(٢) انظر: الطبعة المستقلة لجهاز مقاله، ص ٥١.

(٣) (تعليق م.ع): مرداويج هو مؤسس الدولة الزيارية، كان رئيساً لجند «أسفار بن شيرويه» عامل نصر بن أحمد الساماني. قام بقتل أسفار عام ٣١٦هـ = ٩٢٨م، وسيطر على عدد كبير من البلاد في فترة قصيرة. وهزم جند المقتدر العباسي ويسط سيطرة سلسلة الزياريين على أملاك السامانيين، ووضع على رأسه تاجاً مرصعاً وجلس على عرش من ذهب. ثم أصاب مرداويج الغرور فتصرّف بخشونة مع الأتراك المنخرطين في صفوف جيشه ولهذا قاموا بقتله عام ٣٢٣هـ = ٩٣٤م في حمام بأصفهان.

انظر: ٣٥٠٠ عام من عمر إيران، ح ١، ص ٣٠٠.

خطوات السعادة التي حظيت بها أسرة آل بويه الكبيرة - التي كانت لها السلطة المطلقة تقريباً في جنوب إيران بأسرها وفي بغداد نفسها في أواسط القرن العاشر الميلادي - كانت رهناً بمرداويج. فقد حكم «علي بن بويه» الكرج أول مرة - من قبل مرداويج، وقد بسط «علي» نفوذه في فارس - بعد ذلك - وحكمها تحت لقب «عماد الدولة».

[528] ويجب أن يقال : إن المقام الأول بين علماء هذا العصر كان ولاشك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المؤرخ المعروف (ت ٣١١ هـ = ٩٢٣ م)، وقد انتهى من تأليف تاريخه الكبير^(١) قبل ذلك بعشر سنوات (سنة ٣٠٠ هـ = ٩١٢-٩١٣ م). ونتيجة لوفاته، ضاع من بين أيدينا واحد من أفضل مصادر المعلومات. ويغطي الملحق الذي أضافه عريب بن سعد القرطبي على ذلك التاريخ الفترة حتى آخر خلافة المقتدر (٣٢٠ هـ = ٩٣٢ م) وبعد هذا التاريخ، علينا أن نعتمد أكثر ما نعتمد على التاريخ العام لابن الأثير صاحب كامل التواريخ^(٢) (ت ٦٣٠ - ٦٣١ هـ = ١٢٣٣ م).

يقول ابن الأثير: في هذا العام (٣١٠ هـ = ٩٢٢ م) توفي محمد بن جرير الطبري في بغداد. ولد هذا المؤرخ عام ٢٢٤ هـ (٨٣٨ - ٨٣٩ م)، ودُفن في

(١) الواقع أن دوخوية وعدداً من جلة علماء العربية قد قدّموا أعظم خدمة للعلوم الشرقية في أوروبا في الأيام الأخيرة بطبعهم لهذا المؤلف العظيم. وتشتمل هذه الطبعة ثلاثة عشر مجلداً تحوي المتن ومجلدين يحويان الفهارس والتحقيقات النقدية. وقد بدأ طبع الكتاب في ليدن عام ١٢٩٧ هـ = ١٨٧٩ م وانتهى في عام ١٣١٩ هـ = ١٩٠١ م. وفي عام ١٣١٥ هـ = ١٨٩٧ م، نُشر الملحق الذي كتبه «عريب» لتاريخ الطبري، وقام «دوخويه» بتصحيحه.

(تعليق م.ع): اسم الكتاب: «تاريخ الأمم والملوك». وإلى جوار طبعة ليدن المذكورة، طبع الكتاب في مصر عام ١٣٣٦ هـ = ١٩٣٩ م ويات في متناول الدارسين.

(٢) طبعة ثورنبرج (ليدن ١٢٦٨-١٢٩٣ هـ = ١٨٥١-١٨٧٦ م) في ١٤ مجلداً، وهي أفضل الطبعات لأن لها فهرست لا وجود له في طبعة القاهرة ١٣٠٣ هـ = ١٨٨٥ م، وقد استفدت من طبعة القاهرة في كل موضع من كتابي.

(تعليق م.ع): طُبع الكتاب في عام ١٣٠٣ هـ = ١٨٨٥ م باسم: تاريخ الكامل، وطبع في ليدن عام ١٢٨٠ هـ = ١٨٦٣ م، وكذلك في مصر (في بولاق) عام ١٢٨٩ هـ = ١٨٧٢ م باسم تاريخ ابن الأثير.

منزله ليلاً لأنَّ جمعاً من الناس تجمَّعوا وقالوا: إنَّه كان رافضياً (من الشيعة) بل وكان ملحدًا، وعارضوا دفنه في النهار. وكان عليّ بن عيسى يقول: «أقسم بالله إنَّك لو سألت أحد هؤلاء الناس عن معنى الرفض أو الإلحاد لما عرف، بل وما قدِّر على إدراك ذلك».

[529] كما يدافع ابن مسكويه صاحب تجارب الأمم عن هذا الإمام الكبير، ويحاول أن يفنِّد هذه الاتِّهامات، فيقول فيما يتعلَّق بتعصُّب الجماعة التي تجمَّعت: «إنَّ الأمر لم يكن على هذا النحو. لقد هاجمه بعض الحنابلة الحاقدين عليه، الكارهين له تعصُّبًا، بينما هبَّ آخرون لمساندته. وهناك سبب لذلك؛ فالطبري قد دَوَّن كتاباً لم يكن أحد قد سبقه إلى تأليف نظيره. وقد ذكر في هذا الكتاب اختلافات الفقهاء، لكنَّه لم يُشرِّ بأية صورة إلى أحمد بن حنبل. فلمَّا استوضحوه، سبب ذلك؛ أجاب: إنَّ حنبل لا يدخل في زمرة الفقهاء، فهو لم يكن أكثر من محدِّث. وقد كدَّر هذا التصريح خاطر الحنابلة الذين لا يُحصَوْنَ في بغداد عدداً؛ فثاروا عليه وقالوا كل ما أَرادته قلوبهم».

وهناك إيرانيٌّ آخر كان يعيش في نفس العصر، وكان يختلف في أخلاقه اختلافاً تاماً عن هذا المورخ العالم المعتدل، هذا الرجل هو الحسين بن منصور الحلاج^(١). صحيحٌ أن كتاب التراجم الذين كتبوا عن أحوال الأولياء والأوتاد وشيوخ الطريقة قد عرَّفوا المنصور بشكلٍ آخر بعض الشيء، لكنَّ شهرته بين مواطنيه شهرة وطيدة تعادل تلك التي كان يتمتع بها الشعراء ذوو المزاج الصوفي أمثال فريدالدين العطار وحافظ وغيرهما. كما أنَّ أكثر هؤلاء الشعراء كانوا يذكرون اسمه بالتمجيد والمديح.

(١) (تعليق م.ع): انظر في ترجمة الحلاج: وفيات الأعيان، ح ١ ص ١٨٣ - ١٩٠؛ وطبقات السلمى - الطبقة الثالثة؛ الباب ١، ح ١ ص ٣٣٠؛ وشذرات الذهب، ح ٢ ص ٢٥٣ - ٢٥٧؛ والمختصر في أخبار البشر، ح ٢ ص ٧٠. وقد قُتل الحلاج في بغداد وقُطعت يداه ورجلاه وحُزَّ رأسه وأُلقي به في النار، عام ٣٠٩ هـ = ٩٢١ م.

وقد قُبِضَ على المنصور في عام ٣٠١هـ = ٩١٣م بسبب تعاليمه المبتدعة التي شاعت في بغداد وضواحيها (انظر الطبري، ج٣ ص ٢٢٨٩)، وقُتِلَ في عام ٣٠٩هـ = ٩٢١م بقسوة بالغة. وما عُلِقَ بالأذهان من الاتهام الذي وجّه إليه هو أنّه كان في حال الجذبة يصرخ: «أنا الحق». ويرى الصوفيّة أنّ قوله هذا ناجم عن الوجد والحال؛ فإنّ العارف في حالة شهود جمال الحق يغيب عن نفسه، ولا يرى كلّ ما في الوجود من مظاهر خارجيّة وحقائق. ويرون أنّ ذنبه هو أنّه أفشى الأسرار وأبداها، ويعتبرونه بعامةً أحد القديسين والشهداء.

[530] ويقول حافظ في حقّه:

چو منصوران مراد آنان که بردارند بردارند
که با این درداگر بند درمان اند درمانند^(١)

- حين يحمل أتباع المنصور شيخهم المشنوق..

يقون قيد الحزن، عاجزين يملكهم الألم.

ويقول في غزل آخر (لم يرد في طبعة روزن):

كشد نقش انا الحق بر زمین خون چو منصور ارکشی بردارم امشب!

- ينقش الدّم على الأرض «أنا الحق»

حين يُشْنَق «المنصور» هذه الليلة.

ويمكننا أن نقف على الرأي الذي أصدره أهل التصوف فيما بعد في حقّ هذا الرجل، وذلك في كتب كتذكرة الأولياء لفريد الدين العطار أو نفحات الأنس للجامي. ويستطيع القراء الأوريثيون أن يرجعوا إلى كتاب ثلوك (ص ٦٨ و ١٥٢ وغيرهما)^(٢). ولكنّ المراجع الأقدم والأفضل أمثال الطبري (ج٣، ص ٢٢٨٩)، وابن مسكويه، وكتاب العيون (الذي نقل في الصفحات ٨٦-١٠٨ عن عريب، طبع دوخويه)، والفهرست (ص ١٩٠-١٩٢)..

(١) انظر: طبعة روزن تسوايج شوانا و Rosenzweig - Schwannau، ج١ ص ٣٦٤

(٢) Tholuck, Ssufismus, Berlin, 1821

(٢)

تُعرّف منصور الحلاج على نحو آخر، فتقول: إنّه كان محتالاً مشعوذاً يجمّل أفكاره بلباس الصوفيّة، ويدّعى في جرأة معرفته بكل العلوم بينما لم يكن له نصيب منها. وكان يعرف شيئاً سطحياً عن صناعة الكيمياء، أما الدسائس السياسيّة فإنّه فيها خطير جسور^(١)، وقد ادّعى الألوهيّة، وأطلق على نفسه: «مظهر الحق»، وتظاهر بالتشيع^(٢)، بينما كان في الحقيقة حليفاً وظهيراً ومتفقاً [531] مع القرامطة والاسماعيليّة. وقد ذكر الفهرست (ص ١٩٢)^(٣) خمسة وأربعين كتاباً ألفها المنصور. وقد كُتبت هذه الكتب بطريقة رائعة (انظر: كتاب عريب، ص ٩٠)، فهي أحياناً بماء الذهب على أوراق صينيّة، وأحياناً على الحرير والديباج^(٤) وأمثالهما. وقد بُذلت في تجليدها دقّة خاصّة، واستُخدم فيها جلد نفيس عالي القدر. وهذا العمل يذكّرنا بالمانويين إلى حد كبير.

ومنصور إيراني، وقد كان أباه وأجداده تابعين لدين المجوس. ويمكن أن يقال إجمالاً إن الغزالي العظيم قد تصدّى للدفاع عنه في كتابه «مشكاة الأنوار». ولا مجال للشك في أن هذا الشخص كان متحرراً تماماً من قيود المقبولات العامّة والموازين الشرعيّة. (عريب، ص ١٠٨).

ومن المسلمّ به أنّه كان يعتقد في كل أصول غلاة الشيعة وعقائدهم من قبيل الحلول والرجعة، وأمثالهما. أما شخصيّته فكانت عجيبة، وكان تأثير أفكاره في أذهان مواطنيه عميقاً. كما أن قسماً من أشعاره العربيّة - كذلك الذي سنذكره الآن - بديع حقاً (انظر: عريب^(٥)، ص ١٠٦):

نديمي غير منسوبٍ إلى شيء من الحنيف

(١) تعليق المترجم: راجع: تاريخ التصوف في الإسلام، تأليف الدكتور قاسم غني، ١٣٢٢ هـ. ش.
(٢) تعليق المترجم: يحسن أن يقال: «كان معروفاً بالتشيع» لأنّ الاسماعيليّة والقرامطة كانوا أيضاً من الشيعة.

(٣) تعليق المترجم: في طبعة مصر (مطبعة الرحمانية) ترد في ص ٢٧١ و ٢٧٢

(٤) تعليق المترجم: «وبعضها مكتوب بماء الذهب مبطن بالديباج والحرير» إلى آخره.

(٥) تعليق المترجم: «صلة تاريخ الطبري» لعريب بن سعد القرطبي.

سقاني مثل ما يشرب كفعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكأس دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الراح مع التثني في الصيف
ومولى منصور ومقتداه هو جنيد^(١) (وكان على ما يبدو إيرانياً هو الآخر)،
وقد توفي عام ٢٩٨هـ = ٩١٠م. وشهرة جنيد أقل من شهرة منصور، ولم
يكن يزيد عنه كثيراً في تقيده بالقيود والموازن الشرعية والمقبولات العامة.

[532] كما أن من الرجال الذين رحلوا عن هذه الدنيا في خلافة المقتدر
«إسحق بن حنين» الذي كان يمتنحن الطب كأيته، وقد ترجم كتب الفلسفة
اليونانية إلى العربية (تاريخ وفاة إسحق بن حنين هو عام ٢٩٩هـ = ٩١١م)؛
و«النسائي» من المحدثين (ت ٣٠٢هـ = ٩١٤م)، و«أبو بكر محمد بن زكريا
الرازي» الطبيب العالي القدر الذي كان يُعرف في أوروبا في القرون الوسطى
باسم Razes (ت ٣٢٠ أو ٣٢١هـ = ٩٣٢ أو ٩٣٣م). وقد أهدى أشهر مؤلف
له - المسمى بالمنصوري باسم الأمير الساماني منصور بن إسحق. ومن
المؤرخين «الأعشم الكوفي» الذي كتب تاريخ الخلفاء الأول. ولما كان يميل
ميلاً شديداً إلى الشيعة فقد حظى باهتمام كبير. ونحن نعرف هذا الكتاب عن
طريق ترجمته الفارسية. وقد أعدت هذه الترجمة بعد تأليفه بمدة كبيرة
(وطبعت عام ١٣٠٥هـ = ١٨٨٧م طبعة حجرية في بمباي). ومن المنجمين
«محمد بن جابر بن سنان البتاني» الذي تعرفه أوروبا القرون الوسطى باسم
البتنيوس Albategnius (ت عام ٣١٧هـ = ٩٢٩م). ومن الشعراء «ابن
العلاف» (ت ٣١٨هـ = ٩٣٠م) من أصدقاء ابن المعتز. قُتل ظلماً ولم
يتمكن الناس من إقامة العزاء له علناً عند موته. ويقال إنه كانت هناك قطعة

(١) (تعليق م.ع): الجنيد أبو محمد الخراز: أصله من نهاوند ومولده العراق وبها توفي عام ٢٩٨هـ
= ٩١١م انظر في ترجمته:

روضة الناظرين، ص ٩-١١؛ طبقات الشعراني، ح ٢ ص ٩٨-١٠١؛ الربيع (بهارستان) لأحمد
كمال، ص ٢٣١-٢٣٣

يحبُّها صاحبها، وإنَّ أحدَ مدرِّبي الحمام قد قتلها بسبب سرقتها للحمام. وبعد موت القطَّة، نُظمت أشعارٌ مشهورة تحمل اسمها في الظاهر، بينما المقصود من نظمها في الواقع ترديد ذكرى ابن العَلَّاف^(١).

وفي النهاية، يمكن ذكر اسم «ابن مقلة»، وهو خطأٌ حسن الخط مشهور، وقد وُزِرَ للمقتدر وخليفته على التوالي.

وقد نال منصب الخلافة بعد المقتدر - خلال مدَّة قصيرة - أربعة خلفاء، ونعني بهم:

[533] القاهر والراضي والمتقي والمستكفي (٣٢٠ - ٣٣٥هـ = ٩٣٢ - ٩٤٦م). وتلفت قوَّة آل بويه وسيطرتهُم النظرَ إلى حدٍ كبير، وقد ورد الحديث عن بداياتهم. وبفضل مساعدة العسكر الديلمي والغيلاني فإنَّ أولاد بويه الثلاثة، أي على عماد الدولة، وحسن ركن الدولة، وأحمد معز الدولة أدخلوا في طاعتهم أصفهان وأرجان ونو بندجان وكازرون وشيراز وكرمان والأهواز واحدة بعد الأخرى على الترتيب. وقد سيطروا أيضاً على بغداد خلال المدة القصيرة التي تولَّى فيها المستكفي الخلافة. وقد منح المستكفي أخاه الثالث منصب ولقب أمير الأمراء^(٢) إلى جانب الألقاب الفخرية التي نالها في السابق. وكان البويهيون إيرانيين وشيعة، وكانوا ينسبون أنفسهم إلى بهرام گور الملك الساساني. (ولكن وفق اعتقاد البيروني^(٣) فإنه لم تكن هناك أدلَّة كافية لإثبات صحَّة هذه الدعوى). وكان البويهيون في مجال ترويج العلم والأدب وحماية العلماء يتميَّزون بالسخاء والكرم. وقد وجدت الفلسفة على الأخص - في ظلِّهم - روحاً جديدة، بعد أن تعرَّضت للاختناق إثر تفوُّق الأتراك، وتعصُّب الحنابلة، وازدياد قوَّة عقائد الأشاعرة واتِّساع محيط انتشارها. وسرعان ما ظهرت من وسط دائرة أهل المعرفة جماعة متآخية غاية

(١) ابن خلكان: طبع دي سلان، ح ١ ص ٤٠٠-٤٠١

(٢) ص ١٣٩-١٤٤ من كتاب لين Lane, Muhamedan Dynasties

(٣) الآثار الباقية لأبي ریحان البيروني، ترجمة زاخو Sachau، ص ٤٥ و ٤٦

في الأهمية تُسمّى «إخوان الصفا». وقد لخصّت العلوم الطبيعيّة وعلوم ما وراء الطبيعة الشائعة في عصرها. . في إحدى وخمسين رسالة. وقد ترجم البروفسور ديتريسي Prof.F. Dieterici أكثر محتويات الرسائل المذكورة - ضمن دراساته المتعدّدة في هذا الموضوع - وجعلها في متناول يد الأوربيين. [534] وكان الزياريون - في الولايات المجاورة لبحر الخزر - ذوي قدرة وسطوة. وقد هبّ البويهيّون - الذين حقّقوا سطوتهم وقوّتهم تحت حماية الزياريين - في أماكن أخرى لإضعاف آل زيار. وقد حكّم وشمگیر بن زيار وشقيق مرداویج مدة ۳۲ سنة (من ۳۲۴ - ۳۴۶هـ = ۹۳۵ - ۹۵۷م)^(۱).

وفي شمال شرقي إيران - أي في خراسان وما وراء النهر - كان السامانيون - أي نصر الثاني وابنه نوح - مازالوا يحكمون وهم في كامل قوّتهم، وكان البلاط الساماني مازال مركز النشاط لتجديد حياة إيران الأدبيّة. وكانوا يجاهدون في ذلك السبيل بحماس بالغ. ولكن يجب ألاّ يخطر ببال أحد - كما حدث أحياناً - أن يكون حماس الأمراء السامانيين واهتمامهم بالأدب الفارسي الذي نالوا عن طريقه شهرتهم دالاً على عدم حبهم للغة العربيّة وميلهم إليها. كما لا يجب أن يتصوّر أن السامانيين بترويجهم للغة الفارسيّة كانوا يبغون تحديد الاستفادة من اللغة العربيّة. وفي مواضع كثيرة من المجلّد الرابع من يتيمة الدهر يرد ما يؤكّد أنّ السامانيين كانت لهم أياديهم البيضاء في حماية الأدب العربي أسوة بالفارسي.

وتيامة الدهر مجموعة من المنتخبات الشهيرة باللغة العربيّة، دوّنها أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيشابوري (كانت ولادته في عام ۳۵۰هـ = ۹۶۱م، ووفاته في عام ۴۳۰هـ = ۱۰۳۸م). وقد وضع باريه دومينار^(۲) خلاصة موضوعات هذا القسم من الكتاب في يد القراء الأوربيين ضمن

(۱) بهذا يكون الفرق ۲۲ سنة (تعلق براون).

(تعلق م.ع): حكم وشمگیر عام ۳۲۳هـ = ۹۳۴م ومات في ۳۵۶هـ = ۹۶۶م فيكون الفرق ۳۳ سنة، وقد أخطأ براون في التاريخ. ارجع إلى: ۳۵۰۰ عام من عمر إيران ، ص ۳۰۱، ۳۰۰

M.A.C. Barbier de Meynard

(۲)

مقالتين نشرهما في المجلة الآسيوية^(١) . . في تاريخ فبراير - مارس ١٨٥٣م = ١٢٧٠هـ (ص ١٦٩ - ٢٣٩)، ومارس وأبريل ١٨٥٤م = ١٢٧١هـ (ص ٢٩١ - ٣٦١) تحت عنوان: «مسرح خراسان وما وراء النهر الأدبي في القرن الرابع الهجري». لكنَّ العبارة التالية - المنقولة عن هذا الكتاب (طبعة دمشق، ح ٤ ص ٣٣، ٣٤) - تؤكد تمام التأكيد هذا المعنى:

[535] كانت بخارى في الدولة السامانية بمثابة المجد وكعبة الملك ومجمع أفراد الزمان، ومطلع نجوم أدباء الأرض وموسم فضلاء الدهر. حدَّثني أبو جعفر محمد بن موسى الموسوي، قال: اتخذ والدي أبو الحسن دعوة ببخارى في أيام الأمير السعيد جمع فيها أفاضل غربائها كأبي الحسن اللحام وأبي محمد مطران وأبي جعفر بن العباس بن الحسن وأبي محمد بن أبي الثياب وأبي النصر الهرثمي وأبي نصر الظريفي ورجاء بن الوليد الأصبهاني وعلى بن هارون الشيباني وأبي إسحق الفارسي وأبي القاسم الدينوري وأبي علي الزوزني، ومن ينخرط في سلكهم. فلما استقرَّ بهم مجلس الأنس أقبل بعضهم على بعض يتجادبون أهداب المذاكرة، ويتهادون رياحين المحاضرة، ويقتفون نوافج الأدب، ويتساقطون عقود الدر، وينفثون في عُقد السحر^(٢). فقال لي أبي:

Journal Asiatique

(١)

(٢) يُطلق المسلمون على الفصاحة والبلاغة: السحر الحلال. أما النَّفْثُ في العُقْد فقد كان من أعمال السحرة.

انظر: تفسير سورة الفلق: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ. وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ. وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ. وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ» وقد قال سيل Sale: كان النَّفْثُ في العُقْد أمراً متبعاً تقليدياً في العصور القديمة. وكان المتَّبِع في فرنسا أيضاً (بفرض صحة الروايات) أن يذهب الربابنة والملاحون إلى السَّحَرَةِ في النقاط الشماليَّة ويلجأوا إليهم حين يتأخَّر هبوب الريح المواتية وتعجز السفن عن الحركة. ولكي تهبَّ الرياح المواتية كان السحرة بدورهم يعقدون خيطاً أو حبلاً، وكان هذا العمل يسمى بالفرنسية Nouer L'aiguillette، وقد جاء الاسم نتيجة لهذا العمل الخرافي.

تعليق المترجم: جورج سيل George Sale الذي ورد اسمه هنا هو أحد المستشرقين الانجليز. وُلِد عام ١١٠٩هـ = ١٦٩٧م تقريباً، وتُوفي عام ١١٤٩هـ = ١٧٣٦م، وقد فسَّر القرآن الكريم وترجمه إلى الإنجليزية ترجمة حرة للغاية، ونشر ترجمته عام ١١٤٧هـ = ١٧٣٤م، ثم تَكَرَّرت طباعتها.

[536] يا بني هذا يوم مشهود مشهور، فاجعله تاريخاً لاجتماع أعلام الفضل وأفراد الوقت، وأذكره بعدى في أعياد الدهر وأعيان العمر، فما أراك ترى على مرّ السنين أمثال هؤلاء مجتمعين. فكان الأمر على ما قال، ولم تكتحل عيني بمثل ذلك المجمع.

ومن رجال العلم والأدب الذين ماتوا خلال هذه الأعوام الأربعة عشر : أبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ = ٩٣٥م) الذي يعتبر مروّجاً مُهماً في سبيل العودة إلى التسنن ومن حق المعتزلة - ممن لهم في عنقه حقّ التعليم والتربية - أن يعتبروا هذا الشعر صادقاً في حقّه :

أَعْلَمَهُ الرماية كل يوم فلما اشتدّ ساعده رمانى

* ابن دريد العالم اللغوي (ت ٣٢٣هـ = ٩٣٤م) مؤلف كتاب المعجم العربي المسمّى بالجمهرة.

* سعيد بن البطريق المشهور باسم يوتيكيوس Eutichius (ت ٣١٧هـ = ٩٢٩م)، وكان بمثابة خليفة المسيحيين في الإسكندرية. وهو مؤلف التاريخ المعروف.

* ابن عبد ربّه، من أهل قرطبة، وهو من الشعراء والمؤرّخين (ت ٣٢٩هـ = ٩٤٠م).

* الكليني (ت ٣٢٨هـ = ٩٣٩م) من علماء الشيعة، وهو مؤلف كتاب الكافي.

* سناء بن ثابت بن قره (ت ٣٣١هـ = ٩٤٢م) من الأطباء، وابنه ابراهيم (ت ٣١٥هـ = ٩٤٧م).

* عبدالله بن جبريل بن بختيشوع (ت ٣٣١هـ = ٩٤١م)، الماتريدي من المتألهين (ت ٣٣٣هـ = ٩٤٤م).

[537] * ابن سرايون (ت ٣٣٤هـ = ٩٤٥م تقريباً)، وهو مؤلف أحد

الشروح المهمة حول بغداد. وقد نشرت ترجمة هذا الكتاب في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية^(١) في عام ١٣١٣هـ = ١٨٩٥م، وقد قام بالترجمة لي استرلنج^(٢).

* الصولي المؤرخ من مجوس جرجان، وقد أحدث تغييراً في الدين (ت ٣٣٥هـ = ٩٤٦م).

* شبلي الخراساني^(٣)، كان من أقطاب الصوفية (ت ٣٣٥هـ = ٩٤٦م) ومن مريدي جنيد البغدادي ورفيق دراسته: حسين بن منصور الحلّاج.

وهذه الفترة غير جديرة بالاهتمام من جهة التجليات المذهبية. فكما لوحظ، فإنّ القرامطة - نتيجةً لفضيحة المهدي المزعوم - قد أسكتوا ابن زكريا بطريقة تلفت الانتباه. وقد توفي قائدهم الكبير أبو طاهر الجنابي في عام ٣٣٣هـ = ٩٤٤م، وهو الذي عارض بشدّة سلطة الخلفاء الفاطميين في أفريقيا الشمالية^(٤). وبعد عدّة سنوات (في عام ٣٣٩هـ = ٩٥٠م) أعادوا الحجر الأسود إلى مكّة، ودخل جنودهم خدمة معز الدولة أحد أمراء آل بويه.

والآن نصل إلى فترة خلافة المطيع الطويلة (٣٣٥-٣٦٤هـ = ٩٤٦-٩٧٤م). وقد حدثت خلال هذه الفترة تغييرات قليلة في أوضاع سياسة إيران العامة، وكان الشمال والشمال الشرقي في يد السامانيين، وولايات بحر الخزر في يد الزياريين، والجنوب في يد البويهيين. وكان آل بويه يحكمون أيضاً في بغداد بصورة فعلية باسم أمير الأمراء.

(١) Journal of the Royal Asiatic society.

(٢) Mr. Guy le Strange

(٣) (تعليق م.ع): أبو بكر الشبلي. اسمه جعفر بن يونس. خراساني الأصل مولود في حلب. تُوفي في بغداد عام ٣٣٤هـ = ٩٤٥م عن سبع وثمانين سنة.

انظر في ترجمته: نتائج الأفكار القدسية ج ١ ص ١٨٧-١٨٩؛ الديباج المذهب، ص ١٦٦؛ نشوار المحاضرة، ص ١٧٢؛ الأعلام، ج ١ ص ٣١٠

(٤) انظر كتاب دوخويه حول القرامطة، طبع ليدن عام ١٣٠٤هـ = ١٨٨٦م، ص ١٤٣

M.J.de Goeje, Mermoire sur les Carmathes. (Leyden, 1886)

[538] وفي السنوات العشر الأخيرة من هذه الفترة سيطر المعزُّ أبو تميم معد على مصر. والمعزُّ هو أحد الخلفاء الفاطميين الذين أسَّسوا الخلافة المنافسة المعارضة. وقد نقل المعزُّ عاصمته من المهدية إلى القاهرة؛ فكانت القاهرة من وقتها حتى انقراض تلك الأسرة (في عام ٥٦٧هـ = ١١٧١م) مركز القوة ومقرَّ الحكم والنفوذ. وفي نفس الفترة تقريباً، شبَّ نزاع بينها وبين القرامطة الذين كانوا يظاهرونها من قبل. وفي حدود عام ٣٦١هـ = ٩٧١م عقد القرامطة عهد اتحاد حتى مع العباسيين^(١).

ولو عدنا إلى عالم العلم والأدب للفتَّ انتباهنا مايلي من أحداث:

في عام ٣٣٩هـ = ٩٥٠م مات أبو نصر الفارابي أكبر حكيم إسلامي قبل أبي علي سينا. والعجيب أن الفارابي من أصل تركي^(٢). وفي نفس الوقت تقريباً نشر الاصطخري عالم الجغرافيا المعروف كتابَ أبي زيد البلخي الذي لجأ إلى النقد والتهذيب وتجديد الرؤية. كما كتب ابن حاكم رامهرمز الملاح الإيراني كتابه العجيب باللغة العربية.

وهو كتابٌ في عجائب الهند، كتبه وفق خاطراته ومعلوماته التي كان قد جمعها من غيره من السواح. وفي هذه الأيام نفسها توفي الرودكي الذي يعتبر بصفة عامة أبا الشعر الفارسي، ووُلِدَ شاعر آخر إيراني يُدعى الكسائي^(٣). وفي عام ٣٤٥هـ = ٩٥٦م تقريباً، توفي المسعودي المؤرِّخ الكبير، وهو من أصل عربي.

(١) انظر كتاب دوخويه الذي امتدحته من قبل، ص ١٧٦ و ١٨٣ فما بعدها.

(٢) Moritz Steinschneider, Al-Farabi des arabischen philosophen Leben und Schriftem. في المجلد الثالث عشر من خواطر سن بطرزيورخ الأكاديمية Memde L'Acad de St.P. وكذلك كتاب كارادو نو Carra de Vaux حول ابن سينا، ص ٩١ فما بعدها؛ وغيرهما من الكتب.

(٣) (تعليق م.ع): امتدحه العوفي ونظامي عروضي وأهمله دولتشاه في كتابه. ولد في عام ٣٤١هـ = ٩٥٣م، ومات في ٣٩٣هـ = ١٠٠٢م وفق بعض الأقوال. كان ناصر خسرو يكرهه لاختلاف فرقتيهما (السبعية والإثني عشرية) ولحبِّ الكسائي للسلطان محمود ومدحه إياه. انظر في ترجمته: تاريخ الأدب في إيران، ج ٢ (تعريب الشواربي)، ص ١٩٩-٢٠٦؛ چهار مقاله ص ٤٥؛ لباب الألباب ج ٢ ص ٣٣-٣٩؛ ديوان قصائد ومقطعات حكيم ناصر خسرو، طبع طهران عام ١٣٠٤-١٣٠٧هـ.ش.

[539] ويقال إنه كان يميل إلى المعتزلة، وقد ترك من بعده مؤلفات كثيرة العدد ضخمة الحجم. ومازال الأصل العربي لكتابه «التنبيه والإشراف» في يد القراء. كما أنّ «مروج الذهب» - الذي يفوق غيره شهرة - موجود بأصله العربي، وموجودة ترجمته الفرنسية التي قام بها باريه دومينار وپافه دي كورتى Pavet de Courteille. وفي عام ٣٤٨هـ = ٩٥٩م توفي النرشخي كاتب تاريخ بخارى (وقد حفظت لنا هذا الكتاب الترجمة الفارسية التي وضعها القباوي له في عام ١١٢٨م تقريباً).

وفي الفترة نفسها كان يعيش المنجم الجيلاني گوشيار وكذلك عيسى بن علي، وهما من الأطباء المسيحيين. وقد دوّن عيسى بن علي شرحاً لأحوال الكحالين. وفي عام ٣٥٠هـ = ٩٦١م، وُلِدَ أبو منصور عبد الملك الثعالبي مؤلف يتيمة الدهر - الذي مضى ذكره - وهو صاحب العديد من الآثار الهامة الأخرى، وكانت ولادته في نيسابور.

وبعد ذلك التاريخ بثلاثة أعوام تقريباً، أعد أبو علي محمد البلعمي وزير منصور الأول الساماني - بأمر من الملك - خلاصة تاريخ الطبري الكبير بالفارسية. وتعدّ هذه الترجمة أقدم الآثار المهمة التي بقيت لنا من الشر الفارسي. وقد تُرجم هذا الكتاب إلى الفرنسية على يدي دوبو Dubeux وزوتنبرج Zotenberg، وطُبعت الترجمة في باريس من عام ١٢٨٤هـ = ١٨٦٧م حتى ١٢٩١هـ = ١٨٧٤م. وتوجد في مكتباتنا العامة نسخ خطية قديمة نفيسة كُتبت بدقّة، وهي تؤكّد لنا أنّ هذا الكتاب كان موضع الإكبار والاحترام^(١).

وبعد عدّة سنوات (عام ٣٥٥هـ = ٩٦٥م) تُوفي المتنبّي^(٢). وعلى الرغم [540] من أن بعض العلماء الأوروبيين قد ذكروا اسمه بالسوء، فإنّ كل

(١) (تعليق م.ع): أعد الوزير الكتاب بأمر الأمير (وليس الملك كما يقول المؤلف). والكتاب بترجمته والإضافات التي أُدخلت عليه صورة صادقة للنثر الفارسي في مرحلته الأولى. ارجع في تفسير ذلك إلى: ٣٥٠٠ عام من عمر إيران، ص ٣١٧.

(٢) (تعليق م.ع): انظر: نسيمه الغيث: التجديد في وصف الطبيعة بين أبي تمام والمتنبّي، وذلك لمعرفة الكثير عنه.

الشعوب العربيّة اللسان ترى أنه أكبر شاعر في أرومته. وفي عام ١٢٣٩هـ = ١٨٢٣م، نُشِرَ فن همر Von Hammer - في مدينة فينا - ترجمةً لأشعار المتنبي. وقد قال في مقدّمته إنّ المتنبي كان أكبر شاعر عربي. وقد أدلى جول مول Jules Mohl بوجهة نظره حول المتنبي، فقال إنّّه كان متعلّقاً إلى أبعد حد، وإنه كان يتميّز بالفهم والإدراك^(١). يقول جول مول:

«تحديد منزلة الشاعر في أدبه القومي من حقّ شعبه وحده. وإذا كان هناك شاعر قد احتفظ بمكانته ومنزلته على مدى قرون طويلة فإنّه المتنبي. وتنحصر مهمّتنا في قبول رأي القضاة الذين لهم حقّ إصدار الحكم بحكم صلاحيتهم. ويبدو أنّ رأي القضاة المذكورين في المتنبي قد تبلور - بعد مباحثات طويلة جادّة - في أنّ المتنبي على الرغم من كلّ نواقصه وتلوّنه - هو أفضل ممثّل لذوق العرب المسلمين وإحساساتهم. كما أنّ مؤلّفي المعلّقات هم أوفى من يمثّل إحساسات العرب المقيمين بالبادية».

وكما صرّح كازيميرسكي فإنّ نفوذ المتنبي وواحد أو اثنين من شعراء العرب الآخرين كان ذا تأثير بالغ في الأدوار الأولى لتكوين الشعر الفارسي وتحولاته. ويؤكّد قوله إنّ على المحقّقين الراغبين في دراسة مبادئ الشعر الفارسي بدقّة أن يقرأوا آثار المتنبي. وقد ترجم كازيميرسكي ديوان منوچهري، ونُشِرَ الترجمة في باريس عام ١٣٠٤هـ = ١٨٨٦م. وقد ذكر في ترجمته (ص ١٤٣ و ٣١٦) ما معناه:

[541] ... وتكثر الخيالات البعيدة الممتدّة والصناعات البديعية في أشعار المتنبي. وبقدر ما هي أسرة جذابة من وجهة نظر مواطنيه فإنّها لا تجد نفس الصدى لدى الكثير من القراء الأوروبيين. وإنّ ما يديه المتنبي أحياناً من معتقدات - هو وفق ذوقنا وسليقتنا يفتقر تماماً إلى الشاعريّة^(٢). كما أنّ له

(١) المجلّة الأسبوعيّة، الدورة الخامسة، ح ١٤، ص ٣٦ و ٣٧، عام ١٢٧٦هـ = ١٨٥٩م.

(٢) للحصول على نموذج بارز لهذا المعنى انظر ديوانه طبعة برلين عام ٢٤٧هـ = ٨٦١م، بإشراف ديتريسي، (ص ٨ البيت ٧).

(تعليق م.ع): لديوان المتنبي طبعة حديثه قام بشرحها أبو البقاء العكبري، وحققها مصطفى السقا، وإبراهيم الأياري، وعبدالحفيظ شلي، طبع مصر (٤ أجزاء) سنة ١٣٩١هـ = ١٩٧١م.

أشعاراً تتبدى فيها روح أهل البادية القديمة، ومن جملتها شعره الذي تسبب في موته، كما يقول ابن خلكان^(١).

كان المتنبي في أثناء عودته من إيران يحمل معه مبلغاً كبيراً من المال قد وصله به عضد الدولة أحد أمراء آل بويه. وقُرب الكوفة، هاجمه عربٌ من قبيلة أسد. وما إن نشبت المعركة حتى لحقت به الهزيمة، وأراد الفرار فصاح به غلامه: لا تدعهم يقولوا إنك فررت في الحرب وأنت قائل هذا البيت:

فالخيل والليل والبيداء تعرفني والضرب والطعن والقرطاس والقلم
عندئذ عاد المتنبي إلى ميدان المعركة، واستقبل الموت كأبناء الصحراء
الأطهار. وتكشف الحادثة التالية عما كان يعمر طبيعته من اعتداد بأصله
العربي:

ذات يوم، كان عددٌ من العلماء^(٢) يتباحثون في حضرة سيف الدولة، أحد
الأمراء المشهورين. وكان أحد النحويين - ويُعرف بابن خالويه - يُبدى
وجهة نظره بشأن نقطة تتعلق بكلمة من كلمات اللغة العربية، فقاطعه المتنبي
قائلاً: «أي شأن لك باللغة العربية وأنت من إيران ومن أهل خوزستان؟!».

والشخص الذي هو أقرب إلى ذوق الأوروبيين، والذي تحظى أشعاره
[542] بمدحهم أكثر مما تخفى به أشعار المتنبي لديهم، هو معاصره «أبو
فراس» الذي لا يبلغ نفس شهرته. وأبو فراس هو ابن عم سيف الدولة،
وكان ضمن رهط الأمير.. (هناك عدد آخر من الشعراء الأقل شهرة كانوا
ضمن حاشية سيف الدولة، ومن جملتهم النامي والناشي والزاهي والرفاع
والبيغا).

ويبدي فون كرم^(٣) تقديراً واحتراماً كبيرين لأبي فراس، ويصل تقريظه
إلى حد أن يكتب في حقه العبارات التالية:

(١) انظر: ترجمة دوسلان، ج ١ ص ١٠٥ و ١٠٦

(٢) انظر: ابن خلكان، ترجمة دوسلان، ج ١ ص ١٠٩

(٣) انظر: كتاب فون كرم، ج ٢ ص ٣٨١-٣٨٦ Alfred Von Krenmer Culturgeschichte

«ويجسّم أبو فراس أوضاعَ عصره المضطربة فكأنّها الستار المنقوش». وهو مظهر من مظاهر العصر القديم الحافل بالغرور والحماس، ويتجلّى ذلك أيضاً في أشعاره. وما نراه في أشعاره من أحاسيس فائقة الرقة إنّما هو نتاج ثقافة وحضارة العصور التالية. والواقع أنه لو لم يظهر نابغة أعظم من أبي فراس يتمتّع بروح أعلى وأسمى^(١) لانتهى تاريخ شعر العرب بأبي فراس. لكنّ هذا الأديب صمد وأوجد بمفرده تحوُّلاً مهماً جديداً في أفكار ذلك العصر الفلسفيّة والنظريّة، كذلك الذي فعله أبو العتاهية لأول مرّة. «وفي عام ٣٥٨هـ = ٩٦٨م قُتل أبو فراس في الحرب. ويُعدّ العام المذكور عاماً مهماً لأنّ أبا سعيد بن أبي الخير - أحد شعراء وعرفاء إيران العظام - قد وُلد فيه. ومجموعة رباعيّات أبي سعيد معروفة مشهورة.^(٢)

وقد توفي أبو الفرج الأصفهاني في نفس الوقت تقريباً. وهو مؤلّف كتاب الأغاني أو خزائن شعر العرب. وطبعة الكتاب في القاهرة تتكوّن من عشرين مجلّداً.^(٣)، ويقال إنّ أبا الفرج كان عريباً أمورياً، وعضواً في حاشية سيف الدولة.

وفي عام ٣٦١هـ = ٩٧١م توفي ابن كشاجم، وكان شاعراً هندي الأصل، [543] نال درجة كبيرة في حكومة القرامطة؛ ولهذه الأسباب تُعدّ حياته ذات قيمة وأهميّة.^(٤)

-
- (١) الشخص المقصود هو أبو العلاء المعري الذي وُلد في عام ٣٦٣هـ = ٩٧٣م
(٢) (تعليق م.ع): وُلد أبو سعيد في مهنة عام ٣٥٧هـ = ٩٦٧م، وهو أول من تحدّث بالفارسيّة في مذهب التصوف، وأول من أبدع الشعر الصوفي وطوّع الرباعيّات لأفكاره الدينيّة والصوفيّة والفلسفيّة. لمزيد من المعلومات، ارجع إلى: رضا زاده شفق: تاريخ أدبيات إيران، ص ١١؛ السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص ٣٠٣
(٣) طبعت «الأغاني» في القاهرة، عام ١٣٤٧هـ = ١٩٢٨م، وطبعت في بيروت، عام ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م.

(٤) انظر: كتاب دوخويه حول القرامطة، الصفحة ١٥١ و ١٥٢. M.J.de Goeje Carmathes.

وفي العام نفسه وُلِدَ شاعر آخر اسمه أبو الفتح البستي^(١). وهو أحد الأدباء المتقدمين، كان يعيش في كنف الأسرة الغزنوية وينعم بحمايتها.

وتُعَدُّ السنة الأخيرة من خلافة المطيع سنة مهمّة لأن شخصين ذوي قدر عالٍ قد وُلِدا فيها. أحدهما أبو العلاء المعري، والآخر أبو يحان البيروني.

والآن نصل إلى خلافة «الطايغ» (٣٦٤ - ٣٨١ هـ = ٩٧٤ حتى ٩٩١ م)، وقد عاصره نوح الثاني بن منصور الساماني في خراسان (٣٦٦-٣٨٧ هـ = ٩٧٦-٩٩٧ م)، وقابوس بن وشمكير الزيارى في طبرستان (٣٦٦-٤٠٣ هـ = ٩٧٦-١٠١٢ م)، عضد الدولة في فارس وكرمان والأهواز وجنوب إيران، والعزیز أبو منصور نزار (٣٦٥-٣٨٦ هـ = ٩٧٥-٩٩٦ م) من أسرة الفاطميين الذين أسسوا الخلافة المنافسة في مصر.

وفي نفس الوقت تقريباً استقام أمر سبكتگين (٣٦٦-٣٨٧ هـ = ٩٧٦-٩٩٧ م) الذي يعتبر - وفقاً لقول استانلي لين پول Stanley Lane Poole - المؤسس الحقيقي للأسرة الغزنوية. وقد نال ولده محمود شهرة كبيرة في حروبه في العالم الإسلامي، ولما أبداه من بطولة. وقد كان سبكتگين في بداية أمره غلاماً تركياً مملوكاً لألب تگين، الذي كان بدوره غلاماً تركياً [544] يحظى بحبٍ خاصٍ من قِبَلِ عبدالمملك الساماني. وبإخضاع پيشاور، وانتزاع تلك البلاد من مخالف الجبوتيين، وسيطرة السامانيين الإسميّة على حكومة خراسان عام ٣٨٢ هـ - ٩٩٤ م. وسّع سبكتگين الدولة الصغيرة التي كان أسلافه (ألب تگين وولده إسحق وبلكاتگين) قد بنوها في قلاع جبال سليمان واستحكاماتها.

ولدراسة التاريخ الأدبي لتلك الفترة يجب أن نهتمّ أولاً بموت الدقيقي

(١) (تعليق م.ع): أديب ماهر في الإنشاء العربي نظماً ونثراً، وقد برز في الصناعات البديعية. مات منفياً في بخارى سنة ٤٠٠ هـ = ١٠٠٩ م (انظر: يثيمة الدهر، ج٤ ص ٢٠٤-٢٣١؛ تاريخ اليميني للعتبي، ج١ ص ٦٧-٧٢، طبع القاهرة ١٢٨٦ هـ = ١٨٦٩ م؛ تاريخ الأدب لبراون، ج٢ (تعريب)، ص ١١٤، ١١٥)

(٣٦٥هـ = ٩٧٥م). بدأ الدقيقي نظم الشاهنامه، ثم أوصلها الفردوسي إلى ما هي عليه من عظمة. وبعد ذلك بعام واحد تقريباً ألف كتاباً بالعربية على درجة كبيرة من الأهمية.. والآن، قد وضع قون فلوتن هذا الكتاب بطبعته النفيسة في متناول العملاء جميعاً. والكتاب المذكور هو «مفاتيح العلوم» لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي، وقد نشره قون فلوتن في ليدن سنة ١٣١٣هـ = ١٨٩٥م. والكتاب مجملٌ لمفصل العلوم الأصلية والدخيلة التي كان المسلمون يتداولونها في تلك الفترة، مضافاً إليه مجموعة المصطلحات الخاصة بكل علم من العلوم.

وفي تلك الأيام نفسها أعاد ابن حوقل تصحيح الكتاب الجغرافي^(١) الذي وضعه أبو زيد البلخي - تلميذ الكندي الفيلسوف.. ذلك الكتاب الذي كان الاصطخري قد قام بتهذيبه.

وبعد عام تقريباً (٣٦٨هـ = ٩٧٨م) توفي السيرافي - أحد النحاة في اللغة العربية. ولم يكن السيرافي إيرانياً فحسب، بل كان أبوه زردشتياً يدعى بهزاد.

وفي عام ٣٧٠هـ = ٩٨٠م، وُلِدَ الفيلسوف والطبيب الكبير أبو علي بن سينا، وكان بدوره إيرانياً. وفي السنة التالية لحق أحد العرفاء المعروف بأبي عبدالله محمد بن خفيف الشيرازي برحمة ربه. وفي عام ٣٧٢هـ = ٩٨٢م رحل عن الدنيا إبراهيم بن هلال الصابي أحد كفّار خُران. وإبراهيم هذا هو [545] صاحب كتاب تاريخ آل بويه الكبير المسمّى بكتاب التاج. والكتاب حافل بالتصنُّع والتكلف والصناعات البديعة. وكان هذا هو الأسلوب المتَّبِع في ذلك العصر، والذي حلَّ محلَّ التواريخ البسيطة التي كتبها المؤرِّخون المتقدِّمون، والتي كانت خالية من الحليات والزينات.

ووفقاً لما ذكره بروكلمان، فإنَّ أسلوب الكتاب كان له تأثيره الكبير في أسلوب الشباب من الكتّاب الذين كانوا يسعون إلى طلب المجد في ذلك

(١) هذا الكتاب هو المجلد الثاني من المجموعة التي نشرها دوخويه في ليدن عام ١٢٩٠هـ =

١٨٧٣م بعنوان: M.J. de Goeje - Bibliotheca Geographorum Arabicorum.

العصر. ومن الكتاب الذين قلدوه ابن نباتة السرياني واعظ بلاط سيف الدولة (ت عام ٣٧٤هـ = ٩٨٤م). وقد طبعت بعض مؤلفاته في الشرق، وما زالت آثاره تُقرأ فيه إلى الآن.

ومن الشعراء الفاطميين تميم بن المعز (ت ٣٧٤هـ = ٩٨٤م) أخو العزيز أحد أفراد أسرة الخلفاء المنافسين أي: الفاطميين. وقد أنشد تميم مدائح في حق العزيز، ويستحق منا بدوره أن نذكر اسمه.

والمقدسي (بفتح الميم وكسر الدال) أو المقدسي (بضم الميم وتشديد الدال) سائح جغرافي، ألف كتابه المهم «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»^(١) في عام ٣٧٥هـ = ٩٨٥م. وقد نال هذا الكتاب استحساناً كبيراً لدى عدد من المستشرقين ذوي المكانة العالية.^(٢) وبعد عام وُلد القشيري مؤلف الرسالة المهمة في ميدان التصوف^(٣).

وفي عام ٣٧٨هـ = ٩٨٨م تقريباً.. ألف كتاب «الفهرست»^(٤)، وهو واحد من أهم مصادر الدراسات في حقل التاريخ الأدبي والمذهبي في صدر الإسلام وما سبقه من عصور. ومؤلف الكتاب هو أبو الفرج محمد بن اسحق [546] النديم الوراق البغدادي الذي توفي بعد ذلك بحوالي ست سنوات. ويقول بروكلمان معلقاً على هذا الكتاب النفيس^(٥):

(١) هذا الكتاب هو المجلد الثالث من مجموعة دوخويه:

M.J.de Goeje, Bibl. Geogr. Arab. (Leyden, 1877)

(٢) انظر: فون كرم، ح ٢ ص ٤٢٩-٤٣٣ حيث أورد ترجمة للشرح المفصل لمقدمته:

Alfred Von Kremmer, Culturgeschichte

(تعليق م.ع): طبع الكتاب في ليدن عام ١٣٢٧هـ = ١٩٠٩م. واسم المؤلف الكامل هو: البشاري المقدسي.

(٣) (تعليق م.ع): المقصود هو كتاب: الرسالة القشيرية، والقشيري هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن، وقد طبع الكتاب في القاهرة عام ١٢٨٤هـ = ١٣٠٠م.

(٤) صُحِّحَ في لايبزج عام ١٢٨٨هـ = ١٨٧١م مع كتابة تعليقات من جانب فلوجل Glügel (تعليق م.ع): طبع الكتاب في مصر، عام ١٣٤٨هـ = ١٩٢٩م، وطبع في بيروت - عن ليبزج تحقيق فلوجل - سنة ١٢٨٨هـ = ١٨٧١م.

(٥) انظر: تاريخ الأدب العربي، ص ١١١. Gesch. d. Arab. Lit.

«الاسم البسيط الذي وضعه (المؤلف) على كتابه هو الفهرست. وكان هدفه من تأليفه أن يجعله شاملاً لكل الكتب التي كتبت بالعربية في ذلك العصر سواء منها المؤلف أو المترجم. وبعد المقدمة التي تدور حول أنواع الخطوط على اختلافها يورد بحثاً حول الكتب السماوية والديانات المختلفة ثم يتحدث عن كل شعبة من شعب الأدب المختلفة، ويتناول ما كتب عن القرآن وما يرتبط به، ويتحدث عن العلوم الغربية. وهو في حديثه حول أي شعبة من الشعب يجمع كتابها في مكان واحد متبعا لترتيب التاريخي قدر الإمكان، ويكتب ما يعرفه عن حياتهم ومؤلفاتهم. والكثير من الدراسات النفيسة الخاصة بتاريخ التمدن والأدب - عند العرب وفي كل ممالك الشرق الأدنى الأكثر قرباً من أوروبا - تدين لهذا الكتاب بوجودها.»

وفي هذا الوقت تقريباً (٣٧٨هـ = ٩٨٨م) ألف واحد من أقدم تواريخ إيران المحلية، وهو عبارة عن رسالة حول مدينة قم.. بقيت لنا ترجمته الفارسية (٥٢٣هـ = ١١٢٨م)^(١) وضاع أصلها العربي. وقد أهدى كتاب «تاريخ قم» إلى الصاحب بن عباد أحد كبار مروّجي الأدب (تاريخ ولادة الصاحب بن عباد ٣٢٥هـ = ٩٣٦م وتاريخ وفاته ٣٨٥هـ = ٩٩٥م). وقد وَرَرَ لاثنين من سلاطين آل بويه هما مؤيد الدولة وفخر الدولة. وللصاحب بن عباد نفسه كتاب في اللغة العربية اسمه «المحيط».. مازال قسم منه في أيدينا. وله كذلك رسالة في علم العروض اسمها «الإقناع» وفي مكتبة باريس [547] القومية، توجد الآن نسخة قيّمة جداً لهذه الرسالة، يرجع تاريخها إلى عام ٥٥٩هـ = ١١٦٤م كانت من قبل ملكاً لشفر M. Schefer. ويتحدث الثعالب في كتابه «يتيمة الدهر» (٣ ص ٣١ فما بعدها) عن طائفة من الشعراء والأدباء الذين كانوا يتجمعون حول الصاحب بن عباد بسبب طبعه الكريم. وقد شهد جميع الكُتّاب بكرمه وسخائه غير المعهودين حتى إن الشاعر المعاصر له أبا سعيد الرستمي يقول في رثائه: ^(٢)

(١) توجد النسخة الخطية لهذه الرسالة في المتحف البريطاني، تحت علامة ورقم OR 3391

(٢) انظر: الشرح المهم الذي كتبه ابن خلكان في أحوال الصاحب بن عباد (ترجمة دي سلان، ١ ص ٢١٦).

أَبْعَدَ ابْنُ عَبَّادٍ يَهْشُ إِلَى السَّرِيِّ أَخُو أَمَلٍ أَوْ يَسْتَمَاحُ جَوَادُ

أَبَى، اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَمُوتَا بِمَوْتِهِ فَمَالَهُمَا حَتَّى الْمَعَادِ مَعَادُ

وقد عشق الكتاب إلى حدٍّ أنه حين دعاه نوح الثاني بن منصور الساماني لتولّي منصب الوزارة قدّم اعتذاره عن عدم قبولها، وكان من جملة اعتذاراته أنه يلزمه أربعمئة جَمَلٍ لحمل مكتبته وحدها^(١).

الشاعر، اللغوي، ظهير أهل الأدب، السياسي، النديم القصّاص... هذه هي الفضائل التي يجب أن يتحلّى بها الشخص الذي يريد أن ينال المنزلة والحرمة في بلاط البويهيين الأحرار المثقفين، والتي يعتبر على أساسها من ألمع حليّات ومفاخر بلاطهم. ويؤسفنا أننا لا نمتلك من المعلومات ما يكفينا لمعرفة ما نوّد معرفته عن أسرته^(٢).

ومن بين كلّ رجال العلم والأدب في هذا العصر يقع اختيارنا على شخص [548] واحدٍ نخصّه بالحديث هو ابن بابويه المتألّف الفقيه الشيعي الكبير (ت عام ٣٨١هـ = ٩٩١م)^(٣). ولا ابن بابويه كتاب في الفقه اسمه «من لا يحضره الفقيه» ما زال إلى الآن واحداً من المراجع القيّمة في إيران.

ومن أطباء هذه الفترة على بن عباس المجوس (ت ٣٨٤هـ = ٩٩٤م)^(٤). ويبدو من اسم أبيه أنه كان من أتباع دين زردشت.

المبرّد من علماء اللغة، وهو مؤلّف الكتاب المعروف «الكامل»^(٥).

-
- (١) ارجع إلى نفس الكتاب، ص ٢١٥؛ وإلى يتيمة الدهر، ح ٣ ص ٣٥ و ٣٦
(٢) تعليق المترجم: انظر: آثار الشيعة تأليف عبدالعزيز جواهر الكلام، ١٣٠٧هـ. ش. نشر وزارة التعليم، ص ٨٧-٨٩
(٣) بروكلمان، ح ١ ص ١٨٧. Brocckelmann. Gesch. d. Arab. Lit.
(٤) بروكلمان، ح ١ ص ٢٣٦
(٥) قام الدكتور رايت بتصحيح طبعة لايزيغ، ١٢٨١هـ = ١٨٦٤م. Dr. Wright, Leipzig, 1864.
(تعليق م. ع.): طُبِعَ كِتَابُ الْكَامِلِ فِي الْأَدَبِ لِلْمَبْرَدِ (مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ) فِي الْقَاهِرَةِ عَامَ ١٣٧٦هـ = ١٩٥٦م.

ومن العلماء الكبار الذين لا يقلُّون شأنًا عن غيرهم أبو علي بن سينا
الفيلسوف الطبيب السياسي (ت عام ١٣٧هـ = ٧٥٤م) وقد قضى أبو علي
سبعة عشر عاماً فقط من سنوات هذه الفترة. ويرجع سبب الشهرة التي حقَّقتها
في علم الطبِّ إلى معالجته للأمير سامان بن نوح الثاني ابن منصور، إذ نال
عن هذا الطريق رعاية الأمير وحمایته. وفي الفصل التالي، سوف ندير
الحديث حول هذا الرجل العظيم.

والآن وصلنا بالتاريخ إلى نهاية القرن العاشر الميلادي، وقبل أن نمضي
قُدماً علينا أن نتوقَّف عند هذه النقطة، ونقوم بدراسة الأعمال التي تمَّت
في ميادين العلم والأدب والحركات المذهبيَّة والفلسفيَّة في تلك الفترة.
كما أنَّ علينا أن نولى اهتمامنا - على الأخصَّ - بالوقائع والأحداث الأكثر
قُدماً، والتي تسبَّبت في إحياء أدب إيران القومي. لقد بدأت هذه الحركة
ومازالت توالى مسيرتها بفضل قوَّتها الآخذة في الازدياد. وقد لوحظ أن
هذه الفترة - موضع بحثنا - قد بدأت برجحان كفة أحد الأتراك، وهي
فترة حافلة بالمخاطرة بالنسبة للخلافة من جهة وحضارة الإسلام ومدنيَّته من
جهة أخرى.

[549] وبظهور تركي آخر فجأة على مسرح الأحداث تنتهي هذه الفترة
تقريباً. ونعنى بهذا التركي السلطان محمود الغزنوي الذي أبدى قوةً لا حدَّ
لها. (تولَّى السلطنة عام ٣٨٩هـ = ٩٩٨م وتوفى عام ٤٢١هـ = ١٠٣٠م).
وقد بدأ محمود سلطنته في إقليم صغير كان قد ورثه عن أبيه سبكتگين؛
وأسقط الأسرة السامانيَّة المزعزعة، وحارب في الهند ١٢ مرَّة وجعل هذه
البلاد مسرحاً لكرِّه وفرِّه وهجماتِه (من عام ٣٩٢هـ = ١٠٠١م وحتى عام
٤١٥هـ = ١٠٢٤م). قد قُتل محمود من عبدة الأوثان عدداً يفوق الحصر،
وخربَّ العديد من معابد الأوثان. وأدخل البنجاب في دائرة حكمه إلى
الأبد، وسخَّر بلاد الغور (عام ٤٠٣هـ = ١٠١٢م)، وضمَّ ماوراء النهر إلى
بلادِه (عام ٤٠٧هـ = ١٠١٦م). كما وجَّه هذا السلطان ضربةً إلى آل بويه،
واستخلص أصفهان من قبضتهم.

لكنّا حين نُلقى نظرةً على بداية هذه الفترة ونهايتها نرى أنّ إيران قد خرجت - أكثر من ذي قبل - عن سلطة الخليفة وسيطرته المباشرة، وأنها باتت مقسّمة بين عدّة أسرٍ إيرانيّة أصيلة مستنيرة الفكر.. . ونعنى بها الأسرة السامانيّة والأسرة البويهية والأسرة الزياريّة. ونرى أنّ إيران قد خلّقت في هذا العصر من جديد - بحريّتها ووفق هواها - أدباً رائعاً واسعاً.

الفصل الحادي عشر

**وضع آداب المسلمين وعلومهم
في بداية العصر الفرنوي**

الفصل الحادي عشر

[550] وَضَعُ آدَابِ الْمُسْلِمِينَ وَعُلُومِهِمْ فِي بَدَايَةِ الْعَصْرِ الْغَزْنَوي

الآن وقد وقفنا على عتبة الأدب الفارسي الجديد يلزمنا أن ندرس التقدّم الذي حقّقه المسلمون في العلوم والأدب بتفصيل أكثر قليلاً؛ لأنّ العلم والأدب ميراثان مشتركان لكلّ الشعوب التي اعتنقت الإسلام. كثيراً ما يُقال إنّ اللغة الفارسيّة غاية في السهولة. والحقّ إنّ هذه المقولة صحيحة فيما يتعلّق باللغة نفسها، أما إذا أراد شخص أن يبرع فيها فالأمر عسير للغاية، لأنّ ذلك لا يستلزم منه المعرفة التامة بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية وأساطير إيران القديمة فحسب بل يستلزم منه الإحاطة بكلّ جهات ممالك الشرق الإسلامي العلميّة والأدبيّة في العهد الماضي. وهذه المسألة تُصدّق - بصفة خاصّة - على الكتاب الذين كانوا يعيشون قبل فتنة المغول في القرن ١٣م، ولم تكن الخسائر والنهب والغارات الوحشية - التي حدثت إثر هجوم المغول - قد حدثت بعد. لأنّ هذه القبائل الهمجيّة الكريهة كانت حينها حلّت تلجأ إلى القتل العام، وتُشعل النار في المكان. وبعد ذلك التاريخ لم تشغل علوم الممالك الإسلامية وأدبها مكانتها السابقة، وبيات دائرة عقائد الكتاب وأفكارهم العلميّة - في العصور التالية - محدودة بصورة أكبر. ولم تعد اللغة العربيّة سارية متداولة في سائر الممالك الإسلاميّة. ولمّا كانت بغداد قد خربت والخلافة قد زالت فإنّه لم يعد هناك وجود لأيّ مركز من مراكز الثقافة والعلم والمعرفة، ولا لأيّ مركزٍ لتوحيد جهود العالم الإسلامي العلميّة، ومركزتها والخلط بينها.

[551] ولحسن الحظّ إنّّه توجد بين أيدينا ثلاثة مصادر قيّمة، يمكننا عن طريقها كسب المعلومات وتحديد مدى اتّساع رقعة الآداب والعلوم الإسلاميّة في ذلك العصر (أي نهاية القرن العاشر الميلادي):

المصدر الأول: رسائل إخوان الصفا. وإخوان الصفا جماعة من الحكماء والعلماء. وكان هدف أفراد الجماعة - كما يقال - جمع العلوم جميعها، وقد تحدّثنا عن هذه الجماعة في الفصل السابق.

المصدر الثاني: كتاب مفاتيح العلوم الذي ألفه أبو عبدالله محمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي في عام ٣٦٦هـ = ٩٧٦م، وقام بتصحيحه وطبعه فون فلوطن (عام ١٣١٣هـ = ١٨٩٥م) في لندن.

المصدر الثالث: كتاب الفهرست لأبي الفرج محمد بن إسحق الوراق البغدادي المشهور بابن أبي يعقوب النديم ألفه عام ٣٧٨هـ = ٩٨٨م، وصحّحه فلوجل ونشره عام ١٨٧١-١٨٧٢م = ١٢٨٨-١٢٨٩هـ.

وكل هذه المصادر باللغة العربية، وهي تأخذ مجتمعة صفة دائرة المعارف. والمصدران الأول والثاني يتعلّقان - بصفة خاصّة بالفلسفة والعلوم. أما الثالث فيتعلّق بالآداب والتاريخ والثقافة. وسوف أورد هنا بحثاً مختصراً حول محتويات هذه المصادر وفق ترتيبها الذي ذكرته.

رسائل إخوان الصفا^(١)

حقّقت هذه الجماعة من كتاب دائرة المعارف في البصرة - في أواخر القرن العاشر الميلادي - نجاحاً باهراً. هي به جديرة، ونحن نعرف من بين أعضاء هذه الجماعة أسماء خمسة أو ستة أشخاص يتسبون إلى بست في الشرق الأقصى من إيران، وإلى زنجان في شمال غربي إيران، وإلى أورشليم. وهناك ثلاثة أعضاء غير من ذكرنا، أحدهم إيراني على وجه التأكيد، واثنان من أصل عربي في الغالب. وقد أوجزت هذه الجماعة^(٢) الموضوعات الفلسفية والعلمية الشائعة في عصرها في ٥١ رسالة، دون إطلاق أسماء على تلك الرسائل مستخدمة الأسلوب المتداول آنذاك.

(١) انظر: إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا، القاهرة ١٣٠٦هـ = ١٨٨٨م.
(٢) ذكر بروكلمان أسماء أعضاء هذه الجماعة. انظر كتابه، ج١ ص ٢١٣ و ٢١٤.

[552] وقد طُبعت كل الرسائل في مدينة بمباي في أربعة مجلدات، مجموع صفحاتها ١١٣٤ صفحة، وذلك في عام ١٣٠٥-١٣٠٦هـ (١٨٨٧-١٨٨٩م). وهناك ترجمات كاملة وناقصة لهذه الرسائل بأكثر من لغة شرقية، من بينها ترجمة فارسية لطبعة بمباي الحجرية المذكورة (١٣٠٢هـ=١٨٨٤م) وأخرى هندية، وثالثة تركية. ونحن مدينون في معلوماتنا عن مضمون هذه الرسائل، وفي تفصيل تعليمات هذه الطائفة.. لجهود أحد علماء برلين. والشخص المقصود هو الدكتور الشهير فريدريك ديتريسي، الذي قام فيما بين عامي ١٢٧٥ و١٣١٣هـ = ١٨٥٨ و١٨٩٥م بطبع ١٧ رسالة نفيسة (مع ٦ متون).. حول فلسفة العرب في القرنين: العاشر والحادي عشر الميلاديين، وحول ما يتصل بإخوان الصفا بصفة خاصة.

وقد جمعت الرسائل الإحدى والخمسين التي نشرتها جماعة إخوان الصفا كلِّ مباحث الفلسفة، وفق قدرات الأعضاء الإدراكية. غير أنه يتتظر من طلاب المعقول أن تكون لهم دراية كافية - قبل كل شيء - بالموضوعات والمواد التالية.. تلك التي عددها ديتريسي^(١)، وكانت متداولة آنذاك:

أولاً: العلوم الدنيوية

- ١ - القراءة والكتابة.
- ٢ - اللغة وقواعد اللغة.
- ٣ - الحساب.
- ٤ - العروض وفن الشعر.
- [553] ٥ - علم السعد والنحس.
- ٦ - علم السحر والتعاويذ والطلاسم والكيميا والسيما^(٢) والشعوذة.

(١) كتاب ديتريسي، ص ١٢٤ وما بعدها: مقلّمة العالم الكبير (ليزج ١٨٧٦م = ١٢٩٣هـ).
Einleitung und Makroko Smos (Leipzig, 1876).

وكذلك ص ٦-٧ من مقدمة متن رسائل إخوان الصفا - طبع لا ييزج ١٨٨٦م = ١٣٠٤هـ.
Abhandlungen der Ichvan es SaFa (Leipzig, 1886).

(٢) (تعليق م.ع): أحد العلوم الخفية القديمة.

- ٧ - المكاسب والصنائع .
- ٨ - المعاملات - التجارة - الزراعة والرعي .
- ٩ - معرفة الرجال والقصص .

ثانيا : العلوم الدينية

- ١ - علم القرآن .
 - ٢ - التفسير .
 - ٣ - علم الحديث .
 - ٤ - الفقه .
 - ٥ - ذكر الله وحمده - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - الرياضة -
التصوف - الوجد والحال - الجذبة والخلصة أو الشهود .
- والدراسات الفلسفية بمفهومها ومنطوقها الصحيح للكلمة تشمل
الموضوعات التالية :

ثالثا : الدراسات الفلسفية

- ١ - الرياضيات والمنطقيات وغيرها . كانت موضع البحث في الرسائل الثمانية الأولى (بالمجلد الأول) وقد دار الكلام فيها حول موضوعات، من بينها :
العدد، والهندسة، والهيئة، والجغرافيا، والموسيقا، والنسبة العددية
والهندسية، والفنون والصنائع، واختلاف أخلاق البشر، والايساغوجي،
والمقولات العشر، وباري ارميناس، والانالوطيقا أو قياس الكلام .
- ٢ - الطبيعيات والإنسانيات التي جرى بحثها في الرسائل من الرابعة عشرة حتى
الثلاثين (المجلد الثاني) .

ومن هذه المباحث ما يلي : الهيولى والصورة، الزمان والمكان، الحركة،
خلق العالم، الكون والفساد، العناصر وكائنات الجو، الآثار العلوية،
الجمادات ودراسة المعادن، الماهيات وجوهر الطبيعة الأصلي ومظاهره،

[554] دراسة الأعشاب، معرفة الحيوان وتشريح وتركيب الإنسان، الحاس والمحسوس والإدراكات الحسيّة - علم الجنين (مسقط النطفة)، الإنسان يعني العالم الصغير - تحوّل النفس وتكاملها، الروح والجسم، ماهية الألم واللذة الروحانيّة والجسمانيّة، اختلاف اللغات (فقه اللغة).

٣ - النفسانيّات التي بُحثت في الرسائل من الرسالة الحادية والثلاثين حتى الأربعين (المجلّد الثالث)، وقد دار الحديث فيها عن الإدراك وروح العالم، وغير ذلك.

٤ - الإلهيات التي بُحثت في الرسائل من الحادية والأربعين حتى الحادية والخمسين. وقد دار الحديث فيها حول الكمالات المطلوبة، وسلوك إخوان الصفا، وأصول العقائد السريّة في الإسلام، ونظام العالم الروحاني والعلوم الغريبة.

لقد كان مسلك إخوان الصفا يقوم أساساً على تجميع الموسوعات وتأليفها. وكما يقول ديتريسي في (كتاب العالم الكبير، ص ٤)^(١): كان إخوان الصفا يحاولون إيجاد التناسب والارتباط بين كل المطالب العلميّة التي توصّلوا إليها، والجمع بين عالم المادّة وعالم المعنى على نحو ما بحيث تُثبت كلّ الأسئلة، ويتمّ التطابق أيضاً مع وجهة نظر ثقافة ذلك الزمان.

وطبقاً لدراسات ديتريسي فإنّ الموضوعات التي بحثها إخوان الصفا يمكن تقسيمها بصفة عامة إلى ما يلي:

١ - العالم الكبير أو تكوين العالم، وصدور الكثرة من الوحدة، والتحوّل الكامل بواسطة الصدور عن الله بواسطة العقل والنفس، ومادّة المواد، والمادّة الثانويّة، والدنيا والطبيعية، حتى يصل إلى النشآت الأخرى أو المواليد الثلاثة يعني عالم الحيوان وعالم النبات وعالم الجماد.

٢ - العالم الصغير (الإنسان) أو الرجعة من الكثرة إلى الوحدة.

Dieterici, Makrokosmos.

(١)

وقد كان مسلك إخوان الصفا الخلط والتلفيق بين مذهب التوحيد في الأقوام السامية والمذهب الإفلاطوني الجديد أو مذهب الإفلاطونيين الجدد على نحو يجعلني أتصور أن فيلوجيوديوس^(١) ربما أمكنه أن يتقدم في ذلك [555] الطريق بنفس النسبة.

ومما أورده ديتريسي (في كتاب العالم الكبير، ص ٨٦-٨٨) يفهم أيضاً أن إخوان الصفا قد نشطوا لتركيب العقائد وتأليفها، وجمع الآراء المختلفة. . إذ كانوا يعتقدون أن الحقيقة - سواء المذهبية أو الفلسفية أو العلمية - ما هي إلا حقيقة واحدة في كل حال. ومن هذا المنطلق وذاك الهدف طبقوا جميع العلوم المتداولة في عصرهم، ودرسوا كل علم. . لا من أجل العلم في حد ذاته فحسب بل بسبب ارتباطه بالحقيقة الكاملة (العامة). وحاولوا أن يبرزوا إدراكاتهم على نحو قابل للفهم، وملفت للنظر، ومستملح لدى العامة. وبناء على هذا، استخدموا كثيراً من التشبيهات والتمثيلات والاستعارات والكنائيات (إلى جانب الأسطورة الأخلاقية وقصص الحيوان والإنسان المعروفة).

وكانوا فيما يتعلق بمسائل ما قبل التاريخ والعلوم، وفيما يتعلق أيضاً بالمنطق والعلوم الطبيعية خاضعين - بنسبة أكبر - لتأثير أفكار أرسطو. أما فيما يتعلق بالفرضيات المتعلقة بإعداد ونشأة الخلقة. . فإنهم كانوا خاضعين لتأثير أفكار الفيثاغورثيين الجدد والإفلاطونيين الجدد. وفيما يتعلق بالتاريخ الطبيعي كانوا يخضعون لتأثير بطليموس. أما فيما يتعلق بالإنسانيات والطب فكانوا خاضعين لتأثير جالينوس.

وقد برزت نظرية التركيب والتأليف عندهم - بصفة إجمالية - نتيجة لكمال القوى المطلوب على أساس وحدة الوجود^(٢). وكانوا يعتقدون أن

(١) تعليق المترجم: فيلوجيوديوس Philo Judaeus من فلاسفة اليهود. وُلِدَ قبل ميلاد المسيح بعشرين عاماً تقريباً، ومات بعد ميلاد المسيح بأربع وخمسين سنة.

(٢) انظر: كتاب العالم الكبير لديتريسي، ص ١٣٨ - ١٤٠.

الكمال يتحقق نتيجة تركيب فلسفة اليونان مع قوانين العرب المذهبية^(١).
[556] وكان إخوان الصفا خلفاء الكندي والفارابي، وأئمة أبي علي بن سينا الكبير.

وطبقا لقول ديتريسي^(٢) فإنَّ اتِّساع نطاق الفلسفة وتكاملها في الشرق قد انتهى بوفاة أبي علي بن سينا. وهذا المسلك الفلسفي الذي يُسمَّى حكمة العرب، قد انتقل من الشرق إلى مغاربة اسبانيا. وبعد أن تعرَّضت الحكمة لتطوُّرات كثيرة في أسبانيا أيضا على يد ابن رشد (ت عام ٥٣٠هـ = ١١٣٥م) توجَّهت إلى أوربا، وهناك لقيت رواجاً وانتشاراً وأوجدت علم الكلام المسيحي. وبناء على قول ديتريسي (ص ١٥٩) فإن فلسفة العرب قد قدَّمت أكبر خدمة إلى علم الكلام المسيحي، لأنَّه صار الباعث على إعادة العنصر السائد في طريقة أرسطو. وكان هذا العنصر - أول الأمر - قد طُرِد تقريباً من الفلسفة المسيحية، وحلَّ مكانه العنصر الإفلاطوني الجديد.

مفاتيح العلوم

قُسِّمت العلوم في هذا الكتاب - منذ البداية - إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: علوم الشريعة والعربية.

المجموعة الثانية: علوم العجم التي يرتبط القسم الأكبر منها باليونان وإيران.

١ - علوم الشريعة

(أ) الفقه: أحد عشر فصلاً، تشتمل على أصول الدين وفروعه من قبيل الطهارة، والصوم والصلاة والزكاة والحج، والبيع والشراء، والعقد والنكاح، وقتل النفس، والجروح والقصاص، والديَّات، وغيرها^(٣).

(١) انظر: كتاب العالم الكبير لديتريسي، ص ١٤٦.

(٢) انظر: كتاب العالم الكبير لديتريسي، ص ١٥٩.

(٣) تعليق المترجم: الفريضة والنوادر.

(ب) الكلام: سبعة فصول، تشتمل على موضوع الكلام وذكر أرباب الآراء والمذاهب وفرق الإسلام المختلفة، وفرق النصارى، وفرق اليهود، والأشخاص الذين لا هم بالمسيحيين ولا هم باليهود (أمثال الإيرانيين والهنود والكلدانيين والمانويين والمريقيونية والديسانية والمزدكية والصوفية، وغيرهم). [557] وجاهلية العرب ومبادئ الدين الأساسية، المسلم بها والتي بُحِثت في هذا العلم.

(ت) النحو: اثنا عشر فصلاً.

(ث) الكتابة: ثمانية فصول، تشتمل توضيحاً لجميع الاصطلاحات الفنية التي في دوائر الدولة المختلفة.

(ج) الشعر والعروض: خمسة فصول.

(ح) الأخبار: تسعة فصول، تشتمل تاريخ إيران القديم بصفة خاصة، وتاريخ الإسلام وتاريخ العرب قبل الإسلام، لا سيما تاريخ اليمن وتاريخ اليونان والروم.

٢ - علوم المعجم

(خ) الفلسفة: ثلاثة فصول، تشتمل أقسام الفلسفة ومصطلحاتها والاشتقاق اللغوي (التوضيح الصحيح للفظ الفلسفة اليوناني)، وارتباط الفلسفة الصحيح بالمنطق والعلوم الطبيعية (الطب وكائنات الجو والمعدنيات والجمادات وعلم الأعشاب وعلم الحيوان والكيمياء)، والعلوم الرياضية (الهندسة والهيئة والموسيقا وغيرها).

(ذ) الطب: ثمانية فصول، تشتمل التشريح، وعلم الأمراض، وعلم الأدوية والقرايادين (العلم بخواص الأدوية وعلم النبات)، والحمية عن بعض الأطعمة والأشربة، والأوزان والمقادير وغيرها.

(ر) الأرثماطيق (علم العدد، الحساب): في خمسة فصول مع مقدمات الجبر.

(ز) الهندسة: أربعة فصول.

(س) علم النجوم: أربعة فصول، ويدور فيها الحديث عن أسامي
السيّارات، والثوابت، وتركيب العالم بطريقة بطليموس، وعلم أحكام
النجوم، وآلات وأدوات المنجّمين.

(ش) الموسيقى: ثلاثة فصول، تشتمل على شرح الآلات الموسيقية
المختلفة وأسماء كل آلة، والنوتات الموسيقية والإيقاعات، والعلامات
الخاصة بالموسيقا ومصطلحاتها.

[558] (ص) علم الجيّل: فصلان يشتملان على قسم من الفيزياء وعلم
الجرائقال، وموضوعه الضغط ومقارنة السوائل.

(ض) الكيمياء: ثلاثة فصول، تشمل شرح الآلات والأدوات، والأدوية
وموادّها، والتدبيرات وكيفيّات عمل الكيميائيين.

الفهرست

كتاب الفهرست، تأليف محمد بن إسحق النديم، من أهم وأنفس
المؤلّفات العربيّة الباقية إلى عصرنا الحالي. وله نسخ خطيّة لكنّها نادرة، وقد
طُبعت نسخة فلوجل بناء على نسختيّ باريس الخطيتين^(١). وتشتمل النسخة
الأقدم على المقالات الأربع الأولى من مقالات الكتاب العشر. وقد
استُسخنت لديّ سلان أحدث النسختين - كما يقال - في القسطنطينيّة..
اعتماداً على النسختين المودعتين في مكتبة كوبرولوزاده تحت رقمي ١١٣٤
و١١٣٥. وتشتمل قسماً آخر من الكتاب (الفصل الخامس - المقالة الخامسة
وما بعدها). وهناك نسختان خطيّتان في فينا، وهما ناقصتان غير متكاملتين.
وهناك نسخة خطيّة في ليدن.. تشتمل المقالات من السابعة إلى العاشرة
فقط.

(١) (تعليق م.ع): طُبِعَ الكتاب في مصر عام ١٣٤٨هـ = ١٩٢٩م، وفي بيروت عام ١٢٨٨هـ =
١٨٧١م.

وفي ليدن يوجد أيضاً جزءان خطيّان^(١) من كتاب الفهرست.

ويرى اشبرنجر Sprenger أنَّ كتاب الفهرست كان في حقيقته صورة مصغرة لكُتُب إحدى المكتبات العظيمة استناداً إلى ما فيه من ترتيب الموضوعات وجمع الشروح. ولكن بروكلمان^(٢) يرفض هذا الرأي.

[559] وعلى أي حال فإنني لم أصادف في اللغة العربية كتاباً كالفهرست يستحق الإعجاب والمديح، ويشير في نفس الوقت الحسرة والأسف. ويرجع الإعجاب والمديح إلى تمتّع صاحبه بالكمالات والفضائل العظيمة. أما الحسرة والأسف فمرجعهما أنَّ مصادر المعلومات القيّمة التي كانت موجودة في أثناء تحرير الكتاب قد ضاع معظمها.

وهناك مؤلفون ليست في أيدينا الآن غير قطعات صغيرة معدودة من مؤلفاتهم، ونحن نعرف عن ذلك الطريق، ويدوّن مؤلف الفهرس عدداً كبيراً من مؤلفاتهم التي لم نرها. يضاف إلى ذلك أنَّ هناك عدداً كبيراً من المؤلفين الذين لم يسعدهم الحظ كما أسعد هذا العدد المعدود، فلم يعد لهم ذكر، أي أنَّ من عرفناهم من الكتاب والمؤلفين قد عرفناهم في الغالب عن طريق تعليقات الفهرست وحدها.

وفي الصفحات الأولى من معظم المؤلفات العربية والفارسية، استخدم المتأخرون كلمات وعبارات جوفاء، من منطلق البلاغة أو براعة الاستهلال أو رعاية المعنى وبيان الأفكار، وبذلك شوّهوا هذه الصفحات. أما مقدّمة ابن النديم فقد جاءت مختصرة إلى حدٍّ ما، ومفيدة، بل إنها مثال يُحتذى في الاختصار، وتختلف عباراتها عن عبارات الكتب الأخرى المصنوعة، وهذا الاختلاف مقبول إلى حدٍّ أننا نجد في أنفسنا رغبة في ترجمة^(٣) هذه المقدّمة هنا:

(١) مقدمة طبعة فلوجل، ص ١٦-١٩.

(٢) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ج ١ ص ١٤٧: Brockelmann, Gesch.d. Arab. Lit.

(٣) قام براون بترجمة المقدمة إلى الإنجليزية، لكننا هنا نقلناها كما هي بالعربية، وكذلك فعلنا بالنسبة لتلخيص محتويات الكتاب.

«رب يسر برحمتك، النفوس - أطال الله بقاءك - تشرئب إلى النتائج دون المقدمات، وترتاح إلى الغرض المقصود دون التطويل في العبارات، فلذلك اقتصرنا على هذه الكلمات في صدر كتابنا هذا، إذ كانت دالة على ما قصدناه في تأليفه إن شاء الله، فنقول وبالله نستعين، وإيَّاه نسأل الصلاة على جميع أنبيائه وعباده المخلصين في طاعته، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[560] هذا فهرست كُتب جميع الأمم من العرب والعجم الموجود منها بلغة العرب وقلمها في أصناف العلوم، وأخبار مصنفاتها، وطبقات مؤلفيها وأنسابهم، وتاريخ مواليدهم، ومبلغ أعمارهم، وأوقات وفاتهم، وأماكن بلدانهم، ومناقبهم ومثالبهم، منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلثمائة للهجرة (= ٧-٩٨٨م).

وبعد هذه المقدمة يعمد مؤلف كتاب الفهرست مباشرة إلى تلخيص محتويات الكتاب على النحو التالي: «ما يحتوي عليه الكتاب وهو عشر مقالات».

* المقالة الأولى وهي ثلاثة فنون:

الفن الأول: في وصف لغات الأمم من العرب والعجم، ونعوت أقلامها، وأنواع خطوطها وأشكال كتاباتها.

الفن الثاني: في أسماء كتب الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين^(١)، ومذاهب أهلها.

الفن الثالث: في لغة الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وأسماء الكتب المصنفة في علوم وأخبار القراء وأسماء رواتهم والشواذ من قرأتهم.

(١) المقصود بالمسلمين هنا اليهود والنصارى والصابئين، ومعنى الإسلام التسليم بإرادة الله، ولفظ مسلم بالمعنى الأوسع للكلمة يشمل الأتباع الأوفياء لكل نبي يقبل أتباع رسول الإسلام. بهذا كانت تعاليم إبراهيم نفس تعاليم الإسلام. وحين غيَّرت بلقيس ملكة سبأ دينها أسلمت مع سليمان بن داود.

*** المقالة الثانية: وهي ثلاثة فنون في النحويين واللغويين:**

الفن الأول: في ابتداء النحو وأخبار النحويين البصريين وفصحاء الأعراب، وأسماء كتبهم.

الفن الثاني: في أخبار النحويين واللغويين من الكوفيين، وأسماء كتبهم.
[561] الفن الثالث: في ذكر قوم من النحويين خلطوا المذهبين، وأسماء كتبهم.

*** المقالة الثالثة: وهي ثلاثة فنون في الأخبار والآداب والسير والأنساب:**

الفن الأول: في أخبار الإخباريين والرواة والنسّابين وأصحاب السير والأحداث، وأسماء كتبهم.

الفن الثاني: في أخبار الملوك والكتّاب والمترسلين وعمّال الخراج وأصحاب الدواوين، وأسماء كتبهم.

الفن الثالث: في أخبار الندماء والجلساء والمغنيين والصفادمة والصفاعة والمضحكين، وأسماء كتبهم.

*** المقالة الرابعة: وهي فنّان في الشعر والشعراء:**

الفن الأول: في طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين ممن لحق الجاهلية، وصنّاع دواوينهم وأسماء رواتهم.

الفن الثاني: في طبقات شعراء الإسلاميين وشعراء المحدثين إلى عصرنا هذا.

*** المقالة الخامسة: وهي خمسة فنون في الكلام والمتكلمين:**

الفن الأول: في ابتداء أمر الكلام والمتكلمين من المعتزلة والمرجئة، وأسماء كتبهم.

الفن الثاني: في أخبار متكلّمي الشيعة والإمامية والزيدية وغيرهم من الغلاة والإسماعيلية، وأسماء كتبهم.

الفن الثالث: في أخبار متكلّمي المجبرة والحشوية، وأسماء كتبهم.

الفن الرابع: في أخبار متكلمي الخوارج وأصنافهم، وأسماء كتبهم.
الفن الخامس: في أخبار السيّاح والزهاد والعُباد والمتصوّفة والمتكلّمين
على الوسوس والخطرات، وأسماء كتبهم.

[562] * المقالة السادسة: وهي ثمانية فنون في الفقه والفقهاء والمحدثين:

الفن الأول: في أخبار مالك وأصحابه، وأسماء كتبهم.
الفن الثاني: في أخبار أبي حنيفة النعمان وأصحابه، وأسماء كتبهم.
الفن الثالث: في أخبار الإمام الشافعي وأصحابه، وأسماء كتبهم.
الفن الرابع: في أخبار داود وأصحابه، وأسماء كتبهم.
الفن الخامس: في أخبار فقهاء الشيعة، وأسماء كتبهم.
الفن السادس: في أخبار فقهاء أصحاب الحديث والمحدثين، وأسماء كتبهم.
الفن السابع: في أخبار أبي جعفر الطبري وأصحابه، وأسماء كتبهم.
الفن الثامن: في أخبار فقهاء الشراة وأسماء كتبهم.

* المقالة السابعة: وهي ثلاثة فنون في الفلسفة والعلوم القديمة:

الفن الأول: في أخبار الفلاسفة الطبيعيين والمنطقيين، وأسماء كتبهم،
ونقولها وشروحها، والموجود منها، وما ذُكِرَ ولم يوجد، وما وُجِدَ ثم عدم.
الفن الثاني: في أخبار أصحاب التعاليم والمهندسين والارثماطيقين
والموسيقيين والحُساب والمنجّمين وصنّاع الآلات وأصحاب الحيل والحركات.
الفن الثالث: في ابتداء الطبّ وأخبار المتطبّين من القدماء والمحدثين،
وأسماء كتبهم ونقولها وتفاسيرها.

* المقالة الثامنة: وهي ثلاثة فنون في الأسمار والخرافات والعزائم والسحر
والشعوذة:

الفن الأول: في أخبار المسامرين والمخرّفين والمصوّرين، وأسماء الكتب
المصنّفة في الأسمار والخرافات.

الفن الثاني: في أخبار المعزّمين والمشعبذين^(١) والسحرة، وأسماء كتبهم.
الفن الثالث: في الكتب المصنّقة في معاني شتى لا يُعرف مصنّفوها ولا مؤلّفوها.

[563] * المقالة التاسعة: وهي فنان في المذاهب والاعتقادات:

الفن الأول: في وصف مذاهب الحرائية والكلدانيين المعروفين في عصرنا بالصابئة، ومذاهب الثنوية من المنائية والديصانية والخرميّة والمريقيونية والمزدكية وغيرهم، وأسماء كتبهم.

الفن الثاني: في وصف المذاهب الغريبة الطريفة كمذاهب الهند والصين وغيرهم من أجناس الأمم.

* المقالة العاشرة: تحتوي أخبار الكيميائيين والصنعويين من الفلاسفة القدماء والمحدثين، وأسماء كتبهم.

يضاف إلى هذه الكتب الثلاثة كتاب أكثر قِدماً هو كتاب «المعارف» لابن قتيبة^(٢) (توفي حوالي عام ٢٧٦هـ=٨٨٩م) وقد نُشِرَ متن هذا الكتاب في جوتينجن Gottingen عام ١٢٦٧هـ=١٨٥٠م نتيجة جهود ووستنفلد. وهو يبرز في جلاء كُلِّ الكتاب الذين يُقال إن قُرَاءَ مؤلّفاتهم كثيرون نسياء، ويشير إلى المعلومات الواجب معرفتها في مجال التاريخ وترجمة أحوال الرجال.

ويبحث مؤلّف هذا الكتاب في الموضوعات التالية:

بداية الخلق (مبتدأ الخلق أو مبدأ الخلق) [ص ٦-١٠]: التاريخ المقدّس، وشرح مختصر عن رؤساء الأمم، وزعماء الأديان والرسل (ولا يشمل البحث في هذا الفصل من ورد ذكرهم في توراة العهد القديم فحسب... بل ويشمل آخرين أمثال هود وصالح ممّن وردت أسماؤهم في القرآن)، والمسيح [ص ١٠-٢٦]: التاريخ غير الديني، وتاريخ تقسيمات السلالات البشرية،

(١) هكذا ورد الاسم في النص العربي، وهو ما نعرفه بالمشعوذين.

(٢) (تعليق م.ع): من مؤلفات ابن قتيبة (عبدالله بن مسلم) كتاب بعنوان «عيون الأخبار» طبع في مصر عام ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م.

وأسماء العرب المؤمنين قبل بعثة الرسول الكريم، وأنساب العرب [ص ٢٨-٥٦]؛ أسرة النبوة^(١) والأقرباء وأهل البيت والأطفال والمقرئين والخيل^(٢)، وتاريخ البعثة والمغازي والفتوح، ورحلة الرسول [ص ٥٦-٨٣]؛ [564] أخبار الخلفاء الراشدين الأربعة [ص ٨٣-١٠٦]؛ أخبار أولاد علي بن أبي طالب، والزيير وطلحة وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وسائر المتقدمين من المسلمين ذوي المقام السامي والقدر العالي.

وفي النهاية صورة مختصرة للمناقين [ص ١٠٦-١٧٤]؛ تاريخ بني أمية والخلفاء العباسيين حتى المعتمد، أي حتى زمان المؤلف [ص ١٧٥-٢٠٠]؛ تراجم السياسيين والحكام والقادة المشهورين في الإمبراطورية الإسلامية، ومشاهير المتمردين^(٣) [ص ٢٠١-٢١٥]؛ شرح حياة التابعين أو خلفاء أصحاب الرسول [ص ٢١٦-٢٤٨]؛ تراجم أحوال العلماء الأعلام وكبار مدرّسي الإسلام، ومؤسّسي وقادة المذاهب الإسلامية المهمة^(٤)، والمحدثين وقراء القرآن^(٥)، والنسّابين والمؤرّخين^(٦) والنحويين ورواة الشعر، وغيرهم^(٧)، وذكر المساجد المهمة، وفتوحات المسلمين الأولى، وسائر المسائل المتعلقة بذلك، وأهم مواضع ظهور الطاعون [ص ٢٤٨-٢٩٣]^(٨)؛ ذكر أيام العرب الكبرى (الحروب المشهورة)^(٩)، شرح حياة الأشخاص الذين صارت أسماؤهم مضرب المثل بين العرب، البحث في دياناتهم قبل

(١) تعليق المترجم: «نسب أشرف الخلق».

(٢) تعليق المترجم: «خيله ومراكبه».

(٣) تعليق المترجم: «المشهورون من الأشراف».

(٤) تعليق المترجم: «أصحاب الرأي وهم الأئمة المجتهدون».

(٥) تعليق المترجم: «أصحاب القراءات وقراء الألحان».

(٦) تعليق المترجم: «النسّابون وأصحاب الأخبار».

(٧) تعليق المترجم: «رواة الشعر وأصحاب الغريب والنحو».

(٨) «ذكر الطواعين وأوقاتها»، وقد جرى هنا الحديث ضمناً عن المعيوين والمبروصين والعُرج والصُم وغيرهم.

(٩) «ذكر الأيام المشهورة في الجاهلية».

الإسلام، البحث في الفرق الإسلامية المختلفة، وسبب تسمية عدّة أقوام وأمم، وكيف امتلكوا هذه الأسماء (كالأكراد واليهود مثلاً) [ص ٢٩٣-٣٠٤]، وكتاب الملوك: ملوك اليمن والشام (الغسانيون) والحيرة وإيران... من عهد جمشيد حتى نهاية الأسرة الساسانية [ص ٣٠٤-٣٣٠].

[565] وهذه الموضوعات تبين كم يلزم طلاب الأدب الإسلامي من معلومات ودراسات واسعة حتى يمكنهم أن يدركوا إدراكاً كاملاً كلّ الإشارات والتلميحات الواردة حتّى في أشعار الشعراء وبخاصّة شعراء عصر الخلافة السعيد، ويمكنهم تقويم ذلك كلّ.

وفضلاً عن المعلومات العامّة والإحاطة النامّة باللغة (سواء العربيّة أو الفارسيّة) باعتبارها وسيلة البيان والإيضاح فإنّه لكي يتمكّن باحث العلم من الاستمتاع والتلذذ إلى أبعد حدّ بأشعار هذه الشعوب عليه أن يعرف قسطاً من المعلومات الفنيّة، ومن بينها العروض والنحو وعلم المعاني والبيان وعلم البديع - بنسبة أكبر - ليستطيع على الفور تعيين المجاز والتشبيه، والاستعارة والكناية، والمبالغة والمقابلة أو التضاد، والاقتراس أو الاستشهاد، والتعليل والتجنيس والتخييل (الإيهام)، والتحريف والقلب، ونظائرها، خاصّة ما يصادفه كل لحظة في القصائد أو المدائح... ليتمكن أن يقوم هذه الفنون. ونحن نعرف أن أكثر شعراء إيران المتقدّمين قد أنفقوا القسم الأكبر من قوّتهم وقريحتهم واستعدادهم الذاتي في مثل هذه القصائد والمدائح، لأن معظمهم كانوا شعراء بلاط لا ينظمون الشعر من أجل العامّة. لقد كانوا ينظمونه في الثناء على الممدوح وشكره، ويوفّرون أمور معاشهم مُعتمدين على سخاء ولي نعمتهم وكرمه. لهذا السبب نجد أنّ ناظمي القصيدة أمثال العنصري^(١)

(١) (تعليق م.ع): أبو القاسم الحسن بن أحمد العنصري. وُلِدَ عام ٣٥٠هـ = ٩٦١م، وصار ملكاً للشعراء في عهد محمود الغزنوي. انظر في ترجمته: ٣٥٠٠ عام من عمر إيران، ص ٣٧٧-٣٨٠.

والفرّخي^(١) والخاقاني^(٢) والأنوري^(٣) وظهير الفاريابي^(٤) وغيرهم ممن

- (١) (تعلق م.ع): أبو الحسن السجزي المتخلص بالفرّخي، تلميذ العنصري وأحد شعراء بلاط محمود. يعتبره الدارسون بمثابة المتنبي بين العرب. بدأ مزارعاً ثم شاعراً وموسيقياً. طبع ديوانه في طهران عام ١٣٦٥هـ. ش. انظر في ترجمته: ٣٥٠٠ عام من عمر إيران، ج ١ ص ٣٩٤ و ٣٩٥.
- (٢) (تعلق م.ع): هو أفضل الدين بديل (ويقال إبراهيم) بن علي الخاقاني، كان يتخلص بحقائقي قبل تخلصه بالخاقاني. ولد في گنجه ودرس العربية والطب والنجوم والفلسفة، وتلمذ على أبي العلاء الكنجوي في الشعر ثم هجاء وتناول عليه. عمل لدى منوچهر شروان شاه وابنه اختسان الذي حبسه خمسين سنة نتيجة الرشايات. وفي محبسه نظم الخاقاني العديد من الحبسيات. انظر في ترجمته: تاريخ الأدب في إيران، ج ٢ (تعريب الشواربي) ص ٤٩٥؛ تاريخ أدبيات إيران (تعريب) ص ٩٤، ١٦٢؛ دانشمندان آذربيجان لمحمد علي ترييت، ص ١٢٩-١٣٢؛ ديوان خاقاني، نشر على عبدالرسول، تهران ١٣١٦هـ. ش؛ شعر العجم، ص ١٦٧؛ سبك شناسي، ص ١٦٦؛ السلاجقة في التاريخ والحضارة لأحمد كمال، ص ٣٥٩-٣٦١.
- (٣) (تعلق م.ع): هو علي بن أوحّد محمد بن إسحق المتخلص بالأنوري. ولد عام ٤٩٢هـ = ١٠٩٩م، وتعلّم الكثير قبل أن يشتغل بالشعر إلى جوار اهتمامه بالعلم. ارتفع شأنه في بلاط سنجر السلجوقي وصار مادحه وهاجي أعدائه. مدح الكثيرين وتعرض للكثير من الأحداث. مات في بلخ عام ٥٦٥هـ = ١١٦٩م على الأرجح عن عمر يناهز الثالثة والسبعين. انظر في ترجمته: بحثي بعنوان «الأنوري: عصره وبيته وشعره» (رسالة دكتوراه - ١٩٧١م = ١٣٩١هـ). تاريخ أدبيات إيران، طبع ١٣٢١هـ. ش، ص ١٧٦؛ شعر العجم، طبع تهران، ص ١٩٤؛ لباب الألباب، ص ٣٣٤؛ مقدمة سعيد نفيسي على ديوان الأنوري، طبع طهران؛ مجمع الفصحاء، ص ١٥٢؛ گلستان سعدي (تعلق ميرزا عبدالعظيم جرجاني)، ص ٢٢٧، طبع تهران ١٣١٠هـ. ش؛ تذكرة الشعراء، ص ٤٢، طبع بمبای؛ بهارستان للجامي، طبع فينا ١٨٤٥م = ١٢٦٢هـ، ص ٩١-٩٣؛ حبيب السير لخواند مير، ج ٢؛ شعر العجم لشبلي النعماني، ص ١٩٥؛ شرح مشكلات ديوان أنوري، صفحات متفرقة؛ هفت اقليم للرازي، كلكتة، ص ٣٦، ٣٧؛ تاريخ گزيده، ص ٤٧٤؛ رياض العارفين، ص ٢٨٦؛ نزهة القلوب لحمدالله، طبع جيب، ص ٧٨؛ تاريخ الأدب في إيران، ج ٢ (تعريب الشواربي)، ص ٤٦٢-٤٩٤.
- (٤) (تعلق م.ع): ظهير الفاريابي: اسمه أبو الفضل طاهر بن محمد ظهير الدين الفاريابي. ولد في قصبة فارياب بلخ عام ٥٦٢هـ = ١١٥٦م تقريباً. تعلّم العربية وعلومها وآدابها وشعرها، واشتهر بالمدح لمن يعطيه وبالهجاء لمن لا يعطيه. كان دائم الفخر بنفسه. اشتهر ديوانه كثيراً، وطبع على الحجر في لکنو عام ١٢٩٧هـ = ١٨٨٩م. فضل البعض أشعاره على أشعار الأنوري، وقال آخرون عكس ذلك. ويرى البعض أن أفضل قصائده هي التي عارض بها قصائد الأنوري وخاقاني. وقد كفّ عن قول الشعر في نهاية حياته ولجأ إلى التعبّد، ومات في عام ٩٥٨هـ = ١٢٠١م. انظر في ترجمته: تذكرة الشعراء، ص ١٠٩ - ١١٤؛ تاريخ أدبيات إيران (تعريب)، ص ١١٣؛ شعر العجم، ص ١٦٧؛ تاريخ الأدب في إيران، ج ٢ ص ٥٣٩؛ سبك شناسي، ص ١٦٦؛ ديوان ظهير الدين الفاريابي، طبع لکنو، ص ١١٦؛ السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص ٣٦١، ٣٦٢.

يُعدُّون في نظر الإيرانيين من أكبر شعراء إيران وأعظمهم.. لا يدخلون قطُّ قلوبَ القراء الأوروبيين ولا يحظون بحبِّهم مهما بذل المترجمون من أستاذية ومهارة في ترجمة أعمالهم. ولكن حين تذكر أشعار شعراء الحماسة والبطولة أمثال الفردوسي^(١)، أو المتغزلين أمثال حافظ^(٢)، أو ناظمي الأشعار الخُلُقِيَّة وأشعار الحكمة أمثال السعدي^(٣) وناصر خسرو^(٤)، أو ناظمي أشعار العرفان كالعطَّار^(٥) وجلال الدين الرومي^(٦) أو الهجائيين كعبيد

(١) (تعليق م.ع): الفردوسي: أبو القاسم منصور بن حسن بن إسحق بن شرفشاه، هو ناظم الشاهنامة (ملحمة الفرس الخالدة). وُلِدَ في باز ناحية طبران طوس. تعلم العربية والبلهوية وأحاط بأديبهما. كان ديمقانياً ميسور الحال ينظم الشعر متغنياً في حبِّ بلاده. قضى ٢٥ سنة أو ثلاثين في نظم الشاهنامة ولم ينل من السلطان محمود الغزنوي جزاء مُرضياً عندما قدَّمها له. وله إلى جانب الشاهنامة أكثر من عمل أدبي.

انظر في ترجمته: سيد حسن سادات ناصري: فردوسي وشاهنامة، مجله هنر ومردم، ١٣٥٤هـ. ش، ص ٥٧، أحمد كمال: فروغي وشاهنامة الفردوسي، مجلة الشعر، العدد ١٩ سنة ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م، ص ٧٢ و ٧٣؛ إحسان إشرافي: شاهنامة از دیدگاه وحدت ملی، مجله هنر ومردم ١٣٥٤هـ. ش، ص ٨٠؛ ٣٥٠٠ عام من عمر إيران، ج ١ ص ٣٨٧-٣٨٨؛ مهدي ضروري: جو سياسي واجتماعي إيران هنگام ظهور فردوسي وخلق شاهنامة، مجله هنر ومردم ١٣٥٤هـ. ش؛ السلطان والشاعر والشاهنامة، مقال لأحمد كمال، مجلة البيان، العدد ١٧٤، الكويت ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م؛ دراسات ومختارات فارسية لعدد من الأساتذة المصريين، دار الرائد العربي ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م؛ تاريخ سيستان، طبع كلاله خاور، عام ١٣١٤هـ. ش.

(٢) (تعليق م.ع): ارجع في ترجمة حافظ الشيرازي إلى: أغاني شيراز للشواربي، القاهرة ١٣٦٣، ١٣٦٧هـ = ١٩٤٣، ١٩٤٧م؛ حافظ الشيرازي: شاعر الغناء والغزل في إيران للشواربي، طبع دار المعارف ١٣٦٤هـ = ١٩٤٤م؛ تذكرة الشعراء، ليدن، ص ٣٠٢؛ بهارستان للجامي (تعريب أحمد كمال)، ص ٣٠١-٣٠٣؛ تاريخ الأدب في إيران، ج ٢ (ترجمة الشواربي)، ص ٦٨٢-٦٨٦؛ تاريخ الأدب في إيران، ج ٣ (ترجمة علي أصغر حكمت للفرسية)، ص ٢٩٨-٣٤٢.

(٣) (تعليق م.ع): انظر في ترجمة سعدي الشيرازي: كليات سعدي، طبع بمباي؛ تذكرة الشعراء، ليدن؛ تاريخ الأدب في إيران، ج ٢، ص ٦٦٧-٦٨٦.

(٤) (تعليق م.ع): سبق أن تحدثنا عن ناصر خسرو وذكرنا المراجع التي تحكي سيرته.

(٥) (تعليق م.ع): فريد الدين محمد العطَّار، أحد كبار الأئمة المتحدثين في مذهب العرفان. وُلِدَ في نيسابور في أواسط القرن السادس الهجري. ألَّفَ الكثير من الكتب الثرية والشعرية ولكن ضاع معظمها. لمعرفة الكثير عن حياته ومؤلفاته انظر: تاريخ أدبيات إيران، تاريخ الأدب في إيران، ج ٢ (ترجمة)؛ السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص ٣٦٨، ٣٦٩.

(٦) (تعليق م.ع): جلال الدين الرومي، أشهر شعراء الصوفية وصاحب «المثنوي» العظيم. وُلِدَ في بلخ عام ٦٠٤هـ = ١٢٠٧م. من أشهر أعماله - إلى جانب المثنوي - ديوان شمس تبريز. انظر في ترجمته: تاريخ الأدب في إيران، ج ٢ (ترجمة) ص ٦٥٤-٦٦٧.

زاكان^(١)، أو الشعراء الشكاكين أمثال الخيام^(٢)، فإن الأوروبيين ينجذبون [566] إليها، لأنَّ كلَّ شاعر من الشعراء المذكورين يشقُّ طريقه إلى القلوب بطريقة مختلفة، ويجد قدراً مشتركاً من القبول في كلِّ قلب بشري يحلُّ به.

وعلى الرغم من أنَّ جلادوين وروكوت وبلوخمان^(٣) وسائر العلماء قد خلَّفوا من بعدهم آثاراً نفيسة في ميادين العروض والمعاني والبيان في اللغة الفارسية، إلا أنَّه لو لم يكتب فقيدنا «جيب»^(٤) مقدمته المسهبة للمجلد الأول من كتابه العظيم حول تاريخ الشعر العثماني، تلك المقدمة التي تكشف عن أستاذيته، لكنت قد أدت الحديث بتفصيل أكبر حول هذه الموضوعات. لقد عاجلته المنية في الخامس من ديسمبر عام ١٩٠١م (١٣١٩هـ) بعد فترة قصيرة من المرض، وكان قد بلغ الرابعة والأربعين من عمره. ويُعدُّ فقدُه خسارة لا تُحَدُّ في عالم الاستشراق. لقد جمعنا لندن منذ عشرين عاماً تقريباً، واشتغلنا معاً بدراسة الفارسيَّة والتركِّيَّة. وكنا في زمرة بعض الدارسين المسلمين الأذكياء، ومعظمهم من الإيرانيين. وكان من جملة هؤلاء واحدٌ من أهل فارس يُدعى ميرزا محمد باقر بواناتي. وقد حاولت أن أحلِّل شخصيَّة هذا

(١) (تعليق م.ع): عيد الزاكاني من أشهر شعراء التهكم بين الفرس. نُشرت جملة منتخبة من آثاره المنظومة والمنثورة في القسطنطينية عام ١٣٠٣هـ = ١٨٨٥م. ومن أشهر منظوماته مثنويَّة «الفار والقط». وقد تُوفي عيد في عام ٧٧٢هـ = ١٣٧٠م تقريباً.

انظر في ترجمته: تاريخ الأدب في إيران، ج٢ (ترجمة)، ص ٩٢، ٩٧.

(٢) انظر في ترجمته:

عمر الخيام: عصرا وبيئة ونتاجا لأحمد كمال، عمر الخيام الحكيم الرياضي الفلكي النيشابوري لأحمد حامد الصراف، بغداد ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م؛ رباعيات عمر الخيام لأحمد الصافي النجفي، المكتبة العصرية، بيروت؛ مقال «بين المعري والخيام» لأحمد كمال، مجلة الشعر، العدد ١٧، عام ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م؛ تاريخ الأدب في إيران، ج٢، مصر ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م؛ كشف اللثام عن رباعيات الخيام لمبشر الطرازي، طبع القاهرة؛ ثورة الخيام لعبدالحق فاضل، القاهرة ١٣٧٢هـ = ١٩٥١م.

. Gladwin, Rückert, Blochmann

(٣)

E.J.W. Gibb. History of Ottoman Poetry. London. Luzac & Co. 1900.

(٤)

الرجل في كتاب لي اسمه «عام بين الإيرانيين»^(١) - نشر في لندن عام ١٨٩٣م=١٣١١هـ - فقد كانت عقليته وقوة ابتكاره ترجح الجميع ولا شك. ومنذ ذلك التاريخ وحتى وفاة جيب كنت على صلة دائمة به، وكانت الساعات التي قضيتها معه في مكتبه في لندن من أمتع ساعات حياتي وأكثرها فائدة. وقد أسندت إليّ في الشهور الأخيرة مهمة محزنة، وهي فحص كتب [567] جيب ونسخه الخطيّة وأوراقه وتحقيقها. وكان عليّ أن أجمع كتبه النفيسة النادرة التي توصّل إليها بفضل جديته ودأبه وتفحصه وتفرضه في ممالك الشرق. كما كان عليّ أن أنظّم الأجزاء التي لم تطبع من مؤلفاته العظيمة التي كان قد وقف عمره عليها. وحتى الآن لم يطبع سوى المجلد الأول من كتاب له رأيت فيه كتاباً سامياً عالي القدر، ولو لم تتح لي الفرصة على هذا النحو للوقوف على ماهية أعماله لما أدركت مطلقاً مدى العناء الذي ألزم به نفسه، وما عرفت عدد الكتب التي قرأها، وما وقفت على فضائله العلميّة وآرائه المتّزنة. ولو أنّي تمكّنت يوماً أن أنجز كتاباً في الشعر الفارسي، يشتمل نصف المحسّنات التي جاء بها جيب في كتابه النفيس الذي كتبه في الشعر التركي لعمني السرور. إنّ على من يريد دراسة الآداب الإسلامية أن يقرأ مقدمة هذا الكتاب العظيم على أقل تقدير.

A year Among the Persians (London: A. & C. Black, 1893).

(١)

الفصل الثاني عشر

الحركات المذهبية في هذا العصر

١ - الإسماعيلية والقرامطة
(أو الإمامة السبعية)

[568] الفصل الثاني عشر

الحركات المذهبية في هذا العصر

١ - الإسماعيلية والقرامطة (أو الإمامة السبعية)

لقد تحدثنا من قبل بالتفصيل حول مسلك الشيعة - أتباع علي بن أبي طالب - المذهبي والسياسي، وذكرنا الأسباب التي جعلت للتشيع أهمية في حياة الإيرانيين بصفة خاصة. وفي هذا الفصل علينا أن نتناول بدقة أحد تطورات هذا المذهب. وهو وإن تكن أهميته قد قلت اليوم إلا أنه لعب دوراً مهماً في تاريخ العالم الإسلامي حتى حملة المغول في القرن الثالث عشر الميلادي؛ بناءً على هذا فإننا مضطرون إلى الإشارة إلى هذا الموضوع ثانية في الصفحات التالية:

يتفق أهل التشيع - بصفة عامة - على تكريم علي بن أبي طالب وإجلاله: ورفض خلافة أسلافه الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان، والاعتقاد في ولاية الأئمة من نسل علي. ويعتبرون إمامة آل علي من الهبات الإلهية الخارقة. ويعتقدون أن هداية أمة الرسول وقيادتها قد فوضها الله للأئمة، وأن علي المؤمنين أن يكونوا راسخي العقيدة فيما يتعلق بالولاية الحققة لأسرة علي التي هي ولاية مباشرة من قبل الله، لا أن يقولوا إن انتخاب الخليفة يلزمه إجماع الأمة كي يتم، وهكذا يُساند الشيعة - بصفة إجمالية - مبدأ الحق السماوي، ويعارضون به مبدأ الانتخاب على الطريقة الديمقراطية.

وكما لاحظنا، فإن معظم الشيعة - وبخاصة في إيران - يعطون أهمية كبيرة لشيئين:

الشيء الأول: أن كل الأئمة بعد علي بن أبي طالب (ابن عم الرسول) كانوا من ذرية فاطمة الزهراء (بنت رسول الله)، ومن أحفاد وأعقاب الرسول مباشرة.

[569] الشيء الثاني: أنَّ كلَّ الأئمة بعد الحسين بن علي (الإمام الثالث) ينتسبون إلى الساسانيين أي إلى أسرة ملوك إيران القدامى (من ١٩٥ - ٢٠٩ من نفس الكتاب).

والمتنمون لفرق الشيعة الأخرى (الكيسانية والزيدية) ليسوا أحفاد الحسن (المجتبي) أخي الحسين بن علي فحسب، بل أحفاد محمد بن الحنفية (الأخ غير الشقيق للحسين من أم أخرى)، ولم يكونوا من فاطمة الزهراء وسيط الرسول^(١). وقد كانوا يعترفون بالإمامة (لم يكن الأئمة المذكورون يُنسبون للأسرة الساسانية).

ولم تسيطر هذه الفرق إلا على «طبرستان» من بين كلِّ ولايات إيران (كما لوحظ فإن سلسلة الأئمة الزيدية قد ازدهرت في طبرستان وحدها منذ عام ٢٥٠ هـ - ٨٦٤ م وحتى ٣١٦ هـ ٩٢٨ م، لذا فإنه لا لزوم لمنح تلك الفرق اهتماما أكبر. ويجب أن نولي أكبر قسط من اهتمامنا إلى الإمامية وشعبتها الكبيرتين، أي الإثني عشرية والسبعية. والإثني عشرية هي الشائعة اليوم في إيران. وسوف نبحت في أمور السبعية أو الإسماعيلية بشعبها المختلفة ومن جملتها الحشاشين (الذين أطلق عليهم معارضوهم في إيران - بصفة عامة - «الملاحدة»).

كان الإمام الرابع ومن تلاه من الأئمة في كل فرقة من الفرقتين المذكورتين اللتين هما من فرق التشيع المهمة.. من أحفاد الحسين بن علي. وكما تأكد لنا من قبل فإنهم كانوا - في نظر أتباعهم - موضع الاحترام لسببين: أولهما: تمثيلهم لبيت الرسالة في البلاد العربية.

وثانيهما: أنَّ أرومتهم تعود إلى أسرة ملوك إيران.

وفيما يتعلّق بالإمام جعفر الصادق - حفيد الحسين بن علي - الذي مات

(١) يقول رشيد الدين فضل الله في كتابه المسمّى جامع التواريخ في القسم المتعلّق بالإسماعيلية: «في زمن أبي مسلم كان ادّعاء، أحفاد علي الأحقية في الخلافة قائما على شرف نسبهم، لأنهم كانوا من ذرية فاطمة الزهراء».

عام ١٤٨هـ - ٧٦٥م.. هناك اتفاق بين الإمامية السبعية والإمامية الإثني عشرية، غير أن توافقهم ينقطع في نفس المكان. لقد اختار الإمام جعفر الصادق ابنه الأرشد إسماعيل أولاً ليحلّ محله ويخلفه، لكنّه غضب عليه [570] فيما بعد، وألغى حكمه، واختار للإمامة أحد أبنائه الآخرين وهو موسى الكاظم (الإمام السابع في الفرقة الإثني عشرية) لأنّ إسماعيل قد شوهد - كما يقال - في حالة سكر^(١). والاعتقاد السائد هو أن إسماعيل قد مات في حياة والده، ولكي لا يشكّ أحدٌ في الأمر ترك جسده معروضاً ليراه عامة الناس. لكن بعض الشيعة لم يخضعوا لهذا التغيير، وظلّوا على وفاتهم لإسماعيل، وقالوا إنّ إمامته غير قابلة للإلغاء، وإنّه إذا كان قد شرب الخمر الحقيقية فقد تعمّد ذلك ليحقّق هدفاً سامياً، وهو أن يثبت أن الشراب الذي نهى عنه الرسول هو الغرور الذي يستولي على الروح، فيتسبب في ظهور أمثال تلك الحالة. لقد استعملت تلك الكلمة مجازاً، والمقصود هو السكر بخمر الكبر والغرور. وتخفي جرثومة التأويل في هذا الرأي نفسه، تلك الجرثومة التي بسطتها فرقة الإسماعيلية فيما بعد، وتوسّعت فيها فانتشرت إلى حدٍ بعيد.

وعلى الرغم من الخلافات التي نشبت بين الإسماعيلية بعد موت إسماعيل، فإن الفرقة التي أطلقت اسمه على نفسها لم تزل من الوجود بموته. وقد رأى البعض أنه لم يمت في الحقيقة، وإنه سيعود، بينما ادّعى آخرون أن موته في حياة أبيه يعني أنه لم يصل قط - في الحقيقة - إلى الإمامة، وأن السبب في اختياره لذلك المقام هو أن تكون الإمامة من نصيب ولده محمد. ونتيجة لذلك، فإنهم يرون أنّ محمداً هو الإمام السابع وخاتم الأئمة والإمام الكامل. بينما يوحد عدد آخر منهم بين إسماعيل وابنه محمد، ويقولون: أنّ محمداً هو نفسه إسماعيل الذي عاد، أو أنّ إسماعيل قد حلّ في جسم محمد وظهر مرّة أخرى.

(١) وردت هذه المسألة بدورها في جامع التواريخ.

[571] وعلى أي حال، فقد يكون دو ساسي مصيباً في حدسه^(١) . . . مصيباً في أنه حتى ظهور عبد الله بن ميمون القداح (في حدود عام ٢٦٠هـ^(٢)) - ٨٧٣ - ٨٧٤م) كانت فرقة الإسماعيلية - بصورة بحثة - إحدى فرق الشيعة العادية. وكان الفرق بينها وبين سائر الفرق هو أنها كانت تعتبر محمد بن إسماعيل آخر إمام، وأنها نادى بمبدأ التأويل، ذلك المبدأ الذي يُعتبر محمد نفسه - أوجده جعفر الصادق - مبدعه ومبتكره. وإيران هي مصدر النبوغ الذي حرّك هذه الفرقة لأول مرة، وهي التي كانت معروفة بكونها قليلة القيمة نسبياً. وإيران أيضاً هي التي سببت تمتع هذه الفرقة بكل هذا النفوذ وتلك القوة خلال أربعة قرون تقريباً.

ولو أردتني أن أفصل لك ماجرى، فمن الأفضل أن أنقل لك كلمات العالمين الهولنديين الكبيرين وأعني بهما دوخويه ودوزي:

يقول دوخويه^(٣): كان النفور الشديد من العرب والإسلام سبباً في أن يفكر عبد الله بن ميمون القداح - في أواسط القرن الثالث الهجري - وأن يعمد إلى التخطيط والتدبير. كان عبد الله يعمل كحالاً، وكان من أصل إيراني. وكانت خطته عجيبة لسبيين:

الأول: ما يُشاهد فيها من جرأة ونبوغ.

والثاني: أنها نُفذت بروية وسكينة وجِد في العمل.

«وكانت الخطّة^(٤) أن يجمع بين الغالب والمغلوب في جماعة واحدة،

(١) Sylvestre de Sacy, Exposé de la Religion de Druzes (Paris, 1838). Vol. i.p. lxxll.

(٢) الفهرست لابن النديم، ص ١٨٧.

(٣) تعليقات دوخويه حول القرامطة، طبع ليدن، ١٣٠٤ هـ = ١٨٨٦ م.

M.J de Goeje, Mémoire sur Les Carmathes, Leyden, 1886.

(٤) نقل دوخويه هذه الكلمات عن دوزي.

انظر: تاريخ المسلمين الأسبان، تأليف دوزي، ج ٢ ص ٨ فما بعدها.

(Histoire des Musulmans de L'Espagne)

وأن يعقد جمعية سرية. وللدخول في تلك الجمعية يُشترط عدة مزايا، فالرجال الذين يدخلونها لابد أن يكونوا متمتعين بالتحريّر الفكري أو [572] يكونوا من الملحدين الذين يعتبرون الدين مجرد وسيلة لإلجام عوام الناس وإسكاتهم. ولابدّ من جهة أخرى أن يتجمّع كل متعصبي الفرق المذهبية في تلك الجمعية.. ليتمكن من لا إيمان لديهم من السيطرة والسيادة، وممارسة حكم أصحاب الإيمان، ولتسقط الإمبراطوريات التي بناها الفاتحون في يد الفاتحين أنفسهم. وهكذا يشكّل عبد الله لنفسه حزباً يتربى فيه عددٌ كبيرٌ من الأعضاء المستضعفين والمطيعين والمنضبطين ليتمكن عن طريقهم - عند الضرورة أن يأخذ التاج والعرش، فإن لم يتحقّق له ذلك فلا أقل من أن يتشبّثوا بالتاج والعرش لأولاده وأحفاده. لقد رسخت هذه العقيدة في ذهنه، وعلى الرغم من أنّ الفكرة كانت مضحكة ومحيرة وجسورة ووقحة فقد نُفّذت وطُبّقت بمهارة وحنكة، ودراية عميقة بضمائر وقلوب أبناء البشر^(١).

«ولكي يبلغ عبدالله هدفه جمع الوسائل واختار الأسباب. ولو شئتُ أن نكون منصفين في حديثنا عن تلك التمهيدات لوجب أن نعتبرها من أعمال الشياطين. لقد اعتمد (أتباعه) فيها تماماً على نقاط الضعف عند الناس، فتحدّثوا مع المؤمنين عن العفة والتقوى. وإذا قلنا إنهم لم يجيزوا قانون النقض والهدم للأفراد الذين لا يبالون ويهملون ولا يتقيّدون فإنّنا يمكننا أن نقول: إنهم أطلقوا لهم الحريات. ودخلوا من باب الفلسفة مع من يمتلكون قوى دفاعية قويّة، ودخلوا مع المتعصبين عن طريق العرفان والأمل في فضل الله الكريم ورحمته. وتناقشوا مع العوام عن طريق العجائب والغرائب. وحدثوا اليهود عن المسيح، والمسيحيين عن روح القدس، والمسلمين عن المهدي. وسلكوا الطريق الفلسفي في الإلهيات مع الإيرانيين والسرانيين

(١) إلى هنا انتهى الاستشهاد عن دوزي، أما بقية الموضوع فمن إنشاء دوكويه.

عبدة الأوثان واللادينين. ولقد أدوا هذه الأمور بعزم راسخ وفكر هادئ [573] على نحو يثير الإعجاب، ولو استطعنا أن ننسى هدفهم فإن من حقهم أن نتحدث عنهم وتكيل لهم المديح^(١).

وانتقادي الوحيد الذي أوجَّهه إلى هذا الوصف البين في حقَّ الاسماعيلية هو أنه لم يراعِ العدالة بالنسبة لجماعة استطاعت بفضل قوَّة مساعي أفرادها أن تبلغ العقائد المذكورة على الرغم من وجود الأخطار والصعاب، فلا أقل من أن يكون إخلاص دعائها وإنكارهم لذاتهم موضع التفريط والمديح. وهنا لا يمكنني أن أمتنع نفسي من نقل عبارة وردت في كتاب رينه دوسو عند حديثه حول تاريخ النصيريين ومذهبهم، ذلك الكتاب الذي نشره أخيراً في باريس (عام ١٩٠٠م)^(٢) = (١٣١٨هـ).

«ورينه دوسو» هو أحد الأوروبيين الذين اهتموا - وفق تصوُّري - بالنقاط الجيدة المتعلقة بهذه الفرقة العجيبة، وهو مثال للأوروبيين النادرين الذين يعدُّون على الأصابع.

(١) تعليق المترجم: في رأي تقي زاده أن ما كتب حول الإسماعيلية غير دقيق، ولا يخلو من الخدوش، وتقوم وجهة نظره على ما يلي:
«أولاً لم يكن عمر موسى الكاظم حين وفاة إسماعيل قد تجاوز السابعة عشرة، وكان محمد بن إسماعيل أكبر في السن بكثير من ابن أخيه هذا، حتى يقال إن العم كان أكبر من ابن الأخ بأربعين سنة، وإن كان في ذلك مبالغة، لأنَّ موسى قد ولد عام ١٢٨هـ - ٧٤٥م وجعفر الصادق قد ولد عام ٨٠هـ = ٦٩٩م، وكان عبدالله بن ميمون القُداح من أصحاب الإمام جعفر المتوفى عام ١٤٨هـ - ٧٦٥م، وأبوه الميمون من أصحاب محمد الباقر، ولذا لا يمكن أن يكون قد ظهر عام ٢٦٠هـ = ٨٧٣م وإيرانية القُداح بدورها غير معروفة. وبعض المصادر تنسبه إلى قبائل عربية. وكلُّ ما كتبه دوزي ودوخويه وغيرهما ضعيف في مجمله. والنصيرية ليسوا من الإسماعيلية أصلاً، ويمكن كتابة عدَّة صفحات في نقائصهم ومعاييرهم. وما نسب إليهم من ألعيب وحيل ليس صحيحاً؛ فقد كانت هذه الجماعة مؤمنة خالصة الإيمان. وعلى أي حال فإنَّ بيان حقيقة الموضوع بسيط للغاية، كما أنَّه لا يمكن التصرُّف في ترجمة الكتاب.

(٢) René Dussaud, Histoire et Religion des Nosairis (Paris, 1900)

(تعليق م.ع): اسم الكتاب بالعربية: «تاريخ النصيرية ومذهبهم».. وقد طبع في باريس عام ١٩٠٠ م = ١٣١٨هـ.

يقول رينه دوسو (في صفحة ٤٩ من كتابه):

[574] «تسبب بعض المغالين في أن تكون هذه العقائد موضع نفور المتمسكين بالشرع من المسلمين. وهؤلاء المغالون أنفسهم هم بالقطع سبب إدانة تلك العقائد. إن علينا أن نعلم أن الإسماعيلية كانوا قد استعاروا الكثير من أحكامهم من المعتزلة، والمعتزلة ينكرون - ضمن ما ينكرون - صفات الحق، ويؤمنون بمبدأ الانتخاب والاختيار. ومع أن الإسماعيلية - من هذه الوجهة - لم يبتكروا شيئاً من عند أنفسهم إلا أن حكم علماء الغرب بشأنهم كان على ما يبدو قياسياً أكثر مما ينبغي. إنه إن تخطىء هذه الفرق في حق بعضها، فتتعرض كلها مجتمعة لسهام التوبيخ كما يتعرض علماء الإسلام عامة للدم. . لخطأ ولاشك.

وبناءً عليه، فإن زوال الدولة الفاطمية - الذي تسبب في انتصار المذهب الإسماعيلي في مصر - كان خاتمة لعصر السعادة والحظ الحسن، ونهاية لعصر العظمة والجلال، والإغماض والإهمال. ولن يرى الشرق مطلقاً مثل هذا العصر، وسوف لا يسمع مثل هذه النعمة مرة أخرى».

وفي حاشية الصفحة نفسها، يقول العالم على سبيل الإنصاف:

حتى تلك الشعبة الإسماعيلية التي كانت تسمى الحشاشين، لم تكن أول جماعة استفادت من هذه الحرية. . حرية الفتك الذي هو القتل، ويدعي الآن الاغتيال. إنها الحرية التي استخدمتها الأقلية المظلومة ضد المظالم والظالمين، ولهذا - وطبقاً لما هو سائد - يوصف الشيخ الجبلي نفسه بأنه لم يكن ظالماً مجرمًا^(١). مادة اشتقاق هذا اللفظ في الإفرنجية: {Assassins} (أي الحشاشون أو القتلة السفاحون). وقد أطلق هذا اللفظ في الأصل على هذه الجماعة نفسها.

(١) ارجع إلى الشرح الذي كتبناه حول (الفتك) من وجهة نظر علم الأخلاق، في الصفحات من ٣٧١ حتى ٣٧٣، ج٢، حادثة الباب، طبع كمبريج عام ١٨٩١م = ١٣٠٩هـ.

The Episode of the Bab (Cambridge, 1891)

[575] نعود الآن إلى موضوع عبد الله بن ميمون القُدّاح الذي يعتبر - بصفة عامة - منشأ قوة الإسماعيلية وأساس تشكيلاتها، والأب الفعلي لخلفاء فاطميّة مصر والغرب. وسوف نرجع إلى الأخبار التي وردت عنه في «الفهرست»، لأن قول صاحب هذا الكتب يَزجج ويفضّل أقوال الكتاب المتأخرين الذين لم يبلغوا مبلغه في دقّة النظر. وطبقاً لما جاء في الفهرست فإنّ عبد الله كان من أهل الأهواز، وكان أبوه ميمون القُدّاح - مؤسس الفرقة الميمونيّة التي تعتبر شعبة من شعب الخطائيّة - من غلاة الشيعة الذين يعتبرون الأئمة مظهر الله (صورة الله) - خاصة الإمام السادس.. الإمام جعفر الصادق والد إسماعيل^(١). وقد ادّعى عبد الله النبوّة، وأدّى أعمالاً عجيبة خارقة للعادة.. استقبلها أتباعه على أنّها إعجاز. فقد ادّعى أنه يطوي الأرض في طرفة عين، وأنه يعلم الأحداث التي تقع على مسافات بعيدة. والحق أن هذا الأمر كان يحدث - طبقاً لقول مؤلف الفهرست - بواسطة حمامات يريد كان يرسلها إليه أعوانه^(٢).

وقد انتقل - بعد فترة - من قريته إلى عسكر مكرم، وهناك ألقى رحله وأقام. ثم اضطر للفرار إلى ساباط أبي نوح في البصرة، ومنها إلى السلميّة قرب حمص في سوريا. واشترى أرضاً في السلميّة، ومنها أرسل دعاة إلى أنحاء الكوفة. وقد أجاب دعوته في هذا المكان رجل اسمه «حمدان بن

(١) انظر: كتاب الملل والنحل للشهرستاني، ص ١٣٦ - ١٣٨.

(٢) قارن ذلك بما جاء في صفحة ٢٢ من كتاب القرامطة، تأليف دوخويه:

M.J.de Goeje, Carmathes.

كان راشد الدين سنان - أحد رؤساء الحشاشين الكبار في سوريا في القرن الثاني عشر الميلادي - يستفيد أيضاً من حمام البريد بنفس الطريقة. انظر مقالة استانيسلاس غيار Stanislas Guyard الساحرة في المجلة الآسيوية، عام ١٨٧٧م، ص ٣٩، ٤١ من الطبعة المستقلّة لتلك المقالة، ويبدو أن الاستفادة من الحمام البريدي كان أمراً متبعاً في زمن السامانيين في القرن العاشر الميلادي.

انظر: جهاز مقاله (المقالات الأربع)، ترجمة براون، ص ٢٩، ٣٠ من الطبعة الوحيدة.

الأشعث» من أهل قس بهرام. وكان القوم قد أطلقوا على هذا الشخص لقب «قرمط» بسبب قصر قامته وأقدامه وصار - بعد إجابته الدعوة - من كبار [576] الدعاة (المبلغين) في هذه الفرقة. وعرف أعضاء الفرقة - فيما بعد - باسم «القرمطيين» أو «القرامطة». وقد أُطلق عليهم هذا الاسم اشتقاقاً من لقب حمدان بن الأشعث الذي كان يُدعى قرمط^(١). وأخذ معاوي حمدان المهمين هو صهره عبدان، الذي كتب كتباً عديدة (في صورة جدل على ما يبدو). وشكّل هيئة دعاية في كلده.

وقد أقام حمدان نفسه في كلوازي، وكان يتكاتب مع أحد أبناء عبدالله بن ميمون القدّاح الذي كان يقيم في الطالقان الواقعة في خراسان.

وفي نفس الوقت تقريباً (٢٦١هـ = ٨٧٤ - ٨٧٥م) مات عبدالله بن ميمون، فجلس ولده محمد مكانه في البداية. ثم خلفه أحمد المعروف بأبي شلعلع (الذي اختلف الكتاب في كتابته، فكتبه البعض ابن محمد والبعض الآخر أخا محمد). ثم أخذ مكانه سعيد بن الحسين بن عبدالله بن ميمون القدّاح الذي كان قد وُلد عام ٢٦٠هـ = ٨٧٣م في السلميّة الواقعة بسوريا قبل وفاة أبيه الكبير. وصارت ثمرات التدابير التوسعية التي ابتكرها أسلاف سعيد ورعوها إلى أن بلغت مرحلة الكمال. . . صارت في النهاية من نصيب سعيد.

وفي عام ٢٩٧هـ = ٩٠٩م، سَمِعَ عن أبي عبدالله، الداعية الذي أحلّ عقائد الإسماعيلية في قلب برابرة أفريقيا الشمالية الذين ينتظرون مجيء الإمام. فتوجّه إلى هناك، وقَدَّمَ نفسه باعتباره حفيد محمد بن إسماعيل والمهدي الموعود. واختار لنفسه اسم أبي محمد عبدالله، وعشّش في رؤوس محبيه الثائرين، وأسقط الأسرة الأغلبية، وسيطر على القسم الأكبر

(١) انظر تعليقات دوخويه القيمة حول أوجه اشتقاق هذه الكلمة التي كثيراً ما كانت موضع اختلاف، وذلك في كتابه، الصفحات ١٩٩ - ٢٠٣ في موضوع القرامطة.

M.J. de Goeje, Mémoire sur Les Carmathes.

وقد شرح دوساسي تغيير حمدان للمذهب شرحاً كاملاً. (كتاب دوساسي، ج ١، ص ١٦٦ - ١٧١).

Sylvestre de Sacy, Exposé de la Religion des Dzuze.

[577] من أفريقيا الشماليّة، واتّخذ من إحدى المدن الحديثة البناء «ونعني بها مدينة المهديّة» عاصمة له، وأسس الدولة الفاطمية. وتسمّى بالفاطميّة لأدّعائها الانتساب لفاطمة الزهراء بنت رسول الله. وقد تمكّنت بعد ستين سنة (عام ٣٥٦هـ = ٩٦٩م) من انتزاع مصر من الأسرة الإخشيدية. وفي نهاية القرن العاشر الميلادي كانت معظم سوريا في يدها. وقد برز نفوذ هذه القوة الشيعة الكبيرة على يد أربعة عشر خليفة من المنافسين. وانتهت تلك القوة على يد صلاح الدين الأيوبي عام ٥٦٧هـ = ١١٧١م.

وقد كثر البحث حول أصالة نسبهم. وثُبتت المصادر التي في يدنا خلاف هذا الادّعاء، ولا يوجد خطأ في كون عبدالله بن ميمون القدّاح هو الجدّ الفعلي لهم، وليس علياً بن أبي طالب وفاطمة الزهراء. وقد بحث دوحوية^(١) هذا الموضوع تفصيلاً، ودرسه دراسة علميّة، واتّبع في ذلك الأمر كياسته الخاصة، وأورد الكثير من الأدلة لإثبات رفض ادّعائهم. ويكفي أن نذكر هنا دليلاً أو اثنين مما أورده.. نراهما أكثر من غيرهما إحكاماً:

أنكر الخلفاء العباسيون نسبة هذه الأسرة إلى فاطمة؛ وكذلك فعل أمويّو قرطبة وممثلو أسرة علي في بغداد الذين عُرفت عنهم تلك السمة، وذلك في موضعين منفصلين: مرّة في عام ٤٠٢هـ وثانية في عام ٤٤٤هـ = ١٠١١م و١٠١٢م و١٠٥٢ - ١٠٥٣م.

(فيما يتعلّق بالمدّعين العديدين الذي ادّعوا انتسابهم لأسرة علي لم يعمد الخلفاء العباسيون إلى المعارضة بأيّ شكلٍ من الأشكال؛ لأنّ بعض المدّعين كانوا خطرین أقوياء، يعمدون دائماً إلى التمرد ورفع راية العصيان ضد الخلفاء العباسيين).

(١) انظر رسالة قرامطة البحرين، ص ٤ - ١١.

يضاف إلى ما سبق أن عضد الدولة آل بويه - وعلى الرغم من ميله الشديد [578] إلى التشيع - قد أجرى عام ٣٧٠هـ = ٩٨٠ - ٩٨١م تحقيقات حول أصلهم ونسبهم: كان من نتائجها إبداء عدم إقتناعه إلى الحد الذي جعله يهدد بأن يأخذ الأراضي التي يُسيطرون عليها، ويأمر بأن تُحرق كل أوراقهم ومكاتيبهم.

ومن جهة أخرى، فقد ورد في كتب الدروز المقدسة اعتراف صريح يفيد أن عبدالله بن ميمون القداح قد كان جدّهم البطل^(١). والدروز فرقة تؤمن بأن الحاكم بأمر الله - سادس الخلفاء الفاطميين - هو آخر وأكمل صورة لله (ما زالت هذه الفرقة تمارس في سوريا - حتى الآن - نشاطها، وما زالت تحظى بعدد كبير من الأتباع).

وحين نتعمّق في لبّ كلام الإسماعيلية والجانب الفلسفي والديني لهم يتّضح لنا بجلاء أن أفراد هذه الفرقة من ذوي الشأن لم يكن يهمهم ما إذا كان حكامهم الدينيون وغير الدينيين من أبناء فاطمة الزهراء أم من غير أبنائها، ولم تكن هذه النقطة تلقى اهتماماً من جانبهم. لكننا سنرى في أحد الفصول القادمة أن أفضل دعائهم فكراً وأوقدهم قريحة - ونعني به «ناصر خسرو» الشاعر الحكيم المعروف، الذي حاز اللقب الكبير؛ حجة خراسان، والذي كان رجلاً متحمساً متوقّداً الطبع طاهر الأصل مشرق الضمير - كان يعتقد اعتقاداً جازماً في أصالة نسب الفاطميين.

وعلى الرغم من أن حكم الفاطميين ونفوذهم كان يقترن بالضرورة بالظلم والشدة أحياناً، وذلك بمقتضى ظروف الزمان والمكان، فإن الخلفاء قد حكموا - بصفة عامّة - ورائدهم حرية الفكر وطيبُ العمل ورعاية العلم. يقول جيار^(٢): «كانت عقائد الإسماعيلية تدرس علناً في جامعات القاهرة - [579] وكان في الجامعات مكتبات كبرى.. يقصدها الناس أفواجا للاستفادة من أقوال الأساتذة الأجلاء، وفيها يجتمعون. وقد قامت هذه الفرقة على

(١) انظر؛ ص ١٠ من كتاب دوخويه السابق الذكر؛ وانظر: كتاب دوساسي: ص ٦٧ (بالأرقام

الرومية) و ٣٥ و ٨٤ - ٨٧ Sylvestre de Sacy, Exposé.

(٢) انظر: ص ١٤ و ١٥ من طبعة رسالة جيار المستقلة.. حيث يدور الحديث حول أحد كبار

معلمي الحشاشين: Guyard, Un grand Maître des Assassins.

أساس أن يكون ترويج المذهب بالضرورة عن طريق الدعايات والإشاعات. وأجازت التسامح مع سائر الأديان إلى أقصى حد. فقد صرّح المعزّ (رابع الخلفاء الفاطميين، حكم من عام ٩٥٢ حتى ١٩٧٥ = ٣٤١ حتى ٣٦٥ هـ) للنصارى أن يناقشوا علماءه ويجادلوهم بصفة علنية، ولم يكن أحد حتى هذا التاريخ قد سمع بمثل ذلك الشيء. وقد، استفاد، الأسقف الشهير اشمونين المسمّى «سفروس» Severus من هذه الإباحة. وقد بنى المعز - من جديد - كنيسة سانت مركوريوس^(١) الخربة في القسطنطينية مستغلاً أموال الخزانة. ولم يكن قد سمح للمسيحيين حتى هذا التاريخ بإصلاح هذه الكنيسة وتجديد بنائها. وقد حاول بعض المسلمين المتشددين المتعصبين أن يمنعوا ذلك. ويوم أن وضع حجر الأساس في هذا البناء وثب أحد الشيوخ فجأة وسط الأساس ومواد البناء وأقسم بأنه مستعد للتضحية بروحه في سبيل ألا يُعاد بناء الكنيسة. وحين أخبر المعز بما جرى أمر بدفن الشيخ تحت الأحجار لكن شفاعته النصراني الكبير المسمى بـ «يفرم» Ephrem جعلته يُغضى عن قتله^(٢).

إذا كان الإسماعيليّة قد تمكّنوا من أن يحفظوا هذه العقيدة في مصر بصورة [580] كاملة فقد تمكّنت هي من التأثير في حضارة الإسلام. ولسوء الحظ، فإنّه نتيجة لانتشارها كاد أن يحدث تغيير خطير في الفرقة المذكورة^(٣).

(١) St. Mercurius

(٢) يشير جيار في رسالته إلى نشرتين، الأولى: حياة المعزّ لدين الله الخليفة الفاطمي... تأليف كاترمير...

Quatremère, Vie du Khalife Fatimite Moezz - i- dinn Allh.

(المستخرجة من المجلة الآسيوية) ص ١١٨ فما بعدها.

والثانية: مقالة دي فرمري، في المجلة نفسها، حول الدراسات الجديدة الخاصة بالإسماعيليّة، الدورة الخامسة، المجلد الثالث، ص ٤٠٤.

De Frémery, Nouvelles Recherches Sur les Ismailiens.

(٣) هنا إشارة إلى دعاوي الحاكم العجيب الغريبة المنقّرة. والحاكم هو حفيد المعز الذي كان يدّعي أنه صورة الله، ويدّعي الألوهيّة. وقد قبلت دعواه شعبة من شعب الإسماعيليّة تعرف الآن بالدروز. وهي تسمّى بالدروز نسبة إلى اسم حمزة الدروزي الإيراني الذي كان وزير الحاكم ومعيّنه. تعليق المترجم: وفقاً لاعتقاد تقي زاده فإن اسم الدروز ليس نسبة إلى حمزة، وإنما نسبة إلى رفيق له (درازي).

ومن جهة أخرى، فإن غلاة الإسماعيلية في إيران وسوريا قد تسببوا في أن يَهْبَّ نور الدين أتابك سوريا (٥٤١ - ٥٦٩ هـ = ١١٤٦ - ١١٧٣ م) - وهو أحد أتابكة القدس وأحد المتشرّعين - لمحاربة مصر مركز فرقة الإسماعيلية، وقد انتصر نور الدين، ووفّق في القضاء على الأسرة الفاطمية.

وقد كتب ناصر خسرو - وكان يقيم في القاهرة في أواسط القرن الحادي عشر الميلاد، في عصر المستنصر الخليفة الفاطمي الثامن - شرحاً مماثلاً حول الإسماعيلية.

يقول ناصر خسرو^(١): «كان الجميع يأمنون السلطان حتى إنّه لم يكن هناك من بين اللّمازين الغمّازين من يخافه ويخشاه. وكانوا يثقون من أنه لن يظلم أحداً، ولن يطمع أبداً في مال أحد. وقد رأيت هناك أموالاً يملكها هؤلاء القوم، لو تحدّثت عنها أو وصفتها لما صدّق العجم حديثي ووصفي، ولا يمكنني حصر أموالهم. وما وجدته هناك من راحة لم أجده في أي مكان قط. وقد رأيت هناك مسيحياً من أصحاب الأموال في مصر. وقيل لي إن ما يملكه من سفن ومال ومتاع لا يمكن تقديره ومعرفة مداه. خلاصة القول أن [581] النيل لم يفيض في أحد الأعوام، وارتفع سعر الغلال. فاستدعى وزير السلطان هذا المسيحي، وقال له:

هذا العام عام سيء، وهو ثقل على قلب السلطان بسبب الرعايا، فما الذي يمكنك إعطاؤه لنا من الغلال بالثمن أو بالقرض؟. وقال المسيحي للسلطان والوزير: سوف أجهّز من الغلال ما يكفي مصر^(٢) خبزاً مدة ست سنوات. ولا شك أن مصر كان فيها آنذاك أمثال هؤلاء الناس. وقد لا يبلغ عدد من كانوا على

(١) انظر: «سفر تامه» للحكيم ناصر خسرو، طبع شفر - التي نشرها شفر عن أصلها الفارسي أو ترجمتها الفرنسية. وقد نشرها في باريس عام ١٨٨١م؛ انظر: ص ١٥٥ - ١٥٦ من الترجمة، ص ٥٦ - ٥٧ من متن الكتاب.

تعليق المترجم: لم أتمكن من الرجوع إلى طبعة شفر، فتمّ النقل عن طبعة برلين - شركة كاوياني عام ١٣٤١ هـ = ٢١ - ١٩٢٢ م. ص ٧٧ و ٧٨.

(٢) ربّما يكون المقصود بمصر هنا «القاهرة» وهي عاصمة مصر، ويسمّيها المسلمون عادةً «مصر».

شاكرتهم في نيسابور الخمس. وكل من له خبرة بالحساب وعلم بالمقادير يمكنه أن يدرك مقدار المال الذي ينبغي أن يمتلكه مثل هذا الشخص الذي لديه هذا القدر من الغلال، ويعرف إلى أي حد كانت الرعية تنعم بالأمان وإلى أي مدى كانت تبلغ عدالة الحكم. هكذا كانت الحال في أيامهم وعلى هذا الوضع كانت الأموال، فلا السلطان يظلم أحداً ولا الرعية يخفى عليها شيء».

ولا يبدو أن ناصر خسرو كان قد اعتنق الإسماعيلية قبل سفره إلى مصر والمغرب. ويمكن أن يُفترض - إلى حد ما - أنه لما كانت الدولة الفاطمية بالنسبة لسائر دول ذلك العصر قدوة طيبة فإن تأثير هذه المسألة في تغيير عقيدة ناصر خسرو لم يكن بالأمر الهين التافه. وكما نعلم فإن ناصر خسرو كان حتى نهاية عمره الطويل من المعتقدين المؤمنين ومن دعاة الإسماعيلية المتحمسين المخلصين. ويرى في ديوانه الكثير من الأشعار التي تثبت أنه كان مطلعاً على الأناجيل الأربعة. ولا شك في أنه كان يؤمن بأن العنب لا يمكن الحصول عليه من شوك المغيلان وأن التبن لا يؤخذ من الليف. ولما كانت المقارنة بين هذه العقيدة وسواها في جميع البلاد في ذلك العصر تأتي في صالح هذه العقيدة وتوافق ميوله؛ فقد استرعت اهتمامه للوهلة الأولى واستحقت أن يوليها دراسته الدقيقة.

[582] وقبل أن نبحث في أمر هذه العقيدة يلزمنا أن نتحدث عن شعبة من شعب الإسماعيلية كانت تنعم بنظام أقل ولا تدار بنفس الكفاءة التي تدار بها فرقة الإسماعيلية، وما زالت علاقتها مع الخلفاء الفاطميين - إلى الآن - مجهولة غامضة على الرغم من الدراسات التي أجراها العديد من العلماء، خاصة دوخويه، حيث دار الحديث حول حمدان قرمط الذي اشتق اسم القرمطيين من اسمه. وعلاقة القرمطيين أتباع قرمط ومريده عبدان (الذي خلف لنا مؤلفات تفوق في عددها ما خلفه بقية الكتّاب الأوائل في عهد الإسماعيلية)^(١) بتاريخ إيران أقل بكثير من علاقة فاطمية الإسماعيلية بهذا

(١) انظر: الفهرست، ص ١٨٩ - حيث يكتب المؤلف ثمان فقرات نقلاً عن مؤلفات يقول إنه رآها وقرأها. والمؤلف الآخر الذي ورد في ذلك الموضع - وكان نظام الملك يعرف اسمه على الأقل - هو (البلاغة السبعة). (لا شك أن هناك خطأ في نقل الاسم. انظر: سياست نامه، طبع شفر، ص ١٩٦).

التاريخ، كما كانت فترة نفوذهم قصيرة للغاية، لكنَّ هذه الجماعة قد نثرت بذور الرعب قرابة مائة عام (٨٩٠ - ١٩٩٠ = ٢٧٧ - ٣٨٠هـ) في كل ناطق نفوذ الخلفاء العبَّاسيين. وخلال ثورة الزنج تقابل قرمط مع زعيم رهط الثائرين، وحاول أن يختلي به، لكن هذا كان أمراً غير ممكن، ومطلباً مرفوضاً^(١). وسرعان ما زادت قوَّة القرامطة، وباتوا مصدر قلق شديد في بغداد^(٢). وبعد خمس سنوات تقريباً، ثاروا الأوَّل مرة ثورة مسلَّحة، وهُزموا. وقامت ثورات أخرى كذلك في السنوات ٩٠٠ و ٩٠١ و ٩٠٢م = (٢٨٨ و ٢٨٩، ٢٩٠هـ) وتعرَّضت لنفس المصير.

ومع ذلك لم يوقفوا نشاطهم لا في بين النهرين وخوزستان ولا في [583] البحرين واليمن وسوريا فطوراً نراهم في غيابات السجون أو مشدودين إلى العيدان، وطوراً نراهم يسيطون نفوذهم ويتوسَّعون بزعامه داعيتهم «زكرويه» وأبي سعيد حسن بن بهرام الجنابي (يُعرف من اسمهما أنهما كانا إيرانيين). وقد انتهى بهم الأمر إلى حدٍّ أن بسطوا نفوذهم وسلطتهم المطلقة على الأراضي الواسعة.

وفي عام ٢٨٨هـ = ٩٠٠م، هُزم جيش الخليفة خارج البصرة هزيمة منكرة. وعاد «عباس بن عمرو الغنوي» - أحد قادة الخليفة - وحده إلى بغداد، وروى قصَّة هزيمته^(٣). وبعد عامٍ أو عامين هاجم صاحبُ الناقة، وهاجم أخوه صاحب الشامة (الخال) - بعد وفاته - هاجما سوريا، ووصل كل منهما إلى أبواب دمشق، لكن فترة توفيقٍ ثانيهما كانت قصيرة؛ إذا أُسر في شهر ديسمبر من عام ٩٠٣م = ٢٩١هـ وقُتل. وقد أنقذ سوريا من النهب والسلب - إلى حد كبير وبصفة مؤقتة - موثُ زكرويه في أثناء هزيمته التي

(١) انظر: ص ٢٦ من كتاب دوخويه حول القرامطة (Carmathes)، وكذلك ص ٥١٤ من هذا الكتاب (الفارسي).

(٢) انظر: كتاب دوخويه حول القرامطة (Carmathes) ص ٣١ - ٣٢.

(٣) أورد، دوخويه في كتابه الذي ذكرناه ترجمة القصة التي نقلها القائد المذكور، ص ٤٠ - ٤٣. انظر كذلك ص ٥١٩ من هذه الترجمة الفارسية.

مُنِي بها بعد ذلك التاريخ بثلاثة أو أربعة أعوام. وكانت آخر وأهم أعماله تلك الغارة التي قام بها على قافلة الحج في أثناء العودة من مكة. ويقال إن عشرين ألفاً قد هلكوا في تلك الفاجعة المرعبة - وقبل أن نسمع الكثير عن القرامطة.. كانت الأسرة الفاطمية قد وطدت أركانها لسنوات عديدة في شمال أفريقيا^(١). غير أن أبا طاهر الجنابي (ابن أبي سعيد الجنابي سالف الذكر وخليفته) قد اتخذ من البصرة (في عام ٣١٢هـ = ١٩٢٤م) ميداناً لكثرة وفره، وغنم الكثير. وبعد عدة شهور، هاجم قافلة حُجَّاج أخرى (وقُتل ألف رجل ومائتان، كما قُتل من النساء ثلاثمائة، وفاق عدد القتلى عدد الأسرى، ووقع الكثير من الغنائم في أيدي المهاجمين)^(٢).

[584] وسرعان ما أغاروا على الكوفة، واستمرت غارتهم ستة أيام جعل فيها قائد القرامطة مسجد الكوفة الكبير مقراً لحرسه. وفي أوائل ربيع من عام ٣١٤هـ = ٩٢٦م سُمح لقوافل الحجاج بالمرور بعد دفع مبلغ ضخم كقرامة. ثم مُنع سفر الزوار إلى مكة كلياً لمدة ثلاث سنوات.

وفي يناير من عام ٣١٨هـ = ٩٣٠م، قام القرامطة بأكبر عمل لهم. ففي الأيام الأولى من ذلك الشهر توجه أبو طاهر - في جيش مكون من ٦٠٠ فارس و ٩٠٠ من المشاة - إلى مدينة مكة المقدسة، وقام بالقتل والسلب. وكما هي العادة آنذاك، عمد إلى الأسر الجماعي. ومما أوقع الرعب في قلوب المسلمين الأتقياء أن حمل معه الحجر الأسود وسائر الآثار المقدسة باعتبارها غنيمة.. ويقال إن ثلاثين ألف مسلم قد قتلوا في هذه الكارثة العظيمة، وأن ألفاً وتسعمائة شخص من القتلى قد استشهدوا في حرم الكعبة. وكان مقدار الغنائم التي نهبها عظيماً جداً. ولا يمكن وصف المشاهد التي

(١) يقول دوخويه في المصدر السابق: في خلال السنوات الست التالية على مقتل أبي سعيد (٣٠١ - ٣٠٢هـ) (٩١٣ - ٩١٤م) أوقف القرامطة كل نشاطهم تقريباً.

(٢) كتاب دوخويه السابق الذكر، ص ٨٥.

اقرنت بهذه الأعمال البخسة الشريرة التي نجمت عن هتك حرمة الكعبة^(١). ولا داعي لأن نذكر تفصيلاً بقية العمليات التي قام بها القرامطة، والتي تتمثل في السلب والقتل العام وتحصيل الضرائب من الزوّار.. تلك العمليات التي استمرت بلا انقطاع حتى وفاة أبي طاهر عام ٣٣٣ هـ = ٩٤٤ م.

وبعد ست سنوات، أعادوا الحجر الأسود إلى مكانه الأصلي في الكعبة عن طيب خاطر، وكان قرامطة الأحساء قد احتفظوا به عندهم مدة ٢٢ عاماً تقريباً. وخلال هذه المدة حاول المسلمون بلا انقطاع أن يستعيدوه (الحجر [585] الأسود) نظير مبلغ كبير يدفعونه غرامة، لكنهم كانوا لا يسمعون من القرامطة غير إجابة واحدة لا تتغير أبداً: «أخذناه بأمر الإمام ونردّه بأمره وحده». غير أن أحد الخلفاء الفاطميين واسمه القائم أو المنصور^(٢) أصدر أمره في النهاية برّد الحجر الأسود. وهكذا عاد الحجر الأسود واستقرّ في مكانه ثانية، وفرح كلّ المسلمين الأتقياء إلى أقصى حد وصلح بالهم. وخلال مدة قصيرة للغاية - بعد أن سيطر الفاطميون على مصر (٣٥٩ هـ = ٩٦٩ م) - نشب نزاع بينهم وبين القرامطة الذين كانوا يدينون بمذهبهم^(٣). وبعد ذلك بعام أو عامين ثار بعض القرامطة ضد رؤسائهم القدامى بموالة العباسيين.

ويبدو أن القرامطة كانوا يجمعون بين مبادئ وقوانين متناقضة، بمعنى أنهم كانوا يعتقدون أن نبذ الإيمان أساس الخلاص والتحرّر من قيود الأخلاق. وكانوا يساندون نفوذ الناس وحكمهم، ويؤيّدون السلب والنهب، أما الفاطميّون فكانوا يؤمنون بأمر الله وسلطان رجال الدين ونفوذهم وحكمهم. لقد تحدّثنا من قبل عن حكم الفاطميين الذي كان يقوم على

(١) إرجع إلى الشرح المؤثّر الذي أورده دوخويه في الصفحات من ١٠٤ حتى ١١٣ من كتابه المذكور.

(٢) الكتاب نفسه، ص ١٤٤.

(٣) فيما يتعلّق بالأسباب المجهولة لهذا الحادث العجيب غير المفهوم.. انظر: ص ١٨٣ وما بعدها من الكتاب السابق.

أساس العدل والإحسان^(١)، وكما قيل، فإنه لا يعلم جيداً ماهية الروابط التي كانت بين القرامطة والإسماعيلية. وهذه النقطة مبهمة قليلاً، لكنّ دوخويه - في رسالته القيمة التي استشهدنا بها مراراً في هذا الفصل - قد أثبت بصفة قاطعة أن هاتين الجماعتين كانتا متقاربتين، ومع أنّ الخلفاء الفاطميين كانوا في معظم الأوقات - لدواعٍ خاصة - ينكرون علاقتهم بالقرامطة أو يخفونها^(٢)، فإنّ القرامطة كانوا يعترفون رسمياً بسيطرة الخلفاء الفاطميين الكاملة في الشؤون المذهبية وغير المذهبية (إلا في مواضع استثنائية).

[586] ومع مراعاة عفونة وبلادة ذهن الأعراب المقيمين بالبادية فإنّ دوخويه قد أثبت أن أصول عقائد الفريقين كانت واحدة، وكان أكثر القرامطة قد جُمِعوا من بين الأعراب ساكني البادية^(٣). وهكذا قال دوخويه: «والأمر طبعي تماماً. ولم يكن القرامطة يجهلون الأسرار التي يعرفها أتباع هذا المذهب بعد دخولهم فيه وطبّهم أسمى المراحل والمراتب وأعلاها، ونعني بها المرحلة التي كانوا يفسّرون فيها رجعة محمد بن إسماعيل على أساس ديني».

وفي رسالة دوخويه تُشاهد الموضوعات التالية بالتفصيل:

تشكيلات القرامطة الداخلية في حدود المعلومات التي بأيدينا؛ مجلس القرامطة الأعلى؛ الميضة (ذو الملابس البيضاء) أصحاب الحل والعقد؛ عدم اهتمام القرامطة بتعاليم الإسلام ومراسيمه ومناسكه وقراراته؛ ذمّ (الحمير) الذين يعبدون القبور والأحجار ويمتدحونها؛ المبالغة في أكل اللحوم التي يحرمها المتشرّعون؛ الموضوعات المتّصلة بالعوائد والتجارة والتعامل مع الأجانب؛ وقد نقلت هذه الرسالة الصغيرة (التي تعد نموذجاً يحتذى من جهة الدراسات القيمة والبيان الصريح) موضوعات كثيرة ذات أهمية، لفتَ نظر القراء من بينها على الأخص:

(١) انظر الصفحات ٣٩٩ - ٤٠١ من هذا الكتاب، والصفحتين ١٧٧ و ١٧٨ من رسالة دوخويه السالفة الذكر.

(٢) انظر الرسالة نفسها، ص ٨١ - ٨٣.

(٣) انظر الرسالة نفسها، ص ١٦١ - ١٦٥، ص ١٧٣.

أولاً: قصة المرأة التي دخلت خيمة القرامطة في أثناء بحثها عن ابنها (ص ٥١ - ٥٦).

ثانياً: الأشعار التي نظمها أبو طاهر الجنابي بعد نهب مكة وسلبها (ص ١١٠) والكوفة (ص ١١٣ - ١١٥)، والهجويات القاسية التي أنشدت في اليمن ضد رئيس القرامطة (ص ١٦٠ - ١٦١)؛ قصة أحد المحدثين الذي قضى فترة في الأسر، وكان عبداً لأحد القرامطة (ص ١٧٥ و ١٧٦)؛ وإجابات أحد المساجين القرمطيين على الخليفة المعتضد (ص ٢٥ و ٢٦).

ومن المسلم به أن هؤلاء القوم لم يكونوا من الناحية الخلقية فاسقين، [587] لكن سفكهم الدماء بقسوة، وترديدهم عبارة «(بالسيف) نطهرهم» قبل سفك الدماء، كان ناجماً عن سوء حظهم.. فقد تسبب في نعتهم بالظالمين الفاسقين سود الوجوه من جانب المسلمين.

والآن، علينا أن نقف على أصول عقائد فرقة الاسماعيلية، تلك العقائد التي تخصّ - نوعاً ما - الإيرانيين والشيعة، ولها جاذبيتها الكبيرة التي تأسر أذهان طبقات معينة ليست وضيعة ولا جاهلة على الإطلاق^(١).

وهنا أنقل مقدمة الأقسام الأخيرة من المقالة التي نشرتها في يناير عام ١٣١٦هـ - ١٨٩٨م حول مؤلفات وأصول عقائد فرقة الحروفية في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية (ص ٨٨ و ٨٩)^(٢):

«الحق أن هناك اختلافاً كبيراً بين الإيرانيين وشعب ممالك الغرب حول مفهوم الدين، فالهدف من الدين في ممالك الغرب هو الإيمان وصدق العمل واتباع الحق، تلك (الفضائل) التي تُعدّ من الضروريات الأولية للدين (ولاشك أن هذا أمر نسبي)، والهدف من الدين في إيران هو العلم وأسرار الغيب.

(١) يطابق ذلك ماورد في رسالة دوخويه التي مرّ ذكرها، ص ١٧٢.

(٢) Literature and Doctrines of the Hurufi Sect. Journal Of the Royal Asiatic Society.

الدين في بلاد الغرب يعني الأحكام والقوانين التي هي في الحياة المرشد للمعاش وفي الممة أساس الأمل، والدين في إيران مفتاح أسرار العالم الروحاني والمادي، الدين في بلاد الغرب يلزم الجهد وطيب العمل والإحسان^(١). والدين في إيران يلزم السكون والهدوء والحكمة والعقل^(٢). [588] وفي ممالك الغرب تُمتدح العقائد الدينية من جهة البساطة، أما في إيران فإنها تُمتدح من جهة التعقيد.

(١) تعليق المترجم إلى الفارسية: هناك كثير من الآيات والأحكام حول الإحسان، منها قول الله سبحانه: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (سورة آل عمران، الآية ٩٢).

﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسعٌ عليم﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٦١).

[588] ﴿الذين ينفقون في سبيل الله ثم لا يبتغون ما أنفقوا منْ ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٦٢).

﴿الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٣٤).

﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة﴾ (سورة البقرة، الآية ١٧٧).

والتفت إلى هذا القول السماوي: قال النبي: فوق كل برُّ حتى يقتل الرجل في سبيل الله فليس فوقه بر. والأغنياء الذين ينكرون حال الفقراء ولا يهتمون بآلامهم... لا علم لهم أيضاً بالإسلام. وفيما يتعلّق بالإحسان ومعاونة المحتاجين، هناك لآلئ ثمينة نظمها مشاهير شعراء إيران، ولو شئنا جمعها لشكّلت كتاباً مستقلاً. وفيما يلي أبيات لطيفة للشيخ الكبير سعدي الشيرازي:

- رحم الله عبداً أراح الناس من كيانه وميته.

- إذا أنعمت فلا تغتر ولا تغلّ في أنانية: إني سيدٌ وغيري خَدَم.

- ابذل الخير بائنتين: الفضة والذهب..

فهذه تكسبك الخير وذاك يدفع عنك الشر.

النص الفارسي للأبيات:

خدا را بر آن بنده بخشایش است	که خلق از وجودش در آسایش است
کسی نیک بیند بهر دو سراى	که نیکی رساند بخلق خدای
چو انعام کردی مشو خود پرست	که من سرورم دیگران زیر دست
بدو نیک را بذل کن سیم وزر	که این کسب خیر است و آن دفع شر

=

= (٢) تعليق المترجم إلى الفارسية: هذا التعبير ناجم عن عدم الاطلاع على تعاليم الإسلام، لأن في القرآن والأخبار آيات* وأحاديث كثيرة تأمر المسلمين بالعمل والجهد والسعي والإحسان والبر، ومن بين ذلك:

﴿وَأَنْ لِّسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى﴾. (سورة النجم، الآيتان ٣٩ و ٤٠).
﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. (سورة النساء، الآية ٩٥).
﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾. (سورة القصص، الآية ٧٧).
﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾. (سورة الطلاق، الآية ١١).

* (تعليق م.ع): «بعودة القارئ إلى الترجمة الفارسية يتأكد له أن المترجم قد أخطأ في الكثير من أسماء السور وفي معظم أرقام الآيات، وأغفل ذكر أسماء بعض السور وأرقام بعض الآيات (في هامش ١ ، ٢) وقد قمت بالتصحيح واستكمال النقص وإثبات ما أغفله».

أما الأحاديث فهي:
لارهبانية في الإسلام (تليس إبليس لابن الجوزي)، من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم (أشكر السيد حبيب الله آموزگار عضو مجلس الشيوخ للذكره هذا الحديث).
وفي الخبر عن سيد الكائنات ومفخرة الموجودات: أعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، وأعمل لآخرتك كأنك تموت غداً. (الحديث منقول عن كتاب الإسلام روح المدينة، تأليف الشيخ مصطفى الغلاييني - أستاذ التعبير والآداب العربية في الكلية الإسلامية في بيروت - طبع بيروت عام ١٣٤٨ هـ = ١٩٣٩ م).

وقوله كذلك: ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته وآخرته لدنياه حتى يصيب منها جميعاً، ولا تكونوا كلاً على الناس (نقلاً عن الكتاب نفسه). (وأقدم بالشكر للأستاذ الكبير محمد سنكلجي على ذكر هذين الحديثين).

يقول شاعر شيراز الكبير:

- انطلق كالأسد المفترس أيها المكار الحصيف

لاتنظرن إلى نفسك كثعلب عاجز ضعيف

- اسع، فهل يُتَظَرُّ منك وأنت أسد الغاب

أن تكون كالثعلب عاجزاً قانعاً بتأخرك عن ركب الصحاب؟

- خذ بمخالبك ماتشاً، وكُنْ مع الآخرين تريباً وشهداً

استمع لي، وللعيش على فضلات الآخرين لا تبذل جهداً

- اتعب واسترح وتحمل ما يتحملة الرجال من تعب

فالمخنث من يقبل أجره الأشخاص، دون تعب

- خذ أيها الشاب بيد الفقير المسكين

خذ بيدي، لاتوقعني بل أعني

=

[589] والفروض والتصورات التي ذكرها الإيرانيون بخصوص الأسماء والأعداد والحروف، والبحث في ذات الله وكنهه وتجسيمه وظهوره في قالب البشر^(١) لا قيمة له في نظر الأوربيين، فهم لا يهتمون بأمثال هذه القياسات الدقيقة المحيرة، بل إنها في رأيهم تخلو من المعنى والفائدة وغير قابلة للفهم.

[590] ونتيجة لما كان يُدّعى أتباع العقائد المذهبية من حسٍ كبير بالتضحية والفداء وعدم الخوف من الموت والعذاب، فإنَّ الأوربيين بغريزتهم الفطرية، قد رأوا في هذه العقائد المذهبية هدفاً أخلاقياً أو سياسياً. وقد يتحقق هذا الهدف أو يتحقق، لكنه - بفرض تحققه - يبدو في نظري فرعياً وفي الدرجة الثانية من الأهمية سواء في نظر من جلبوا هذه العقائد أو في نظر من قبلوها.

= - إن تك ذا عقل ورأى، تعتزُّ بتدبيرك وذكائك

فاستمع إلى نصيحة «سعدى»، وأعمل بها.

المترجم الفارسي: «أليست هذه النصيحة والموعظة تفسيراً صريحاً للآية: وأن ليس للإنسان إلا ما سعى؟».

(تعليق م.ع): جاء المترجم بالآية ناقصة فأكملتها، وهي الآية ٣٩ من سورة النجم. النص الفارسي للأبيات:

مپندار خود را چو روباه شل	برو شیر درنده باش ای دغل
چه باشی چو روبه بوامانده سیر؟	چنان سعی کن کز تو ماند چو شیر
نه بر فضله دیگران گوش کن	بچنگ آر ویا دیگران نوش کن
مخنث خورد دسترنج کسان	چو مردان ببر رنج و راحت رسان
نه خود را بیفکن که دستم بگیر	بگیر ای جوان دست درویش پیر
بعزت کنی پند سعدی بگوش	گرت عقل وراست و تدبیر وهوش

(١) تعليق المترجم الفارسي:

يبدو أنَّ بعض الموضوعات قد اختلطت، ومن بينها موضوع التجسُّد وظهور الله في قالب البشر. وفي ذلك يقول الشيخ الشبستري في «پلشن راز: روضة الأسرار» (ص ٣٥٦): الحلول والاتحاد هنا محال، ففي اتحادهما عين الضلال.

والنص الفارسي للبيت:

حلول واتحاد اينجا محال است که در وحدت دوئي عين ضلال است

«ونحن - الغربيين - نهتم بالصورة الظاهرة بنسبة أقل، أما الصورة الظاهرة فإنها في الدرجة الأولى من الأهمية في نظر المسلمين (وأتباع كل الفرق، حتى التي تربت في أحضان الإسلام، وانحرفت كثيراً عن الصراط المستقيم). والقرآن هو دائماً الميزان والمثل الأعلى للكتاب السماوي (حتى عند الفرق التي تؤكد أن قسماً من آيات القرآن قد تُسخ نتيجة نزول آيات أخرى). وكل حرف من حروفه وكل سطر من سطوره مشحونٌ برموز وأوصاف لا يمكن وصفها، وغاصٌ بحقائق لا يستطيع أحد أن يسبر غورها. وقد بذل المفكرون المتدبرون وسعهم جيلاً بعد جيل كي يغوصوا في أسرارها، فلا عجب إن كانت عقول البشر على اختلافها - وعلى مرّ العصور - قد اهتّمت بموضوعات واحدة مشتركة، وتوصّلت إلى معانٍ واحدة.

بناءً على ذلك، فإننا حين ندرس حالياً التاريخ المذهبي لممالك الشرق - وبخاصة إيران - لانهتم كثيراً بالموضوعات المرتبطة بتوارد الأفكار، بل ونحذر من ذلك الأمر لأن الأفكار المتشابهة تنبع - ولاشك - من أدمغة متشابهة، خاصة وأنّ منبع الدراسات هو الآخر متشابه، وليس هناك وجود لمعلول العلل أو المناسبات التاريخية».

[591] أصول عقائد الاسماعيلية - كما قيل - (ولو أنّ معظمها مأخوذة عن الآراء التي كانت سائدة في إيران منذ القدم) مستقاة على الأخص من تدابير عبدالله بن ميمون القدّاح، وناجمة عن دقّة نظره. وقد اهتّم الكتاب الشرقيون والأوربيون عامّة اهتماماً كبيراً بأنّ السياسة كانت هي المحرك الأصلي لعبدالله، وأن هدفه السياسي كان يتمثل في رغبته في إزالة قوّة العرب والدين الإسلامي الذي كان منبع قوّة العرب ومصدر قدرتهم، وإعادة سلطة إيران وسيطرتها الغابرة.. لأنّ عبدالله كان يعتقد أنّ السيادة من حقّ إيران^(١).

(١) (في الفهرست ص ١٨٨) تُسببت هذه النية نفسها لأبي مسلم أيضاً. ويمكن الرجوع في ذلك أيضاً إلى كتاب جيار الخاص بمعلم من كبار الحشّاشين (ص ٤ و ٥ و ١٠ - ١٣):

Guyard, Un Grand Maître des Assassins..

ويشاهد ذلك أيضاً في كتاب القرامطة "Camathes" الذي ألّفه دوخويه (ص ٢١)؛ وفي كتاب فن هامر: «تاريخ فرقة الحشّاشين»، طبع باريس، ص ٤٤، عام ١٨٣٣م:

Von Hammer, Histoire de l'ordre des assassins.

ولو درسنا أخلاق الإيرانيين واتخذنا منها حكماً، وأولينا ما نستنبطه عن وطنيتهم اهتمامنا وطبعناه على ذلك المفهوم لما كان ذلك من الأوصاف الإيرانية البارزة^(١).

(١) تعليق المترجم: عبارة المتن مجملّة قليلاً، وقد كانت في حاجة إلى توضيح أكبر من قبل المؤلف، لأنّه في كتاب آخر من كتبه ألفه بعد ذلك بسنوات، وتحدّث فيه حول ثورة إيران (١٩٠٥ - ١٩٠٩م)، وطُبع في مطبعة جامعة كمبريدج (١٩١٠م) قد أورد (براون) شرحاً مسهباً عن وطنيّة الإيرانيين والثورة النيابية. وبلغ به الأمر أنه في صفحة ٩ من مقدمة ذلك الكتاب قد أطلق على ثورة النيابيين «كفاح شعب إيران في سبيل الحياة»، وقال إن الوطنيين الإيرانيين قد ثاروا ثورتهم هذه لحفظ وجودهم، ولم يعرف الانجليز في مجال السياسة تلك الحقيقة والإرادة الحديدية التي أبداهها الإيرانيون في ذاك الكفاح. وقد نقل براون في أول صفحات مقدمة الكتاب أشعاراً لميرزا آقاخان كرماني، مطلعها:

بایران مباد آنچنان روز بد که کشور به بیگانگان افتد

- لا كان مثل هذا اليوم السيء الذي تقع فيه بلادنا إيران في يد الأجانب.

وما أن انقضت أربع سنوات على طبع هذا الكتاب حتى نشر براون المجموعة النفيسة التي تُعدّ نموذجاً لآخر آداب إيران الوطني السياسي وثمرّة الانقلاب. . . وقد نشرها بالانجليزية باسم «صحافة إيران وأشعارها الجديدة». ويصدق قول المستشرقين بصفحة عامة في أن شعب إيران قد غطى نبوغه دائماً على الأقوام والأمم المهاجمة، ووقف في وجه الظالمين والمغيرين، وجابه الشدائد والنائبات والمظالم والضائقات النفسية والخارجية. ولحفظ عثّه وحراسة ميراث آلاف السنين واجه أهل العالم جميعاً برجولة. . . واجههم بالحق والعدالة، ولقّن الدنيا درساً في الوطنية والتمسك بالحق بكل صلابة وصبر.

ورغم السموم التي تنطوي عليها ريع الأحداث، تلك الريح التي هبّت على بستان إيران على مدى القرون والعصور. . . فإنه من العجيب أن يبقى في خميّة هذا الوطن إلى الآن وبعد آلاف السنين. . . لون الورد ورائحة الياسمين. هل كان هناك شيء إذاً غير الوطنية يكفل بقاءنا ويضمنه لنا؟

وها هو كبير ديوان وثائق إيران الوطنية، شاعر خراسان العظيم ينظم أشعاراً وطنية في حقّ إيران الخالدة. وقد نظم أشعاره منذ ألف عام، وتمنّى فيها أن يكون جسده وروحه وجميع الإيرانيين فداءً لإيران وحدها:

- لا كنت أنا إن لم تكن إيران، ولا عاش شخص على أرضها.

- من أجل أرضها وحدودها وأولادنا ونسائنا وأطفالنا وقومنا. . .

- نقتل أنفسنا بأيدينا، وذلك أفضل من تسليم بلادنا لعدونا.

والنصّ الفارسي للأبيات:

چو ایران نباشد تن من مباد بدین بوم ویر زنده یک تن مباد

ز بهر بر و بوم و فرزند خویش زن و کودک و خرد و پیوند خویش

همه سر بسر تن بکشتن دهیم از آن به که کشور بدشمن دهیم

ومنذ ثمانمائة عام، رأى شاعر آخر (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ = ١١٢٦ - ١١٩٨م) أطلال قصر الملوك الساسانيين في أثناء سفره إلى مكة، فأراق الدمع حسرة على أرض المدائن. وحين تذكر =

[592] كما أن رأينا فيما يتعلق بقضية البايين كان يتشابه مع مذكرناه، مما
[593] يجعلنا نميل إلى القول بأنه كانت هناك مبالغة - دون داع - حول
وجود هذا الهدف شبه السياسي.

= الخاقاني - وهذا اسمه - أن مَلِك بابل وَمَلِك التُّرك كانا يضعان رأسيهما يوماً على أعتاب ذلك
القصر، وأنَّ ترابه مازال يحمل أثر وجوه عظماء الدنيا عمد إلى نظم أشعار ناثرة لم يُمح أثرها
من ذهن أبناء هذه البلاد قط، ومازالت القلوب تعتبر بها.
ومنذ مئة عام نظم حافظ الشيرازي في حبِّ الوطن ما يضارع هذه الأبيات.
ولشعراء إيران المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين أشعار كثيرة في هذا الصدد، أشعار لطيفة
وحماسية. ولو أردنا أن نجمع هنا الآهات والأثبات الموجعة التي صدرت عن صدور من
احترقوا شموعاً للوطن في هذا العصر - بسبب جور عدد من الأفراد الضالين وفسادهم -
لاحترق الكلام من نار القلب على الشفاه.
ولكي نتجنب الإطناب نكتفي بإثبات أبيات من قصيدة للمرحوم أديب الملك الفراهاني (١٢٧٧
- ١٣٣٥ هـ = ١٨٦٠ - ١٩١٦ م)، وتعتبر أشعاره في رأينا نموذجاً، ونعتبره - بلا جدال - لسان
حال كل الإيرانيين المخلصين:

تا زبر خاكي اي درخت تنومند	مگسل ازاين آب و خاک رسته پيوتد
مادرست اين وطن كه در طلبش خصم	نار تطاول بخاندان تو افكند
اين وطن مامنار نور الهی است	هم زنبی خواندم اين حديث وهم اززند
آتش حب الوطن چو شعله فروزد	ازدل مؤمن كند بمجمره اسپند
ازدل الوند دود تيره برآيد	سوز وطن گرفتند بدا من الوند
وريد ماوند اين حديث سرائي	آب شود استخوان كوه دماوند

والمعنى:

- مادمت أيتها الشجرة القويّة فوق تربة ترتفعين،
فلا تفصلي جذرك الممتدّ عن الماء والطين.
- إنّ أمّك هي هذا الوطن وقد معى الخصم لامتلاكها،
فألقي نارَ التطاولِ على أسرتك بأسرها.
- وطننا هذا هو منار النور الإلهي،
هذا ما قرأته في القرآن الكريم وما جاء في الزند.
- حين توقد نار حبّ الوطن الشعلة،
تجعل من قلب المؤمن معجزة البخور.
- يتصاعد الدخان الكدر من قلب «الوند»،
فقد جعلوا من الوطن وقوداً عند سفح جبل الوند
- ولو سرى هذا الحديث وبلغ «دماوند»،
لسالت كالمياه عظام جبل دماوند.

=

[594] وليست مجاهدات عبد الله بن ميمون وحليفه دندان (أو زیدان)^(١)

[595] - الذي كان منجماً غنياً - في سبيل ترويج التعليم والعقائد التي سببها الآن سببها إيرانية تلك التعاليم والأصول، بل إن تلك الأصول كانت بواسطة إيرانية^(٢) الباب دندان، ومجارة للفكر الإيراني وذوق الإيرانيين^(٣).

(استقينا هذه الأبيات من ديوان المرحوم أديب الممالك الفراهاني - طبعة ارمغان، آبان ١٣١٢ هـ. ش.)
نظراً لأن البحث في مجال الوطنية موضوع مهم ودقيق إلى أبعد حد، فإن بالإمكان الرجوع إلى:
١ - كتاب «إيران در تماس با غرب» للدكتور علي أكبر سياسي رئيس جامعة طهران، طبع باريس ١٣٥٠ هـ = ١٩٣١ م، الفصل الثاني الخاص بوحدة إيران القومية، ص ٢٠٧.

La parse au Contract de L'occident, Par Dr. Ali Akbar Siassi, Paris, 1931.

- ٢ - المجلد الثالث من الأمثال والحكم للسيد دهخدا، من صفحة ١٥٧٥ فما بعدها.
- ٣ - كتاب شعراء العصر البهلوي، تأليف دينشاه الإيراني، طبع بمباري عام ١٩٣٣ م = ١٣٥٢ هـ.
- ٤ - كتاب شعراء إيران في العصر الحاضر، تأليف محمد إسحاق، طبع دهلي، ١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م.
- ٥ - «خدمات الإيرانيين في مجال حضارة العالم»، للسيد عباس إقبال الأستاذ بجامعة طهران، ١٣١٨ ش.
- ٦ - «القومية» للدكتور قاسم زاده الأستاذ بكلية الحقوق والعلوم السياسية والاقتصادية، ١٣١٨ ش.
- ٧ - «ارتقاء إيران وتقدمها في العصر البهلوي» لسعيد نفيسي الأستاذ الجامعي - ١٣١٨ ش.
- ٨ - «نشأة فلاة إيران» لمسعود كيهان، استاذ مساعد جامعة طهران - ١٣١٨ ش.
- ٩ - مقالات نصر الله فلسفي الأستاذ بجامعة طهران. . حول الوطنية في كتاب الفردوسي - مهر عام ١٣١٣ ش، «شرح حال بزرگان وتأثير تاريخ»، عام ١٣١٨ ش.
- ١٠ - شاهنامه آقاي نويخت، طبع عام ١٣٠٧ و عام ١٣٢٠ ش.
- ١١ - شرح بزرگترین آثار للدكتور مهدي بياني رئيس مكتبة إيران الوطنية - ١٣١٨ ش.
- ١٢ - «الجغرافيا» للدكتور خانييا بياني أستاذ الجامعة وعضو مجلس الشيوخ - ١٣١٨ ش.
- ١٣ - منظومة المعجوز والشاب (پير وجوان)، من ديوان معظم السلطنة الذي لم ينشر إلى الآن.
- ١٤ - (ميهن دوستي غريزه إيراني است): الوطنية غريزة إيرانية، المجلد الأول من أحاديث الإذاعة، ص ٦٥ و ٦٦؛ (ميهن دوستي در ايران باستان): الوطنية في إيران القديمة، (نيروي روح إيراني): قوة الروح الإيرانية، ص ١٧٢ - ١٧٧ من نفس الكتاب.

(١) انظر رسالة دخويه التي مضى ذكرها، ص ١٤٥، والحاشية رقم ٢ في أسفل الصفحة.
تعليق المترجم: يرى تقي زاده أن الاسم ليس دندان ولازيدان وإنما الصحيح هو: ديدان. وقد ورد في الفهرست، طبعة فلوجل، ص ١٨٨: «محمد بن الحسين الملقب بزیدان من ناحية الكرج»، وفي طبعة مصر، ص ٢٦٧: «ناحية الكرخ».

(٢) تعليق المترجم: عبارة المتن غير واضحة بصورة جيدة غير أن الحاشية التالية ربما توضح قصد المؤلف.

(٣) لا شك أن تقدم أمر الدعاة في كل عصر كان يقتضي اللجوء إلى أحاسيس إيران القومية. ولكن يجب أن يكون معلوماً أن الدعاة المذكورين كانوا مستعدين أيضاً للجوء علناً - وبنفس النسبة - إلى مشاعر العرب القومية، ومشاعر الشعوب والأمم الأخرى.

انظر: دي ساسي، ص ١١٢: Sylvestre de Sacy, Exposé

ويجب أن نكرّر أن العقيدة التي ستحدّث الآن عنها هي العقيدة التي جاء بها عبدالله بن ميمون القدّاح. ففي صفحة ٨ من الرسالة التي كتبها جيار حول (القطعات المتعلقة بأصول عقائد الإسماعيلية)، والتي نشرت في باريس عام ١٢٩١هـ = ١٨٧٤م. يقول^(١): «بدأت فرقة الإسماعيلية شعبة من شعب مذهب التشيع الصرفة. لكنّها منذ زمان عبدالله القدّاح بن ميمون القدّاح الذي رأس الفرقة حتى حدود عام ٢٥٠هـ = ٨٤٦م. عدّلت إلى حد ما عن كلماتها الأولى التي كانت موضع شماتة الشيعة أنفسهم وسبب تفرّيعهم لها. وقد كان الشيعة يدعون من يعتنقون الإسماعيلية علناً بغير الموحّدين (غير العارفين بالله، الملاحدة) وغير الأتقياء».

وقد أخذت فرقة الإسماعيلية اسمها - قبل كل شيء - من إمامها السابع «إسماعيل». لكنّها كانت إلى جوار تلك التسمية تُسمّى بأسماء أخرى، من قبيل السبعيّة والتعلّيميّة والفاطميّة والقرمطيّة والملاحدة والحشّاشين.

(سبب التسمية بالتعلّيميّة هو أنها كانت تعتقد أن التعليم الحقيقي يجب أن [596] يؤخذ عن طريق إمام الزمان وحده؛ وسبب التسمية بالفاطميّة هو أنهم كانوا يؤمنون بأولاد وأحفاد فاطمة بنت رسول الله وزوجة علي بن أبي طالب، وسبب التسمية بالقرامطة هو أن حمدان بن قرمط كان داعية فرقتهم ومبلّغها، وقد اشتهرت الفرقة باسمه. أمّا الملاحدة فإنه اسم يطلقه عليهم أعداء الإسماعيلية بصفة عامة، وبخاصّة في إيران. ونتيجة لدعوة الحسن الصباح أطلق عليهم اسم «الحشّاشين». . . وسوف نتحدث عن الحشّاشين في فصل تالٍ.

وكما أشرنا من قبل وكما سنوضّح حالاً وبصورة أكبر فإنّ عقيدة هؤلاء القوم كثيراً ما كان محورها العدد «سبعة»، وقلّما كان محورها العدد «اثنا عشر».

وباتت هذه الأعداد تُطبّق سواء في عالم الوجود أو في بدن الإنسان. . . بمعنى أنّ السماء بها سبع كواكب سيّارة واثنا عشر برجاً، وأنّ الأسبوع به سبعة أيام، وأنّ العام فيه اثنا عشر شهراً، وأنّ الرقبة بها سبع فقرات، والظهر فيه اثنا عشرة فقرة، وقس على هذا. وينطبق العدد أيضاً على السماوات والأراضي والأقاليم

(١) Guyard, Fragments relatifs à la Doctrine des Ismailis (Paris, 1874)

(١)

«السبعة» وفتحات الرأس والوجه (ثقبا الأذن، محجرا العين، فتحتا الأنف، والفم). ويتمثل الفاصل بين الله والإنسان في خمسة مبادئ أو نشآت (العقل الكُلِّي - الهيولي - الملاء أو المكان - الخلاء أو الزمان)^(١)، وهي التي تشكّل بصفة عامّة المراتب السبع أو مراحل الوجود السبع.

ولا يستطيع الإنسان أن يبلغ الحقيقة اعتماداً على سعيه وجهده دون تأييد إلهي. وهو بحاجة إلى التعليم، ويجب أن يأخذه عن العقل الكُلِّي. ويتجلّى العقل الكُلِّي أحياناً في صورة الرسول أو الناطق، وهو يعلمه في كل مرحلة من مراحل التجلّي على التوالي - الحقائق الروحيّة اللازمة لقيادة البشر وإرشادهم.. بصورة أتم وأكمل، طبقاً لتحوّل فهم البشر وتكامله.

[597] وللنبوة سبع دورات، ستّ منها ترد على النحو التالي:

أدوار آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وآخرون، أي أنّ الدورة السابعة قد بدأت بظهور محمد بن إسماعيل القائم أو صاحب الزمان. وتظهر عقيدة الباطنيّة - التي هي حالة الأنبياء الحقيقيّة والقلبيّة والكيفيّة الداخلية والمفهوم الواقعي للشرعية - لأول مرّة في تلك الدورة. ولكل واحد من الأنبياء أو الناطقين سبعة خلفاء أو أئمة يسمون (الصامتون). ويلقبون رئيس الصامنين بالأساس أو السوس (بمعنى الجذر). والسوس هو جليس الناطق المقرب، ومحرم أسرارهِ، ومخزن تعليماته الباطنيّة.

وفيما يلي تفصيل ما أجملناه:

الناطق الأساس، وبعبارة أخرى الصامت الأول أو الإمام الأول من الصوامت أو الأئمة السبعة.

(١) آدم شيث (لكل واحد من الصوامت أو الأئمة اثنا عشرة حجة أو اثنا عشر داعية عاماً).

(١) انظر: حاشية صفحة ١١ - من كتاب جيار حول رئيس الحشّاشين الكبير.

Guyard, Grand Maître des Assassins.

والدرجات والمراحل التي يقطعها مريدو الإسماعيلية الجدد وفق ظروفهم واستعدادهم، وبفضل الدعاة - نظراً لسيادة العدد سبعة - تتخذ بدورها العدد سبعة، وقد صارت بعد ذلك تسع مراحل. (ربّما لتطابق كراسي الفلك التسعة التي هي عبارة عن الأفلاك السبعة السيّارة والفلك الثابت والفلك الأعلى).

وقد وضّح دي ساسي هذه الدرجات على أكمل وجه^(١). وقد تبع في ذلك النويري المؤرّخ أكثر من غيره. (توفي النويري في عام ٧٣٣هـ = ١٣٣٢م). وقبل أن نبحت في المراحل المذكورة هناك عدّة كلمات تُقال حول الدعاة:

لم يتغيّر أمثال هؤلاء الأفراد ذوي الأوصاف الإيرانية المميّزة - إلى حدّ ما - منذ زمن أبي مسلم حتى اليوم. لأنّ المبلّغين البابين - ما زالوا إلى الآن يذهبون من إيران - مملكتهم الأم - إلى سوريا. المنفى الذي يعيش فيه رؤساؤهم الدينيون. وأسفار هؤلاء المبلّغين خطيرة للغاية.

[599] وفي كتاب آخر، أوردتُ سيرة المبلّغين البابين بالصورة التي عرفتُها عن أحوالهم شخصياً^(٢) وكم سرّرتُ لخيالاتي هذه، وكأني في ظل تجاربي الشخصية نفسها قد رأيت بعينيّ أبا مسلم وعبدالله بن ميمون القدّاح وحمدان ابن قرمط وسائر أبطال الدعايات العباسيّة والاسماعيليّة.

ولكن بقدر ما تتيح لنا الفرصة أن نحكم - إذا لم يكن هناك تغيير يذكر في نوعية الدعاة في آسيا الغربيّة - فإنّ هذا النوع من الدعاة يختلف كثيراً عن نوع الدعاة الأوروبيين؛ لأنّ الآخرين لا يمكن أن يبلغوا - في علمهم

(١) المجلد الأول من كتاب دي ساسي، ص ٦٢ حتى ١٣٨:

Sylvestre de Sacy, Exposé.

(٢) كتاب «عام وسط الإيرانيين»، ص ٢١٠ - ٢١٢ و٢٧١ و٣٠١ وما بعدها، و٣٣١ وما بعدها، و٤٨١ - ٤٨٣، وغيرها:

A year amongst the Persians.

ومعرفتهم بالأخلاق وتوافقهم مع أوضاع وأحوال البيئة - منزلة دعاة آسيا الغربية. وبالقيااس على ذلك، فإن احتياجاتهم المادية أكبر، لكنهم أكثر تقدماً من جهة خصائصهم وفصائلهم القومية، المميزة إذا ما قورنوا بدعاة آسيا الغربية.

وكان المعهود إن يحترف الداعية - في الظاهر - حرفة كالتجارة أو الكحالة أو غيرهما، وأن يدخل المكان الذي ينوي أن يمارس فيه نشاطه في زيه هذا وصورته تلك^(١). وكان يضع نصب عينه منذ البداية أن يؤثر في جيرانه عن طريق العفة والزهد ومعرفة الله والرغبة في الخير، وأن يجد طريقه إلى قلوبهم بصورة ما، بحيث ينظرون إليه نظرة سامية، ومن هذا المنطلق كان يبالغ دائماً في الصلاة والدعاء ومساعدة الضعفاء إلى أن يشتهر بينهم بالورع والتقوى، ويتجمع حوله عدد من المادحين. وكان يعرض أصول عقائده تدريجياً بحزم واحتياط لسبرغور من يبدون استعداداً أكبر. وكان يحاول أن يثير أحاسيس سامعية الفياضة، وأن يوقظ فيهم روح التحقيق وأن يؤثر في الجميع بحيث يثقون تماماً بعقله وكياسته، لكنه كان إذا ما لاحظ في [600] وجوههم آثار العناد والصلابة أو سوء الظن استعد للتراجع، لأنه يعلم أن الدين من العلوم الغيبية، وأن أتباع الأحكام دليل التدين. وهنا يشير في إصرار إلى أن الأداء الظاهري لفرائض الدين من صلاة وصيام وحج وزكاة - دون فهم المعاني الروحية للدين - لا قيمة ولا أهمية له. فإن أبدى المستمع شعوراً عميقاً فياًضاً، وكشف عن اهتمامه البالغ وحبه الكبير لإدراك المعاني لجأ الداعي إلى توضيح الموضوعات، لكنه يقطع كلامه وسط المناقشة، ويلمّح إلى أن الأسرار الإلهية يمكن أن تُفشى فقط لمن يقسمون على الوفاء

(١) نقل هذا التفصيل بتمامه تقريباً عن دي ساسي. انظر الصفحات ٧٤ - ١٣٨.

Sylvestre de Sacy, Expose

وقد نقل دوساسي بدوره قصة أخي محسن عن النويري.

(تعليق م. ع): النويري هو شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ومن كتبه المعروفة: «نهاية الأرب»، وقد طبع في القاهرة عام ١٩٢٣ - ١٩٥٥ م (١٣٤٢ - ١٣٧٥ هـ).

لإمام الزمان وولي العصر ومخزن العلوم الغيبية الوحيد، ويثبتون جدارتهم واستحقاقهم لإدراك هذه المعاني. والواقع أن مهمة الداعي الأساسية هي في الأغلب أن يُقسِم المريد الجديد بصدق عهده ووعدده، وأن يُلْزَمَ بدفع أموال بصفة منتظمة وفي أوقات محدّدة. والأسئلة التالية عيّنة (نموذج) لما كان يُلقيه الدعاة على المريدين الجدد لإثارة حسّ البحث والتدقيق والتجسُّس لديهم:

«لماذا خلق الله العالم في سبعة أيام بينما كان من السهل عليه أن يخلقه تَوَّأ؟».

«ما حقيقة عذاب جهنم؟ كيف يمكن أن تُبدَّل جلود العصاة الملائعين جلوداً غيرها كي تحترق بنار جهنم، بينما ذلك الجلد الآخر لم يكن شريكاً في معاصي الملائعين؟».

«ما أبواب نار جهنم السبعة؟ وما أبواب الجنة الثمانية؟».

«لماذا خُلِقَت سماءات سبع وأراضٍ سبع؟. ولماذا تتركَّب السورة الأولى من سور القرآن من سبع آيات؟».

«ما معنى كلام الفلاسفة القائلين: إن الإنسان عالمٌ صغير أو خلاصة العالم، وإن العالم [الطبيعة] إنسان كبير؟. ولماذا يعتبرون كلامهم هذا من أول البدهيات؟».

[601]. «لماذا يقف البشر - على خلاف كلِّ الحيوانات الأخرى - على أقدامهم؟ ولماذا يسرون بقامة مرتفعة؟ ولماذا يمتلكون في كلِّ يد عشرة أصابع، ومثلها في كل قدم؟ ولماذا يوجد في كل اصبعٍ من الأربعة في يد الإنسان ثلاث عقل (فقرات)، بينما لا توجد في الإبهام إلا عقلتان؟».

«لماذا يوجد في الوجه وحده سبعة ثقوب^(١)، بينما يوجد في سائر أماكن البدن ثقبان فقط؟».

(١) ورد ذكر ذلك من قبل.

«لماذا يمتلك الإنسان اثنتى عشر فقرة في ظهره، وسبع فقرات في رقبته؟».

لماذا تأخذ رأس الإنسان شكل الحرف «ميم»، ويداه شكل الحرف «حاء» ويطنه شكل الحرف «ميم». وقدماه شكل الحرف «دال» على نحو إذا كتبه الإنسان ودونه كان معنى ما كتبه محمد (م ح م د)؟»

«لماذا تكون قامة الإنسان حال وقوفه شبيهة بحرف (الألف)؟. وحين يركع شبيهة بحرف (اللام)؟، وحين يسجد شبيهة بحرف (الهاء)^(١)؟ وكأن المقصود أن ينتج عن مجموع هذه الحالات الثلاثة التي يكون عليها الإنسان، أو ينتج عن مجموع هذه الحروف الثلاثة ما يشبه كلمة إله (أ. ل. ه)؟».

يقول دي ساسي^(٢): ثم يخاطب الدعاة المستمعين بقولهم:

ألم تفكروا في وضعكم، ألا تتدبرون لإدراك هذه الحقائق، ولتعلموا ما خلقه لكم، ولتدركوا أنه عالم، وأنه ليس في عمله صدفة، وأن كل ما صدر عنه في كل الأحوال يتمشى مع العقل والتدبير، وأن ما أضافه وما أنقصه كان بناءً على دلائل خفية غامضة؟

حين تدققون في كلمات الله التالية وتتدبرون هذه الآيات. . كيف يمكنكم أن تتصوروا أن يكون عدم الاهتمام بهذه الموضوعات أمراً جائزاً؟:

السورة ٥١ «الذاريات»، الآية ٢٠: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾

السورة ٥١ «الذاريات»، الآية ٢١: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾.

[602] السورة ١٤ «إبراهيم»، الآية ٢٥: ﴿ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾.

السورة ٤١ «حم» (فصلت)، الآية ٥٣: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾.

(١) هذه الحالات إشارة إلى الحركات الثلاث التي تؤدي في الصلاة (القيام والركوع والسجود).

(٢) انظر الكتاب السابق الذكر، ص ٨٧ - ٨٩.

السورة ١٧ «بني اسرائيل» (الإسراء) الآية ٧٢، ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً﴾

والخلاصة أن الرسائل - بعضها أو كلها - تفيد الداعية، وتجعل المريد الجديد يقتنع بالقسم على الوفاء... عندئذ يقول له الداعية^(١).

«انتبه، ضع يدك اليمنى في يدي اليمنى، وتعهد لي بالحلف والأيمان التي لا تُنقض... ألا تفشى أبداً سرنا... وألا تقدم العون لخصومنا وأعدائنا أياً كانوا، وألا تنصب فخاً في طريقنا، وألا تحدثنا بغير الحقيقة، وألا تعطى أيّ عدوٍ من أعدائنا موثقاً ضدنا».

وعلى من يرغبون - بدافع الدقة والتوسع - أخذ صورة كاملة لهذا القسم، وقراءة تفاصيل ما أجملناه أن يرجعوا إلى كتاب دي ساسي^(٢).

وما يلي ذلك من مراحل يسير على النحو التالي:

المرحلة الثانية: يتعلم المريد الجديد فيها أن رضا الله لا يتم بتنفيذ أحكام الإسلام إلا إذا أخذ عن الإمام أصول الباطنية والمبادئ المكنونة التي تُعد أحكام الإسلام دليلاً جازماً على وجودها؛ لأنّ الأصول والمبادئ المذكورة قد أوكلت إلى الإمام وعُهدَ بها إليه.

المرحلة الثالثة: يُلقّن المريد الجديد ويُعلّم كيفية وكنه وعدد الأئمة، [603] ومعنى العدد سبعة في عالم المادة والمعنى، وعندها يوقن المريد أنّ العوالم المذكورة تدلّ على العدد سبعة. وبهذه الطريقة ينفصل تماماً عن مذهب الإمامية الاثنى عشرية... ويصبح مؤكداً لديه أن الأئمة الستة الآخرين في مذهب الإمامية الاثنى عشرية كانوا فاقدين للعلوم الدينية، وأنهم لا يستحقّون التكريم والاحترام.

المرحلة الرابعة: في هذه المرحلة يعلمون المريد الجديد الأصل المرتبط

(١) كتاب دي ساسي، ص ٩٣، de Sacy, Exposé.

(٢) ص ١٣٨ - ١٤٧.

بمراحل النبوة السبع، وكُتبه الناطق والسوس أو الأساس، والصوامت^(١) الستة الآخرين الذين يخلقون الناطق، وكيفية نسخ مذاهب الناطقين السابقين على يد الناطق التالي. وهذه التعليمات تستلزم الإقرار بكون محمد بن عبدالله لم يكن خاتم الأنبياء، وأن القرآن لم يكن آخر كلام من عند الله (كل من يقبل هذا الكلام يكون - بصفة قاطعة - خارجاً عن الإسلام). ويظهر محمد بن إسماعيل الإمام السابع والناطق الآخر والقائم أو صاحب الأمر.. يجب أن تنتهي علوم الأولين وتبدأ العقيدة الباطنية وعلم التأويل.

المرحلة الخامسة: في هذه المرحلة يحيط صاحب المذهب الجديد بمعلومات كثيرة مرتبطة بعلم الأعداد ومواضيع التأويل، على نحو يجعله يشك في معظم الأحاديث، ويتحدث بتهكم وسخرية وتحقير واستهزاء عن الوضع المذهبي، ويقل اهتمامه بمنطوق كلام الله يوماً بعد يوم، ويتنظر اليوم الذي تُلقى فيه مراسم الإسلام تماماً. ومما يُدرّس له أيضاً معنى العدد ١٢، والتعرف على الحُجج الإثني عشر الذين يأخذون على عاتقهم من البداية ترويج تعليمات كل واحد من الأئمة. والفقرات الاثنتا عشرة التي توجد في العمود الفقري للإنسان ترمز إلى الحُجج الاثني عشر. والفقرات السبع التي في الرقبة تشير إلى الرُّسل السبعة والأئمة السبعة الذين يتبعون كل واحد من الرسل.

[604] **المرحلة السادسة:** في هذه المرحلة يعلمون الجديد على المذهب التأويل، والمعاني المجازية لمراسم الإسلام وفرائضه من صلاة وصوم وزكاة وحج، إلى غير ذلك. ويجعلونه يعتقد بعد ذلك أن الاهتمام بالمراسم الظاهرية للشريعة شيء لا أهمية له على الإطلاق، وأن من الممكن تركه لأن فلسفة تشريع المراسم المذكورة من جانب المشرعين العلماء الحكماء كانت فقط للامساك بعنان خلق الذين لا يعرفون القيود، وللأخذ بزمام قطيع العوام.

(١) يسمى الأئمة بالصامتين لأنهم على خلاف الأنبياء - الذين كانوا في صدارة المراحل - لم يأتوا بعقيدة جديدة، وإنما علّموا الناس نفس التعليمات التي أوصلها إليهم الناطقون دون تصرف.

المرحلة السابعة: في هذا المقام - والمقامات التالية - يسير كبار الدعاة فقط لأنهم يدركون كُنه المبادئ الحقيقي والغاية من هذه المبادئ تمام الإدراك. وهنا تتمكّن عقيدة الثنائية من المفيد أو السابق، والمستفيد أو التالي واللاحق، وهي العقيدة التي تؤدّي بالتالي إلى زلزلة أساس الاعتقاد في التوحيد في نفس من قبل المذهب حديثاً.

المرحلة الثامنة: في هذا المقام، يتعهّدون العقيدة - التي مرّ ذكرها في المرحلة السابقة - بالرعاية، ويطبّقونها عملياً. ويخبرون الجديد على المذهب أن ما فوق المفيد والمستفيد أو السابق واللاحق جسد لا اسم له ولا هوية، بحيث لا يمكن أن يُعطى بشأنه أي خبر، ولا يمكن أن يُعبّد.

ويبدو أن هذا الجسد المجهول الاسم هو نفسه زروان اكرانه (الزمن اللامحدود) الذي ورد في الدين الزردشتي. ولكن بالرجوع إلى كتاب دي ساسي^(١) نجد فيما يخص هذا الأمر غموضاً أو خطأ: إذ كانت لدى الطائفة الإسماعيلية تعاليم مختلفة، ومهما سُويّ هذا الموضوع فإن من كانوا يختارون تلك التعاليم - وفق قول النويري - لا يمكن أن يُسمّوا بغير الشوّة والمادية». كما كانوا يعلمون الجديد على المذهب أن النبي لا يُعرف [605] بالمعجزات، وأن معيار وميزان تشخيص نبوّته هو أن يستطيع خلق جهاز سياسي واجتماعي ومذهبي وفلسفي في آن معاً، وأن يفرض أسلوبه وطريقته على النوع البشري.

وقد سمعتُ (القول لبراون) هذه العقيدة من أحد أفراد فرقة بابيّة إيران كان الرجل يقول: إن المعماري (المهندس) يُثبّت فنّه المعماري حين يشيّد بيتاً، والطبيب يدلّل على علمه بمعالجة المريض، والنبي بدوره يُثبّت رسالته بتأسيس دين قوي راسخ^(٢).

(١) كتاب دي ساسي، ص ١٢١-١٣٠. Sylvester de Sacy, Exposé.

(٢) انظر: كتاب يكسال ميان ايرانيان (عام بين الإيرانيين)، تأليف براون، ص ٣٠٣-٣٠٦ و ٣٦٧

و ٣٦٨ وبقية الصفحات: A year amongst the Persians.

ومن الموضوعات الأخرى التي تُعَلَّم له، والتي تُبحث بطريق المجاز..
الموضوعات التالية:

نشأة الآخرة، ويوم القيامة، والجزاء والأجر في الآخرة، وسائر العقائد المتعلقة بالموت والبعث والنشور.

المرحلة التاسعة: في هذا المقام - وهو آخر مراحل تعاليم مذهب الإسماعيلية - لا وجود للعقائد الدينية القاطعة الجازمة، أو بعبارة أخرى لا وجود لعلم اليقين، فكل آثار علم اليقين وعلاماته تمّحي تقريباً. والشخص الذي يبلغ تلك المرحلة فيلسوف خالص وحكيم لا يبارى، له الحرية في اختيار الطريق والنهج والمسلك، أو الخلط بين المسالك المختلفة والمزج بينها بأي كيفية تتلاءم مع طبعه، وتتفق أكثر من غيرها مع ذوقه وسليقته.

يقول النويري: «كثيراً ما يميل هذا الشخص لأفكار ماني أو البارديصانية» وقد يختار أحياناً نهج المجوس أو سبيل أفلاطون أو أرسطو، وفي معظم الأوقات، تجده يلتقط نقاطاً من مسالك مختلفة متنوعة ويلفّقها ويوائم بينها. وإلى حد ما، فإنّ مصير كل من يُخلّصون الحقيقة ويحرّرونها أن يتعرّضوا للحريرة والاضطراب».

ويضيق بنا المجال هنا عن الكلام، فلا نستطيع أن ننقل عهد المريدين الجدد وميثاقهم لدعاتهم، ولا أن نوضح كيف كان المريدون الجدد يطيعون الدعاة ويتبعونهم، أو نبيّن مقدار ما كان الدعاة يبذلونه من جهود لتقريب أتباع سائر الفرق والأديان المختلفة واجتذابهم.

[606] وعلى القراء الذين يودّون معرفة هذه الموضوعات والحصول على معلومات أخرى أكثر أهمية أن يرجعوا إلى كتب دي ساسي وجيار^(١) وسائر

(١) انظر: دي ساسي، ص ١٢٨-١٦٣: de Sacy: Exposé. والقطعات المتعلقة بعقائد الحشاشين، تأليف جيار: Guyard, Fragments relatifs a la Doctrine de Assassins ومعلّم الحشاشين الأكبر، تأليف جيار: Un Grand Maître des Assassins.

الرسائل المذكورة في هوامش صفحات هذا الفصل. وسوف ندير البحث في القسم الآخر من هذا الكتاب حول تقدّم هذه الفرقة وتطوّرها، والأحاديث الأخرى المتعلقة بها.

= تعليق المترجم: انظر رسالة كشف المحجوب في المذهب الإسماعيلي، من القرن الرابع الهجري، تأليف أبي يعقوب السجستاني، مع مقدّمة فرنسيّة بقلم هنري كرين Henry Corbin تهران ١٣٢٨ هـ.ش.

وارجع إلى «جامع الحكمتين» تأليف أبي المعين ناصر خسرو القبادياني المروزي اليمكاني، المؤلف عام ٤٦٢ هـ = ١٠٦٩ م، والذي قام بتصحيحه وتقديم له بالفارسية والفرنسية هنري كرين رئيس قسم الاستشراق بالمعهد الإيراني الفرنسي، والدكتور محمد معين الأستاذ بكلية الآداب جامعة طهران - نشر تهران ١٣٣٢ هـ.ش، مطبعة المعهد الإيراني الفرنسي (المقدّمة والترجمة باللغة الفرنسية).

وانظر كذلك سلسلة النشرات الخاصّة بالإسماعيليّة، التي نشرت في بمباي بمساعدة ايفانوف W.Ivanow، وعلى يد الجمعية الإسماعيلية The Ismaili Societys Series، ومؤسسة البحوث الإسلامية Islamic Research Association.

وانظر: مقدّمة تقى زاده على ديوان ناصر خسرو - طبع طهران ١٣٠٧ هـ.ش.

الفصل الثالث عشر

الحركات المذهبيّة في هذا العصر

٢ - تصوّف الصوفيّة

[607] الفصل الثالث عشر

الحركات المذهبية في هذا العصر

٢ - تصوّف الصوفيّة

على الرغم من أن التكامل التام لمشرب العرفان من وجهة وحدة الوجود والكمال المطلوب أو السير والسلوك ومعرفة الله والكشف والشهود الذي يُعرف في المجتمع الإسلامي بالتصوّف ويُعرف في أوروبا بـ (سوفيسم Sufism) على الرغم من أن هذا التكامل مرتبط بعصر آخر غير هذا العصر، إلّا أنّه يجب معرفة أن التصوّف في زمن تأليف كتاب الفهرست (٣٧٧هـ = ٩٨٧م) كان بمثابة أحد العلوم المسلّم بها في ذلك العصر. ولذا فمن المناسب أن يحظى هنا باهتمامنا، خاصّة وأنّ معرفة القليل عن كنهه وكيفية التصوّف وتعليمات الصوفيّة أمرٌ ضروري لفهم معاني قسم من أشعار شعراء إيران القدامى الذين كانوا يعيشون قبل عصر سنائي (حوالي عام ١١٣١م^(١) = ٥٢٦هـ) والعطار (١٢٣٠م = ٦٢٨هـ) وجلال الدين الرومي (ت ١٢٧٣م^(٢) = ٦٧٢هـ).

وربّما يكون الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير (ت ٤٤١هـ = ١٠٤٩م) أول

(١) تعليق المترجم الفارسي: ارجع إلى «الحديقة» مع مقدمة مدرس رضوي الأستاذ بجامعة طهران، طبع طهران ١٣٢٩هـ.ش.

(تعليق م.ع): انظر في ترجمة سنائي: السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص ٣١٢-٣١٥، حيث أثبت العديد من المراجع في هذا الشأن.

(٢) انظر الرسالة التي وضعها فروزانفر الأستاذ بجامعة طهران (رئيس كلية المعقول والمنقول) في دراسة أحوال وحياة مولانا جلال الدين محمد المشهور بالمولوي، طبع تهران، بهمن ماه ١٣١٥هـ.ش؛ وكتاب (فيه ما فيه)، مع تصحيحات وحواشي بديع الزمان، طبع تهران ١٣٣٠ش، نشر جامعة تهران؛ وكتاب (سوانح) للمولوي الرومي، تأليف العلامة شبلي النعماني، ترجمة سيد محمد تقی فخر داعي گيلاني، تهران ١٣٣٢ش.

[608] عارف خالص من بين جميع الشعراء بقيت مؤلفاته حتى هذا التاريخ. ولكن إذا لم يكن في الإمكان اكتشاف نفوذ الصوفيّة في آثار سابقه.. فإنّ بالإمكان العثور على ذلك النفوذ في مؤلّفات بعض معاصريه. وقد كانت رباعيات أبي سعيد العرفانيّة موضوع رسالة دكتوراه قيّمة^(١). وتوجد في حالات أبي سعيد مواضيع كثيرة خارقة للغاية ما زالت بين أيدينا. ونحن مدينون لجهود جوكوفسكي التي بذلها في جمع هذه الموضوعات والدراسات^(٢).

وقد وضعت للفظ «صوفي» في العصور المختلفة تفاسير وأصول عديدة، لكن المسلم به الآن تسليماً تاماً أنّ هذا اللفظ مشتقّ من كلمة صوف. ولفظ (ذو السترة الصوفية) الذي يطلق في اللغة الفارسيّة على العرفاء يؤيّد هذه النظرية. وقد كان اللباس الصوفي - منذ القدم - دليل الحياة البسيطة والبعد عن التظاهر والتفاخر والتجمل. وكانت هذه البساطة نفسها واجتناب الزخارف الدنيويّة من أحكام الرسول والخلفاء التالين له مباشرة. ويظهر هذا المعنى بوضوح في الشرح الذي أورده المسعودي عن الخلفاء الراشدين في كتابه مروج الذهب^(٣). بناء على ذلك بات لفظ (صوفي) يطلق في العصور التالية

(١) طبع الدكتوراه Dr. Ethé رسالة الدكتوراه المذكورة في النشرة التالية.

Sitzungsberichte der Königl. Bayer Akad. d. Wissenschaften for 1875, Phil. hist. cl. pp. 145-168.

(٢) نُشرت هذه المتن في سان بطرسبرج سنة ١٣١٧هـ = ١٨٩٩م، وتشتمل على حالات وكلمات الشيخ (ص ٧٨) وأسرار التوحيد مع رسالة حوارية (ص ٤٩٣).

تعليق المترجم: انظر كتاب أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد، مع مقدمة أحمد بهمنيار. الأستاذ بجامعة طهران ١٣١٣هـ. ش. وقد طبع الكتاب نفسه، عام ١٣٣٢ش، باهتمام الدكتور ذبيح الله صفا الأستاذ بجامعة طهران؛ وكتاب «حالات وسخنان شيخ أبو سعيد»، تأليف أحد أحفاده، في القرن السادس، مع مقدّمة بقلم إيرج افشار، طبع طهران ١٣٣١هـ. ش.

(٣) انظر: نهاية كتاب نحو اللغة العربيّة (دستور زبان عربي) تأليف سوسن، الطبعة الإنجليزيّة، عام ١٣٠٣هـ - ١٨٨٥م، ص ٧٢ و ٧٣ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧: Socin, Arabic Grammar.

(تعليق م. ع.): طبع كتاب مروج الذهب في باريس، عام ١٢٧٨-١٢٩٤هـ = ١٨٦١-١٨٧٧م.

[609] على المتعبدين والمتسكين والزهاد والمتعفين الأتقياء، الذين امتنعوا عن الكلام - شأنهم شأن الكويكريون الأوائل^(١) - غير أنهم كانوا يزدون عليهم بأنهم كانوا يرتدون أردية بسيطة.. ليبدو اعتراضهم على البذخ وزخارف أهل الدنيا المتزايدة. ويبدو أن هذا اللفظ لم يكن قد استخدم بعد حتى أواسط القرن الثاني الهجري (نهاية القرن الثامن المسيحي).. لأنَّ الجامي يقول صراحة في كتابه نفحات الأنس (ص ٣٤)^(٢): إن هذا اللفظ قد استخدم لأول مرة في حق أبي هاشم. وكان أبو هاشم من أهل سوريا، ومن معاصري سفيان الثوري الذي ارتدى الخرقة عام ١٦١هـ = ٧٧٧م، ويمكن أن يسلم بمادة الاشتقاق هذه، وأن يكتفى بذكر بعض التخريجات الأخرى.

سعى البعض مثلاً إلى تأكيد الارتباط بين كلمة سوفوس اليونانية والكلمة العربية: صفا أو أهل الصفة التي أطلقت على الفقراء^(٣) في أوائل الإسلام. (وجه اشتقاق الصوفي من كلمة الصفا - ذلك الذي وجد قبولاً لدى الجامي وأشار إليه في كتابه «بهارستان: الربيع» - لا يبدو أن يكون تخيلاً ووهماً).

ويذكر القشيري^(٤) فترة استخدام اللفظ لأول مرة، صراحة، ونفهم من قوله أن هذه الفترة كانت تسبق عام ٢٠٠هـ أو ٨١٦م بقليل.

وأقدم رَجُلٍ صوفيٍّ المشرب ذكره ابن النديم مؤلف الفهرست هو يحيى

(١) تعليق المترجم إلى الفارسية: يمكن رؤية التويرخ المختصر لهؤلاء الناس في حاشية ص ٤٤٤ من هذا الكتاب (الفارسي).

(٢) طبع Nassu Lees.

(٣) Herman Frank, Beitrag Zur Erkenntniss des Sufismus (Leipzig, 1884, pp. 8-10).

(٤) عبدالكريم بن هوازن القشيري مؤلف الرسالة الصوفية الشهيرة المسماة بالرسالة القشيرية التي نشرت في بولاق عام ١٢٨٤هـ = ١٨٦٧م (توفي عام ٤٣٨-٤٣٩هـ = ١٠٤٦-١٠٤٧م). وقد نُقلت العبارة المذكورة في كتاب نفحات الأنس للجامي (ص ٣١ طبع Nassules).

(تعليق م.ع): قمت بترجمة «بهارستان» إلى العربية والتعليق عليه، ونشرته جامعة الكويت ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

بن معاذ الرازي (الذي كان إيرانياً على الأرجح)، وقد مات عام ٢٠٦هـ = ٨٢٢م^(١).

[610] ومن متقدمي الصوفيّة (الذين تسمّوا بهذا الاسم أو لم يتسموا به، ولكنّ خلفاءهم يعرفونهم به):

الأول: إبراهيم بن أدهم (ت حوالي ١٦١هـ = ٧٧٧م).

الثاني: داود الطائي (ت حوالي ١٦٥-١٦٦هـ = ٧٨١-٧٨٢م).

الثالث: فضيل عياض (ت حوالي ١٨٨هـ = ٨٠٣م)^(٢).

الرابع: رابعة العدويّة^(٣) المعاصرة لسفيان الثوري.

ويمكن إجمالاً أن نعتبر نهاية القرن الثامن وأوائل التاسع الميلادي بداية لعصر التصوّف، وهذا الحساب هو المسلّم به إلى حد ما^(٤).

وبقدر ما هناك من خلافٍ حول اشتقاق لفظ «صوفي» هناك خلاف أيضاً حول كفيّة عقيدة التصوّف وأصلها ومنشئها. وفيما يلي مجمل هذا التفصيل:

(١) ضبط الجامي تاريخ وفاته على النحو التالي: (٢٢٨هـ = ٨٧٢م).

انظر: نفحات الأنس، ص ٦٢.

(تعليق م.ع): لم يدرج الجامي اسمه ضمن من ذكرهم من الصوفيّة في كتابه (بهارستان).

(٢) (تعليق م.ع): أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بشر التميمي اليربوعي. ولد في سمرقند، وتوفي عام ١٨٧هـ = ٨٠٣م، وقد أسند الحديث.

انظر في ترجمته: تذكرة الأولياء - الباب التاسع / ٧٤-٨٥؛ طبقات الصوفيّة - الطبقة الأولى؛ الرسالة القشيرية / ١١؛ ميزان الاعتدال، ج ٢ / ٣٣٤؛ تهذيب التهذيب ح ٨ / ط ٢٩٤-٢٩٧.

(٣) (تعليق م.ع): لمعرفة الكثير عن رابعة العدويّة، انظر: طه عبد الباقي سرور: رابعة العدويّة والحياة الروحية في الإسلام، طبع مصر.

(٤) تعليق المترجم الفارسي:

انظر: رياض العارفين، جمع رضا قلي خان هدايت، تهران ١٣١٦هـ. ش، تصحيح وتحشية مهد يقلى هدايت مخبر السلطنة رئيس الوزراء السابق، تاريخ التصوّف في الإسلام، تأليف د. قاسم غني، طبع تهران (ج ٢ في آثار وأفكار وأحوال حافظ)، ١٣٢٢هـ. ش = ١٣٦٢هـ. ق = ١٩٤٣م.

● الفروض المرتبطة بأصل التصوف:

١ - فرضية باطنية الإسلام:

الفرض الأول هو أنَّ التصوف - في الواقع - هو نفس عقيدة الرسول الباطنية، وهذا الاعتقاد هو الشائع بين الصوفية والمسلمين المتفقيين معهم قلباً وقالباً.

وعلى الرغم من أنَّ هذا الفرض لا يلقي استحساناً وقبولاً لدى العلماء الأوروبيين، فإنَّ التصوُّر الغالب في أوروبا هو أنه ليس فرضاً سخيلاً ولا تافهاً ولا مستعصياً على الدفاع. ومن الأحاديث التي يستند إليها الصوفية (والتي قد تكون موضوعة): «كنتُ كنزاً مخفياً فأحييتُ أن أعرف فخلقت الخلق كي أعرف»؛ «كان الله ولم يكن معه شيء»؛ «من عَرَفَ نفسه فقد عرف ربه»^(١).

[611] وعلى غير رغبتنا نكف عن الاسترسال في ذكر تلك الأحاديث والإكثار منها، ففي القرآن الكريم نصوص يمكن تفسيرها تفسيراً صوفياً، كالكمات التي نزلت على الرسول تخاطبه بشأن فتح مكة وهزيمة الكفار في غزوة بدر (سورة الأنفال - الآية ١٧): ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُ إِذَا رَمَيْتُ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى...﴾ إذ لا يبدو من ظاهر الكلمات من معنى سوى أن الله قد أمسك بساعد المسلمين وأيدهم ضدَّ الأعداء. ولا داعي للاسترسال وإكمال الآية كي يُسْتَتَجَّح أن الله هو الفاعل المطلق^(١).

(١) (تعليق م.ع): أمثال هذه الأحاديث ترد على أنها أحاديث قدسية، لكن معظمها لا سند له وهو

موضوع في الغالب، وبعضها يرد منسوباً إلى الرسول الكريم وينطبق عليه نفسي الشيء.

(٢) (تعليق م.ع): الآية الكريمة كاملة: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُ إِذْ رَمَيْتُ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وليس لها صلة بفتح مكة وإنما هي مرتبطة بيوم بدر.

ومع إيماننا بقدر الله وقوته ويأنه فعال لما يريد، إلا أن المفسرين لهم رأي فيما ورد بالآية الكريمة (التي نزلت على الرسول الكريم تبيِّن ما كان منه عليه السلام في يوم بدر)، فقوله سبحانه: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ لا يعني أنه أمسك بساعد المسلمين وتسبَّب في نصرهم، وإنما يعني أن الله قتلهم بما يسره لهم (يعني المسلمين) من الأسباب الموجبة للنصر. =

وبالرجوع إلى أقدم وأوثق المصادر المرتبطة بحياة الرسول وتعاليمه، وإمعان النظر فيها، يتأكد لنا أنه لا يمكن أن يُدعى بالصوفي أو أن تُسند إليه العقائد الباطنية. ولكن لا بد من الاعتراف دون قيد أو شرط أن هذه كانت نفس عقيدة المعتدلين من الصوفية بل وعقيدة ذوي الفكر الفلسفي من أمثال الغزالي (ت ٥٠٥-٥٠٦هـ = ١١١١-١١١٢م).

٢ - فرضية رد فعل العنصر الآري:

الفرض الثاني هو أن التصوف رد فعل للفكر الآرياني ضد المذهب الذي فرضه العنصر السامي بالقوة على العنصر الآري. ولهذا الفرض - بصفة إجمالية - وجهان: هندي وإيراني. والوجه الهندي منهما هو التشابه الواضح الصريح الموجود بين العقائد الصوفية التي تطورت كثيراً وبين بعض مذاهب الهند، وخاصة فدنتا سرا Vedanta Sara. وهذا التشابه يدل في حد ذاته على أن أصل الاثنين ومنشأهما واحد. (يرى براون أن في هذا التشابه - الصوري السطحي - مبالغة، وأنه لا وجود أصلاً للتشابه).

[612] وأقوى الإشكالات التي تعرّضت لها هذه النظرية تتمثل في حقيقة تاريخية.. وهي أنه برغم وجود نوع من تبادل الأفكار بين إيران والهند في

= وقوله سبحانه: ﴿وما رميت إذ رميت﴾ يشير إلى ما كان من الرسول عليه السلام في يوم بدر، فإنه أخذ قبضة من تراب فرمى بها في وجوه المشركين، فأصاب كل واحد منهم ودخلت في عينيه ومنخره وأنفه. وقوله سبحانه: ﴿ولكن الله رمى﴾ يعني أنك لم ترمها (يا محمد) على الحقيقة، لأنك لو رميتها وكانت على الوجه المعتاد ما بلغ أثرها إلا ما يبلغه رمي البشر، ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم، وأثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز وجل. وقوله سبحانه: ﴿وليلي المؤمنين منه بلاء حسناً﴾ يعني أن الله فعل ذلك للإنعام عليهم بنعمه الجميلة، لا لغيره.

وقوله سبحانه: ﴿إن الله سميع عليم﴾ يعني أنه سميع لدعاء المسلمين عليم بأحوالهم. انظر: زبدة التفسير من فتح العلي القدير لمحمد سليمان عبدالله الأشقر، طبع دولة الكويت (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية) ط ٢ عام ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

زمن الساسانيين - خاصة في القرن السادس الميلادي وإثان حكم أنوشيروان - إلا أنه لا يمكن إثبات أن نفوذ الهند قد سرى في إيران أو غيرها من الممالك الإسلامية في عصر الإسلام. كما أنه لم يكن للهند نفوذ في هذه المملكة إلى أن بلغ سير التصوف أقصى مراحل الكمال.

وأبو ریحان البيروني من أول العلماء الإسلاميين الذين تعلّموا اللغة السنسكريتيّة، ودرسوا جغرافيا الهند وتاريخها وأدبها وعقائدها وأفكارها. وقد دوّن أفكاره الشهيرة حول هذه الموضوعات^(١). وربما تكون عقائد الهند وأفكارهم قد أثّرت في العصور التالية - كما قال فون كرم^(٢) - تأثيرات ذات قيمة في مسيرة تكامل التصوف.

والوجه الثاني لهذا الفرض هو الوجه الإيراني المعروف بـ «فرض ردّ الفعل الآرياني». وأتباع هذا الفكر يرون أنّ التصوف في الأساس وليد الفكر الإيراني. ولما كنا - إلى حد ما - غير مطلّعين على المسيرة الروحيّة للأفكار في العصر الساساني، فإنّ من الصعب جدا - بناء على التاريخ وهو المحك الذي نطمئن إليه - أن نضع هذا الفرض موضع الاختبار، غير أن أهل التصوف - كما لاحظنا - لم يكونوا أول الأمر - قط - من أبناء الشعب الإيراني. وكان بعض ذوي النفوذ من مشاهير الصوفيّة في العصور التالية - أمثال الشيخ محي الدين بن العربي الذي توفي عام ٦٣٨ - ٦٣٩ هـ = ١٢٤٠-١٢٤١ م، وابن الفارض الذي تُوفي عام ٦٣٢ - ٦٣٣ هـ = ١٢٣٤-١٢٣٥ م - يتكلّمون باللغة العربيّة، ولم تكن في عروقهم قطرة دمٍ إيرانيّة.

(١) تعليق المترجم: تمّ نشر «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة» في عام ١٣٠٥ هـ = ١٨٨٧ م، بإشراف البرفسور زاخو، وعلى نفقة حكومة الهند في لندن. انظر: شرح حال نابغة إيران الشهير أبي ریحان محمد بن أحمد الخوارزمي البيروني، تأليف العالم الجليل علي أكبر دهخدا، مهرماه عام ١٣٢٤ هـ. ش الذي نُشرَ بدلاً من الأعداد الخمسة لمجلة آموزش وپرورش (التربية والتعليم) من قِبل وزارة التعليم.

(٢) Alfred Von Kremer, Culturgeschltische Streifzüge auf dem Gebiete des Islams (Leipzig, 1873) pp. 45-55.

[613] حتى لقد كان لمحبي الدين نفوذ عظيم لدى الكثير من خاصّة الخاصّة من عرفاء إيران، ومن جملتهم العراقي الذي كتب لمحاته تحت تأثير محبي الدين الكامل (ت ٦٨٦ هـ = ١٢٨٧ م)، وأوحد الدين الكرمانى (ت ٦٩٧ - ٦٩٨ هـ = ١٢٩٧-١٢٩٨ م). وبعد فترة وقع الجامي تحت تأثير محبي الدين غير المباشر (ت ٨٩٨ - ٨٩٩ هـ = ١٤٩٢-١٤٩٣ م). وما زال عدد كبير من عرفاء إيران يقرأون إلى الآن كتب محبي الدين بن عربي - وبخاصة فصوص الحكم - ويدرسونها بدقة واهتمام.

٣ - فرضيّة أنّ أصل التصوّف هو الطريقة الأفلاطونيّة الجديدة:

الفرض الثالث هو نفوذ الأفلاطونيين الجدد.

من المحتمل أنه ما دام التصوّف لم يكن على الإطلاق مظهرًا مستقلًا من مظاهر العرفان^(١)، وأنّه شيء فطري في نظر البعض.. فالواجب أن يكون - من بين كل الطرق والمسالك الأخرى - مديناً إلى حد كبير لمسلك الأفلاطونية الجديدة وطريقتها - وبناءً عليه، فالعرفان ناجم عن الفطرة، إذ أنه كان في كل الأزمنة وأكثر المجتمعات المتحضرة يتفق مع آمال ورغبات مجموعة من الأشخاص. ومهما أعمل البشر فكرهم في حلّ مشكلات الروح، ولماذا المجيء؟ ومن أين؟ وإلى أين؟... فإنّ هذا الأمر الفطري يبدو في أشكال عديدة وصور كثيرة لاتشابه بينها. وقد كان هذا رأيي لفترة [614] طويلة. وقد فسّره وشرحه صديقي وتلميذي نيكلسون في كتابه الذي نشره في كمبريدج تحت عنوان: «أشعار مختارة من ديوان شمس تبريزي» عام ١٣١٦ هـ = ١٨٩٨ م^(٢)، في الصفحات من ٣٠ حتى ٣٦ على نحو جدير

(١) تعليق المترجم: فيما يتعلّق بالتصوّف بالمعنى الأخصّ والعرفان بالمعنى الأعم، وردت إشارات في صدر المقال وبداية الفصل (ص ٦٠٧).

(٢) R.A Nicholson, Selected poems From the Divan-i- Shams- i- Tabriz (Cambridge, 1898).

بالمديح، ولكنه أخطأ في صفحة ٣٠ حيث يقول: «لم يعرفوا اسم فلوطين»^(١) في المشرق»، لأن اسم هذا الفيلسوف قد ورد صراحة في صفحة ٢٥٥ من كتاب الفهرست. كما وردت في مصادر أخرى كالمجل والنجل إشارات مجملة إلى (الشيخ اليوناني)^(٢).

لكن المسلمين يعرفون فرفوروس Porphyry بصورة أكبر. وقد أحصيت مؤلفاته فشغلت سبع فقرات أو ثمان في صفحة ٢٥٣ من كتاب الفهرست. وحتى لو سلمنا بوجود علاقة بين الطريقة الأفلاطونية الجديدة والتصوف فسوف تبقى عدة أسئلة فرعية، وسوف تكون الإجابة على هذه الأسئلة عسيرة في حدود معلوماتنا الحالية. ومن جملة هذه الأسئلة:

أولاً: أي العناصر استعارها الأفلاطونيون الجدد من المشرق أساساً.. خاصة من إيران^(٣)، وأدخلوها ضمن عناصر فلسفتهم؟ فقد قال فرفوروس .. كاتب سيرة فلوطين: لقد توجه فلوطين إلى إيران مستهدفاً - على الأخص - الاطلاع على الطرق الفلسفية التي يُعلّمونها هناك^(٤).

[615] ثانياً: «إلى أي حد استطاع الحكماء الأفلاطونيون الجدد السبعة

Plotinus

(١)

(٢) الملل والنحل للشهرستاني، ترجمة هاروبركر Haarbrucker، ج٢ ص ١٩٢ وما بعدها، ص ٤٢٩ و ٤٣٠.

(٣) في الترجمة التي وضعها بويه Bouille لكتب فلوطين The Enneads of Plotinus, Paris, 1857. ونشرت في باريس عام ١٨٥٧م = ١٢٧٤هـ، في ستة مجلدات، في كل مجلد (يُطلق عليه تاسوع) تسعة كتب، أي أنها تجمع ٥٤ كتاباً أو رسالة).

يتحدث بويه (ص ١٣) عن العلاقة الموجودة بين قسم من عقائد فلوطين وأفكار ممالك الشرق العرفانية. ثم يبحث في (ص ٢٧) عن آثار العقائد اللاهوتية ومعرفة الله المقتبسة عن الشرق. (٤) ثرى العبارة التالية في ص ٤١ من نفس الكتاب: «لقد كانت درجة ذوقه الفلسفي عالية إلى حد أنه شمر عن ساعد همته، وقال لنفسه: سوف أذهب إلى إيران والهند وأجمع كل ما يعلمونه هناك. وعندما كان الإمبراطور غردين Gordien مستعداً لقيادة حملة إلى إيران، التحق فلوطين - وهو دون التاسعة والثلاثين - بجيش الإمبراطور وتوجه إلى إيران. وبقي لدى امونيوس Ammonius من عشرة أعوام إلى أحد عشر عاماً. وقد قتل غردين في بين النهرين، ونجا فلوطين - في أنطاكية - بصعوبة».

الذين نجوا بأرواحهم وفرّوا من ديارهم، ولجأوا إلى البلاط الإيراني في عهد الملك انوشيروان (في حدود عام ٥٣٢م) . بسبب تعصب جاستانيان Justinien وعدم تسامحه، إلى أي حد استطاعوا إيجاد طريقة في إيران، وإلى أي حد تمكّنوا من نشر أفكارهم في تلك البلاد؟^(١).

وفي القرن التاسع الميلادي - في عصر الإسلام الذهبي - كان المسلمون يفكّرون تفكيراً جدياً في تحسين الفلسفة الأفلاطونية الجديدة. وباعتبارنا لم نحصل على اجابة قاطعة بشأن السؤالين السابقين لايمكننا إنكار أن بلاد الشرق في العهود السحيقة كانت تعرف رؤساء العقائد الأفلاطونية الجديدة. هذا إذا لم نقل إن هذه العقائد قد أخذت من الشرق.

٤ - فرضية الأصل والمنشأ المستقل :

[616] كما أشرنا من قبل، فإنه تبقى إمكانية احتمال أن يكون مشرب التصوف قد ظهر مستقلاً كلياً عن غيره من المسالك، ووُجدَ من تلقاء نفسه.

ويقول نيكلسون في كتابه السالف الذكر (ص ٣٠) موضحاً الأمر بصورة حسنة: «إذا كانت بين العقيدتين أو الطريقتين مطابقة واتحاد في الرأي فإن هذا لا يدل على أن إحداهما وليدة العقيدة الأخرى، لأنه من الممكن أن تشابه العقيدتان بحكم مشابهة المعلول للعلّة».

(١) كتاب سقوط امبراطورية الروم تأليف ادوارد جيون، الفصل الأربعون (طبعة ١٨١٣م، المجلد السابع، ص ١٤٩ - ١٥٢) والمصدر الرئيسي لهذه الواقعة العجيبة هو اجاثيوس Agathius. وهذه أسماء الحكماء السبعة:

ديوجانس Diogenes، هرمياس Hermias، يولاليوس Eulalius، پريس سين priscian، داماس سيوس Damascius، ايزيدور Isidore. سيم پلي سيوس Simplicius.

(تعليق م.ع): آوى أنوشيروان هؤلاء الإغريق بعد أن طردهم امبراطور الروم، وكان يأكل معهم ويباحثهم في أمور فلسفية. وقد أتاح لهم فرصة مواصلة البحث في مدرسة جنديسابور، ومنها نشروا فلسفتهم في الشرق، وقد أثروا بعمق في الثقافة الفارسية ثم الإسلامية، وكان لهم الفضل في ظهور التصوف في إيران. كما أنّ الديانة الزردشتية نفسها قد تأثرت بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة بعد زيارتهم لإيران (٣٥٠٠ عام من عمر ايران/ ١٨٩).

وكل من يقرأ الكتاب الساحر الذي وضعه فان^(١) في وصف الساعات التي عاشها مع العرفاء يدرك بسهولة أنهم في معظم مذاهب وممالك العالم - على مر العصور - كانت أقوالهم متشابهة ومتطابقة في الصورة والمعنى... من زوايا عديدة وبصورة ملفتة للنظر، بينما الواقع والمسلم به أنه لم يكن بينها قط أي ارتباط خارجي. ويمكننا التأكيد بكل ثقة أننا لو ترجمنا أقوال اكارث وتاولر أو سانتاتريزا^(٢) إلى الفارسية لاعتبرنا معظم أقوالهم - بكل بساطة وسهولة - بعض أقوال مشايخ الصوفية.

لذا يجب أن نتجنب الخطأ القائل بأن التصوف - شأنه عقائد الإسماعيلية التي ناقشناها في الفصل الماضي - مبادئ وأصول قاطعة رُتبت ونُظمت بأسلوب معين. فالصوفي الخالص المشرب والمسلك يختار زاد رحلته مما يعجبه من حوله، يأخذ عنقوداً من كل كرمة، وزهرة من كل بستان، ويميل في الأخلاق والدين إلى التحرر من القيود والخلاص من الحدود، ويتساهل بخصوص الصورة الظاهرية للعبادات والشرائع ولا يتقيّد بها.

ومن كلمات الصوفية القصار التي يحبونها ويهتمون بها: الطُّرُق إلى الله بعدد أنفُسِ الخلائق. وعلى لسان أهل التصوف يجري دائماً هذا الحديث: [617] اطلبوا العلم ولو بالصين. ولعل خير من تسبب في شهرة التصوف هو العالم الرباني الكبير حُجَّة الإسلام الغزالي (٥٠٥ - ٥٠٦ هـ = ١١١١ - ١١١٢ م) ويقدر ما بذله في هذا السبيل نجده لم يسعَ إلى إبراز التصوف في صورة الفلسفة.

وفي أقوال الغزالي وتوضيحاته في رسالة «المنقذ من الضلال»، والتي تدور حول جهوده التي بذلها بحماس ورغبة لإدراك كل موضوع طرّقه نجده يقول:

«ولم أزل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى

Vouhan, Hours with the Mystics

(١)

Eckart, Tauler, Santatresa

(٢)

الآن، وقد أناف السن على الخمسين، أقتحِم لجة هذا البحر العميق، وأخوض غمرته خوض الجسور لاخوض الجبان الحذور، وأتوغّل في كل مظلمة، وأتهجّم على كل مشكلة، وأقتحم كل ورطة، وأتفحص من عقيدة كل فرقة. واستكشف أسرار مذهب كل طائفة لأميّر بين محق ومبطل ومتسنّن ومبتدع. لا أغادر باطنياً إلاّ وأحبّ أن أطلع على بطانته، ولا ظاهرياً إلاّ وأريد أن أعلم حاصل ظهارته، ولا فلسفياً إلاّ وأقصد الوقوف على كنه فلسفته، ولا متكلماً إلاّ واجتهد في اطلاع على غاية كلامه ومجادلته، ولا صوفياً إلاّ وأحرص على العثور على سر صفوته، ولا متعبداً إلاّ وأترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته، ولا زنديقا معطلاً إلاّ واتجسّس وراءه للتنبيه لأسباب جرّأته في تعطيله وزندقته. وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري غريزة وفطرة من الله وُضعتا في جبلّتي، لا باختياري وحيلتي حتّى انحلت عني رابطة التقليد، وانكسرت على العقائد الموروثة على قرب عهد بسنّ الصبا...»^(١).

[618] وبناء عليه، فإنه لما كان من أخصّ الخصائص والأوصاف المميّزة للتصوّف.. الإعراض عن الدنيا والانقطاع عنها، والفكر والذكر، والانعزال عن المسالك والمذاهب، وفصل رباط القيود، وترك حدود الدين وظواهره. فإنه يمكن القول بأنّ التصوّف هو النقطة المقابلة تماماً - من عدّة زوايا- للعقائد القطعية لبعض المذاهب أمثال المانوية والإسماعيلية وغيرهما. ولو أردنا وصف التصوّف على نحو أكثر اعتدالاً لوجب أن نقول: إنّه يعبر عن السكون اللامحدود لا عن الحركة المحددة المعيّنة المعلومة.

وكثيراً ما تحدث الغفلة عن الاهتمام بهذه النقطة، فالعلماء - خاصة الذين

(١) تعليق المترجم: نقلاً عن هامش (ج ٢ ص ٣) من كتاب «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل» للعارف الربّاني والمعدن الصمداني سيد عبد الكريم بن إبراهيم الجيلاني، طبع مصر عام ١٣١٦هـ = ١٨٩٨م.

(تعليق م.ع): نقلاً عن رسالة «المتقد من الضلال»، القاهرة ١٣٧٢هـ = ١٩٥٢م، ص ٥١.

لم يسافروا قط إلى بلاد الشرق - يعتبرون الطرق والفرق أمثال الاسماعيلية والبايئة الحالية ملحقة بالصوفية أو قريبة منها.. بينما الواقع أن بينها وبين الصوفية عداوة كبيرة. والعداوة أمر طبيعي بين من يمتلك عقائد قاطعة ثابتة جازمة لا يجيز البحث والتغيير فيها وبين من يختار - من كل طريقة ومذهب وبلد - الفكر الذي يستحسنه أكثر من غيره (أو أنه بعبارة أخرى يأخذ من كل طرف زاداً ومن كل بستان زهرة. والبايئة بصفة خاصة - شأنهم شأن الشيعة المعادين لهم - ينفرون من الصوفية لأن نظرة الصوفية لا تتفق مع الدعاوى المحدودة التي ينادي بها أصحاب العقيدة المذهبية الثابتة التي لا تتغير، ونفس النفور الذي خلقه تساهل الصوفية وعدم تقيدهم، يبدو جلياً في كتابات داعية مسيحي يدعى هنري مارتين Henry Martyn، وفيما يتعلق بوجهة نظر الشيعة - بصفة عامة - بالنسبة للصوفية، فإن موريه Morier قد جسّمها بصورة تدعو للإعجاب، وذلك في الفصل العشرين من كتابه الفريد المعروف بحاجي بابا، وعلى هذا النحو. أفاد التصوف المتشريعين وأهل السنة في أماكن مختلفة خاصة في الممالك السنية. وكل من يطالع كتاب «المثنوى» لأكبر شعراء العرفان العارف جلال الدين الرومي تعلق بخاطره أبيات في الرد على المعتزلة [619] والفلاسفة ومن لا يتقيدون بالدين. والحق أن الكثير ممن هلكوا بسبب عقائدهم الدينية - على الرغم من أن الصوفية فيما بعد قد أدرجوا أسماءهم في زمرة الأوتاد والأولياء - قد جاءوا بيدع مختلفة. ويصدق هذا المعنى - على سبيل المثال - على هؤلاء الأشخاص:

أولاً: الحسين بن منصور الحلاج^(١) (الذي سيدور البحث في هذا الفصل حوله)، ويبدو أن الرجل كانت له اليد الطولى في الدسيسة والمكر؛ ولهذا يعتبر رجلاً مطلعاً خبيراً خطيراً. وقد كانت له صلة ورابطة وثيقة بالقرامطة.

(١) (تعليق م.ع): ارجع في ترجمته إلى: طبقات السلمي - الطبقة الثالثة؛ الباب ج١ ص ٣٣٠؛ وفيات الأعيان ج١ ص ١٨٣ - ١٩٠؛ شذرات الذهب ج٢ ص ٢٥٣ - ٢٥٧؛ المختصر في أخبار البشر، ج٢ ص ٧٠.

الثاني: الشيخ شهاب الدين يحيى السهروردي المقتول صاحب الحكمة الإشرافية^(١) (قُتل عام ٥٨٧ هـ = ١١٩١ م). ويقول الجامي بخصوصه في كتاب نفحات الأنس (ص ٦٨٣ - ٦٨٤): لقد اتَّهموا الشيخ بالإلحاد وإنكار الله وفساد العقيدة والارتداد والاعتقاد في الحكماء القدامى.

الثالث: فضل الله، مبتدع عقيدة الحروفية^(٢) الذي قُتل في عام ٨٠٤ - ٨٠٥ هـ = ١٤٠١ - ١٤٠٢ م، بأمر من الأمير تيمور.

الرابع: نسيمي، شاعر الترك، من أتباع فضل الله، نزعوا جلده عن جسده حياً في حلب عام ٨٢٠ - ٨٢١ هـ، ١٤١٧ = ١٤١٨ م.

وكان دعاة مذاهب البدع والضلال يقومون بدعوتهم في لباس مغاير أي في كسوة الدراويش (وليس على خصالهم). وقد دخل الفدائيون الحشاشون بدورهم في نفس ثوب الفقر ودلق الرياء أكثر من مرة. وكان بين الصوفية المخلصين بدورهم - بين بعضهم البعض - اختلاف تام: لأن مسلكهم كان مسلكاً انفرادياً، ولم تكن لديهم الرغبة في نشر طريقتهم والدعاية لها.

[620] ويطوى العارف الكامل منازل ومراحل متعددة. ويعبر - بفضل إرشاد شيوخ الطريقة أو المرشدين والمشايخ والقادة الروحيين المختلفين - مرحلة رياضة طويلة لنيل مقام العرفان، ويعتبر العرفان كل المذاهب الموجودة - بلا استثناء - مظهراً من المظاهر الضعيفة للحقيقة العظمى المخفية في كل الموجودات. ويقال إنَّ العارف هو الشخص الواصل المتصل بتلك الحقيقة العظمى، وهو الذي لا يرغب في الإفاضة إلا لمن يحتاجه للتربية، وصاحب الاستعداد وقدرة الاستفاضة.

(١) لا يجب أن نخلط بين الشيخ شهاب الدين يحيى السهروردي المقتول وبين الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي، الذي كانت له معرفة بالسعدي. وقد تُوفي بتاريخ ٦٣٢ - ٦٣٣ هـ = ١٢٣٤ - ١٢٣٥ م.، انظر: اليوستان للسعدي، طبع جراف، ص ١٥٠.

(٢) انظر مقالة براون حول هذه الفرقة في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية، طبع يناير ١٨٩٨ (١٣١٦ هـ)، ص ٦١ - ٩٤، وانظر كذلك تاريخ الشعر العثماني، تأليف جيب، المجلد الأول، ص ٣٣٦ - ٣٨٨.

ويقسم فان أهل التصوف في جملتهم إلى ثلاث طبقات^(١) :
الطبقة الأولى: الأشخاص الذين يقولون إنَّ لكل المذاهب والطرق
الفلسفية والعلمية حقيقة واحدة.
الطبقة الثانية: أهل الكشف والشهود.

(١) تعليق المترجم: بعد هذا الكتاب، تمَّ نشر مؤلفات أخرى حول الصوفية، من جملتها:
دائرة معارف الأديان وعلم الأخلاق، تأليف هيستيجز، ج١٢، ص ١١ - ١٧، طبع عام
١٩٣٤م (١٣٥٣هـ):

Encyclopedia of Religion and Ethics, edited by James Hastings, 1934.

دائرة المعارف الإسلامية: Encyclopédie de l'islam، ج٤ عام ١٩٣٤م، مبحث التصوف، ص
٧١٥ - ٧١٩؛ مقدمة التصوف التطبيقي، تأليف جاك دوماركت، باريس ١٩٤٨م (١٣٦٨هـ):

Jucque de Marquette, Introduction à la Mystique Comparée, Paris, 1948.

وبعد عام نُشر هذا الكتاب في نيويورك أيضاً باللغة الانجليزية:

Introduction to Comparative Mysticism, New York, 1949.

عرفاء الإسلام، تأليف نيكلسون، لندن ١٩١٤م (١٣٣٣هـ):

Reynold A. Nicholson, The Mystics of Islam, London, 1914.

التصوف المشرقي، تأليف بالمر، مع مقدمة اربري، الطبعة الثانية:

E.H.palmer, Oriental mysticism, Introduction by A.J.Arberry.

دراسات في التصوف الإسلامي، تأليف نيكلسون ١٩٢١م (١٣٤٠هـ):

Reynold A.Nicholson, studies in Islamic Mysticism, Cambridge, 1921.

ماسينيو: حول الحلاج:

Lapassion d'Al - Hossayn - ibn - Mansour al - Hallaj, par lois Massignon, Tome II.

Librairie, Paris, 1922.

الدكتور قاسم غني: تاريخ تصوف در اسلام، ١٣٢٢هـ. ش (ج٢، بحث في آثار وأفكار وأحوال حافظ).

كتاب كشف وشهود در تصوف إيران، تأليف الدكتور عبد الحسين علي آبادي، باريس ١٩٣٩م:

Dr. Abdol - Hossein Aliabadi, L' Illumination dans le Mysticisme de l'Iran, Paris, 1939.

عرفاء الإسلام، تأليف آيري، لندن ١٩٥٠م (١٣٧٠هـ):

A.J.Arberry, Sufism - An Account of the Mystics of Islam, london 1950.

الترجمة الإنجليزية للمثنوي بواسطة نيكلسون: ترجمة رباعيات جلال الدين الرومي إلى الشعر
الإنجليزي، طبع لندن ١٩٤٩م بواسطة اربري.

The Ruba'iyat of Jalal al Din Rumi, select translations into English verse by
A.J.Arberry, London, 1949.

[621] الطبقة الثالثة: أهل الكرامات وخوارق العادات^(١)، ويوجد بين الصوفيّة أفراد ينتمون إلى الطبقات الثلاث.

ولكن الصوفيّة في أول أمرهم وفي الفترة التي نببحثها في هذا الفصل كانوا ينتمون في الغالب إلى الطبقة الثانية (أي من أهل الكشف والشهود). وقد كتب القشيري والياضي وفريد الدين العطار والجامي وآخرون عن أحوال الصوفيّة - الأوائل، أمثال إبراهيم بن أدهم (ت ٧٧٧-٧٧٨ م = ١٦١ - ١٦٢ هـ)، ومعاصريه: سفيان الثوري وداود الطائي وأبي هاشم ورابعة العدويّة، أو كتبوا عن فضيل عياض (ت ٨٠٣ م = ١٨٨ هـ) ومعروف الكرخي [622] (ت ٨١٥ - ٨١٦ م) ٢٠٠ - ٢١ هـ وبشر بن الحارث (ت ٨٤١ = ٨٤٢ هـ = ٢٢٧ - ٢٢٨ هـ) وأحمد بن خضرويه (ت ٨٥٤ - ٨٥٥ م = ٢٤٠ - ٢٤١ هـ) والمحاسبي (ت ٨٥٧ - ٨٥٨ م = ٢٤٣ = ٢٤٤ هـ) وذو النون

(١) تعليق المترجم إلى الفارسية: يقول تقي زاده: «كم هي طريفة تلك القصة التي ينسبها العوام إلى بايزيد، إذ يقولون إنّه دخل مدينة وسار في سوقها فرأى أرزاً مطبوخاً في دكان أحد الطباخين، ورأى فوق الأرز طيوراً مشويّة، ففكر في إبداء كرامة فسحب الطيور الناضجة، فدبّت فيها الحياة وطارت. وتدفّق مشاهد كرامته نحوه، وأخذوا يتبعونه يأخذون قطعاً من رداءه للتبرّك بها. ولما رأى هذه الغوغائية وأن مائة ألف يتبعونه معتقدين فيه، خشي أن يكشف ذلك تنكّره ويخرجه من تجرّده وعزلته. وخرج من المدينة وهم مازالوا يتبعونه، ففتح سررواله وتبوّل علناً ففرّق العوام على الفور باصقين لاعنين، وهنا قال لمريديه: «نعم إنّ من تجمعهم الكرامة يفرّقهم البول».

(تعليق م.ع): بايزيد (أبو يزيد) البسطامي، هو طيفور بن عيسى آدم بن سروشان. ولد في بسطام عام ١٨٨ هـ = ٨٠٤ م. كان جدّه مجوسياً فأسلم. وهو أوسي التربية، أسموه لشدة زهده وعلمه «سلطان العارفين»، وأسماه الشيخ محيي الدين: «أبايزيد الأكبر». ويقال انه كان إذا ذكر الله يبول - من خوفه - دماً. حَفِظَ القرآن وأسنَدَ الحديث، وقد كانت بعض أقوله سبباً في غضب الكثيرين.

مات في عام ٢٦١ هـ = ٨٧٤ م أو (٢٣٤ هـ = ٨٤٨ م) أو (٢٦٤ هـ = ٨٧٨ م)، وله مدافن عديدة في أكثر من مكان.

ارجع في ترجمته إلى: بهارستان (الربيع) للجامي - ترجمة وتعليق أحمد كمال، ص ٢٣٧ - ٢٣٩؛ رشحات عين الحياة (ترجمة)؛ ص ٢٤؛ المواهب السرمديّة، ص ٤٥ - ٤٦؛ ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٨١؛ طبقات الصوفية - الطبقة الأولى؛ تذكرة الأولياء - الباب ١٤، ص ١٣٤ - ١٧٩.

المصري (ت ٨٥٩ - ٨٦٠ = ٢٤٥ - ٢٤٦هـ) وسرى السقطي (ت ٨٦٧م = ٢٥٣هـ) وأمثالهم. ولو دققنا فيما كتبوه لرأينا أن تصريحات هؤلاء الصوفية لا تخرج عن حدود ترك الروابط الدنيوية والتوجه إلى الله والزهد والتعفف. وكانت أمنيتهم القلبية تتمثل في شيء أعمق من التقيد والتعلق بالتشريفات والمراسيم. . هذا الشيء هو أن يخضعوا أرواحهم المتمردة الملتهبة للرضا والقناعة بحب الله لألوهيته وذاته لا من أجل الجزاء والثواب والعقاب، وأن يذوبوا في العشق ويهيموا فيه. ولبعض من ذكرناهم سابقا من السالكين وأهل الله كلمات. . ننقل بعضها هنا دون تدقيق في اختيار موضوعاتها، وذلك كي نفسر النقطة التي تعرّضنا لها^(١):

من كلمات إبراهيم بن أدهم:

«إلهي أنت تعلم أن الجنان الثمانية قليلة إلى جانب الكرم الذي أسبغته عليّ، قليلة إلى جانب محبتك، قليلة إلى جانب أنسى بذكرك، قليلة إلى جانب السرور الذي منحني إياه وقت تفكير في عظمتك». (العطار).

ويوم أن سُئل: لماذا تركت مُلك بلخ؟ أجاب: كنت جالسا ذات يوم على العرش فوضعوا مراة أمامي. ونظرت فيها فرأيت منزلي قبرا بلا أنيس، ومائدتي مبسوطة دون زاد، ورأيت قاضيا عادلا ولا حجة عندي... فهان المُلك على قلبي». (العطار).

[623] قدّم إليه أحد الرجال عشرة آلاف درهم، فلم يقبلها، وقال:

«أتريد بهذا القدر من المال إن تمحوا اسمي من بين أسماء الدراويش؟». (العطار).

«ثلاثة حجب يجب رفعها من أمام قلب السالك ليُفتح له باب السعادة.

(١) (تعليق م.ع): في كتابي: (الربيع)، كتبتُ حول معظم هؤلاء الصوفية، وذكرت تصريحاتهم، وسجلت أقوالهم.

انظر: شخصيات كتاب الربيع (الشخصيات الصوفية)، ص ٢٣١ - ٢٥٦ حيث توجد ٢٩ شخصية.

أولها ألا يُسرَّ إذا ما أُعطى مُلك الدنيا والآخرة عطاءً أبدياً، فإنَّه إن فرح بالموجود تملكه الحرص، والحرص محروم. وثانيها ألا يغتم لإفلاسه إذا ما امتلك مُلك العالمين ثم نُزع منه، ففي هذا دليل السخط، والساخط معذب. وثالثها ألا يغرَّه مدحُ وثناء، فمن اغارَّيهما صار فاطر الهمة، وفاتر الهمة محجوب، ويجب أن يكون المرء عالي الهمة. (العطار).

من كلمات سفيان الثوري:

«حين يتقرب الدرويش من الغنى اعلم أنَّه مُراء، وحين يتقرب من السلطان اعلم أنَّه لص» (العطار).

«سبحانه ذاك الإله الذي يجذبنا ويأخذ مالنا.. فتزداد حُباً له». (العطار).
لو قال لك أحدهم: «نعم الرجل أنت» فسرك ذاك أكثر ممَّا لو قيل لك: «بئس الرجل أنت»، فاعلم أنَّك ما زلت رجلاً سيئاً. (العطار).

من كلمات رابعة العدوية:

«ثمرة المعرفة التوجُّه إلى الله» (العطار)

«إلهي، أعط أعداءك ما قسمته لنا في الدنيا، وأعط أحبابك ما قسمته لنا في الآخرة.. فإنَّك تكفيني» (العطار)

«استغفر الله من قلة صدقي في استغفر الله» (الجامي)^(١).

«إلهي، إن كنتُ أعبدك خوفَ نارك فاحرقني بها، وإن كنتُ أعبدك أملاً [624] في جنتك فحرِّمها عليَّ. وإن كنتُ أعبدك لذاتك فلا تبخل عليَّ بجمالِكَ الباقي». (العطار).

من كلمات فضيل بن عياض:

«إني أعبد الحقَّ سبحانه وتعالى بالحب حتى إني لا أطيق صبراً على ألا أعيده». (الجامي)^(٢).

(١) تعليق المترجم: نقلاً عن تفحات الأنس، طبع الهند، ص ٤٥٣.

(٢) تعليق المترجم: نقلاً عن تفحات الأنس، طبع الهند، ص ٣٨.

«أريد أن أمرض كي لا تجب عليّ صلاة الجماعة ولا تجب عليّ رؤية الخلق». (العطار).

«كلُّ من توحشه الوحدة ويأنس إلى الخلق بعيد عن السلامة» (العطار).

«كلُّ من يخشى الله تخشاه كل الأشياء، وكل من لا يخشى الله يخشى كل الأشياء» (العطار).

ويمكن إيراد مائة ضعف من مثل هذه الكلمات التي قالها قدامى المتصوّفين، لكننا كي نقوم بشرح مراحل التصوّف الأولى في الإسلام، يكفينا أن نقول إن التصوّف في تلك المراحل كان في معظمه متمثلاً في الرياضة، وترك الوسوس الدنيويّة، والعشق، ودم الطاعة والعبادة الظاهريّة التي هي مجرد تحريك اللسان، والتي لا تقوم على خلوص النية.. وهذه هي الصفات التي كان صوفيّة ذلك العصر - بصفة خاصّة - يتّصفون بها أكثر من غيرها.

ويرى فون كرم (Alfred Von Kremer) أن هذا اللون من التصوّف - المقترن غالباً بالاعتكاف والرياضة والزهد والورع - هولون من التصوّف، ظهر أول ما ظهر بين العرب، ولم يكن له نفوذ خارجي. وإذا كان له نفوذ فإنه نفوذ المعتكفين في الصوامع من المسيحيين، لا نفوذ الأفكار الإيرانية واليونانيّة والهنديّة.

[625] ويمكن القطع بأن فكرة وحدة الوجود قد ظهرت أول ما ظهرت في أواخر القرن التاسع وبداية العاشر الميلادي. وقد كان ظهورها مقترناً بظهور شخصين من العرفاء:

الأول: أبو يزيد البسطامي (با يزيد البسطامي) الذي نشأ في أسرة مجوسية (وكان أول من أسلم من طائفة با يزيد هو جدّه الذي كان يسمى آدم). ويقال إن يزيد كان يعتبر نفسه المحيط الذي لا حدّ له^(١). وعُرش الله واللوح

(١) انظر كلمة صوفي في «فرهنگ اسلام»، تأليف هيوز وآخرين.

المحفوظ، والقلم أو كلمة الخلق من لدن الحق، وإبراهيم وموسى وعيسى من الأنبياء، وجبريل وميكائيل وإسرافيل من الملائكة المقربين. لأنَّ كلَّ شخصٍ - طبقاً لقوله يصل إلى الوجود الحقيقي أي إلى مقام حق اليقين.. مجذوب ومتَّصل وفانٍ في الله وباقي بالله.

وقد قال في موضع آخر: «سبحاني ما أعظم شأنِي». وينقل العطار بدوره هذه المقولة عنه: «إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني»^(١) ويقول العطار أيضاً: «ولمَّا تصاعد أمره لم يتحمَّل أهل الظاهرة كلامه وضاقوا به ذرعاً.. فأخرجوا متاعه من بسطام».

وقد قال بايزيد في موضع آخر: «إذا أخفيتُ عنك حقيقة حالي لمتني، وإن كشفتها لك ضقت بها ذرعاً».

وقد قال جُنيد، بدوره الكثير من الأقواله على نفس النهج والنسق:
«تحدَّث الله تعالى مع البشر ثلاثين عاماً بلسان جُنيد»^(٢) ولم يكن لجُنيد وجود، ولم يكن عند الخلق خبر.
«غاية التوحيد إنكار التوحيد»^(٣).

[626] بناءً على ذلك فإنَّه بظهور العرفاء المذكورين - الذين يعتبرهم الصوفيَّة من أكبر شيوخهم ومرشديهم - زادت طريقة أخرى إلى طريقة المتصوِّفة القديمة التي كانت تتمثَّل في ترك العلائق والتوجُّه إلى الله.. وهي

(١) (تعليق م.ع)

مثل هذه العبارة تُقال في حالة الوجد والحال كما يرى من يكتبون عن التصوف، ويرى البعض أنه يدَّعي أولوية العبارة بصورتها هذه قريبة من قوله سبحانه وتعالى: «إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي» (سورة طه، الآية ١٤)، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.
(٢) وردت هذه الرواية في تذكرة الأولياء على النحو التالي:

«تحدَّث الله تعالى بلسان جنيد مع جنيد ثلاثين عاماً، ولم يكن لجُنيد وجود، ولم يكن لدى الخلق خبر».

(٣) تعليق المترجم: أي أنك لو دقت في التوحيد لوجدته غير ما عرفت، ولما وصل العقل إلى كنه ذاته. وبعبارة أفضل: ما عرفناك حقَّ معرفتك.

وحدة الوجود. بطريقة كاملة ومبالغ فيها. وهذا التحول - في الواقع - أمر طبيعي - بدايته اجتياز مرحلة أن الله وحده هو القابل للحب وموضوع التفكير والتدبر، وأن البشر كالقلم يستقر بين أصابع الكاتب... مجرد آلة لتنفيذ قدرته، والحياة الروحانية هي وحدها ذات الأهمية. ونهايته بلوغ مرحلة أخرى، وهي أن حقيقة التوحيد ملك الله، وعالم المادة سراب، والدنيا الظاهرة ظل الوجود. وللسير في هذه المرحلة يحتاج الأمر إلى خطوة قصيرة فقط.

ومما يلفت النظر في هذا الأمر أن بايزيد وجنيد كانا إيرانيين. ويغلب على الظن أنهما - بعد اعتناقهما التصوف بتلك الدرجة من الحماس - قد أدخلوا عليه الأفكار التي عاشت طويلاً في إيران وكانت من خصوصيات تلك البلاد؛ لأن عرفاء إيران كانوا هم الذين بسطوا التصوف وتوسّعوا فيه من زاوية وحدة الوجود إلى حد كبير. مع ذلك يجب أن يوضع في الاعتبار أنه بدراسة أشكال التصوف وجميع صورته يتأكد أن الخطوة التي سبّرت في مرحلة ترك العلائق الدنيوية تجاه وحدة الوجود لم تكن خطوة طويلة صعبة.

وهنا يلزمنا الحديث حول الحسين بن منصور. ولو أصدرنا حكماً بناءً على أقدم المراجع وأوثق المصادر لقلنا إن وجود الحلاج - مقارنةً بغيره من العرفاء والمرشدين الذين حقّقوا نجاحاً أكبر ولم يعمدوا إلى الإيذاء - لم يكن يخلو من ضرر. لكن المتأخرين من العرفاء كفريد الدين العطار وحافظ وأمثلهم يعتبرون الحلاج بطلاً، ويرون أن عيبه الوحيد هو إفشاء الأسرار، هذا في حالة ما إذا كان من الممكن نسبة العيب إليه. كان هذا الرجل يعيش في بداية القرن العاشر الميلادي، وقد انتهى الأمر بقتله - كما شاع على أفواه العامة - في خلافة المقتدر (٣١٠ هـ = ٩٢٢ م). وقد قُتل في الغالب بسبب إدلائه بأقوال تخالف موازين الشرع؛ فكان يقول في حالة الوجد والحال: «أنا [627] الحق» وأكثر الشروح إسهاباً بين الشروح التي كتبها القدامى حوله،

الشرح الذي أورده ابن النديم (الفهرست، ص ١٩٠ - ١٩٢)؛ والشرح الذي أورده «عريب» في ذيل تاريخ الطبري (طبع دوخويه - ص ٨٦ - ١٠٨). وقد أضاف العالم الذي قام بتصحيح هذا الكتاب قصةً عن ابن مسكويه ضمّها إلى هذا الكتاب.

ويرى صاحب الفهرست أن الحلاج إيراني، ولكن لا يُعلم ما إذا كان من أهل نيسابور أو مرو أو الطالقان أو الري أو كوهستان^(١). يقول ابن النديم: كان الحلاج رجلاً محتالاً مشعوذاً يميل إلى مذاهب الصوفيّة. وكان يتّخذ الألفاظ الصوفيّة حليّةً لكلامه، ويدّعي إحاطته بكلّ العلوم بينما الحقيقة أن معلوماته كانت صفراً. وكان يعرف شيئاً عن صناعة الكيمياء، وجاهلاً مجادلاً عنيداً، متطاولاً على السلاطين، جسوراً وقحاً، يتدخّل في الأمور الجسيمة، ويسعى لإحداث الفتن والثورات في الدول، ويدّعي الألوهية عند أصحابه ويقول بالحلول. ويتظاهر عند الملوك بالتشيع، ويبدى عند عامة الناس اعتقاده في التصوف. وقد أدعى أنّ الله قد حلّ في جسمه، وأنه هو نفسه الحقّ سبحانه وتعالى، تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

وجاء في تاريخ الطبري (ح ٣ ص ٢٢٨٩) أنّ الحلاج في عام ٣٠١ هـ - ٩١٣ م كان يتنقّل مشرداً بين المدن، فتعرّض آنذاك لاختبار أجراه له أبو الحسن علي بن عيسى وزير الخليفة المقتدر. وقد وجده الوزير عارياً تماماً عن القرآن، والعلوم التابعة له والمتفرّعة عنه من فقه وحديث وغيرها. كما وجده عارياً عن الشعر ولغة العرب كليّة. وهنا قال الوزير للحلاج إنّه من الأفضل له أن يتعلّم الطهارة ويؤدّي فرائض الشرع.. لا أن يكتب رسائل لا يدري هو نفسه ما الذي قد كتبه فيها، ويقول كلاماً مضطرباً مشتتاً، كالآتي^(٢): ينزل ذو النور الشعشعاني الذي يلمع بعد شعشعته». ويبدو أن

(١) تعليق المترجم: قهستان.

(٢) أثبت قدرٌ كبيرٌ من شطحاته في النسخة العربية للطبري، الموجودة بالمتحف البريطاني تحت العلامة Add ٩٦٩٢ (الأوراق ٣١٧ إلى الآخر). وقد نقل براون الكثير من نفس المقولة.

[628] الحلاج قد رُبط فترة قصيرة على شاطئ نهر دجلة الكبير، وأنهم قد نقلوه مربوطاً من شاطئ إلى آخر يقع مقابل (شُرطة). وهناك تمّ ربطه بحبل إلى صليب أو خشبة طويلة مستقيمة (لكنهم لم يصلبوه)، ثم أُلقي به في السجن. وهناك اهتمّ (الحلاج) بأداء آداب الشريعة ومراسيمها - وفق مذهب أهل السُنّة - على أمل أن يجد طريقه إلى قلوبهم.

كان الحلاج في بداية أمره يقوم بالدعاية لعلي بن موسى الرضا - ثامن الأئمة في فرقة الاثنى عشرية - ويعتبر من دعائه. وكان ما زال يتمتع بهذه السِمة حين قُبض عليه في كوهستان^(١) إيران، وجُلد بالسياط. وقد حاول الحلاج أن يجذب أبا سهل النوبختي. وقد قال أبو سهل في حقّه: إني أؤمن بأنه قد أنزل درهماً من الفضاء عليه اسمه واسم أبيه، وهو لا يَمُتُّ إلى الدراهم المعروفة بصِلّة. وترتّب على هذا أن آمن به الكثيرون. ولم يقنع الحلاج، وادّعى معجزات أخرى من جملتها أن يمدّ يده ويبسط كفّه فتمتلىء بالمسك والمال^(٢) فيوزع ذلك على المشاهدين. وقد ذكر الفهرست (ص ١٩٢) أسماء ٤٦ كتاباً ورسالة للحلاج. ويقال إنه كتب في أحد كتبه:

[629] «إني مُغرِق قومٍ نوحٍ ومُهْلِك عادٍ وشمود»^(٣).

وقد عرض الحلاج وحدة الوجود لأول مرة في عام ٩١١ - ٩١٢ م = ٢٩٩ - ٣٠٠ هـ، كما جاء في المرجع نفسه. وبعد عشر سنوات من هذا التاريخ، أي في عام (٣١٠ هـ = ٩٢٢ م) أعيد بصورة ظالمة. وقد روت امرأة

-
- (١) تعليق المترجم: قوهستان، ومعنى كوهستان في الفارسية: البلاد الجبلية.
- (٢) تعليقه المترجم: كانت هذه الدراهم تسمى «دراهم القُدرة» (خاندان نوبختي لعبّاس اقبال، تهران ١٣١١ هـ. ش، ص ١١٦).
- (٣) قوم عاد وقوم ثمود من العرب القدامى عبدة الأصنام. وقد بُعث إليهما - على الترتيب - هود وصالح. فلما لم يؤمنوا ولجؤا في عنادهم... هلكوا؛ فتعرّض قوم عاد لظوفان شديد، وقوم ثمود لصيحة مخيفة، هلكوا إثر سماعهم لها. (القرآن الكريم، السورة السابعة [الأعراف]).
- (تعليق م.ع): يظهر هذا في الآيات: «وإلى عاد أخاهم هوداً... الآية ٦٥؛ «فأنجيناه والذين آمنوا معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين» الآية ٧٢؛ «وإلى ثمود أخاهم صالحاً... الآية ٧٣؛ «فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين» الآية ٧٨.

في شوش أنها رأت من منزلها جماعات تدخل منزل الحلاج وتخرج منه .
وقد أنكر الحلاج هويته، لكن أحد مريديه السابقين عرفه عن طريق كدمة
وجرح كانا في رأسه . وبعد أن ساطوه ألف سوط، قطعوا يديه وقدميه، ثم
قتلوه، وأخيراً أحرقوا جسده في النار .

وطبقاً لما قاله «عريب» فإن الحلاج كان يتظاهر باعتناق مذهب وطريقة كل
فرقة يخالطها ويجالس أصحابها . فهو يتظاهر بالتسُّن مع أهل السُّنة
والجماعة، وبالتشييع مع الشيعة، وهو معتزلي عند المعتزلة . ومن العلوم التي
نسبوا إليه معرفتها: الطب والكيمياء والسحر والشعوذة، وقد ادعى الحلول .
وإن ما قاله الحلاج من كلمات قيِّمة أو تافهة في حقِّ الله وحق الأنبياء . .
ليُدعو إلى الحزن والأسف؛ لقد كان يقول مخاطباً أحد مريديه: «أنت
نوح!»، ويقول الآخر: «أنت موسى!»، ويقول لثالث «أنت محمداً! . ثم
يوضح الأمر قائلاً: لقد تسبَّب في إعادة روح الرسل إلى أبدانكم .

ويقول الصولي، وهو مؤرِّخ رأى الحلاج بنفسه مراراً: الحلاج جاهل
[630] يدعى الفهم والذكاء، يفتقر إلى حضور الذهن والاستعداد في النطق
والبيان لكثته عليم بالفصاحة والبلاغة . مكَّارٌ وضع يتظاهر بالتقوى والعفاف
والزهد عن طريق ملابس الصوفيَّة ودلق الرياء^(١) .

وبالإضافة إلى ما ذُكر، كتب ابن مسكويه بدوره موضوعات في حقِّه . .
سجَّلها في كتاب «العيون»، قال ابن مسكويه: دارت الشائعات حول نفوذ
الحلاج وسلطته بين موظفي الدولة والعوام . وكانت الشائعات تؤكِّد قدرته
على إحياء الموتى، وخضوع الجنِّ والملائكة لأمره، وإعدادهم له كلِّ ما
يريد . يضاف إلى ذلك أنه يمتلك نفس المعجزات التي كانت للأنبياء
السابقين .

وقد نُقلت هذه الأخبار إلى حامد وزير الخليفة، وزيد عليها أنه كان يُطلق

(١) انظر مادة اشتقاق لفظ «صوفي»، ص ٦٠٨ و ٦٠٩ من هذا الكتاب (الترجمة الفارسية) .

لقب (النبي) على ثلاثة من أتباعه، أولهم يدعى (السمري)، والثاني يعمل كاتباً، والثالث من أفراد طائفة بني هاشم، أما هو فيدعى الألوهية. وأمر حامد فألقي القبض على الثلاثة، وتم استجوابهم. وأسفر التحقيق عن اعترافهم بأنهم من جملة مبلغيه ودعاته، وأنهم يدعونه إلههم، ويؤمنون بقدرته على إحياء الموتى - وقد نفى الحلاج - وكان في قيده - هذه الدرجات نفياً قاطعاً وأنكرها غاية الإنكار، وسمح بأن يقابله في سجنه أي شخص يريد ذلك. وكان إلى جانب اسمه يعرف باسم محمد بن أحمد الفارسي.

وكانت للسمري - أحد أنبيائه الثلاثة - ابنة، وقد ذكرت طرفاً من أقواله وأفعاله المفعممة بالضرر. كما عُثر في منازل «السمري» و«حيدره» و«القناعي الهاشمي» على الكثير من كتاباته ورسائله.. وكان بعضها مكتوباً بماء الذهب على ورق صيني، وديباج مطرز بالذهب، وحرير^(١) ومجلداً بجلد فاخر.

[631] ثم أُلقي القبض على اثنين من دعاته في خراسان، وهما ابن بشر وشاكر، وعُثر لديهما على تعليمات وأوامر كان الحلاج قد أعطاها لهما ولغيرهما من عمّاله. وقد سوأت هذه الاكتشافات موقفه.

ومن المعجزات التي نسبت أيضاً إليه أن جسده كان يكبر ويعظم حتى يملأ فراغ الحجرة التي هو بها. ومنها أنه منح الحياة لبيغاء ميّت كان للخليفة المقتدر. وقد أثرت هذه الأمور في الخليفة إلى حدّ أنه لم يرّض بقتله. وقد قام الحلاج بأسفار عدة، وذهب إلى الهند كي يرى لعبة الجبل التي كانت من أجمل وأشهر أعمال هذا العصر، وهناك رأى امرأة من لاعبات الجبل تقذف به في الهواء وتتسلقه وتختفي في الفضاء.

ومن البدع التي وجدها حامد في كُتب الحلاج - غير هذا - تعليماته المفصلة الدقيقة حول الحج. وكان الحلاج قد أصدر أمره بتأدية مناسك الحج في أي مكان، وأعدّ حُجرة خاصة لهذا الأمر، وأعلن أن هذه

(١) طابق ذلك مع ما قيل حول الكتب المانوية، ص ٢٤٣.

بدعة، وأنها وسائر البدع قد أخذت عن رسائل الحسن البصري، وقد حُكِمَ عليه بالإعدام لهذا السبب، وقد تمَّ القتل - كما قيل من قبل - بصورة ظالمة. أي أنه بعد تلقيه ضربات السياط (قُطِعت يده وقدمه ورأسه وأحرقت). وقد أُسِنِدَ تنفيذ الحكم إلى صاحب الشرطة محمد بن عبدالصمد. وقد طُلب منه ألا يستمع إلى كلام الحلاج بصفة خاصة، وألا يصغي إليه كليّة. وبعد أن عُرِضَت رأسه فترة قصيرة على قنطرة دجلة.. أُرْسِلَت إلى خراسان. وفي خراسان ادّعى أصحاب الحلاج أن من مُثِّلَ به وقُتِل شخص آخر كان عدواً للحلاج، وقد أخذ صورته وصار درعاً يقيه البلاء. (ادّعى عُرَفَاء المسيحيين والمسلمون من بعدهم نفس الدعوى بالنسبة لعيسى)^(١). كما ادّعى بعض مريديه أنهم رأوه بعد التاريخ الذي قيل إنه قُتِل فيه، وأنهم تحدّثوا إليه.

[632] وقد فُرِضَ على باعة الكتب أن يمتنعوا عن تداول رسائله بيعاً وشراءً، وأُلْزِمُوا بالقَسَم على ذلك. وقد بلغت فترة أسره - من يوم أن قُبِضَ عليه إلى أن قُتِل - ثمانية أعوام وسبعة أشهر وثمانية أيام.

وقد فصل الهمداني هذه الحادثة بصورة أكبر. وأضاف دوخويه - في هوامش الصفحات من ٩٦-١٠١ من كتاب عريب الذي قام بنشره - شرحاً قريباً من المضمون التالي:

(١) القرآن الكريم، السورة الرابعة (النساء) الآيتان ١٥٧، ١٥٨: «وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً. بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً». تعليق المترجم الفارسي: يرجع من يريدون تفسير هذه الآية بدقة.. إلى كتاب «محو الموهوم» تأليف العلامة المرحوم شريعة سنكلجي طاب ثراه، طبع تهران، اردى بهشت ١٣٢٣ هـ.ش. (تعليق م.ع): أخطأ براون في الترقيم فأثبت الرقم (١٥٦)، وقد قمت بالتصحيح كعادتي. كما أن هناك خطأ في قوله «نفس الدعوى» فما يؤمن به المسيحيون في هذا الشأن غير ما يؤمن به المسلمون.

صرّح أحد مريدي الحلاج المعروف بالسمري - في أثناء تحقيق «حامد» معه - أنّه في أثناء سفره مع مرشده الحلاج في الشتاء قاصدين مكاناً قريباً من استخر فارس أخرج الحلاج خياراً أخضر من بين الثلج - قد قُطِف حديثاً - وأعطاه له فأكله.

وحين سمع حامد هذا الكلام سبّ السمري ونعته بالكذاب، وأمر أتباعه بتحطيم فمه. وقال أحد الشهود إنّ الحلاج كان يأتي في المجلس بفاكهة مخلوقة لساعتها، لكنّها كانت إذا ما بلغت يد الناس تحوّلت إلى براز. وما إن مات الحلاج حتى جرى سيلٌ عظيم في دجلة، فقال أتباع الحلاج: إنّ هذا السيل قد تسبّب في حدوثه إلقاء رماد جسد الحلاج في مجرى النهر، وأدعى فريق آخر من أتباعه أنهم رأوه في طريق النهروان راكباً حماراً. ونقلوا عنه [633] قوله: «الواقع أنهم قتلوا حيواناً بدلاً مني»، بمعنى أن الحيوان قد تشكّل في صورة الحلاج، ونال الجزاء الذي كانوا قد أعدّوه له.

وهذه بعض الأشعار التي نُسبت إلى الحلاج (نقلًا عن ص ٩٧ من طبعة دوخويه)^(١)

وما وَجَدْتُ لقلبي راحةً أبداً	وكيف ذاك وقد هَيَّئْتُ للكدرِ
لقد ركبت على التعزير واعجبا	ممن يريد النجا في المَسْلَكِ الخطرِ
كأنني بين أمواج تُقَلِّبُنِي	مقلَّبٌ بين إصعادٍ ومُنَحَدِرِ
الحُزْنُ في مُهَجَّتِي والنارُ في كبدي	والدمعُ يشهدُ لي فاستشهدوا بصري

ويقول الهمداني إنّ بعض الصوفيّة يدّعون أنّ السرّ الخفي بل سرّ السرّ كان واضحاً مكشوفاً ظاهراً لدى الحلاج. ويُقال إنّ قال: إلهي إنك تحبّ حتى من يؤذونك، فكيف إذا لا تحب من تشتوا وتاهوا من أجلك؟ وكان ابن نصر القشوري مريضاً، وتاقت نفسه للفتاح فلم يجده، فبسط الحلاج يده، ولما قبضها كانت بيده تفاحة، وقال لمن معه إنه قطفها من حديقة الجنة.

(١) تعليق المترجم: «تتمة تاريخ الطبري» لعريب بن سعد القرطبي، طبع ليدن، مطبعة بريل عام ١٨٩٧م (١٣١٥هـ) ص ٩٧.

واعترض أحد الواقفين بجواره بأن فاكهة الجنة لا تفسد.. فكيف تحتوي هذه التفاحة على دودة؟! فأجاب الحلاج لأنها جاءت من البلاط الأزلي إلى دنيا الفساد الخربة، ولهذا وجد الفساد طريقه إلى قلبها! ويقول المؤلف إنَّ الحاضرين قد استحسنوا إجابته أكثر من فعله الذي قام به. ثم ينقل المؤلف حديثه مع [634] الشبلي. ويقول إنَّ الحلاج يُدعى مجازاً بالحلاج لأنه كان يغوص إلى أفكار البشر الخفية، ويستخرج من أعماق قلب الإنسان لبَّ لباب خيالاته، وكأنَّه ندَّاف القطن (الحلاج) الذي يفصل عن القطن بذوره. بينما يقول آخرون إنه قد ساعد شخصاً يعمل حلاجاً في واسط بطريقة معجزة فأسماه بالحلاج. ويختلف الصوفيَّة حول اعتبار الحلاج منهم أو ليس منهم. وحين أرادوا إعدامه أرسل إليه الشبلي - الذي يعتبر من أولياء الصوفية - امرأة من أهل نيسابور تدعى فاطمة، ووجَّه إليه معها بعض الأسئلة. ومن جملة هذه الأسئلة: ما التصوف؟ وقد أجاب الحلاج: «إنَّ ما بي هو التصوف، لأنِّي - وأقسم بالله - لم أر فرقاً مطلقاً ولو للحظة واحدة بين اللذة والألم».

وينقل دوخويه بدوره هذه الموضوعات عن ابن الجوزي في هامش متن عريب (ص ١٠١-١٠٨):

في يومَي الأربعاء والخميس - الأول والثاني من ديسمبر سنة ٩١٢ م - صُلبَ الحلاج في ساحل دجلة الشرقي، ثم صُلبَ في اليومين التاليين في الساحل الغربي^(١)، (يبدو أنهم أطلقوا سراحه بعد هذا التعذيب الشديد).

(١) في العصور التالية، كان لسان حال الصوفيَّة يقول بصفة عامَّة إنَّهم صلبوا الحلاج وقتلوه على هذا النحو، وكأنهم يريدون إيجاد وجه شبه بينه وبين عيسى المسيح. وفي عام ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧-١٨٨٨ م) نُشِرت في بمباي مجموعة من الأشعار تنسب إلى حسين بن منصور الحلاج، وكانت ملفَّقة بصورة مخجلة. وقد وُضعت في مقدِّمتها صورة لعيسى المسيح مشدوداً إلى الصليب (مأخوذة عن إحدى الكتب المسيحية). وكان الكتاب يتحدَّث أيضاً عن فضائل عَصاته الخالية من لطف الصنعة. وقد أضافوا إليه هذا البيت المعروف لجلال الدين الرومي أخذاً عن المثنوي:

چون قلم در دست غدارى فتاد
لا جرم منصور برداري فتاد
حين بات القلم في يد أحد الغادرين.. وأصبح الأمر في يده،
شدَّ المنصور إلى العيدان. (القلم: الحكم).

وفي العام التالي، قبضوا عليه ثانية مع أحد أتباعه، وأركبوه جملاً وأحضره إلى بغداد ليشاهده جميع الناس، وكان أمام الجمل منادٍ يصيح: هذا الرجل من دعاة القرامطة! شاهدوه جيداً!

[635] وقد قام الوزير علي بن عيسى بعد ذلك بالتحقيق معه، وقد ورد من قبل ذكر ذلك التحقيق وذاك العقاب، وذكر أنه قد صُلب (الترجمة الفارسية، ص ٦٢٧ و٦٢٨). وفي موضع آخر أثبت المؤلف عام (٣٠٩هـ = ٩٢١م - ٩٢٢م) تاريخاً لوفاته، وذكر تفاصيل أكبر عن أحواله، فقال إنَّ جدّه كان من مجوس البيضا (دُرسيد: القلعة البيضاء) الواقعة في فارس. وقد تربى في واسط أو شوشتر، ثم توجه إلى بغداد وجالس الصوفيّة وكبار المشايخ أمثال جنيد وسفيان الثوري.

وكثرت أسفاره بعد ذلك، وعمد إلى سير الآفاق والأنفس في الهند وخراسان وماوراء النهر وبلاد الترك.

وتختلف عقائد الناس بشأنه، فالبعض يروونه ساحراً، والبعض يعدونه من الأولياء وأصحاب الكشف والكرامة، والبعض يدعونه باللص والكذاب. وقد ورد رأي أبي بكر الصولي بشأنه في كتابنا هذا (ص ٦٢٩ من الترجمة الفارسية)، وقد نقلنا رأيه بحذافيره تقريباً.

وطبقاً لقول أحد مرافقيه في سفره إلى الهند ممن كانوا معه في سفينة واحدة - ووفق تصريحه هو - فإنّه توجه إلى هناك لتعلم علم السحر.

كما قيل إنه كان باستطاعته أن يحاكي آيات القرآن ويأتي بآيات تناظرها، وهذا الادّعاء يمثل أشدّ درجات الكفر، كما أنّه يستوجب القتل في نظر كلّ المؤمنين.

ويشير ابن الجوزي إلى رسالة كتبها بنفسه في أقوال الحلاج وأفعاله ويُرشد القراء الراغبين في مزيد من المعلومات إلى رسالته هذه. ويتحدّث بدوره ذاكراً مذكّره سائر المؤلفين بخصوص الحلاج وبدعه في الدين، تلك التي ذكرناها (من قبيل الحلول والرجعة والتشبيه).

ويجعل ابن الجوزي تاريخ قتله يوم الخميس ٢٦ مارس ٩٢٢م (٣١٠هـ) ويقول: لقد ذهب إلى موضع قتله دون خوف، ذهب بوجه بشوش مسروراً ضاحكاً. . وهو ينشد هذه الأشعار:

[636] نديمي غير منسوبٍ إلى شيءٍ من الحنيفِ
سقاني مثل ما يشرب كفعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكاس دعا بالنطع^(١) والسينف
كذا من يشرب الراح مع التئين في الصيف
وقبل أن يفصلوا رأسه عن جسده قال لمريديه: «اسعدوا وأبشروا فسأعود إلى الأرض بعد ثلاثين يوماً».

وبعد ذلك الحدث بثلاث سنوات، قطع نازوك - صاحب الشرطة - رؤوس ثلاثة من مريدي الحلاج وصلب أجسادهم، وهم: «حيدره» و«الشعراني» و«ابن منصور»، وذلك لرفضهم التراجع عن الإيمان بالحلاج.

وقد وضع الذهبي بدوره رسالة بخصوص الحلاج (لا يُحتمل أن تكون عند أحد). كما تحدث عنه باختصار في كتابه الذي ألفه في التاريخ، فقال إنه كان جليسا ومصاحباً لجنيد وعمرو بن عثمان المكي وسائر مشايخ الصوفيّة. وكان - من باب الخداع والرياء - يتظاهر بالاعتكاف والزهد والعبادة والرياضة، ولكن بقدر ما داخل رأسه من جنون العظمة والقوة والرياسة فإنه قد انحرف عن الصراط المستقيم، وضلّ وخرج عن دائرة الدين.

ويقول المؤلّف نفسه: مع ذلك، حكم الكثير من الصوفيّة في العهود التالية بألوهيته. وحتى الغزالي - حجة الإسلام الكبير - قد التمس له العذر في مشكاة الأنوار، وبرّر أقواله بأنها مقبولة إلى حد ما من زاوية من الزوايا. غير أن مبرراته بعيدة تماماً عن المفاهيم البديهية للألفاظ العربية.

(١) النطع: السفرة أو البساط الذي كان يسطه الجلّاد. وكانوا يضعون جلدة كبيرة مدوّرة حول ثقب، ويمرّرون حبلاً من ثقب فيها، وحين يشدّون الحبل يتجمّع في الجلدة دمُ المقتول وكأنّها كأس. وعندما كان الجلّاد يقطع رأس المحكوم عليه بالإعدام. . كان يُحكّم الحبل فيستقر جسم المقتول في ذلك البساط وكأنّه الكيس أو (الجوال).

ويقول أبو سعيد النقّاش في كتابه «تاريخ الصوفيّة» إنّ البعض قد اتّهم [637] الحلاج بالسحر، بينما اتّهمه آخرون بالزندقة. والحقّ أنّ سِتّة كتاب أو سبعة ممن يوثق بهم - وقد استشهد الذهبي بكلماتهم - كانوا يعتقدون أنّه «كافرٌ خبيث».

وقد اعتمدنا تمام الاعتماد - في بحثنا حول هذا الشخص العجيب - على أقدم المصادر وأوثقها. ويرجع السبب في تدقيقنا بشأنه إلى أنه صار في العصور التالية واحداً من الأبطال والأولياء المحبوبين لدى الغالبية العظمى من الصوفيّة. ويورد شعراءُ العرفان الإيرانيّون دائماً في أشعارهم إشارات تشي بتصديقهم الكبير للحلاج وحبّهم العميم له. يضاف إلى ذلك أن الحلاج يمكن أن يعتبر - إلى حدٍ كبير - مبتكر طريقة في التصوّف، وأنّ وحدة الوجود والكشف والكرامات من معتقدات تلك الطريقة. ويُبدي أتباع الحلاج اعتقادهم في ذلك الأمر بصورة علنيّة، على نحو يفوق بقيّة السالكين في سائر الطرق، وهم على استعداد للدفاع عن عقائدهم أمام الخصم.

وسوف نواجه ابتداءً من هذا التاريخ فما بعد - وبصفة دائمة - أمثال هذه التصرّفات. ففي تذكرة الأولياء يلقّب فريدُ الدين العطار الحلاج بهذه الألقاب: «قتيل الله في سبيل الله، وأسد غابة التحقيق.. وغريق البحر المواجه»، وغير ذلك. ويمتدح أوصافه الخلقية وفضائله المكتسبة ومعجزاته، ويضيف في حقّه هذه الكلمات: «وقد نسبته البعض إلى السحر، ونسبه بعض أصحاب الظاهر إلى الكفر». وبعد الإشارة إلى موسى وإلى الشجرة المشتعلة يعود فيقول: «إني ليداخلني العَجَبُ ممن يُجيز أن يصدر عن شجرة: «إني أنا الله» بينما الشجرة لا وجود لها، كيف لا يجيز أن يصدر عن الحسين: «أنا الحق» بينما الحسين لا وجود له»^(١).

(١) ما يعنيه هو أن وجود هذين الحجاجين في مقام الشهود وجمع الجمع قد حجبهُ نورُ التجلّي، وقد ظهر نورُ الحقّ في شخصهما وفنّى شخصهما في نور الله.

وقد قال أبو سعيد أبو الخير، أقدم شعراء العرفان الإيرانيين: «إن العلاج لم يكن له نظير في عصره سواء في الشرق أو الغرب بسبب شدة وجده وحاله وفرط الهياج الذي كان يغمر روحه».

[638] أما الجامي^(١) - ناقل تلك العقيدة - وكذلك حافظ وأكثر المتأخرين من العرفاء فيذكرونه بكلمات استحسان كالتى قيلت.

وفي أحد العصور التالية - ربّما في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي - صبّ الغزالي وآخرون التصوّف تدريجياً في قالب سلوك فلسفي، وربطوه بالتسنّن إلى حد كبير، ويلفت الانتباه أن ثلاثة من قدامى وكبار شعراء العرفان في إيران كانوا من أهل السنّة والجماعة، وهؤلاء الثلاثة هم: سنائي والعطار وجلال الدين الرومي؛ فقد كانت أشعارهم مشحونة بنعت أبي بكر وعمر، وكانوا من أعداء المعتزلة والفلاسفة البارزين، في الوقت الذي لم يكن فيه التصوّف قد أثر على هذا النحو في متقدّمي شعراء الشيعة الإيرانيين أمثال الفردوسي، وناصر خسرو المنتمي للإسماعيلية. وقد خُصّص قسم من كتاب «مجالس المؤمنين» للشيعة من شعراء إيران. وفي هذا القسم ترد إلى جانب الفردوسي أسماء شعراء آخرين: أسدي، غضائري الرازي، بندار (أو بندار) الرازي، أبو المفاخر الرازي، قوامي الرازي، خاقاني الشيرواني، الأنوري، سلمان الساوجي، يمين الدولة الفريومدي^(٢).

(١) انظر: نفحات الأنس للجامي، ص ١٦٩.

(٢) (تعليق م.ع): بالنسبة لهؤلاء الشعراء، لا تكاد توجد أخبار حول أبي المفاخر الرازي، وقوامي الرازي، ويمين الدولة الفريومدي. أما بنداري الرازي فقد سبق لنا الكلام عنه، فإذا تحدثنا عن الباقيين قلنا:

(أ) أسدي الطوسي (علي بن أحمد): صاحب الفردوسي ومن أهل بلده، ومخترع شعر المناظرة، وصاحب كتابي گرشاسب نامه وفرهنگ لغات فرس (أو لغت فرس). ألف أول كتابه عام ٤٥٨هـ = ١٠٦٥م أو بعد ذلك بعام. وقد قام كذلك بنسخ كتاب (الأبنية عن حقائق الأدوية) لموفق الهروي. وكانت وفاة أسدي بعد عام ٤٥٩هـ = ١٠٦٦م.

انظر في ترجمته: تاريخ الأدب في إيران لبراون (ج ٢ تعريب) ص ١٣٤؛ السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص ٣٠٤، ٣٠٥؛ تاريخ أدبيات إيران لرضا زاده، ص ١٧٤.

- (ب) غضائري الرازي: أحد الشعراء الذين كانوا يمتدحون محموداً الغزنوي. يميل شعره إلى الغلو (أي المبالغة المستحيلة عقلاً وعملاً).
- انظر في ترجمته: تاريخ الأدب في إيران (ج ٢ تعريب)، تذكرة الشعراء لدولت شاه، ص ٣٣.
- (ج) انظر في ترجمة خاقاني الشيرازي: السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١؛ الربيع (بهارستان)، ص ٢٨٨، ٢٨٩؛ سبك شناسي، ص ١٦٦؛ شعر العجم، ص ١٦٧؛ تاريخ الأدب في إيران، ج ٢ (تعريب) ص ٤٩٥؛ ديوان خاقاني، تهران ١٣١٦ هـ. ش؛ تحفة العراقيين لخاقاني، لكنو ١٢٩٤ هـ = ١٨٧٧ م؛ دانشمندان آذربيجان لمحمد علي تربيت، ص ١٢٩-١٣٢.
- (د) الأنوري: لمعرفة الكثير عنه انظر:
- الربيع / ٢٧٧، ٢٨٢؛ السلاجقة في التاريخ والحضارة / ٣٣٤-٣٤٥؛ شعر العجم؛ ديوان أنوري؛ مجمع الفصحاء؛ تاريخ أدبيات إيران؛ آثار البلاد؛ مشكلات ديوان أنوري؛ آثار البلاد؛ گلستان سعدی؛ تذكرة الشعراء؛ بهارستان جامي؛ هفت اقليم؛ تاريخ گزيده؛ الكامل في التاريخ؛ تاريخ أدبيات در ایران ج ٢؛ نزهة القلوب؛ الأنوري: عصره وبيئته وشعره - رسالة دكتوراه لأحمد كمال - آداب عين شمس، ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م.
- (هـ) خواجه سلمان الساوجي: وُلد في حدود عام ٧٠٠ هـ = ١٣٠٠ م. كان على دراية تامة بعلم السياق، يفوق أقرانه في الشعر والشاعرية. وقد اقتبس الشعراء عنه وامتدحوه ومنحوه لقباً: «ملك الفضلاء» و«ملك الكلام». عمل معلماً للسلطان أويس، وامتدح سلاطين الإيلخانيين والجلاليرين. من مؤلفاته: ديوان قصائد وغزليات ومقطعات ورباعيات، ومثنوية فراق نامه، ومثنوية جمشيد وخورشيد. شغل بالزهد في الفترة الأخيرة من عمره، وتوفي عام ٧٧٥ هـ = ١٣٧٣ م أو ٧٧٨ هـ = ١٣٧٦ م.
- انظر في ترجمته: تذكرة الشعراء، ليدن / ٢٥٧-٢٦٣؛ تاريخ الأدب في إيران ج ٣ (ترجمة علي أصغر حكمت للفارسية / ٢٨٩-٢٩٨؛ آتشكده، طبعة حجرية / ٢٠٨؛ حبيب السير، بمبائي / ج ١ ص ١٣٠؛ الربيع / ٢٩٨.

وبين المتقدمين، لم ترد أسماء شعراء آخرين ذوي منزلة كبيرة ومقام شامخ، حتى لقد ترك مدفن الشاعر الإيراني الكبير: «سعدي الشيرازي» لغبار النسيان^(١)، وتعرض ضريحه - في العصور التالية لمهانة مواطنيه أسوة بالسنة^(٢).

[639] وفي تركيا، يحظى كتاب المثنوي^(٣) لجلال الدين الرومي بشهرة وشعبية عظيمة. وسالكو الطريقة المولوية بصفة خاصة (الذين اشتقوا اسمهم من مولا هم المولوى وعُرفوا بسلسلة المولوية واشتهروا بالرقص^(٤) والسماع)

(١) انظر: كتاب «عام بين الإيرانيين» لبراون، ص ٢٨١ و ٢٨٢. A Year Amongst the Persians.

(٢) تعليق المترجم الفارسي: في عام ١٣٠٤ هـ. ش، تشكلت جمعية باسم «جمعية الآثار القومية» من عدد من علماء البلاد لحفظ آثار الأجداد وتكريم مفاخر البلاد القومية. وقد خطت هذه الجمعية خطوتها الأولى في سبيل تعمير المبنى الشامل لمقبرة الشاعر الكبير، ناظم شعر الحماسة الإيراني الذي لا نظير له: «الفردوسي الطوسي». وفي الحادي عشر من اربيهشت عام ١٣٣١ هـ. ش أجريت مراسم افتتاح الضريح الجديد للشيخ مصلح الدين سعدي الشيرازي شاعر إيران العالي المقام، وذلك في حضور محمد رضا شاه. وقد أزيح الستار عن تمثال ملك الشعراء الذي نحته يد الأستاذ الفنان السيد أبي الحسن صديقي من المرمز، من قطعة واحدة. ويبلغ ارتفاع التمثال أكثر من ثلاثة أمتار. ويقع في نهاية شارع حافظ، مقابل بوابة قران في شيراز. ويبلغ ارتفاع قاعدته ثلاثة أمتار وستين سنتيمترا.

(٣) (تعليق م. ع): تعتبر أشعار «المثنوي المعنوي» من أرقى الأشعار، ويسمى في إيران «القرآن البهلوي» ويقصدون بذلك القرآن الفارسي. وفي مقدمته العربية يقول جلال الدين: «إن المثنوي هو أصل أصول أصول الدين في كشف أسرار الوصول واليقين. وهو فقه الله الأكبر وشرع الله الأزهر وبرهان الله الأظهر...» (ولمعرفة بقية ما ذكره في هذا الصدد نحيل القارئ إلى ص ٦٥٩ من كتاب تاريخ الأدب في إيران ج ٢، تعريب الشواربي).

والكتاب من ستة أجزاء، تشتمل ٢٦,٦٦٠ بيتاً. وقد بدأ النظم قبل عام ٦٦٠ هـ = ١٢٦٣ م وانتهى في عام ٦٧٢ هـ = ١٢٧٣ م وهو عام وفاته، والكتاب برمته على وزن الرمل المسدس المحذوف، فتكر تفعيلته (فاعلاتن) ست مرات في كل بيت من الأبيات، ولكنها في نهاية كل شطر تكون محذوفة النون أي (فاعلات). وكل بيت في المثنوي تقف شطرته الأولى مع الثانية ولذا يسمى بالمثنوي. ويتضمن الكتاب حكايات متداولة في شتى الأغراض بعضها مليح مثزن والبعض قبيح مستهجن، وجميعها موزعة في مختلف الأبواب الصوفية أو الكشفية، ويغلب عليها الغموض. أما الأجزاء القصصية فسهلة واضحة وإن تميزت بخصائص لغوية ولفظية.

ويبدأ الشاعر كتابة مباشرة بمقطوعة شعرية جميلة، اشتهرت بين الدارسين باسم (أغنية الناي).

(٤) (تعليق م. ع) يقول أفلاكي في «مناقب العارفين» إن جلال الدين توثقت صلته في قونية بالشيخ شمس الدين التيريزي المعروف باسم (شمس تبرير)، وتلقى عليه تعاليم الصوفية. وقُتل شمس =

مولعون بهذا الكتاب إلى أقصى حد، وهم يقرأونه بشغف ودقة لاحدّ لهما. وبغضّ النظر عن وَجْدِ جلال الدين وحاله الزائدين عن الحدّ والخارجين عن حدود إدراكات البشر العقلية، فضلاً عن الشطحات التي قالها في تلك الحالات، فإنّ شهرته وتعلّق العامة به مرجعهما في الغالب إلى كونه كان من أهل السُنّة والجماعة. ويمكن أن نضيف إلى ما قلناه في هذا المجال أنّ كلّ السائرين السالكين الذين اختاروا حياة الفقر والدروشة طوعية حباً في الله كلّهم بلا استثناء من الصوفيّة، وهؤلاء أنفسهم يعترفون بهذا المعنى ويدعون له، غير أنّ الكثير منهم جهلة ولا شك. وعلى الرغم من أنهم يتحدثون بطلاقة عن الوجد والحال وسير المنازل، وحول المراحل والمقامات والفناء في الله، فإنّ كلامهم سطحيّ سخيّف، وإدراكهم ضعيف للغاية، ولم يستوعبوا إلا القليل جداً من مفاهيم التّصوّف الحقيقية.

ويلزمنا في نهاية بحثنا أن نورد ملخصاً لمشرب التّصوّف. وتقديماً للموضوع، نوضّح أنّ التّصوّف بالصورة التي قدّمناها - هو ثمرة من ثمار العصور التالية إلى حدّ ما. وقد تحدّث الشعراء أمثال العراقي وجامي في آثارهم حول هذه المقولة بصورة أتمّ وأكمل وفي بيان جامع ودقيق.

وفي اللغة العربية، لم تحظ أشعارُ عمر بن الفارض، ولا المؤلّفات القيّمة التي كتبها العارف العربي الكبير الشيخ محيي الدين بن عربي - حتى الآن - [640] بالاهتمام الواجب من الدارسين والمحقّقين الذين يرون أنّ أصل التّصوّف ومنشؤه ينحصر في إيران، ومثل هؤلاء ينحصر رأيهم في المظاهر الإيرانية للتّصوّف.

= الدين عام ٦٤٤هـ = ١٢٤٦م فخلّد ذكره بأن أمر أتباعه بارتداء (الزي المولوي) المكوّن من القنسوة الطويلة المصنوعة من اللباد البني ومن العباءة السوداء الفضفاضة، وهو الزي الذي يرتديه المولوية. وحين ألغيت التكايا المولوية في تركيا ثم في مصر اختفى هذا الزي. وإلى جانب الزي، قرّر جلال الدين على أتباعه رقصات تُعرف بالرقصات الدائرة جعلتهم يعرفون لدى الأوروبيين باسم (الدراويز الراقصين)، كما فرض عليهم الغناء إلى جانب الرقص.

ومبنى ومبدأ فكر الصوفيّة هو أنّ الوجود الحقيقي ليس وحده (دون غيره) ملك لله، بل إنّ الجمال أيضاً والحسن ومظاهر الحسن والجمال التي تتجلّى في ألف مرآة في عالم الصور، ملك لله.
ومن كلمات الصوفيّة.

«كان الله ولم يكن معه شيء» ويقال أحياناً: والآن كما كان.
والخلاصة أنّ الله وجودٌ محض، وما عداه دليل وجوده^(١)، الله خير محض، الله جمال مطلق، ولهذا كثيراً ما يدعو الصوفية في أشعارهم التي تُبدي عشقهم له: «المحبوب الحقيقي» و«المعشوق الأزلي والأبدي»؛ فيقول الجامي مثلاً في هذه الأشعار^(٢):

- إذا تجلّى جمال الله حجب ما عداه،

وأسدل الستار عن كلّ معشوقٍ سواه.

- فبعشه يكتب للروح التوفيق،

-
- (١) تعليق المترجم الفارسي: يقول بعض العرفاء: الوجود الحقيقي هو الله الذي هو أساس الموجودات، وما عداه ليس وجوداً. الله (كان)، وسائر الكائنات (دليل).
(٢) نص الأبيات بالفارسيّة:

جمال اوست هرجا جلوه کرده	زمعشوقان عالم بسته پرده
بهر پرده که بینی پردگی اوست	قضا جنبان هردل پردگی اوست
بعشق اوست دل را زندگانی	بعشق اوست جان را کامرانی
دلی کو عاشق خویان دلجوست	اگر داند وگرنی عاشق اوست
هلاتا نفلطی ناگه نگوئی	که از ما عاشقی وز وی نکوئی

[641]

توئی ائینه او آئینه آرا	توئی پوشیده وا آشکارا
چو نیکو بنگری ائینه هم اوست	ته تنها گنج او گنجینه هم اوست
من وتو در میان کاری نداریم	بجز بیسوده پنداری نداریم

انظر: مقالة زوتن شاین Swan Sonnenschein التي كتبها عام ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، والتي طُبعت في نشرة بعنوان «نظم العالم الدينيّة» Religious Systems of the World. والمقالة في أصلها خطبة ألقاها زوتن شاین حول التصوف في مؤسسة سوث پليس الأخلاقيّة.

South Place Ethical Institute.

وبه يجد القلبُ الحياة.

- فمّا يكون العشق ومنه الحسن والجمال...

- فنحن شمس وهو مجليها..

ونحن مستترون وهو ظاهر واضح

- تراه واضحاً في كل شيء جميل،

فهو ليس الكثر فحسب بل هو خزينة الكنوز.

- نحن - أنا وأنت - عَرَضٌ زائل.

لا طائل وراء تفكيرنا.

بناء على ذلك فإن مفهوم التوحيد في نظر الصوفية غير مفهومة في نظر المسلمين. يقول المسلمون:

«لا إله إلا هو» ويقول الصوفيّة: «لا شيء غير الله».

وعالم الصور والمحسوسات ليس أكثر من سراب، بل إنه شعاع من وجوده يُلقَى على العَدَم ويُظهر أعراض الوجود، كما تُظهر صورة الشيء ومرثيته أصل الشيء وحقيقته لكنهما لا تشاركان في ماهية الشيء وكنهه.

ويتخذ الصوفية من الشمس مثلاً محسوساً، فيقولون: إن انعكاس نور الشمس تابع لأحكام الإمكان. وبعبارة أخرى إن الشمس (التي هي نموذج للوجود في دنيا المادة وعالم الصور والمحسوسات) حين يسقط شعاعها على بركة تنعكس صورة الشمس في البركة أما الشمس فلا تكون فيها (ويعبر ذلك عن العدم). بناء على ذلك فإن شعاع الشمس (مثل عالم الصور) عَرَضِيٌّ كليّة؛ لأنه يزول فجأة بمرور سحابة، ويتلاشى إلى حد ما نتيجة هبوب عاصفة، وهو يتبع الشمس تبعيةً تامة بينما الشمس مستقلة استقلالاً مطلقاً.

ومع ذلك، فإنَّ شعاع الشمس حال مشاهدته يكشف بجلاء - إلى حدٍ ما - عن ماهيَّة وأعراض مثله الأعلى، والمثل الأعلى لا يتغيَّر. وقد اتَّضحت هذه الفكرة بصورة سامية في غزلية من غزليات شمس تبريزي نظمها بالإنجليزية صديقي نيكلسون^(١).

[642] - كل رسمٍ تراه مجرد سرابٍ أضله من العدم،

فإذا ذهب النقش... لا ضير، فمن أصله يتحقق الخلود.

للجمال طبيعة ذاتية تتمثل في حبِّ الظهوء والتجلى، وقد أخذ هذه الصفة عن الجمال الأزلي. ويعتقد الصوفية أن الله قال لداود: كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف. وبضدها تتميز الأشياء؛ فالضياء يتميز بالظلمة والحسن بالسوء والصحة بالمرض، وقس على ذلك. وبناء عليه فالوجود يتميز فقط بالعدم، ويعرف نتيجة لاختلاط الوجود بالعدم. وهذا الاختلاط والامتزاج (وإن يكن اللفظ غير دقيق وغير صحيح تماماً) قد أوجد عالم الصور ودنيا الظاهر. وبهذه الطريقة ينتج عن تجلي الجمال

(١) نص البيت بالفارسية:

هر نقش را که دیدی جنبش ز امکان است گر نقش رفت غم نیست اصلش چو چاودان است
انظر: ترجمة أشعار مختارة من ديوان شمس تبريزي، تأليف نيكلسون، كمبريج ١٨٩٨م (١٣١٦هـ)، ص ٣٤٣:

M.R.A. Nicholson, Selected Poems from the Divan of Shams- i- Tabriz, (Cambridge, 1898).

تعليق المترجم الفارسي:

أشير في هذا الكتاب إلى طبعة روزن تسوايج، وليس لها وجود في يدنا. وأني لأشكر الأستاذ آربري Professor A. Arberry

على مساعدته لي في الحصول على أصل الشعر.

(تعليق م.ع) شمس تبريزي هو شمس الدين التبريزي الذي يعتبر المرشد الروحي لجلال الدين الرومي. تلقى جلال الدين عليه تعاليمه الصوفية.

كانت شخصية شمس شخصية غامضة عاتية مسيطرة، وكان يرى في نفسه مبعوث العناية الإلهية، وقد انتهت حياته بقتله.

لمزيد من التفاصيل، انظر: تاريخ الأدب في إيران لبراون، ج ٢ (تعريب)، ص ٦٥٥ - ٦٥٧.

الأزلي إخماد نار النفس. وذاك الذي ندعوه شراً هو من الآثار الضرورية لهذا التجلي... على نحو يجعل رمز الشرّ وسرّ الخلق شيئاً واحداً غير قابل للانفصال. ولكن لا يجب أن يعتبر الشرّ أمراً منفصلاً مستقلاً. وكما أن الظلمة تعدل تماماً عدم النور فإن الشرّ أيضاً يعدل تماماً عدم الخير أو بعبارة أخرى... العدم.

ومن جهة أخرى، فإن جميع موجودات دنيا الظاهر وعالم الصور تلقى عنصر الخير بالضرورة. وكما أن الأشعة المتفرقة للنور الصافي والأبيض والمبهر الذي يمرّ من المنشور تظل مشعة، فإنها تتخذ لنفسها لوناً - على نحو ما - وتضعف، فإن كل الصراعات والمنازعات التي تحدث في هذه الدنيا هي نتيجة السقوط من عالم اللالون، وهذا بيت من المثنوى في هذا المعنى:

چونكه بیرنگی اسیر رنگ شد موسی با موسی درجنگ شد
والمعنى: حين أسَرَ اللونُ اللالون،

تحارب موسى وموسى (١).

[643] ثم يقول الجامي^(١):

(١) يعني أنّ موسى وفرعون يتحاربان، ويتصوّر جلال الدين أن فرعون على الرغم من معارضته لموسى إلا أنه كان يماشيه في طريق مستقيم، وكان يعتبر العداوة الظاهرية أساس التأشف والتلّيف الشديدين.

ارجع إلى ترجمة وينفيلد المختصرة للمثنوى، ط ٢ ص ٣٧ و٣٨:
(Whin field. Masnavi, Trübner, 1898).

تعليق المترجم الفارسي: المعنى البسيط والظاهري للبيت هو أنه حين يصبح اللالون أسير اللون تحدث الاختلافات، حتى ليحتدم النزاع وتنشب الحرب بين اليهود الذين تتعدّد سبل اتحادهم. تعليق المترجم الفارسي: عجز المؤلف هنا أيضاً عن معرفة المصدر. وذكر أنّ عدد مؤلفات الجامي ما بين ٤٥ و ٥٤ وهو الرقم الذي يوافق العدد الناجم عن لفظ «جامي». ويقال: إنّ عدد مؤلفاته ٩٩ مؤلفاً، ولم يكن في المقدور دراسة كل هذه المؤلفات. وعلى الرغم من الرجوع إلى العديد من النسخ الخطية لديوانه الموجودة في المكتبات المختلفة، لكن لم يستدل على أصل الموضوع. ولما =

كانت الترجمة الإنجليزية للموضوع قد وردت منظومة فالأرجح أن يكون أصلها شعراً. وعلى أي حال فإني أمل أن يتكرّم الشعراء ذور الطبع الكريم بإرشادي إذا ما وقعت أعينهم على هذا الكتاب، حتى إذا ما طال بي العمر وقررت إعادة الكتاب جبرت هذا النقص. وتُرى الأشعار التالية متناثرة في مؤلفات الجامي، لكن البديهي هو أنها من منظومات لها وجود في مكان آخر

- أنت الوجود، والوجود المطلق أنت، الوجود أنت وكنت الوجود، وأنت الحق وكنت الحق.

- موجك ما ظهر فيك عليك بآلاف الصور.

النص:

هست توئي هستي مطلق توئي	هست كه هستي بود الحق توئي
موج تو بود آنكه شدي جلوه گر	در خود و برخود بهزاران صور
- الحساوات ألف ومقصودي واحدة من بينهن، ولو مزقوني بالسيف فكلمتي واحدة.	

النص:

خوبان هزاروازه مقصود من يكيست	صدپاره گر کنند به تيغم سخن يكيست
- كل ما في الكون وهم أو خيال	أو عكوس في المرايا أو ظلال
- ليس مشهوداً سوى هوّيته،	
لا هو في الوجود إلا هو	

النص:

نيست مشهود جزهويت او	لا هو في الوجود إلا هو
- الفرسان لا حصر لهم والملك واحد، نعم، تكون النجوم بالآلاف والقمر واحد.	

النص:

خيلي بتان برون ز شماراست وشه يكي	آري بود ستاره هزاران ومه يكي
- لا تترك الحانة يا جامي إلى الخانقاه	
ففي حي العشق تستوي الحانة والخانقاه	

النص:

جامي مرو زميكده باخانقه كه هست دركوي عشق ميكده و خانقه يكي

(تعليق م.ع) لمعرفة عدد كتب الجامي، والمخطوط منها والمطبوع، ومحتوياتها وقيمتها الأدبية، انظر: أحمد كمال: تعريف بعبد الرحمن الجامي وإنتاجه، رسالة ماجستير مقدمة لأداب عين شمس، عام ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م (لم تطبع).

نصر الله مبشر الطرازي: نورالدين عبدالرحمن الجامي، فهرس بمؤلفاته المخطوطة والمطبوعة التي تفتنيها دار الكتب بمصر - ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م.

أحمد كمال: الربيع (بهارستان)، نشر جامعة الكويت ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م، ص ٤٠-٤٦.

سام ميرزا: تحفه سامي، صحيفه پنجم، بته ٩٣٤، تهران ١٣١٤هـ. ش، ص ٤٣، ٤٤.

بسودي: مرآة الخيال، تهران، ص ٧٣.

- أنت الوجود المطلق، وما عداك مجرد خيال؛

لأنَّ كلَّ ما في عالمك واحد.

- يتجلَّى حسنُك فاتحُ العالمِ في ألف شمس..

بغية إظهار الكمال، لكته واحد

- ومع أنَّ حُسْنَك ملازمٌ لكلِّ حسنٍ في العالم..

فإنَّ المعشوقَ الفريدَ واحد.

- إنَّ كلَّ ما في الدنيا من فتنة وحربٍ سببه عشقه؛

فالآن بات معلوماً أنَّ أصل الشر والظلم وغايتهما.. واحد.

ويبدو أنَّ التصوُّف - فيما بعد - قد اتخذ صورة الفلسفة إلى حدٍ بعيد.
وقد رأينا إلى أي حد كان التصوُّف - من هذا المنطلق - مديناً لعقيدة الأفلاطونية الجديدة.

[644] ومن جهة أخرى، فإنَّه نظراً لارتباط التصوُّف بالعقيدة الأفلاطونية الجديدة، واتفاقه معها على نحوٍ أفضل، قد اعتبرت مراتب الوجود في التصوُّف ناشئة عن سلسلة واحدة تنبعث من النور المطلق والوجود المطلق. وكل ما يبعد عن النور المطلق والوجود المطلق يزداد ضعفاً، ويصبح أقل قدرة وقوة، ويصير عارياً - إلى حد كبير - عن الحقيقة، وينتمي - بصورة أكبر - إلى عالم المادة، ويقل لمعانه وبريقه ونوره وضياؤه.

وإلى هنا كان أكثر كلامنا عن قوس النزول، وعلينا أن نعرف أيضاً قوس الصعود. والإنسان - الذي هو آخر مرحلة في سلسلة التكامل هذه - يعود إلى مكانه الأصلي، ويفنى في الله ويحلُّ ثانية في ذات الحق الذي هو الوجود الحقيقي الوحيد. وكما يُقال: كل شيء يرجع إلى أصله. وهنا يبدأ علم التصوُّف الأخلاقي مقابل تصوُّف ما بعد الطبيعة. وكما رأينا، فإنَّ الشرَّ أمرٌ وهمي وتخيلي، وعلاج الشرِّ إزالة الجهل. لأننا بسبب جهلنا نظنُّ ما

نعبّر عنه في دنيا الحسّ بالمجاز.. حقيقة. وأساس جميع المعاصي والهموم والآلام والأسقام هوى النفس، والنفس أيضاً ليست أكثر من الوهم والخيال. وأول خطوة يخطوها الصوفي في الطريقة هي التحرّر من هوى النفس. وحتى العشق المجازي في استطاعته بدوره - إلى حد ما - أن يصبح أصل تحرير النفس وخلصها.. خاصّةً حين يظهر الفرق بين مشرب التصوّف ومذاهب الهند الفلسفيّة. لأن الصوفية يتمتّعون بأحاسيس وعواطف جيّاشة. ومعروفٌ إلى أي حد تختلف هذه الحالة عن فروض الهند الباردة الخالية من الحياة. والعشق والحال هذه يعتبر - شأنه شأن عشق الكثير من المتصوّفة في جميع العصور والأقطار - بمثابة كيمياء عظيمة تحوّل نحاس وجود البشر إلى ذهب ألوهيّة خالص. وهنا نستشهد ثانية بأبياتٍ على لسان الجامي^(١):

[645]

به گيتي گرچه صد کار آزمائي	همين عشقت دهد از خود رهائي
متاب از عشق رو گرچه مجازيست	که آن بهر حقيقت کار سازيست
بلوح اول الفباء تا نخواني	ز قرآن درس خواندن كي تواني
شنيدم شد مريدي پيش پيري	که باشد در سلوکش دستگيري
بگفت ار پانصد در عشقت ازجاي	برو عاشق شو آنگه پيش من آي
که بي جام مي صورت کشيدن	نياري جرعه معنی چشيدن

(١) انظر: صفحة ٣٢٦ من مقالة زوئن شاين: «نظم العالم الدينيّة»، طبع عام ١٣١٠هـ = ١٨٩٢م. حيث ينقل هذه الأشعار بصورة أكبر.

تعليق المترجم: لما تعلّم علّي الوصول إلى هذا الكتاب، نقلت عن «يوسف وزليخا»، طبع علمي ١٣٢٦هـ. ش. وأشكر الأستاذ اريري كثيراً لفرط عنائه في سبيل توفير هذا المرجع:

يوسف وزليخا للجامي، ص ١٨، طبعة فون روزن تسوايج Von Rosen Zweig

(فينا، ١٢٤٠ هـ = ١٨٢٤م).

ولی باید که در صورت نمائی وزین پل زود خود را بگذرانی

به خواهی رخت در منزل نهان نیاید بر سر پل ایستادن^(۱)

لهذا يقول الصوفيّة: «المجاز قنطرة الحقيقة». ويتسبّب العشق الجنسي في أن يغيب السالك عن نفسه، ولا يرفع عينه عن وجه الحبيب، فإذا ما عاد إلى وعيه في النهاية وجد أن معشوقه وآسر قلبه قد كان شعاعاً ضعيفاً صادراً عن الحبيب الأزلي والجمال الأبدي الذي يتجلّى في ألف شمس لكنّه واحد. وقد تحدّث السير ادوين آرنولد Sir Edwin Arnold عن هذا العشق في أشعار قريبة من هذا المضمون - نظمها بالإنجليزية - ولم يول فيه مباديء ما بعد الطبيعة الجافة الباردة الموجودة في مذهب البوذيين^(۲) اهتمامه:

«في طريق العشق تحتضن المحبوب الأزلي، وفي طريق العظمة والجلال

(۱) الترجمة العربية:

- لو جرّيت مئات الأعمال في الدنيا ..
- لوجدت أن ما يحرك من نفسك هو العشق نفسه.
- فلا تشح بوجهك عن العشق ولو كان مجازاً؛
- فإنّ العشق صانع كلّ حقيقة
- ما دمت لم تقرأ حروف الهجاء في اللوح منذ البداية.
- كيف يمكنك أن تأخذ درساً من القرآن؟
- سمعت أنّ مريداً توجه إلى أحد المرشدين ..
- ليأخذه بيده ويعينه على سلوك الطريق.
- قال: إذا كنت لم تضع قدمك بعد في طريق العشق،
- فاذهب واعشق ثم تعال إليّ.
- فبدون كأس الخمر لا يتصوّر
- أن يكون باستطاعتك أن تتلوق جرعة خمر وتعرف لها معنى.
- ولكن يجب ألا تبقى على نفس صورتك،
- وأن تعبر هذا الجسر على عجل.
- فحين تريد أن تولي وجهك شطر المنزل، وتبلغ مبتغاك،
- لا تقف على الجسر دون حراك.

(۲) انظر: «نورآسيا»، ص ۲۲۶ Light Of Asia، طبع تروينر (عام ۱۳۰۰هـ = ۱۸۸۲م).

تكون أميراً وسيداً. وفي وادي التوفيق واللذائذ الدنيوية تسارع بخطوك نحو الآلهة. وفي سبيل التنقيب عن الدرهم والدينار تعقد طرف ثوبك حول وسطك وتنشب مخالبك في ثروة لا حد لها، وتتقدم إلى المحتاجين بالخير [646] والإحسان والعون، وبذا تؤدّي عملاً طيباً، وتقول قولاً لئناً، إلى أن تحوز كنزاً خالداً لا يفنى، وتودّع الزمان دون وصمة عار. هذه هي الثروة التي لا تذهب في الحياة أدراج الرياح، وتظلّ خالدة فلا يذمّها أحد بعد الموت. (الثروة التي تبقى في الحياة وتخلد ولا تذم بعد الموت).

وقد نظم هذا الشاعر الانجليزي نفسه أشعاراً في تعريف (نيرفانه)^(١) على نفس الدرجة من الجمال، وأظهر فيها عقيدة الصوفية - بالنسبة للفناء في الله - على نحو أفضل. (وترجمتها قريبة من هذا المضمون): «حين لا يريد المرء شيئاً يصبح كل شيء ملكاً له. وإن يقل امرؤ لم يبق (نيرفانه)^(٢) فقل له: هذا كذب. وإن يقل امرؤ بقيت (نيرفانه) فقل له: قد وقعت في الخطأ، لأن مثله لا يعرف ما وراء النور الذي يشع من سراجة المكسور. أي نور يشع أو أي نعمة عظيمة وسعادة كبيرة تستقر في اللازمان والدنيا الفانية!».

وقد أفاض آخرون في الحديث حول التصوف، وأسهبوا في الكلام حول أكثر الموضوعات التي مرّ ذكرها في هذه الصفحات، مما يجعلنا نرى أنه لا لزوم لإطالة الكلام في نفس الغرض في مجلّدنا هذا.

وكما قيل: فإنّ الفرق بين التصوف ومعظم الطرق والمذاهب الأخرى - كما أظهرنا - هو أنّ التصوف يتحرّر من بعض القيود، ويهمل ظواهر الديانة، ولا يهتم بالدعاية. وهكذا يحاول الصوفية - بغية إدراك جوانب حقيقة كل مذهب - ألا يكونوا تابعين للمذاهب الأخرى في مقام التوجيه والإرشاد.

(١) المرجع السابق، ص ٢٣١.

(٢) تعليق المترجم: «نيرفانه» في اللغة السنسكريتية تعني: الصمت والسكوت. وهي في المذهب البوذي تعني: الغياب عن الوعي كلياً، وفقدان العقل والحواس والروح في عالم الجذبة الإلهية.

وقد رأينا في الصفحات السابقة ما هو مفهوم توحيد الإسلام في نظر [647] الصوفيّة. ففي رأي هذه الطائفة أن ثنويّة المجوس والمانويين كانت نموذجا للتأثيرات المضادة للوجود والعدم، وعالم المحسوسات والماديّات نتاج تلك التأثيرات. كما أن تثليث المسيحيين بدوره علامة من علامات نور الوجود، ومرآة روح البشر الظاهرة وأشعة الفيض الإلهي. وهم يستقون الدروس أيضاً من عبادة الأصنام^(١). وما أعظم الفرق بين أسلوب هذا الفكر^(٢) وأسلوب فكر أولئك الذين لا يخطون بعيداً عن نطاق أحكام مذهبهم [648] وطريقتهم، الذين هم راسخون صامدون لا يحيدون قيد أنملة عن عقائدهم الجامدة التي ذكرنا طرفاً منها، ولا يجيزون البحث فيها والتغيير!

(١) انظر: كتاب «نظم العالم الدينيّة»، ص ٣٢٥: Religious Systems of the World.

(٢) لما كان لهذا الموضوع أهميته الكبيرة في إدراك الكثير من أفضل موضوعات الأدب الفارسي، فإننا نذكر هنا أسماء قسم من أفضل الكتب والرسائل التي كُتبت في هذا الشأن ليرجع إليها القراء الأوروبيون:

١- الكتب التي تُرجمت:

منطق الطير للمطار (الترجمة الفرنسية بقلم جارسن دو تاسي Garcin de Tassy، باريس ١٨٦٤م (١٢٨١هـ).

مثنوى جلال الدين الرومي (ترجمة الملخص بالانجليزية) بقلم وينفيلد Whinfield، الطبعة الثانية، لندن، نشر تروبنر Trübner - (عام ١٨٩٨م = ١٣١٦هـ).

گلشن راز (حديقة السر) للشبستري (المتن المصحح، ترجمة وينفيلد ونشر تروبنر، عام ١٢٩٨هـ = ١٨٨٠م. وهو أفضل الكتب الشرقية. وتعظم فائدته نتيجة المقدمة الرائعة والحواشي والتعليقات التي وضعت له وأضيفت إليه لشحذ الذهن).

يوسف وزليخا للجامي (تصحیح المتن، والترجمة الألمانية لروزن تسوايج - شوانو، طبع فينا - عام ١٨٢٤م = ١٢٥٠هـ.

ديوان حافظ (تصحیح المتن، والترجمة الألمانية لروزن تسوايج - شوانو، طبع فينا ١٨٥٦هـ - ١٨٦٤م).

(وكذلك الترجمة الانجليزية المنظومة لجون بين John Payne، التي طُبعت لصالح جمعية فيلون Villon Society).

٢- المؤلفات:

كتاب التصوف، تأليف ثلوك، برلين ١٨٢١م:

= Tholuk, Ssufsmus, Sive Theosophia Persarum, Pancheistica.

لنفس المؤلف: Blüthensammlung aus der Morgenländischen Mystik, Berlin, 1825
ساعات مع الصوفيّة، الكتاب السابع، تأليف فان Vaughan, Hours with the Mystics
قاموس الإسلام تأليف هيوز، حيث تشاهد الكلمات الصوفيّة: Hughes, Dictionary of Islam
مقالة براون بعنوان «النظم الدينية في العالم» Religiois Systems of the World، ص ٣١٤-٣٣٢.

تاريخ الشعر العثماني، تأليف جيب، المجلد الأول (ليدن، نشر لوزاك Luzac
عام ١٩٠٠م = ١٣١٨هـ) ص ٥٣-٦٧. Gibb, History of Ottoman Poetry
وهذه الكتب كافية لكي يقرأ القراء بصفة عامة حول التصوف، ويقفوا على معلومات صحيحة
وكافية.

تعلق المترجم: علاوة على ما أضيفته في هامشي صفحتي ٦٢٠ و ٦٢١ من الترجمة الفارسية فإن
هناك كتاباً آخر في طريقه إلى الطبع الآن بفضل جهود الكاتب الكبير ايرج افشار صاحب الباع في
نشر الرسائل العرفانيّة والمقالات الأدبية والتاريخية. واسم الكتاب (فردوس المرشديّة في
أسرار الصمديّة)، واسم مؤلفه محمود بن عثمان، ألفه عام ٧٢٨هـ = ١٣٢٧م، وقد نشر هذا
الكتاب في طهران في اردي بهشت عام ١٣٣٣هـ.ش، مع ترجمة لمقدمة فريتزماير من
الألمانيّة، وتعليقات السيد أفشار على المقدمة مع الترجمة الفارسيّة لمقالة آريري Prof.
A.J.Arberry باسم سرگلدشت شيخ أبو إسحق كازروني (سيرة الشيخ أبي إسحق كازروني). =

الفصل الرابع عشر
آداب إيران في هذا العصر

[649] الفصل الرابع عشر

آداب إيران في هذا العصر

اللغة العربية - كما لوحظ - كانت دائما الوسيلة الأساسية - في العصر الذي ندرسه حالياً - لإبراز الأفكار الأدبية في إيران في ميداني الشعر والشعر على السواء - ومع ذلك، بدأت الحياة ندب من جديد في اللغة الفارسية على أنها لغة أدبية، وذلك في عهد الحكومتين شبه المستقلتين: الصفارية والسامانية، وحتى في أوائل عهد الطاهريين. والواقع أن أرباب الذوق قد اهتموا بالشعر أكثر من اهتمامهم بالنثر، غير أن الشعر والنثر كليهما قد استفادا من هذا الأمر إلى حد ما. وفي هذا الفصل نولي الشعراء الإيرانيين جلَّ اهتمامنا. وسندرس في المرحلة الأولى الأدباء الذين نظموا شعرهم باللغة الأم، وندرس في المرحلة الثانية الأشخاص الذين اختاروا اللغة العربية لهذا الغرض. ومراجعنا ومصادرنا بالنسبة للمجموعة الثانية أكمل وأتم، إلا إن إمكانية الوصول إليها ليست أكبر من إمكانية الوصول إلى مراجع ومصادر المجموعة الأولى.

مصادرنا الخاصة بناظمي الشعر العربي:

يتيمة الدهر للثعالبي:

المصدر الأساسي في هذا الصدد هو يتيمة الدهر، تأليف أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي^(١) النيسابوري الخراساني.

يقول ابن خلكان أنَّ الثعالبي ولد عام ١٩٦١م ومات عام ١٣٠٨م^(٢). وفي سنة ١٨٨٥م = ١٣٠٣هـ وماتلاها، طُبعت هذه المجموعة التقيسة من الأشعار العربية في دمشق^(٣). . . في أربعة أجزاء.

(١) يسمَّى الثعالبي لأنه كان يبيع جلد الثعالب.

(٢) (تعليق م.ع): التاريخ خطأ، وهو ١٠٣٨م (٤٣٠هـ).

(٣) (تعليق م.ع): كما طبع الكتاب في بيروت.

[650] الجزء الأول: يقع في ١٠ أبواب (٥٣٦ صفحة)، ويتحدث عن شعراء سوريا (ومن بينهم شعراء المحفل سيف الدولة وأبو فراس وأسرّة حمدان والمتنبّي) وشعراء مصر والمغرب والموصل.

الجزء الثاني: يقع في ١٠ أبواب (٣١٦ صفحة)، ويدور حول شعراء بغداد والعراق من العرب الذين وجدوا الحظوة في كنف أسرة بويه الشريفة، ونالوا حمايتها.

الجزء الثالث: يقع في ١٠ أبواب (٢٩٠ صفحة)، وفيه حديث عن شعراء إيران (باستثناء خراسان) الذين كانوا يخطون بحماية آل بويه الإيرانيين ووزرائهم (خاصّة الصاحب بن عباد)، وحكام طبرستان خاصّة قابوس بن وشمگیر الزياري - والباب الأخير من الكتاب ينتهي بمدح شمائل قابوس هذا، ويفرط في الثناء على ذوقه وجهوده.

الجزء الرابع: وهو المجلّد الأخير، يشتمل كذلك ١٠ أبواب (٣٢٢ صفحة)، ويدور حول شعراء خراسان وخوارزم الذين كانوا يتمنّعون بحماية السامانيين، والذين كُتب لهم التوفيق في ظلهم، وكانوا مخلصين لأفراد هذه الأسرة.

ويعتبر الكتاب - بالنسبة لما يحويه من معلومات خاصة بأوضاع إيران الأدبيّة في تلك الفترة - خزانة كاملة (الفترة المقصودة هي تلك التي تبدأ من عام ٣٥٠ هـ وتنتهي في عام ٤٠٣ هـ (٩٦١ - ١٠١٢م) وبقراءة الكتاب قراءة متأنّية جيّدة يُعرف إلى أيّ حدّ كانت اللغة العربية موضع اهتمام وحب في كل أنحاء إيران، وحتى خوارزم. إذ كان شعراء إيران ينظمون بالعربية الفصحى الراقية في مدح أولياء نعمتهم. وكانوا في بعض الأحيان ينشدون أشعارهم ارتجالاً في مجالس سادتهم. وهكذا يتّضح أن فضلاء هذا العصر كانوا يجيدون فهم العربيّة، مثلما كان أهالي ولز Wales يجيدون في ذلك العهد

اللغة الانجليزية. وكما يتكلم عدد من فصحاء ولز الإنجليزية اليوم في براعة كان فصحاء إيران يتحدثون العربية في ذلك العصر ببراعة، والواقع أنَّ هذه المقارنة أكثر قرباً من المقارنة مع عدد من علماء الأدب القديم الموجودين [651] في انجلترا اليوم ممن ينظمون إلى الآن باللغتين: اليونانية واللاتينية.

وهذه الأشعار - بكل ما فيهما من جودة - وليدة عناء وفكر كبيرين. ولا أتصور أن هذه الأشعار طبيعية أو أنها تخلق من التكلف والتصنع.

ولم يكن الأشخاص الذين لغتهم الأم هي العربية، ويتمتعون بجميع الفضائل، ولديهم المعلومات العميقة في مجال الأدب العربي، لم يكن هؤلاء يعرفون اللغة الفارسية على الإطلاق - وكلنا يعلم أي تأثير أثرته الأشعار العربية في الشعراء من أصحاب اللسان الفارسي.

ومنذ عامين، وفي فصل الصيف حين جاء الشيخ أبو النصر لزيارتي في كميريدج، انتهزت الفرصة مؤملاً أن نقرأ معاً الصفحات الثلاثين - تقريباً - من المجلد الأخير من يتيمة الدهر.. والتي تدور حول شعراء خراسان. والشيخ أبو نصر، معلم سابق للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية الحية. ومقر هذه المدرسة باريس، وتستحق تشكيلاتها الممتازة كثيراً من الثناء والمديح. وقد أكدَّ الشيخ العربي لي أن أشعار الإيرانيين العربية رفيعة المستوى، ولا يحس قارئها أن ناظميها من أصل غير عربي. ولا يدلُّ عدم وجود شعر فارسي في ذلك العصر على أنه لم يكن لم يكن هناك ذوق واستعداد أدبي، بل السبب ببساطة هو أن اللغة العربية كانت حتى ذلك الوقت تستخدم في صياغة المواضيع الأدبية بدلاً من اللغة الوطنية. وإني لأعجب من محبِّي الأدب الذين يغفلون تماماً عن هذا الخطأ المهم إلى اليوم في دراساتهم (إلا إذا قلنا إنهم يهتمون بالأدب فقط من زاوية لغة قوم من الأقوام، لا من زاوية تفوق ذلك المورد). وما نعرفه الآن هو أن العلماء الشغوفين - في المقام الأول - بدراسة أحوال العرب وسائر الشعوب السامية الأصل، والمهتمين بالقراءة في ذلك الميدان.. لا يميلون كثيراً إلى هذا

الخط. والواقع أنَّ الشخص الوحيد صاحب الدراسات الواسعة حول يتيمة [652] الدهر (في القسم من هذا الكتاب الذي يتصل بإيران) والمعروف لديّ.. هو الفرنسي بارييه دومينار الذي نشر سلسلة من المقالات المهمة في المجلة الآسيوية في عامي ١٢٧٠ و ١٢٧١ هـ = ١٨٥٣ و ١٨٥٤ م (ص ١٦٩ - ٢٣٩ و ٢٩١ - ٣٦١) تحت عنوان صورة أدب خراسان وماوراء النهر في القرن الرابع الهجري^(١). وقد ضمّن دومينار تلك المقالات ترجمة للصفحات من ٢ حتى ١١٤ من المجلد الرابع ليتيمة الدهر. وإذا كان لنا الحق في تقويم نبوغ شعب الكلث^(٢) وتشخيص تفوّقه فإنّ علينا أن نرجع إلى الأشعار الإنجليزيّة التي نظمها كلّ من مور وبيتس الشاعرين الإيرلنديين ولويس مارييس أحد شعراء ولز^(٣).

ومن المسلّم به أنّنا نستطيع ان نكتشف جانباً من الخصائص الأخلاقيّة والأوصاف المميّزة للعقليّة الإيرانيّة في شعراء إيران الذين ينظمون بالعربيّة، لأنّ الشعراء المذكورين وإن يكونوا (بالنسبة لأهدافهم العربيّة على الأقل) قد نظموا بالعربيّة.. إلا أنّهم - من جهة الأرومة والعنصر - كانوا إيرانيين.

ونحن لانرى هنا ضرورة لأن نكتب شيئاً عن المؤلّفات التي كُتبت قبل يتيمة الدهر (أمثال كتب الحماسة وطبقات الشعراء لابن قتيبة وأبي عبد الله محمد بن سلام الجمحي وكتاب الأغاني وغيرها)^(٤) ولكن يجب أن نتحدّث قليلاً حول ما كُتب تعليقاً على يتيمة الدهر. ولما كان نسخ هذه المؤلّفات

(١) Barbier de Meynard, Tableau Litteraire du Khorasan et La Transoxiane au Ive Siècle de Légire.

(٢) شعب الكلث Celt

يتمي للفرع الآري من شعوب إيرلندا وجزيرة من Isle of Man وكرنوال Cornwall وولز Wales.

(٣) Sir Thomas Moore, Yeats, Lewis Morris

(٤) أنظر: الطبعة المنفصلة للمقالة التي وضعها براون حول مصادر دولتشاه، في المجلة الملكيّة الآسيوية (J.R.A.S)، عدد يناير ١٨٩٩م (١٣١٧هـ) ص ٤٧، ٤٨.

نادرة فإنني لم استطع أن أقرأها أو أراجعها في أوقات فراغي. ويحضرني فقط [653] اسم نسختين، إحداهما كتاب دمية القصر الذي هو أهم من غيره. والكتاب من تأليف حسين بن علي الباخريزي (ت ٤٦٧ - ٤٦٨ هـ = ١٠٧٤ - ١٠٧٥ م). وله نسختان خطيتان على الأقل في المتحف البريطاني (تحت الأرقام والعلامات ٩٩٩٤ و Add و ٢٢,٣٧٤ Add)^(١) وقد ورد مضمونهما كاملاً في الصفحات من ٢٦٥ حتى ٢٧١ من فهرست الكتب العربية القديمة، ويشتمل هذا الكتاب على سبعة فصول:

الفصل الأول: يدور الحديث فيه حول شعراء صحراء بلاد العرب والحجاز (وقد وردت في هذا الفصل ترجمة أحوال ٢٧ شاعراً).

الفصل الثاني: يدور الحديث فيه حول شعراء سوريا وديار بكر وبين النهرين وأذربايجان وسائر النواحي الواقعة في غرب بلاد إيران (مع ترجمة أحوال ٧٠ شاعراً).

الفصل الثالث: يدور الحديث فيه حول شعراء العراق (مع ترجمة أحوال ٦٤ شاعراً).

الفصل الرابع: يتحدث المؤلف فيه عن شعراء الري والجبال وأصفهان وفارس وكرمان (مع ترجمة أحوال ٧٢ شاعراً).

الفصل الخامس: يدور الحديث فيه عن شعراء جرجان واستراباد وقومس ودهستان وخوارزم (مع ترجمة أحوال ٥٥ شاعراً).

الفصل السادس: يتحدث المؤلف فيه عن شعراء خراسان وقهستان وپست وسيستان وغزنه (مع ترجمة أحوال ٢٢٥ شاعراً).

الفصل السابع: يدور الحديث فيه حول كبار الأدباء الذين لم ينظموا الشعر (مع ترجمة أحوال ٢٠ منهم).

وكل من يقرأ هذا الكتاب يلفت نظره شيان.

(١) طُبِعَت دمية القصر في حلب عام ١٣٤٩ هـ = ١٩٣٠ م.

الأول: أنَّ عدداً كبيراً جداً من أهالي إيران قد نظم شعراً عربياً.

الثاني: أنَّ الكثير من هؤلاء كانت أسماءهم وألقابهم الأصلية إيرانية خالصة. وكان بعضهم من الزردشتية الذين دخلوا الإسلام حديثاً، ومن بينهم ابن مهيزود المجوسي (تعريب ماه افزود)، ومهيار بن مرزويه الديلمي الذي أسلم في عام ١٠٠٣ - ١٠٠٤م = ٣٩٤ - ٣٩٥هـ بدعوة من شريف الرضي الذي كان يفوقه في شهرته كشاعر^(١) (وربما بقي بعض الشعراء المذكورين على دين زردشت).

[654] ونصادف في هذا الكتاب أسماء أخرى فارسية خالصة لا يمكن أن نخطئ أصلها الفارسي، أمثال: خسرو فيروز ودرستويه وفنا خسرو (معرب پناه خسرو) أو نجد ألقاباً مثل دهخدا وديودادي.

ومن الكتب الأخرى التي كُتبت فيما بعد: زينة الزمان لشمس الدين محمد اندخودي، وخريدة القصر لعماد الدين الكاتب الأصفهاني وغيرهما.

المصادر المبكرة لدراسة الشعراء الذين نظموا بالفارسية في هذا العصر:

أفضل المصادر الموجودة حالياً وأولها، تلك التي تفيد في تحقيق أحوال شعراء إيران الذين نظموا بالفارسية:

أولاً: چهار مقاله لنظامي عروضي السمرقندي شاعر بلاط الغور (حوالي عام ١١٥٥م = ٥٥٥هـ).

ثانياً: لباب الألباب لمحمد عوفي (المؤلف في النصف الأول من القرن ١٣م).

(١) انظر: المجلد الثالث لابن خلكان، ص ٥١٧ - ترجمة دسلان، كتاب تعليم الإسلام لأرنولد (ص ١٨٠):

T.W.Arnold, Preaching of Islam, (london, 1896).

وقد قمْتُ بنشر الترجمة الكاملة لجُهار مقالَه في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية عام ١٨٩٩م (١٣١٧هـ) (ويمكن الحصول أيضاً على الطبعة المستقلة لتلك الترجمة).

وقد تمَّت طباعة هذا الكتاب بناءً على طبعة طهران الحجرية والنسختين الخطيتين الموجودتين في المتحف البريطاني (تاريخ الطبعة الحجرية ١٣٠٥هـ = (١٨٨٧-١٨٨٨م). ونسختا المتحف البريطاني الخطيتان موجودتان تحت علامتي ورقمي ٩٥٦ / ٢ . Or و ٥٠٧ / ٣ . Or.

وقد طبع كتاب لباب الألباب اعتماداً على نسختين خطيتين: الأولى نسخة اليوت Elliot، وقد شَرَحَهَا بلند N.Bland في المجلد التاسع من مجلة الجمعية الملكية الآسيوية، ص ١١٢ وما بعدها.

والثانية نسخة برلين الخطية (رقم ٣١٨ في فهرست اشبرنجر، المطابق لرقم ٦٣٧ في فهرست برج)^(١).

[655] ومن جملة الكتب التي أنوي نشرها ضمن المتون التاريخية الفارسية: (لباب الألباب)، وقد جاء الدور عليه لطبعه^(٢).

والكتاب المُهمُّ الآخر (ويبدو للأسف أنه لاوجود له الآن) هو مناقب

(١) Sprenger, Pertsch's Catalogue

(٢) النسخة الخطية الأولى: تملكها حالياً مكتبة جان رايلندز John Rylands Library

في مانشستر Manchester.

وقد اشترت قرينة رايلندز هذه النسخة في ١٣١٩هـ = ١٩٠١م من لورد كرافورد Lord Crawford وبالكارس Balcarres. وحين كانت كُتِبَ بلند Bland الخطية تباع. . اشترى هذه النسخة لمكتبة الشخصين المذكورين. وأنا مدين إلى حدٍ كبير لسخاء طبع لورد كرافورد ومكتبة برلين فقد وضعها هذه النسخة النادرة تحت تصرفي في كمبريدج.

(تعليق م.ع): طبع جُهار مقالَه بأشراف قزويني في تهران عام ١٣١١هـ. ش، (وطبع بعد ترجمته إلى العربية على يد الدكتورين عزام والخشاب في القاهرة عام ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م)، وطبع في بمباي عام ١٣٢١هـ = ١٩٠٣م، في عام ١٣٢٤هـ، ولندن عام ١٣٢١هـ = ١٩٠٣م. وقد نشر براون كتاب لباب الألباب وتم طبعه في لندن عام ١٣٢١هـ = ١٩٠٣م.

الشعراء لأبي طاهر الخاتوني^(١)، أحد كتّاب العصر السلجوقي وشعرائه المشهورين. وقد استفاد دولتشاه - وغيره ممن كتبوا بعده سيرة الشعراء الفارسيين - من كافة المراجع والمصادر بصورة مباشرة وغير مباشرة (كتب دولتشاه تذكروته عام ١٤٨٧م = ٨٩٣هـ).

وقد أكثر رضا قلي خان - صاحب مجمع الفصحاء - من الاستشهاد بالعوفى. ويعد كتابه «مجمع الفصحاء» من أشمل كتب التذاكر وأحدثها (طبع في مجلدين طبعة حجرية في طهران، عام ١٢٩٥هـ = ١٨٧٨م).

ومن المصادر القديمة النادرة - نوعاً ما - كتاب «لغت فرس» للأسدي. وهو يذكر عدداً من الشعراء الذين نظموا بالفارسية، وكانوا يعيشون في دعة ويحظون بالتوفيق قبل أواسط القرن الحادي عشر الميلادي. وقد ألف أسدي كتاب (لغت فرس) في حدود عام ٤٥٢هـ = ١٠٦٠م، وقد صحّح الدكتور پاول هرن Dr. Paul Horn نسخة الفاتيكان Vatican الخطية القديمة، وهي [656] برقم (Pers. XXII)، وكان قد تمّ استنساخها في عام ١٣٣٢م = ٧٣٣هـ، وقام بنشرها في استراسبورج Strassbyrg، عام ١٨٩٧م = ١٣١٥هـ^(٢). وقد أثبتت في هذا الكتاب - الذي يعدّ من أقيم الكتب - أشعاراً

(١) مجلة الجمعية الآسيوية الملكية، عدد يناير ١٨٩٩م = (١٣١٧هـ)، ص ٤٢ و ٤٣.

(تعليق م.ع): أبو طاهر الخاتوني هو صاحب أقدم كتاب في تراجم شعراء الفرس، وعنوانه «مناقب الشعراء». وقد ضاع الكتاب وبقي ذكره لدى حاجي خليفة في كتابه، وبقيت عنه إشارتان لدى دولتشاه في تذكرة الشعراء. والخاتوني من وجهة نظر قليخان (مجمع الفصحاء، ج ١ ص ٦٦) كاتبٌ ممتازٌ متفنّنٌ هجاءٌ.

توفي في عام ٥٠٠هـ = ١١٠٦م، أو بعد ذلك بقليل.

انظر: السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص ٣١١.

(٢) اكتشفت نسخة خطية أخرى بواسطة الدكتور Bthé بين الكتب الخطية الفارسية في وزارة الهند (رقم هذا الكتاب ٢٥١٦ وهو يطابق رقم ٢٤٥٥، ويرادف رقم ١٣٢١ - ١٣٣٥ من الفهرست الذي هو قيد الإعداد).

وقد نسخ أسدي أقدم نسخة خطية موجودة في الفارسية، وهي النسخة الخطية لكتاب (الأبنية عن حقائق الأدوية) لأبي منصور الموقّ، وكان زليجمن Seligmann قد صحّحها وطبعها في فيينا Vienna عام ١٢٧٦هـ = ١٨٥٩م. وتاريخ هذه النسخة الخطية (٤٤٧هـ = ١٠٥٥ - ١٠٥٦م).

لحوالي ٧٨ شاعراً. ولو لم يكن هذا الكتاب ماعرفنا الكثير من الشعراء المذكورين وماوقفنا حتى على أسمائهم.

والآن وقد أولينا اهتمامنا المصادر الموجودة، التي تعين على دراسة ما في هذا العصر من ظواهر أدبيّة إيرانيّة عجيبة نتّجه إلى دراسة أحوال الشعراء. وسوف ندرس أولاً الشعراء الذين ينظمون بالفارسيّة ثم الذين ينظمون بالعربيّة ممن كانوا يحفظون بالتشجيع والحماية من قبل الطاهريّين والصفاريّين والسامانيّين وبقية الملوك المعاصرين لهم، وكان لهم قدرهم وبريقهم.

وسوف نستقي معظم معلوماتنا حول الشعراء الذين ينظمون بالفارسيّة عن لباب الألباب لعوفى، وسوف نستفيد من يتيمة الدهر للثعالي في التوصل إلى معلوماتنا عن الشعراء الذين ينظمون بالعربيّة. وقد تحدّثنا عن يتيمة الدهر - في صفحات سابقة - بالقدر الكافي. أما عن لباب الألباب.. فسوف أقوم بنشره، ولكن بما أنه لم ينشر إلى الآن فسوف أذكر هنا طرفاً من محتوياته^(١).

وفيما يتعلّق بمحمد عوفى مؤلّف لباب الألباب.. أثبتت كلّ المعلومات [657] الموجودة في صفحتي ٧٤٩ - ٧٥٠ من فهرست النسخ الخطيّة الموجودة في متحف بريطانيا - تقريباً - والتي قام ريو^(٢) بتنظيمها. وكان عوفى يدّعى أنه ينتسب إلى عبد الرحمن بن عوف، وعبد الرحمن بن عوف واحد من صحابة رسول الله، وأحد الستّة الذين اختارهم الخليفة عمر حين حضرته الوفاة، وأوصى أن يختار هؤلاء الستّة واحداً من بينهم ليتولّى منصب الخلافة من بعده.

وتدلّ إشارات العوفى المتكرّرة إلى الشعراء الذين شوهدوا في تواريخ مختلفة وفي مدن إيرانيّة مختلفة.. على أنه قام بأسفار عديدة إلى خراسان وتوابعها في أوائل القرن السابع الهجري (حوالي ٥٩٧هـ = ١٢٠٠م).

(١) (تعليق م.ع): نشر الكتاب كما ذكرنا، وطبع في لندن.

(٢) Rieu's Catalogue of the Persian Manuscripts in the British Museum

ثم ألقى رحله في الهند وأقام بها. وهناك توجه إلى بلاط ناصرالدين قوبچه، فبات ممدوحه وولي نعمته. وبعد هزيمة ناصرالدين على يد شمس الدين ايلتمش عام ٦٢٥هـ = ١٢٢٨م، توجه العوفي إلى بلاط المنتصر واتخذ منه ولياً لنعمته. وفضلاً عن لباب الألباب، ألف العوفي مجموعة كبيرة من القصص باسم جوامع الحكايات^(١)، جعلها في أربعة أقسام، يشتمل كل قسم منها ٢٥ فصلاً.

ورغم أن «لباب الألباب» كتاب قديم فإنه - لأكثر من سبب - كان مخيياً للآمال، لأنه نسب إلى شعراء خراسان امتيازاً لا ينطبق عليهم. يضاف إلى ذلك أنه خالٍ تقريباً من كل المعلومات الضرورية اللازمة لتفصيل أحوال الشعراء. والواقع أن هذا الكتاب يجب أن يُقبل باعتباره مجموعة واسعة عظيمة من مختارات الأشعار باعتباره كتاباً في تراجم الأحوال. وهو يشتمل على ١٢ باباً في مجلدين: المجلد الأول من سبعة أبواب، والمجلد الثاني - وهو الأكبر والأكثر لفتاً للنظر - يقع في خمسة أبواب، وتسير الأبواب الاثنا عشر على النحو التالي:

الباب الأول، في فضيلة الشعر والشاعرية.

الباب الثاني، في معنى الشعر عن طريق اللغة (معنى لغة الشعر).

[658] الباب الثالث، في الحديث عن أول من قال الشعر.

الباب الرابع، في الحديث عن أول شعر فارسي قيل.

الباب الخامس، في لطائف أشعار السلاطين والملوك والأمراء.

الباب السادس، في لطائف أشعار الوزراء والصدور والكفاة.

الباب السابع، في لطائف أشعار الأئمة والعلماء والصدور الفضلاء.

(١) (تعليق م.ع): طبع كتاب جوامع الحكايات ولوامع الروايات في طهران عام ١٣٣٥هـ، وقدم له وعلق عليه محمد معين.

الباب الثامن، في لطائف أشعار شعراء آل طاهر وآل الليث وآل سامان، وهذه هي الطبقة الأولى.

الباب التاسع، في طبقات شعراء آل ناصر، وهذه هي الطبقة الثانية (الغزنويون).

الباب العاشر، في طبقات شعراء آل سلجوق حتى آخر عهد السلطان سعيد، وقد كانت هذه هي الطبقة الثالثة.

الباب الحادي عشر، في ذكر شعراء هذا القرن الذين ظهوروا من بعد حكم سنجر حتى هذا العهد (معاصرو المؤلف).

الباب الثاني عشر، في لطائف أشعار الصدور (الوزراء) والشعراء والفضلاء (معاصرو المؤلف من رجال البلاط الذين نظموا الشعر).

ويتناول المجلد الأول أحوال الشعراء الذين لم يكونوا يمتنون نظم الشعر، ويشتمل ١٢٢ ترجمة لأحوال الشعراء. بينما يدور المجلد الثاني حول الشعراء الذين كانوا يمتنون نظم الشعر، ويشتمل على ١٦٤ ترجمة لأحوال الشعراء. وعلى وجه العموم فإن هناك - تقريباً - ترجمات لأحوال ٢٨٦ شاعراً كانوا يعيشون قبل عام ٦٢٥هـ (١٢٢٨م). وقد كان لشيل بلند^(١) شرف تعريف العلماء الأوروبيين بمضمون هذه المجموعة النفيسة، فقد شرح نسخة الكتاب الخطية بتفصيل أكبر، وذلك في المجلد التاسع من مجلة الجمعية الملكية الآسيوية (ص ١١٢ فما بعد) تحت عنوان: أقدم تذكرة بين تذكرات الشعراء. وكانت هذه النسخة - في بادئ الأمر - تخص اليوت [659] J.B.Elliot (١٨٢٥م = ١٢٤١هـ)، واللورد كرافورد Lord Crawford (١٨٦٦-١٩٠١م = ١٢٨٣-١٣١٩هـ).

(١) Nathaniel Bland, The Most Ancient Persian Biography of Poets.

(١)

ثم اشترتها السيدة رايلندز (في أغسطس من عام ١٩٠١م) لمكتبة جان رايلندز John Rylands library في مانشستر. وقد شرح الدكتور اسبرنجر Dr.Sprenger النسخة الأخرى في الصفحات الست الأولى من فهرست النسخ الخطية لمكتبة الملك اود Oudh (كلكتة بتاريخ ١٨٥٤م = ١٢٧١هـ).^(١)

ومن هذا التاريخ فما بعد، قام الدكتور اته De. Ethé of Aberystwyth بنشر سلسلة من الرسائل، وذلك في مجلات المائنة مختلفة. وكانت الرسائل تدور حول أقدم الشعراء الإيرانيين^(٢). وقد استفاد كثيراً من هذه النسخة. وإني لأمل أن أنشر متن هذه الرسائل في فرصة قريبة لأضعها بين أيدي كل علماء إيران. وعندها فقط أستطيع أن أذكر عدداً من أقدم وأشهر الشعراء الواردين في هذه الرسائل^(٣).

[660] ١ - في عصر الطاهريين (٢٠٥-٢٥٩هـ = ٨٢٠-٨٧٢م)، ذكر العوفي شاعراً واحداً هو حنظلة الباد غيسى، ونقل عنه هذين البيتين فقط^(٤):

(١) شرح بيرج Pertsch بدوره هذه النسخة في صفحتي ٥٩٦ و ٥٩٧ من فهرست نسخة برلين الخطية (١٨٨٩م = ١٣٠٧هـ).

(٢) أطلق على الرسائل التي وضعها الدكتور اته بالألمانية هذا الاسم: الرودكي شاعر العصر الساماني:

Rūdagi, der Samaniden dichter (1873).

Rūdagi's Vorlaufer und Zeitgenossen (1873).

Firdusi als Lyriker (1872): Die lieder des Kisa'i (1874) & C.

تعليق المترجم:

انظر مقالة عباس اقبال الأستاذ بجامعة طهران حول أقدم شاعر فارسي. وقد أدرجت تلك المقالة في العدد الثاني من العام الثاني لمجلة كاوه في عهدها الجديد. وانظر مقالة المرحوم القزويني المتعلقة بموضوع أقدم شعر فارسي، وذلك في كتاب بيست مقالة (المجلد الأول).

(٣) بناء على الأدلة التي أوردتها قبل ذلك (ص ٢٢- الهامش، رقم ٤) فإني أتغاضى عن الأشعار التي نسبها العوفي إلى العباس المروزي، والتي ادعى فيها أن عباس المروزي قد نظمها بالفارسية في مدح الخليفة المأمون. . لأنني أتفق مع كازيميرسكي A. de Biberstein Kazimirski في أن ناظمها شخص آخر.

(٤) هناك بيتان آخران تُنسب إليه في «هفت اقليم»، لكنهما في الحقيقة يتعلّقان بشخص آخر.

انظر: رسالة الدكتور اته في صفحة ٤٠: Dr. Ethé Rudāgi's Vorlaufer.

وانظر: صفحة ٥٢١ من هذا الكتاب.

- مهما يلقى حبيبي على النار من بخور..

ليتقي عين الحسود ولا يلحقه الضرر..

- لن يفيد البخور ولا النار..

ما دام له وجه كالنار وخال كالبخور يخلب النظر^(١).

(١) البيتان بالفارسية:

يارم سپند اگرچه برآتش همی فکند ازبهر چشم تا نرسد مرو را گزند
اورا سپند و معجر ناید همی بکار باروی همچو آتش و باخال چون سپند
تُحرق حبة البخور لدفع ضرر العين. ويطلقون على عين السوء: «عين الكمال»، لأن كل شيء
كامل في نوعه أسيرُ الحقد والحسد، ومُعَرَّض لتأثير عين الحاقدين بصفة خاصة. وقد شبه
الشاعر وجه حبيبه الملوّن بالنار، وشبه خاله الأسود بحبة البخور. وهو يقصد أن هذين الاثنين
كاملان بحيث لا يمكن حفظهما بسهولة من ضرر عين السوء.

تعليق المترجم: يعني حنظلة البادغيسي أنه مادام وجه حبيبه يشبه النار، وما دام خاله يشبه
البخور فإنه لا حاجة به إلى دخان البخور لاثقاء الإصابة بالعين، وهذا الأمر تحصيل حاصل.
وبناء على قول سيد حسين شهبهاني - المستشار العلمي في ديوان البلاد - فإن إطلاق العرب
«عين الكمال» على «عين السوء» ربما يكون من مقالة تفاءلوا بالخير تجدوه، كما يقال
للملدوغ.. «السليم» على أمل نجاته والتفاؤل بسلامته.

كما يُروى أن الكفار حين سمعوا آيات القرآن اليبّات احتاروا في فصاحته وبلاغته، وكادوا
يحسدون الرسول الكريم. وقد جاء في تفسير الملا فتح الله الكاشاني أن الرسول كان يجلس في
المسجد يقرأ القرآن، وكانت هناك جماعة تقف على باب المسجد في انتظار خروجه عليه السلام
ليلحقوا به الضرر بعين السوء؛ فنزل عليه جبريل بهذه الآية، وقال له: أتأمر يا رسول الله هذه
الآية لتأمن شر عيونهم: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون
إنه لمجنون، وما هو إلا ذكر للعالمين﴾.

(تعليق م.ع): القلم، الآيتان ٥١، ٥٢.

لتفسير هذا الإجمال، يُرجع إلى: تفسير أبي الفتح الرازي، ج ٥ ص ٣٨٢-٣٨٤، طبع وزارة
التعليم، تيرماه ١٣١٥ هـ. ش. وقد ورد في تفسير فخر الرازي - نقلاً عن أحد الرواة - أن دواء
الإصابة بالعين قراءة هذه الآية. ويقول نظامي على لسان جارية في أثناء عرضه لقصة صيد بهرام
گور، متعرّضاً لهذا الأمر:

- كل ما تستحسنه العين وتعجب به تجرحه وتلحق به الضرر

هرچه را چشم درپسند آرد چشم زخمی برآن گزند آرد

ويؤكد جلال الدين المولوي (المثنوي - دفتر الخامس) أن عين السوء لا تؤذي آدمياً قط، ويبدأ
أبياته بقوله:

- لا تنظر إلى الطاووس وانظر إلى رجله كي لا تصيبه عين السوء.

٢ - بعد حنظلة البادغيسي . . يذكر العوفي اسم فيروز المشرقي ، ويقول إنه كان [661] يعيش في عهد عمرو بن الليث الصفار (٢٦٥ - ٢٨٧ هـ = ٨٧٨ - ٩٠٠ م) ولم ينقل عنه غير هذين البيتين فقط :

مرغى است خدنگ اي عجب دیدی مرغی که شکار او همه جانا
داده برخویش کرکشش هدیہ تانه بچه اش برد به مهمانا^(١)
وترجمتهما العربية :

- يا عجباً لسهم يشبه الطائر . . طائر لا يصيد سوى الأرواح .

- لقد أهداه النسر جناحه . . كي لا يحمل صغاره للضيفان .

٣ - أبو سليك الجرجاني^(٢) هو آخر شعراء الدولة الطاهرية والدولة السامانية [662] الذين ورد اسمهم في الفهرست المقتضب الخاص بكتاب لباب الألباب . وقد نقل عوفي قطعتين من أشعاره ، كل قطعة منهما مكونة من بيتين .

ومن بين الشعراء الآخرين الذين ورد ذكرهم في هذا الصدد ، يُنسب ٢٨ شاعراً إلى الأسرة السامانية . غير أن بعضهم كان يحظى بحماية آل بويه (ومن جملتهم منصور بن علي المنطقي الرازي وأبو بكر محمد بن علي الخسروي السرخسي اللذان كانا يفيدان من حماية الصباح بن عباد ذي الطبع الكريم ، وزير مؤيد الدولة وفخر الدولة) . كما أن البعض الآخر (أمثال الشاعر الأخير

= - واعلم أن ضرر العين ينحسر عنها إذا ما قرأت من القرآن آية (يزلقونك) .

برطاوست مبین وپای بین تاکه سوء العین نگشا ید کمین

که بلغزد کوه ازچشم بدان یزلقونک از نبی بر خوان بدان

انظر في ترجمة جلال الدين الرومي : كتابي ٣٥٠٠ عام من عمر إيران ، ص ٣١٢ .

(١) تعليق المترجم : ورد هذا المصراع بأكثر من صورة ، ومن بينها : (تانه بچه اش برد بهم مانا) ، (تابچه اش را برد بمهمانا) ، (تاکه بچه اش برد بمهمانا) .

وهو في الصورتين الأخيرتين يجعل المعنى مغايراً ، فيكون : كي يحمل صغاره للضيفان .

(تعليق م.ع) : انظر في ترجمته : ص ٣١٤ من كتابي ٣٥٠٠ عام من عمر إيران .

(٢) (تعليق م.ع) : لمعرفة معلومات عن أبي سليك وأشعاره ، انظر : المرجع السابق ، ص ٣١٥ .

وأبي القاسم زياد بن محمد القمري الجرجاني) قد أنشد قصائد في مدح الملوك الزياريين في طبرستان. وهناك أيضاً من امتدحوا الأمراء الجفانيين والغريغونيين (أمثال الدقيق ومنجيك). كما أن هناك من نظموا المدائح في حق سلاطين غزنة القدامى.

ومن بين الشعراء المذكورين هناك ستة أو سبعة لم يكن لهم حام، ولم يتخذوا ممدوحاً خاصاً. ويكتب الدكتور «اته» أسماء العديد منهم في مقالته^(١)، وينقل ما بقي عنهم من أشعار. وهذه المقالة هي نفسها تلك التي مرّ ذكرها (وقد جاء ذكرها في الكتاب التذكاري للأستاذ فلايشر باسم الدراسات الشرقية، طبع لايبزيغ عام ١٢٩٢هـ = ١٨٧٥م، ص ٣٥-٦٨)^(٢). ونحن نكتفي هنا بذكر عددٍ من أشهرهم. ويُطلق على ثلاثة منهم أو أربعة لقب: «أصحاب اللسانين» أي من ينظمون الشعر بالعربية والفارسية. وهذه أسماءهم: الشيخ أبو الحسن الشهيد البلخي، وأبو بكر محمد بن خسروي السرخسي^(٣)، وأبو عبدالله محمد بن عبدالله الجندي.

ويقول العوفي: «ورد اسم الجندي في اليتيمة»، ولكنني عدت إلى هذا الكتاب ولم أتمكن من العثور عليه فيه.

[663] ٤ - الشهيد البلخي: أثبت العوفي من أشعار الشهيد البلخي الفارسية سبع قطعاً مجموع أبياتها خمسة عشر بيتاً، كما أثبت له ثلاثة أبيات عربية، ونقل مرثية نظمها الرودكي عند وفاته، يؤكد فيها منزلة الشهيد في قلوب معاصريه، إذ يقول: «إن قافلة الشهيد مَضَتْ قبل أن

(١) من بين واحد وثلاثين شاعراً تحدث عنهم العوفي في هذا الفصل، ذكر الدكتور اته حوالي عشرين شخصاً، وأضاف اليهم اثنين أو ثلاثة آخرين.

(٢) Professor Fleischer, Festschrift, Morgenlandische for Schungen, Leipzig, 1875.

(٣) (تعليق م.ع): في ترجمة الشهيد البلخي وأبي بكر خسروي السرخسي، انظر: كتاب ٣٥٠٠ عام من عمر إيران ص ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٣٧.

تمضي قوافل الشعراء . ولو عددنا معتمدين على العنين في إحصائنا . .
لقلنا إن شخصاً قد نقص من بيننا، لكنا لو أعملنا عقلنا لكان من نقص
يفوق الآلاف»^(١).

وننقل هنا القطعتين التاليتين نموذجاً لأشعار شهيد البلخي:

- إن السحاب ليكي مثل العاشقين . .

بينما تضحك الحديقة كالمعشوق .

- ويثن الرعد مثلي . .

عندما أئن وقت السحر متألماً^(٢) .

* * *

- لو كان للغيم دخان مثل النار سواء بسواء،

لأظلمت الدنيا إلى الأبد، وغدّت سوداء .

- ولو أنك طُفت أرجاء دنيانا بأسرها . .

لما وجدت عاقلاً واحداً مسروراً بها^(٣) .

ويقال إن بعض أشعاره العربيّة قد نقلت في فتر بعنوان: «حماسة الظرفاء»
تأليف أبي محمد عبدالكافي الزوزني (غير أن هذا الدفتر لا وجود له).

٥ - أبو شعيب صالح بن محمد الهروي^(٤):

ترتكز شهرته على خمسة أبيات نظمها في مدح راهبة صغيرة جميلة.
وهذه هي الأبيات الثلاثة الأولى منها:

(١) كاروان شهيد رفت از پیش آن ما رفتہ گیر ومیانديش

از شمار دوچشم يك تن كم وز حساب خرد هزاران بیش

(٢) أبرهمی گريد چون عاشقان باغ همی خندد معشوق وار

رعد همی نالد مانند من چون كه بنالم بسحرگاه زار

(٣) اگرغم را چو آتش دود بودی جهان تاريك بودی جاودانه

در اين گيتی سراسرگر بگردی خردمندی نيابى شادمانه

(٤) (تعليق م.ع): ارجع في ترجمة أبي شعيب إلى: ٣٥٠٠ عام من عمر إيران، ج ١ ص ٣٥٥.

- دينها النار والجنة وجهها وقامتها،
 لها عينا غزال وزلف محلق وخذ أحمر.
 - شفتاها تشبهان ما يقطر - من قلم رسام صيني -
 من صباغ من فضة على زنجفر.
 - لو أنها فرقت حُسْنَهَا على الزنجيات،
 لتعرضن - ولا شك - لِحَسَدٍ وَغَيْرَةِ التَّرَكِّيَّاتِ^(١).

٦ - أبو عبدالله محمد بن موسى الفراءاوي^(٢) أحد معاصري الشهيد البلخي.

[664] وقد نقل العوفي شعراً عن الرودكي يساوي فيه بين الفراءاوي وشهيد
 البلخي ويجعلهما في منزلة واحدة. والمعروف أن الرودكي تال على الشهيد
 والفراءاوي، لكن مقامه أسمى من الجميع في مجال نظم الشعر، وقد بقيت
 لنا من أشعار الفراءاوي هذه القطعة:

- أيّ عملٍ أفضل من زيارة هذا الذي ..
 مهما حاولتُ مخلصاً لا أفي بحقه أو أردّ جميله!!
 - لا أجد لي شفيعاً لديه لقبول عذري،

-
- (١) دوزخی کیشی بهشتی روی وقد
 لب چنان کزخامه نقاش چین
 آمو چشمی حلقه زلفی لاله خُذ
 بر چکد از سیم بر شنگوف حد
 گر ببخشد حسن خود برزنگیان
 ترک رابی شک ز رنگ آید حسد
- (٢) لما كان الدكتور اته قد اعتمد على نسخة لباب الألباب الخطيّة التي في برلين وحدها. فقد قرأ
 اسم (فراءاوي) على النحو التالي (فراالدي)، وقد أثبت الاسم في نسخة اليوت الخطيّة وفي
 مجمع الفصحاء بالدال لا بالواو. وإذا رجعنا إلى العوفي وجدنا شعراً نقله عن الرودكي، أورد
 فيه (فراءاوي) قافية (لراوي)، مما يؤيد الادعاء القائل إنّ (فراءاوي) بالواو لا بالدال.
 (تعليق م.ع): ارجع في ترجمته إلى: ٣٥٠٠ عام من عمر إيران، ص ٣٢٥، الربيع ص ٢٥٧
 حيث توجد مراجع كثيرة.
 تعليق المترجم: هذا البيت هو المقصود.
 شاعر شهيد وشهره فراءاوي وين ديگران بجمله همه راوي

لذا سأكتفي بكريم طبعه شفيحاً عنده^(١).

٧ - أبو عبدالله جعفر بن محمد الرودكي الذي كان يُدعى عادةً الرودكي أو الرودكي^(٢). والواقع أنه يعتبر أول شاعر إيراني كبير في عهد الإسلام. وقد عرّفنا «البلعمي» بالرودكي فقال صراحة: إنه لا نظير له بين العرب والعجم^(٣). والبلعمي هو رئيس وزراء اسماعيل بن أحمد الساماني (٢٧٩-٢٩٥ هـ = ٨٩٢-٩٠٧ م) وهو والد المترجم الذي نقل تاريخ الطبري^(٤) الكبير إلى الفارسيّة.

ويبدو أن الرودكي قد حظي بشهرة كبيرة بين معاصريه. وللشاهد البلخي شعرٌ في الثناء على الرودكي، نقله العوفي:

[665] - «أحسنّت وأجدت» مديح للشعراء،

«وأحسنّت وأجدت» للرودكي.. هجاء^(٥).

وقد لقّبه معروف البلخي بسلطان الشعراء. ومن جملة الكلمات التي تُسبّت إليه هذا المصراع:

«اندرجهان بكس مكر وجز بفاطمي». ويبدو من هذا المصراع أن الرودكي كان إسماعيلياً، وهذا يتطابق تماماً مع ما قاله نظام الملك في كتابه «سياست نامه»

(١) چه شغل باشد واجب تراز زیارت آنک
اگرچه نیک بکوشم بواجبش نرسم
همی شفیع نیابم ازو بعذر گناه
کريم طبعی او نزداو شفیع بسم
(٢) في كتاب عربي اسمه «غاية الوسائل إلى معرفة الأوائل» وردت نسبة الرودكي على النحو التالي:
(ابن محمد بن حكيم بن عبدالرحمن بن آدم). وقيل إنه أول من قال الأشعار اللطيفة الرقيقة
باللغة الفارسيّة.

(انظر صفحتي ٥٢١ و ٥٢٢ من هذا الكتاب).

(تعليق م.ع): انظر في ترجمته: ٣٥٠٠ عام من عمر ايران، ص ٣٢٦-٣٣١.

(٣) انظر فهرست النسخ المخطیة الإسلامية في مكتبة جامعة كمبريدج، ص ١٢٦، سطر ٤ و ٣.

(٤) نقل زوتن برج Zotnberg

الترجمة الفارسيّة لتاريخ الطبري إلى اللغة الفرنسية (وهي الترجمة التي كان قد أعدّها البلعمي الصغير). ثم طبع زوتن برج ترجمته الفرنسية في باريس، في الفترة ما بين عامي ١٨٦٧ و ١٨٧٤م وذلك في أربعة مجلدات.

(٥) شاعران راخه واحسنت مديح
رودكي راخه واحسنت هجاست

(طبع شفر، ص ١٨٨ - ١٩٣) الذي كان يعتبر نصر بن أحمد الساماني (٣٠١ - ٣٣١هـ = ٩١٣ - ٩٤٢م) - وليّ نعمة الرودكي وممدوحه - إسماعيلياً.

ويقول الدقيقي - السابق على الفردوسي - مادحاً الرودكي: «وإني حين أحمل المديح إليه كحامل التمر إلى هجر».

وكما يقول المثل الإنجليزي: كحامل الفحم إلى نيوكاسل New Castle،
(وكما يقول المثل الفارسي: كحامل الكزبرة إلى كرمان)^(١).

وقد وُلد الرودكي في قرية قريبة من سمرقند. ويرى العوفي أنه كان أعمى منذ ولادته (وقد شكك الدكتور إته في صحّة هذا القول). ولم يكن شاعراً مُجيداً بليغاً فحسب بل كان مغنياً حسن الصوت، ماهراً في عزف الرباب والعود. وكان موضع رعاية خاصة من قِبَل ممدوحه ووليّ نعمته.. نصر الثاني. والحقُّ أن أشهر أعمال الرودكي (ذاك الذي ذكرته كلُّ كتب التذاكر الفارسية تقريباً) هو القصيدة التي قالها على البديهة، والتي أوردناها في الفصل الأول من كتابنا هذا (ص ٢٦ - ٣٠ من الترجمة الفارسية) والتي غناها على الرباب أمام الشاه^(٢). وفي نهاية حياة الرودكي^(٣). سقط من عَيْن

(١) (تعليق م.ع): صحة الاسم «معروف البلخي»، ارجع في ترجمته إلى ص ٣٣٥، ٣٣٦، من ٣٥٠٠٠ عام من عمر إيران.

تعليق المترجم: نقل العوفي هذا الشعر في لباب الألباب:

كرا رودكي كَفْتَه بِاشَد مديح	امام فنون سخن بود وَر
دقيق مديح آوَرْد نَزْد أو	چو خرما بود برده سوى هجر

والمعنى:

- من ينطلق لسان الرودكي بمدحه..

يصبح إمام الفنون وزعيم الكلام..

- وإني حين أزجى المديح إلى مقامه..

أكون كناقل التمر إلى هَجَر

(٢) أقدم الروايات التي حَكَت تلك الحكاية وأوثقها، تلك التي أوردتها نظامي عروضي السمرقندي في «چهار مقاله».

انظر: الترجمة الانجليزية لبراون، ص ٥١ - ٥٦ (طبع لوزاك ١٨٩٩م)؛ مقالة براون حول مصادر دولتشاه، في المجلة الآسيوية الملكية، عدد يناير ١٨٩٩ = ١٣١٧هـ، ص ٦١ - ٦٩.

(٣) يقول السمعاني إن موته كان في عام ٣٢٩هـ = ٩٤٠ - ٩٤١م (استشهد به المنيني في شرحه على تاريخ العتبي، ح ١ ص ٥٢، القاهرة ١٢٨٦هـ = ١٨٦٩م).

[666] المَلِك فتعرض للفاقة وضيق ذات اليد (ربما بسبب معتقداته المذهبية التي أشرنا إليها). لكنّه إبان تأجج شهرته، والتفاقة العامة حوله، وتمتّعه بالعزة والجاه.. كان يمتلك - كما يقول العوفي - مائتا غلام ومائة جملٍ تحمل أمتعته وأثاثه^(١).

ويقول العوفي: إن أشعار الرودكى كانت تملأ مائة كتاب. ويقول الجامي في كتابه «بهارستان - معتمداً على ما رود في كتاب اليميني (تاريخ السلطان محمود الغزنوي تأليف العتبي) - إن أشعاره بلغت مليون بيت وثلاثمائة ألف^(٢). وقد وصلنا القليل جداً من كل هذه الأشعار، لكنّه أكثر بكثير مما كنّا نتصوّره.

وقد ذكر الدكتور هرن Dr. Horn في الطبعة النفيسة التي نشرها لمعجم أسدى (فرهنگ أسدى) - في الصفحات من ١٨ - إلى ٢١ - أنه قد استشهد بالرودكى في هذا الكتاب أكثر من استشهاده بغيره من الشعراء القدامى الآخرين، وأنّه نقل ستة عشر بيتاً تقريباً من مثنوى «كليلة ودمنة» المفقود.

ويوجد الكثير من الدفاتر والمؤلّفات التي لم تطبع.. في المتحف البريطاني وسائر المكتبات الأوروبية الكبيرة، وهي تحوى الكثير من أشعار الرودكى التي تحظى بالاهتمام، وقد جمع الدكتور «اته» في رسالته القيّمة التي كتبها [667] عن الرودكى^(٣).. ٥٢ قطعة، بعضها كثير الأبيات وبعضها قليل

(١) ذكر الجامي أن عدد الجمال ٤٠٠ جمل، وذلك من باب المبالغة.

(٢) يقول الرشيدى الشاعر السمرقندى في مصرع له: (شعراورا برشمردم سيزده ره صد هزار). والمعنى: أحصيت شعره فوجدته ضعف المائة ألف ثلاث عشرة مرة (وهذا معناه أنها مليون وثلاثمائة ألف بيت)).

(٣) Nachrichten Von der Königl- Gesellschaft der Wissenschaften u. der G. A. Universität Zu Cöttingen, no. 25, Nov. 12, 1873, pp. 663. 742.

الأبيات، وهي تصل في مجملها إلى ٢٤٢ بيتاً. وكان جَمْعُهُ لها عن طريق هذه المصادر. ويمكننا الآن أن نضيف إلى ما جُمِعَ قدراً كبيراً من الأشعار - دون شك - لو أننا رجعنا إلى المصادر الأخرى التي وقعت في أيدينا خلال السنوات الثلاثين الماضية^(١).

وما دام الدكتور «اته» قد أثبت في رسالته كلَّ الترجمات المنظومة التي وُضِعَتْ لأشعار الرودكي.. فليس من الضروري أن تُثبِت نماذج أخرى لأشعاره لنضعها تحت نظر القارئ الأوروبي. وسوف اكتفى بذكر قطعتين لا أكثر، قام أستاذي القديم الحبيب «كاول» Professor Cowell بترجمتهما:

(وردت القطعتان المذكورتان في مقالة اته، الأولى برقم ٢٠ والثانية برقم ٤١):

ويا چون برکشیده تیغ پیش آفتابستی	بیار آن می که پنداری روان یاقوت نابستی
بخوش گوئی اندر دیده بی خواب خوابستی	گوئی اندر جام ما نند گلابستی
طرب گوئی که اندر دل دعای مستجابستی	سحابستی قدح گوئی و می قطره سحابستی

[668]

اگر در کالبد جان را ندیدیستی شرابستی	اگر می نیستی یکسر همه دلها خرابستی
از آن تا ناکسان هرگز نخوردندی صوابستی	اگر این می بابر اندر بچنگال عقابستی

والمعنى:

- اسقني من تلك الخمر التي تشبه الياقوت الصافي،
أو السيف المسلول في مواجهة أشعة الشمس.

(١) تعليق المترجم: انظر الكتاب النفيس الذي يدور حول أشعار إبي عبدالله جعفر بن محمد الرودكي السمرقندي في ثلاثة مجلدات تشتمل على مصادر الكتاب وعصر الرودكي (جغرافية سمرقند وبخارا في عهد السامانيين وتاريخ ما وراء النهر منذ أقدم الأيام حتى عام ٣٣١هـ = ١٩٤٢م، والوضع العلمي في زمن السامانيين). وأقوال الكتاب السابقين حول الرودكي، أشعار الرودكي، إضافات وتعليقات (دراسة حول ٥٣ شخصاً من الشعراء الإيرانيين في القرنين الثالث والرابع) تأليف سعيد نفيسي، طبع طهران ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١٩ هـ. ش.

- إنَّها في الكأسِ بنقائِها كماءِ الوردِ،
 ويلطِّفُها كالصيفِ في عَيْنِ الوَسنانِ.
 - القَدَحُ سحابٌ والخمرُ قطرةُ السحابِ،
 والطَّرَبُ في قلبِ شارِبِها دعاءٌ مستجابِ.
 - لو لم تكن الخمرُ لفسدت القلوبُ بأسْرِها،
 ولو لم يكن الشرابُ لفارقت الأرواحُ أجسادَها،
 - لو أن الخمرَ في السحابِ وبمخالِبِ العقابِ،
 لكان عدمُ احتسائِ الخاملِ لها صوابِ.
 چون کشته ببینی ام دولب گشته فراز از جان تهی این قالب فرسوده به آز
 بربالینم نشین و میگوی بناز کای من تو بکشته و پشیمان شده باز
 والمعنى: حين تراني قتيلا قد انفرجت شفتاي،
 وغادرت الروح جسدي الحافل بالطمع والأمنيات.
 اجلس على فراشي وقل في ألم:
 يا من قتلْتُك ثم تملِكُني الخجل والحسرات.
 ۸ - الشيخ أبو العباس^(۱) هو الفضل بن عباس، من معاصري الرودكي. نظم
 شعراً في رثاء نصر الثاني - ولي نعمة الرودكي وممدوحه - كما امتدح
 خليفته في نفس الوقت:

پادشاهی گذشت خوب نژاد	پادشاهی نشست فرخ زاد
زان گذشته زمانیان غمگین	زین نشسته جهانیان دلشاد
بنگر اکنون بچشم عقل و بگو	هرچه برما زایزد آمد داد
گر چراغی زپیش ما برداشت	باز شمعی بجای او بنهاد
ور زحل نحس خویش پیدا کرد	مشتري نیز داد خویش بداد

(۱) (تعلیق م.ع): يرجع في ترجمة الشيخ أبي العباس إلى: ۳۵۰ عام من عمر ایران، ص ۳۳۱.

والمعنى:

- مات الملك كريم العنصر، وتولى الملك السعيد.
 - فحزن الناس لوفاة هذا، وفرحوا لجلوس ذاك.
 - فحكّم الآن عقلك وقُل: يا له من إنصاف أتاننا من الله.
 - فإن يكن قد أخذ سراجاً من أمامنا... فقد وضع مكانه شمعاً.
 - وإن يكن زُحِلْ قد أبدى نحسه... فقد منحنا المشتري يُمْنَه
 - ٩ - الشيخ أبو زراعة المعمرى (أو المعمارى) الجرجاني^(١). طلب منه أحد عظماء خراسان أشعاراً كأشعار الرودكى، فقال مجيباً:
 - اگر بدولت بارودكى نمى مانم عجب مكن از رودكى نه كم دانم
اگر بكورى چشم او بيافت گيتى را زبهر گيتى من كور بود نتوانم
- [669]

هزار يك زان كو يافت از عطاء ملوك بمن دهى سخن آيد هزار چندانم

والمعنى:

- إن لم أكن أمائِل الرودكى ثراء، فلا تعجب لكوني لا أقلُّ عنه شاعريَّة.
- فإن تكن الدنيا قد أقبلت عليه لعماء،
- فأنا لا أرضى بالعمى لقاء إقبالها عليّ.
- فامنحني واحداً من ألفٍ مما منحت له الملوك،
- أنظم لك خيراً منه ألف مرّة.
- ومن القطعة التالية يبدو بجلاء أنه كان يجمع بين القريحة الوقادة والبراعة الأدبيّة:
- آنجاكه درم بايد دينار براندازم وأنجاكه سخن بايد چون موم كنم آهمن
چون بادهمى گردد با باد همى كردم كه باقدح ويربط كه بازره وجوشن^(٢)

(١) (تعليق م.ع): يرجع في ترجمة أبي زراعة إلى صفحة ٣٣٢ من الكتاب نفسه.

(٢) حيثما يلزم الدرهم أنفق الدينار، وحيثما يلزم الكلام أذيب الحديد، وكأنه الشمع. حين تدور الريح أدور معها، فأنا مع الكاس والعود حيناً ومع الدرع والترس أحياناً.

وإذا ما تجاوزنا أبا إسحق إبراهيم بن محمد البخاري بلغنا شاعراً آخر له أهميته في الواقع. وفيما يتعلّق بأبي إسحق هذا وترجمة أحواله وتاريخ حياته، لم يذكر العوفي سوى أنه كان يصوغ ما يكتب، ولم ينقل من أشعاره أكثر من خمسة أبيات. ولترك أبا إسحق لتحدّث عن الشاعر المُهمّ الذي كان سلفاً للفردوسي.

١٠- أبو منصور محمد بن أحمد الدقيقي الطوسي:

مع أن اسم هذا الشاعر من الأسماء الإسلامية، بل ويطغى عليه الجانب الإسلامي بصفة خاصّة إلا إن المستشرقين الألمان المشهورين - خاصّة اته^(١) ونولدكه^(٢) وهرن^(٣) - قد ادّعوا أنّه كان زردشتياً. وتعتبر لهجة هرن أقل [670] حسماً من لهجة الآخرين... وقد كوّنوا هذا الاعتقاد استناداً إلى البيتين التاليين، خاصّة المصراع الأخير^(٤):

دقيقي چهار خصلت برگزیدست بگیتی از همه خوبی وزشتی
لب یاقوت رنگ و ناله چنگ می خوش رنگ و دین زردهشتی

المعنى:

لقد اختار الدقيقي أربعة أشياء من كلّ ما يحويه العالم من حسن وقبيح.
الشفة الياقوتية، ونغمة الرباب، والخمر الدموية اللون، والدين الزردشتي.
ومع أن العوفي لم ينقل هذه الأشعار، إلّا أنّي - على الرغم من ذلك -

(١) السابقون على الرودكي والمعاصرون له، تأليف الدكتوراته، ص ٥٩:
Rudagi's Vorläufer und zeitgenossen.

(٢) نولدكه، الطبعة المستقلة من الشعر القومي الإيراني، ص ١٨:
Näldeke, Das Iranische Nationalepos.

مستخرج من كتاب أساس فقه اللغة الإيراني، طبع اشتراسبورج، سنة ١٨٩٦م (١٣١٤هـ).
Grundriss der Iranische Philologie, Strassburg, 1896.

(٣) تاريخ الأدب الفارسي، تأليف هرن، طبع لا يزيج، ١٩٥١م (١٣٧١هـ)، ص ٨١:
Horn, Gesch. d. Persische Literatur, P. 81 (Leipzig, 1951).

(٤) انظر كتاب اته نفسه، ص ٥٩.

لا أستطيع أن أشك في أصالتها رغم قول إته المستشرق الألماني (لأنه اختار فقط نسخة لباب الألباب التي في برلين، وتلك النسخة ناقصة في نفس الموضع). وأظنهم قد أولوا هذا الشعر أهمية كبيرة تفوق ما يستحقه.. فقد كان مديح الدقيقي للدين الزردشتي محصوراً في نقطة واحدة.. هي إباحة شرب الخمر.. وقد وضّحت هذه النقطة أيضاً في مكان آخر^(٥)، ويثبت أن السكر وشرب الخمر ما زال يشكل أحد الجوانب البارزة جداً في حياة الزردشتية اليومية.

والسبب الرئيسي في شهرة الدقيقي هو أنه كان الأسبق إلى نظم الشاهنامه. وعندما وصل عدد الأبيات التي نظمها إلى ألف بيت تقريباً - تدور حول ظهور زردشت واستقرار الدين الزردشتي - طعنه غلام تركي (كان أثيراً لديه ويفوق بقیة غلمانه معزة) بخنجر فأودى بحياته^(١).

وقد جعل الفردوسي أشعار الدقيقي قسماً من أشعاره إثر منام كان قد رآه، ولكنه انتقد تلك الأشعار بلهجة تميل إلى القسوة.. بخلاف ما يتوقع منه من شهامة وكرم.

(١) كتاب «عام بين الإيرانيين»، تأليف براون، ص ٣٧٥ - ٣٧٦:

A year amongst the persians.

(٢) انظر الشاهنامه، طبع ترنر ما كان Turner Macan

(بداية المجلد الثالث، ص ١٠٦٥، السطر ١١).

يقول الدقيقي للفردوسي في عالم الأحلام:

«زگشتاسب وارجاسب بيتی هزار بگفتم سر آمد مرا روزگار»

والمعنى: لقد نظمْتُ ألف بيت حول گشتاسب وارجاسب، وأقنيت في نظمها عمري.

وبدأ القسم الذي تُسبب إلى الدقيقي في صفحة ١٠٦٥ وينتهي في صفحة ١١٠٣، وبطابق الصفحات من ١٤٩٥ حتى ١٥٥٣ من طبعة فولرس Vüllers، المجلد الثالث. ويبلغ مجموع الأبيات في هذا القسم ١٠٠١ بيتاً، ولكنه يُصبح ٩٨٨ بيتاً بعد إنقاص أبيات المقدمة وعددها ١٣ بيتاً.

(تعليق م.ع): يمكن معرفة بعض المعلومات عن الدقيقي بالرجوع إلى:

لباب الألباب - صفحات مغرقة؛ چهار مقاله، ص ٤٧؛ تاريخ أدبي إيران، ج ١، ص ١٨٧ - ١٨٨؛ تاريخ الأدب في إيران، ج ٢ ص ١٣٣؛ ٣٥٠٠٠ عام من عمر إيران، ص ٣٣٢ - ٣٣٥.

[671] وقد عقد نولدكه مقارنة بين هذا القسم من الشاهنامه وبين أشعار الفردوسي. وفي رأيه أنَّ انتقادات الفردوسي تقوم على غير أساس^(١)، وهو رأى فيه الكثير من الصَّحَّة. ويفهم من كلمات أسعد العميد أن الدقيقي كانت له منزلة سامية لدى معاصريه. فعندما أراد أسعد العميد^(٢)، أن يقدم الفرخي للأمير أبي المظفر قال له: «يامولاي، أحضرتُ إليك شاعراً لم ير الزمان مثله مُذ وارى نقاب التراب وجه الدقيقي»^(٣).

كما أنَّه من الشرح المختصر الذي كتبه العتبي^(٤) في وصف أكابر الشعراء - إبان حكم نوح الثاني ابن منصور الساماني (٣٦٦ - ٣٨٧ هـ = ٩٧٦ - ٩٩٧ م) - تُضَّح منزلة الدقيقي الكبيرة لدى معاصريه.

وينقل عوفي من غزليات الدقيقي وقصائده عشر قطع، مجموع أبياتها ٢٧ بيتاً. ويضيف إليها الدكتور «اته» بدوره ثلاث قطعات (بأرقام ١، ٤، ٦). وعلى وجه العموم، فإنَّ عدد الأبيات التي لم ترد في لباب الألباب ١٣ بيتاً. والأشعار التالية جزء من قصيدة نظمها في مدح الأمير أبي سعيد محمد بن المظفر بن محتاج الجفاني:

اي کرده چرخ تیغ ترا پاسبان ملک وی کرده جود کف ترا پاسبان خویش
[672] تقدیر گوش امر تو دارد زآسمان دینار قصد کف تو دارد زکان خویش

والمعنى:

يا من جعل الفلك سيفك حارساً للملك، وجعل الجود كفك حارساً له.

يُصْغِي الْقَدْرَ لِأَمْرِكَ بِتَوْجِيهِ مِنَ السَّمَاءِ،

-
- (١) الكتاب السابق، ص ٢٠، وقد ورد هذا النقد في صفحة ١١٠٤ من طبعة ماكان.
(٢) الترجمة الإنجليزية التي وضعها براون لكتاب چهار مقاله، ص ٦٥، وقد نُشِرت مستقلة.
(٣) تعليق المترجم: نُقِلَت هذه العبارة من كتاب چهار مقاله لعروضي السمرقندي، ص ٤٧، بمبای ١٣٢١ هـ = ١٩٠٣ م. وقد ضبط العروضي اسم من قام بالتعريف هكذا (العميد أسعد) وليس (أسعد العميد). ويقول العروضي إنَّ العميد أسعد كدخدا كان أميراً.
(٤) تاريخ العتبي، القاهرة ١٢٨٦ هـ = ١٨٦٩ م، ج ٢ ص ٢٢.

ويقصد الدينار كَفَّكَ بأمرٍ من منجمه .

وفي قصيدة أخرى يخاطب فيها منصور الأول الساماني (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ = ٩٦١ - ٩٧٦ م)، يقول:

ملك آن يادگار آل دارا ملك آن قطب دور آل سامان
اگر بیند بگاه کینش ابلیس زبیم تیغ او بپذیرد ایمان
بپای لشکرش ناهید و هرمز^(١) به پیش لشکرش مریخ و کیوان
والمعنى:

إنَّه الملك الذي يذكُّرنا بآل دارا، إنَّه قُطب عهد السامانيين .

الملك الذي لو رآه إبليس وقت غضبه . . يقبل الإيمان خشية سيفه .

في أعقاب جيشه الزهرة والمشتري، وفي مقدِّمته المریخ وزحل .

كما يقول في قصيدة أخرى مخاطباً نوح الثاني (٣٦٦ - ٣٨٧ هـ = ٩٧٦ - ٩٩٧ م) خليفة منصور الأول الساماني:

چرخ گردان نهاده دارد گوش تا ملك مرورا چه فرماید
زحل از هیبتش نمیداند که فلک را چگونه پیماید
والمعنى:

يصغى الفلك الدوّار إلى ما يأمره به الملك .

ولا يدري زُحَلٌ من فرط هيئته - كيف يطوى القَلَكُ .

(١) ناهید (اناهيتا قديماً) اسم نجم الزهرة وهرمز (اهورامزدا) اسم نجم المشتري . وكلا الكوكبين من كواكب السعد، أمّا كيوان (زحل) والمريخ فيعدّان من كواكب النحس .
تعليق المترجم: في كتاب «برگزیده شعر فارسي»: مختارات من الشعر الفارسي، في عهود الطاهريين والسامانيين وآل بويه (في القرنين ٣ و ٤ هـ)، وشرح المفردات والعبارات الصعبة وتوضيح النقاط الأدبية، تأليف الدكتور محمد معین، طبع ١٣٣١، ص ٢٥ .
يُفسَّر لفظ اناهيتا على النحو التالي: لفظ أناهيتا Anâhita في الأستا (مرکّب من a علامة النفي و âhita بمعنى نجس . وإذا ارتبطت a النفي بكلمة مسبقة بـ â فإنه طبقاً لقواعد اللغة الأستية توضع نون وقاية بينهما . والكلمة مركّبة بمعنى غير ملوّث وطاهر)، وناهيد إله الماء في الديانة الإيرانية القديمة .

وهذه أبيات له قالها في العشق:

تامرا هجران آن لب نیستی	کاشکی اندر جهان شب نیستی
کر ورا زلف معقرب نیستی ^(۱)	زخم عقرب نیستی بر جان من
مونسم تاروز کوکب نیستی ^(۳)	[673] ورنبودي کوکبش در زیر لب ^(۲)
جانم از عشقش مُرگب نیستی	ور مُرگب نیستی از نیکوئی
زندگانی کاش یارب نیستی!	ور مرا بی یار باید زیستن

والمعنى:

- ليت الليل لايحلُّ في دنيانا ولا نراه،
حتى لا أضطر إلى ترك تلك الشفاء.
- لو لم يكن لها طرّة مقوِّسة كالعقرب.
ما تألّمت روى كمن لدغته عقرب.
- لو لم يكن لها تحت شفتيها كوكب... ينير،
ما كان هناك كوكب يؤنسنى حتى الصباح المنير.
- لو لم يكن من الحسن تركيُّها...
ما رُكِّبت روى من عشقها.
- وإن كان قد كُتِبَ على أن أقضى دون الحبيب حياتي
فلا كانت ياربٌ في هذا الوجود حياتي.
ويقول في موضع آخر:

-
- (۱) يشبّهون زُلف الحبيب - غالباً - بالعقرب بسبب الانحناء والسواد، وحمّى العقرب التي تلحق بالقلوب الجراح.
(۲) اعتقد أنّ هذه الاستعارة إشارة إلى حُفرتي الخدين الغائرتين ونونة الذقن... تلك التي تضيء فجأة حول فم الحبيب كالنور وترسل الغمزات.
(۳) الشهاد لدى شعراء إيران ولدى من قلّدهم من الأتراك اصطلاح يطلق على الليالي التي تمرُّ دون نوم.

من ایتجا دیر ماندم خوار گشتم عزیز از ماندن دایم شود خوار
چو آب اندر شمر بسیار ماند ز هومت گیرد از آرام بسیار
والمعنى:

بقيتُ طويلاً فبتُّ ذليلاً، والعزیز يذله طول البقاء..

إذا ما بقى الماء في الحوض طويلاً..

صار آسناً من طول الانتظار والسكوت

وهذان بيتان له في وصف الشراب:

زآن مرگب که کالبد از نور لیکن اورا روان و جان از نار
زآن ستاره که مغربش دهن است مشرق اورا همیشه بر رخسار
والمعنى:

- أسقني من ذاك الخليط الذي له قوام من نور،

لكنَّ نفسه وروحه من نار.

- اسقني من ذاك النجم الذي مغربه الفم،

لكن مشرقه دائماً على الوجه.

وهذا بيتان له في وصف كأس الماء المثلج:

نگه کن آب و یخ در ابگینه فروزان هرسه همچون شمع روشن
گدازیده دوتایک تافسرده بیک لون این سه گوهر بین ملون
والمعنى:

انظر إلى الماء والثلج في الكأس وقد أشرقت ثلاثتها كشمعة مضيئة.

لقد اختلط الاثنان فصارا واحدا متجمداً، واتخذت ثلاثتها لوناً واحداً.

ومن شعراء هذا العصر أيضاً. ممن نقل العوفي أشعارهم (وذكر
المستشرق الألماني «اته» بدوره أكثرهم).. الشاعر «منجيك» الذي حظى

بتكريم واحترام الأمراء الجفانيين، وتُشاهد في أشعاره اصطلاحات شاذة ومهجورة ولهجات محلية. حتى إن قطران التبريزي^(١) الشاعر - في القرن التالي - قد طلب من ناصر خسرو أن يشرح معاني تلك الاصطلاحات ويجليها^(٢).

ومنهم أبو الحسن علي بن محمد الغزالي^(٣) اللوكري الذي نظم أشعاراً [674] غايةً في الجمال يمتدح بها غلاماً مليح الوجه. ونظم مديحاً في الثناء على نوح الثاني ابن منصور الملك الساماني (٣٦٦ - ٣٨٧ هـ = ٩٧٦ - ٩٩٧ م). وله مدائح نظمها في حق أبي الحسن عبدالله بن أحمد العتيبي الوزير.

يليه المعروف بالبلخي: الذي قال الأشعار في مدح عبد الملك الساماني (٣٤٣ - ٣٥٠ هـ = ٩٥٤ - ٩٦١ م):

اي آنكه مر عدو را صبري وحنظلي وي آنكه مر ولي را شهدى وشكرى
آنجاكه پيش بينى بايد موفقى وأنجا كه ؛ يس دستى بايد مظفرى
والمعنى:

يا من أنت للعدو صبرٌ وحنظل، وللصديق شهدٌ وسُكر.
ما تتوقعه يتحقق ويحظى بالتوفيق، وما تقدمه يكلل بالظفر.

(١) (تعليق م.ع): قطران شاعر واسع الاطلاع صاحب مدرسة في الشعر الصعب، يميل الى الصنعة والمحسنات، له ديوان كبير وكتاب في فن اللغة ومثنوى بعنوان (وامق وعذرا) ومنظومة باسم (قوس نامه). انظر: السلاجقة في التاريخ من ٣٠٧ - ٣٠٨.

(٢) سفر نامه لناصر خسرو (طبع شفر - باريس ١٢٩٩ هـ = ١٨٨١ م)، ص ٦ من المتن، وصفحة ١٨ و ١٩ من الترجمة الفرنسية.

(٣) تعليق المترجم: يرد الاسم في المعجم ص ١٩٥ و ص ١٩٧: (غزواني).
(تعليق م.ع): المعلومات التي بيدنا حوله قليلة، انظر: ص ٣٣٥ من كتابي ٣٥٠٠ عام من عمر إيران.

بعده المنصور بن علي المنطقي الرازي، أحد مадحي الصباح الجليل
اسماعيل بن عباد وزير الأسرة الديلمية الحاكمة (انظر، ص ٦٦٢). وهو في
الآيات التالية يشير إلى الصباح بن عباد:

مه گردون مگر بیمار گشته است بنالید وتنش بگرفت نقصان
سپر کردار سیمین بود واکنون برآمد بر فلک چون نوک چوگان^(٢)
تو گفתי خنگ صاحب تاختن کرد فکند این نعل زرین دربیابان
والمعنى:

- لعل قمر الفلك مريض ..

فقد اشتكى وأخذ جسده في النقصان

- كان كالدرع مستديراً فضي اللون ..

والآن بات على صفحة السماء مقوساً كمنقار الصولجان.

- أو كأنما جواد الصباح قد جرى ..

فسقطت حدوته الذهبية في الفلاة بلا توان.

وللأشعار التالية أهميتها فضلاً عما فيها من ظرف وملاحة ناجمين عن
المبالغة:

يك موی بدزدیدم از دو زلفت چون زلف زدی ای صنم بشانه
چو نانش بسختی همی کشیدم و مور که گندم کشد بخانه
باموی بخانه شدم پدر گفتم منصور کدامست ازین دوگانه^(٣)

والمعنى:

سرقْتُ شعرةً من زلفيك يا حبيبي بينما كنتُ تمشطهما بالمشاط

(١) (تعليق م.ع): انظر في ترجمته: ٣٥٠٠ عام من عمر إيران، ص ٣٣٦، ٣٣٧.

(٢) هنا شبه الهلال بالصولجان ذي المنقار المُنَوَّج.

(٣) المقصود هو أن ابنه منصور - بسبب عشق حبيبه - قد أصابه الهزال وبات نحيفاً إلى حد أن
الفرقة بينه وبين الشعرة صار أمراً في غاية الصعوبة.

وسرْتُ بها مثاقلاً كنملةٍ تحوّلُ حَبَّةً بُرٍّ إلى بيتها.

فلما دخلتُ بها الدار قال أبي: من المنصور؟ أيُّكما؟

وطبقاً للقصة التي نقلها العوفي، فإنَّ بديع الزمان الهمداني - منافس الحريري الكبير في تحرير المقامات - وهو في الثانية عشرة من العمر توجّه لزيارة صاحب بن عباد. ولكي يجربُ صاحب طبعه ويختبر مهارته، طلب منه أن ينظم أشعار المنصور بن علي المنطقي الرازي في معشوقه باللغة العربيّة، فسأله العالم الشاب:

بأيّ قافية وفي أيّ بحر؟

[675] وسمعه يجيب: القافية الطاء، والبحر أسرع يابديع في البحر

السريع:

(ا - u - ا - | - uu - | - uu - .)

فترجمَ الأبيات على البديهة وعلى الفور إلى شعرٍ عربيٍّ أقرب ما يكون إلى الأصل الفارسي، وهذا نصّها:

سرقْتُ من طرّته شعرةً حين غدا يمشطها بالمشاط
ثم تدلّحت بها مُثَقَّلاً تدلّح النمل بحب الحنّاط
فقال أبي: من ولدي منكما كلاكما يدخل سم الخياط

ويبدو أن مثل هذا اللون من الترجمات المنظومة - من الفارسيّة إلى العربيّة والعكس - كان مستحسنًا كثيراً لدى فضلاء وعلماء هذا العصر وماتلاه من عصور حتى عهد السلاجقة، وكان يحظى بالاهتمام، وكان الفضلاء والأدباء يدرّبون أذواقهم وقرائحهم الأدبيّة على مثل هذا النوع من الممارسات.. غير أن المقارنة بين الأصل والترجمة ليس ميسوراً بصفة دائمة، وهذا شيء يدعو للأسف. ففي معظم المواضع إمّا أن يكون الأصل مفقوداً؛ أو أن تكون الترجمة مفقودة؛ ففي كتابي البنداري على سبيل المثال، ونعني بهما:

[676] الترجمة العربية المختصرة للشاهنامة^(١)، وتاريخ آل سلجوق^(٢)، تُرجمت أشعارٌ متعددة من الفارسية إلى العربية^(٣). وهي أشعار قابلة للمقارنة مع الأصل في حالة الشاهنامة، أمّا الأصل الفارسي للأشعار التي وردت ترجمتها في كتاب تاريخ دولة آل سلجوق فإنه غير متيسّر. والجدير بالذكر أن المترجمين لم يلزموا أنفسهم بالمحافظة على أوزان وبحور وقوافي الأشعار التي قاموا بترجمتها، ولم يهتموا إلا بالمعنى. والواقع أنّ المترجمين المذكورين كانوا يسيطرون على اللغتين إلى حدّ أنهم كان يُطلق عليهم: أصحاب اللسانين. وفضلاً عن ذلك فإنّ بحور الشعر الفارسي وبحور الشعر العربي واحدة^(٤). لهذا السبب وحده فإنّي أعتقد - مخالفاً في ذلك رأي الكثير من كبار المستشرقين، خاصة صديقي المرحوم جيب^(٥) الذي اعتبر موته خسارة مؤلمة، والذي تحدّث في صفحات سابقة عن كتابه العظيم في تاريخ الشعر العثماني - (أعتقد) أنّ على من يريد نقل الشعر الشرقي إلى إحدى اللغات الغربية أن يتأسّى بالمترجمين المذكورين من باب الحق والإنصاف. ويستطيع هؤلاء المترجمون بدورهم أن يسايروا أساتذة العربية

(١) تعليق المترجم: الشاهنامة، ترجمة البنداري الثرية، طبعها الدكتور عبد الوهاب عزّام في القاهرة، عام ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م.

(٢) تعليق المترجم: كتاب تاريخ دولة آل سلجوق من إنشاء الإمام عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني، اختصار الشيخ الإمام العالم الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني، طبع مصر، سنة ١٣١٨هـ = ١٩٩٠م.

(٣) لا توجد سوى النسخة الخطيّة لهذه الترجمة العربية للشهنامة وهي بدورها نادرة. وتوجد نسخة خطيّة قديمة ذات قيمة كبيرة في مكتبة كمبريدج، وتوجد نسخ أخرى في باريس وبرلين. (فهرست النسخ الخطيّة الإسلامية، تنظيم وترتيب براون، ص ٤٣ و ٤٤). وقد اتّبع هوتسما أسلوباً متكاملًا في تصحيح كتاب تاريخ دولة آل سلجوق، ثم عمد إلى نشره، طبع بريل، ليدن Brill Leyden، عام ١٨٩٩م (١٣١٧هـ).

وقد أدرجت الترجمات المنظومة من الفارسية إلى العربية (أشعار أبي منصور الآبي) في صفحة ٨٥ (وأشعار مؤيّد الملك) في صفحة ٨٦ (وأشار أبي طاهر الخاتوني) في ص ١٠٥.

(٤) (تعليق م.ع): يرى عدد من أدباء الفرس غير ذلك، انظر: حول وزن الشعر، مجموعة مقالات للدكتور پرويز ناتل خانلري، ترجمة د. محمد محمد يونس، طبع القاهرة ١٤١١هـ = ١٩٩١م.

(٥) E.J.Gibb, History of Ottoman poetry.

والفارسيّة القدامى في القسم الذي لم يتقيّدوا فيه في نظمهم بالقيود، وأن يبيحوا لأنفسهم الحرّيّة بنفس القدر. ونظراً لأنّ الشعر - من جهة الشكل والصورة وقواعد العروض - يختلف كثيراً مع شعر الشعوب الإسلاميّة، فإنّ لنا - بناءً على ذلك - الحقّ من زاويتين في أن نعطي لأنفسنا الحق في أن تكون أحراراً في التصرفات نفسها - في الشكل والصورة - بالنسبة لترجماتنا المنظومة التي التزمنا فيها بالمعنى والموضوع.

وبالنسبة لمن تقدّم ذكرهم من الشعراء ومن ذكرنا أسماءهم كان لهم أسلوب منطقي يغلب على جانب التصنّع، وكانوا يميلون أكثر ما يميلون إلى صنعة حس التعليل بصفة خاصّة من بين صناعات البديع. وكانت هذه الصنعة تحمل الشاعر على أن يقول - على سبيل المثال - إنّ صفرة الشمس ناجمة عن خوف الشمس من ممدوحه^(١).

[677] ويقول إنه عند عبور الشمس في السماء فإنها - خوفاً من أن تكون قد تجاوزت حدّها واعتدت على منطقة حكم ولي نعمتها - يفرّلون وجهها. أو يقول إن الدينار الذهبي يأخذ لونه الأصفر خوفاً من إسراف السيد العظيم وكفّه الكريم. أو أن غمزات النجوم والكواكب ورعشاتها تعبّر عن رعدتها ورعيها من سيف سيدها الفاتح الكبير. وأظن أن صفة التصنّع والتكلف التي

(١) تعليق المترجم: نقل العوفي شعراً كهذا:

از آن خورشید زرين شد که بر ملکش گذر دارد ستاره زان همی لرزد که از تيفش حذر دارد

- حين تمر الشمس بملكه تأخذ منه لونها الذهبي،

والكوكب يرتعد خوفاً من سيفه

ولا أعتقد أن الصفة (ذهبي) التي وصف الشاعر بها الشمس يراد بها الخوف وفرار اللون فهذا تعبير بعيد جداً فيما يبدو. ولعلّ المنطقي الرازي يقصد التعريف بثروة الممدوح الوفيرة؛ فالشمس حين تمرّ على ملكه المملوء بالذهب والحلي والزينة تتخذ لنفسها لون الذهب، وكما يقول الفردوسي:

يعنبر فروشان اگر بگلري شود جامهء توهمه عنبري

وگر توشوي سوی انگشت گر ازو جز سیاهی نیابی دگر

- إن مررت بباعة العنبر صار رداؤك كله عنبري

- وإن مررت بالفحام فلن تصيب منه غير السواد

هي من خصائص أشعار المنطقي الرازي لا تتمشى مع فطرته وشخصيته، بل هي ناجمة في الغالب وبصورة مباشرة عن التأثيرات الأدبية وميول الفضلاء والأدباء ذوي اللسان العربي، ومن يكتبون بالعربية في بلاط آل بويه بالعراق ممن خضعوا لتلك التأثيرات بسبب قرب الجوار والعلاقة الحميمة مع دار الخلافة (بغداد) أكثر منها مع البلاط الساماني في خراسان الأمر الذي تسبب فيه انعزال البلاط الساماني في خراسان كثيراً عن بغداد. ولعلّ هذا هو السبب في أن خراسان كان يُنظر إليها على أنها (بحق) مهد تجديد الحياة الأدبية الفارسية، ومع ذلك فإنه يتّضح من الأشعار التالية الناجمة عن طبع أبي أحمد بن أبي بكر الكاتب (والتي نُقلت في يتيمة الدهر - ج ٤ ص ٣). أن خراسان كانت من الناحية الأدبية تعتبر متخلّفة عن العراق. وقد كان أبو أحمد كاتباً لإسماعيل بن أحمد (٨٩٢ - ٩٠٧ م = ٢٧٩ - ٢٩٥ هـ) من الأمراء السامانيين، ووزيراً لابنه وخليفة أحمد بن إسماعيل:

لا تعجب من عراقي رأيت له بحرأ من العلم أو كنزاً من الأدب
واعجب لمن ببلاد الجهل منشؤه إن كان يفرق بين الرأس والذنب
[678] وطبيعي أن هذه السطور قد كتبت قبل العصر المشرق، فقد ورد القليل حول ذلك العصر في موضع آخر من يتيمة الدهر (انظر: ج ٤ ص ٣٣ و ٣٤)، وانظر: (ص ٥٣٣ - ٥٣٥ من كتابنا الفارسي هذا) غير أنه يبدو من السطور المذكورة أن الحضارة الإسلامية قد تقدّمت من مركزها - أي من بغداد - متّجهة صوب المحيط الخارجي للمالك الإسلامية، وتبعثرت وانتشرت في الأطراف والاكتاف.

والشاعر الذي يورد العوفي اسمه بعد ذلك هو أبو بكر محمد بن علي الخسروي السرخسي الذي لا يتمي إلى بلاط السامانيين ولا إلى بلاط البويهيين. لقد كان انتماؤه للأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير من أمراء آل زيار ذوي المقام السامي (٣٦٦-٤٠٣ هـ = ٩٧٦-١٠١٢ م). وسوف

نتحدث حول أعمال وشمكير الأدبية عاجلاً. وكان الخسروي السرخسي بدوره من الشعراء أصحاب اللسانين، يتنقل من بلاط إلى بلاط، يمتدح ولي نعمته وسيد قابوس أحياناً، ويمتدح الصاحب وأبا الحسن محمد حفيد سيمجور أحياناً.

والشاعر الآخر الذي نظم مدائح في حق قابوس هو أبو القاسم زياد بن محمد القمري الجرجاني. وتشهد الأبيات المتبقية عنه على ذوقه وكياسته، وتشير بأن عنده القليل من التصنع الذي يرى في أشعار منطقي الرازي الذي سبق الكلام عنه.

وأبو طاهر الخسرواني^(١) هو أحد السامانيين الذين نظموا أشعاراً قاسية في الهجاء (هجاء أربعة أشخاص من فئات مختلفة يرى أنه لا شفاء منهم). وكان الأربعة المهجؤون طبيياً وزاهداً ومنجماً وساحراً.

وأبو شكور البلخي^(٢) أقل من هذا شهرة. وقد أنهى عام ٣٣٦هـ = ٩٤٧-٩٤٨م مؤلفاً عنوانه «آفرين نامه» (سفر الشكر)، إلا أنه ضاع ولم يعد له وجود الآن. وهذان بيتان لهذا الشاعر:

از دور بديدار تو اندر نگرستم معجروح شد آن چهره پُر حسن و ملاحات
[679] وز غمزه تو خسته شد آزرده دل من وين حکم قضائست جراحت بجراحت^(٣)

والمعنى:

- نظرتُ من بعيدٍ إلى وجهك ..

فجُرح، وهو المليء حُسنًا وملاحاة بالغين.

- وأتعبت قلبي المعنى غمزتك،

(١) (تعليق م.ع): انظر في ترجمة أبي طاهر: ٣٥٠٠ عام من عمر إيران، ص ٣٣٧.

(٢) انظر في ترجمة أبي شكور: ٣٥٠٠ عام من عمر إيران، ص ٣٢٦.

(٣) «وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص» وقد أخطأ المؤلف في اسم السورة وجعلها سورة النجم، والصحيح: سورة المائدة - الآية ٤٩.

وهذا حكم القضاء: العَيْنُ بالعين.

وقد ترجم هذا المعنى إلى العربية الشاعرُ صاحبُ اللسانين أبو الفتح البستي^(١). كما أنَّ خواجه أبا القاسم ابن الوزير أبي العباس قد أورد شعراً آخر بالعربية لأبي عبدالله محمد بن صالح الولوالجي. وقد قال أبو محمد البديع البلخي أشعاراً ملمّة في مدح الأمير أبي يحيى طاهر بن فضل الصغاني (الچغاني).

وعن طريق البيتين التاليين فقط نعرف أبا المظفر نصر الاستغنائي النيشابوري:

بماه ماندى اگر نيستيش زلف سياه بزهرة ماندى اگر نيستيش مشكين خال
رخانش را بيقين گفتمى كه خورشيد است اگر نبودى خورشيد را كسوف وزوال
والمعنى:

- إنه القمر، لو لم تكن له طرّة سوداء،

وشبيهة بالزّهرة لو لم يكن له خالّ أسود

- الحقّ أقول: إنّ خدّيه كالشمس،

لو لم يكن للشمس كسوف وزوال.

وكان أبو عبدالله محمد الجنيدى أحد شعراء الصباح، وهو من أصحاب اللسانين.

(١) (تعليق م.ع): البستي أديب ماهر في الإنشاء العربي نثراً ونظماً. خدم السلطان محمود، ومات في بخارى متفياً عام ٤٠٠هـ = ١٠٠٩م، ويقال في عام ٤٣٠هـ = ١٠٣٨م. وكان ماهراً في الصناعات البديعية.

انظر في ترجمته: تاريخ الأدب في إيران ج ٢ لبراون، ص ١١٤، ١١٥؛ يتيمة الدهر، ج ٤ ص ٢٠٤-٢٣١؛ تاريخ اليمينى للعتبي، القاهرة ١٢٨٦هـ = ١٨٦٩م، ج ٢ ص ٣١٤. ٣١٥،

وفي عهد آخر ملك ساماني وأول ملك غزنوي اشتهر الشاعر أبو منصور
العمارة المروزي^(١)، وله أبيات موجزة مختصرة بديعة في الخمر والكأس
والربيع وأمثالها، حاز بها قصب السبق على الآخرين. وهذه أبيات له ينصح
فيها الراغبين في الدنيا والمؤملين فيها:

غره مشو بدانكه جهانت عزيز كرد ای بس عزیز را كه جهان كرد زود خوار
ماراست این جهان وجهانجوى مارگیر از مار گیرمار بر آرد شبى دمار
والمعنى:

- لا يغرّنك أن أعزّتك دنياك..

فما أكثر من سارعت الدنيا إلى إذلالهم بعد إعزاز ورفعة شأن.

- هذه الدنيا ثعبان ومحجّبا «حاو»

وسوف يكون هلاك (الحاوي) ذات ليلة بسبب الثعبان.

[680] ويكتب عوفي سيرة ٣١ شاعرا سابقا على العصر الغزنوي. وفي
نهاية فهرسه يورد ذكر سبعة شعراء آخرين لا يُعرف أي شخص كان يحميهم
ويساندهم، وهم: إيلّاقى، وأبو المثل البخاري، وأبو المؤيد البلخي، وأبو
المؤيد الرونقى البخاري، والمعنوي البخاري، والخبازي النيشابوري،
والسپهري الذي ينتمي إلى بلاد ما وراء النهر.

والآن نتجاوز عن هؤلاء الشعراء الذين كانوا يتخذون الشعر حرفة لهم،
ونصل إلى ملكين أديبين كانا ينظمان الشعر، هما:

«منصور الثاني» ابن نوح الملك الساماني (٣٨٧-٣٩٠هـ = ٩٩٧-
٩٩٩م)، ويرى العوفي أنه آخر ملوك هذه الأسرة، ولكنّ هناك إجماع على

(١) (تعليق م.ع): انظر في ترجمته: ٣٥٠٠ عام من عمر إيران، ج ١ ص ٣٣٧-٣٣٨.

أنَّ أخاه عبدالملك قد خلفه. ويقول عوفي بشأن منصور الثاني: على الرغم من أنه كان شاباً إلا أنَّ الدولة كانت قد شاخت وهرمت، وفقدت مملكة آل سامان رونقها وبلغت روحها الحلقوم، وكان ذلك في أول عهد السلطان يمين الدولة محمود.

وقد أُسر منصور الثاني على يد خصومه عدَّة مرات ونجا من الأسر. لقد حاول كثيراً وبكل ما يستطيع من جهد أن يسيطر على ملك أبيه، لكن الجهد الإنساني لا يفيد أمام القضاء السماوي والتقدير الإلهي. إنها مشيئة الله تعالى ولا رادَّ لقضائه ولا معقَّب لحكمه، يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد^(١). ولم يُروَ شعراً عن أيِّ شخص سواه من بين ملوك آل سامان، وأشعاره مطبوعة تليق بالملوك. ووقت أن كان في بخارى جالساً على العرش كان الخصوم ثائرين في الأطراف، وكبار رجال الدولة يبدون نفورهم واستياءهم. وكان جواده مستعداً ليل نهار، أما هو فيرتدي قباء زندنجي^(٢). وقد أمضى معظم سِنِّي حياته في الفرار والحرب.

ويوما ما سأله جماعة من الندماء: أيها الملك، لم لا تلبس ملابس أفضل وأجمل؟ لم لا تنعم بأسباب الملاهي التي هي إحدى علامات الملك ودلائله؛ فنظم أول قطعة تلوح من معانيها آثار الرجولة، أخذ يفاضل فيها بين مجالس الأنس والحدائق الغناء وبين الخيل والسلاح فيفضِّل الأخيرة، كما يفضِّل السهم والقوس على اللعل والسوسن:

[681] - يقولون: لم لا تتخذ لك سكناً أفضل ومنزلاً مزيئاً وفراشاً ملوَّناً؟

- ماذا أفعل بلحن المغنى وعندي صيحة الأبطال؟

(١) (تعليق م.ع): قمتُ بتعديل العبارة العربية التي أوردها المترجم الفارسي، والتي كانت على هذا النحو: قوله تعالى، لا راد لقضائه ولا معقَّب لحكمه يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد.

(٢) الزندنجي أو الزنديجي رداء أبيض فضفاض كانوا يخطونه من قماش سميك ضخم. ويحتمل أنَّهم كانوا يلبسونه ليتَّقوا ضربات السيوف.

(انظر: فرهنك فولرس، ج٣ ص١٥١) Vullers's Lexicon

ماذا أفعل بمجلس الورود والحدائق الغناء وأنا بصحبة الجياد المنطلقة؟

- فَوْزَةُ الخمر وشهد شفتي الساقى... ما فائدتهما..

عندما تفور الدماء وتلزم الدروع؟

- مجلس أنسي وحديقتي الحصان والسلاح،

ولعلي وسوسني السهم والقوس^(١).

وهذان بيتان له أيضاً في ذمّ الفلك وبيان غدره ومكره:

- يا من تبدو للعيان أزرق ولست بأزرق،

النار في طبعك والدخان في مظهرك.

- يا من وُلِدْتَ أصم لا تسمع..

ما فائدة لومي لك ومعاتبتي إياك؟^(٢).

قابوس بن وشمگیر الملقب بشمس المعالي (١٧٦-١٠١٢م = ٣٨٦-٤٠٣هـ) هو صاحب اليد البيضاء في نشر الأدب وحماية الأدباء، وقد كان من ملوك آل زيار الطبرانيين. وقد قدّم أبو ريحان البيروني كتابه «الآثار الباقية عن القرون الخالية» إلى قابوس، وقد ترجمه الدكتور زاخو إلى الانجليزية. يقول أبو ريحان في مقدمة كتابه فيما يتعلّق بقابوس ما مضمونه^(٣):

«تبارك وتعالى كيف جمع إلى مآثر عرقه الصميم محاسن خلقه الكريم،

-
- | | | |
|-----|---|---------------------------------|
| (١) | گویند مرا چون سبب خوب نساзи | ماوی گه آراسته وفرش ملون |
| | بانعره گردان چکنم لحن معنی | باپویه اسپان چکنم مجلس گلشن |
| | جوش می و نوش لب ساقی بچه کارت | جوشیدن خون باید برعبیه جوشن |
| | اسب است سلاح است مرا بزمگه و باغ | تیرست و کما نست مرا لاله و سوسن |
| | (تعلیق م.ع): انظر في ترجمة منصور الثاني: ٣٥٠٠ عام من عمر ایران، ج ١ ص ٣٣٨-٣٤٠. | |
| (٢) | ای بدیدن کبود خود نه کبود | آتش از طبع و دور نمایش دود |
| | وای دو گوش تو گر مادر زاد | باتوام گرمی و عتاب چه سود؟ |
| (٣) | ص ٢ من ترجمة زاخو، وقد ذكر أبو ريحان (ص ٤٧ من ترجمة زاخو) أصل قابوس ونسبه بصورة كاملة، وأوصل نسبه إلى «قباد» الملك الساساني والد أنوشيروان. | |
| | (تعلیق م.ع): انظر في ترجمة قابوس: ٣٥٠٠ عام من عمر ایران، ج ١ ص ٣٣٨-٣٤٠. | |

وإلى نفسه الأبيّة جوامع الخصال الرضيّة من التقى والهدى والصيانة والديانة والعدل والإنصاف والتواضع والألطف والعزم والسماحة والسجاجة والسياسة والرياسة والتدبير والتقدير وغير ذلك مما لا تحصره الأوهام ولا يطيق ذكره الأنام!».

ويقول الثعالبي في الباب العاشر - وهو آخر باب في الجزء الثالث من [682] كتاب يتيمة الدهر - يصف قابوس بنفس الحماس والحرارة: «فإني أتّوج هذا الكتاب بلمع من ثمار بلاغته التي هي أقلّ محاسنه ومآثره»^(١).

وممن نعموا بحماية قابوس ومؤازرته . . العالم الكبير أبو علي بن سينا، وهو واحد آخر من عظماء دنيا العلم. وفي كتاب «چهار مقاله» ينظر العروضي السمرقندي إلى قابوس باعتباره رجلاً عظيماً فاضلاً حكيماً^(٢).

وقد انتهت حياة قابوس بصورة قاسية منقّرة^(٣)، وهي نهاية معروفة. وقد شرح ابن اسفنديار سيرة حياته في تاريخ طبرستان بتفصيل أكبر، وأقوم الآن بتلخيصها. وقد نظم أشعاراً باللغتين العربيّة والفارسيّة، وهذه القطعة من أشعاره العربيّة:

قل للذي بصروف الدهر عيّرنِي هل عائد الدهر إلّا من له خطر
أما ترى البحر يعلو فوقه جيف ويستقر بأعلى قعره الدرر
وفي السماء نجومٌ ما لها عددٌ وليس يكسف إلّا الشمس والقمر^(٤)

(١) بقيّة عبارات هذا المديح مسطورة في صفحتي ٥٠٧ و ٥٠٨ من المجلد الثاني لابن خلّكان، ترجمة دي سلان.

(٢) انظر: الترجمة الإنكليزية لبراون، ص ١٢١-١٢٤.

(٣) قُتل قابوس بعد أن سُجن في قلعة «جناشك» الواقعة في جرجان، وذلك بمعونة ولده ومساعدته.

انظر: دولتشاه، طبع براون، ص ٤٨٠٩، وكذلك ابن خلّكان، ترجمة دي سلان، ج ٢ ص ٥٠٩.

(٤) تعليق المترجم: نُقلت الأشعار العربيّة من تاريخ طبرستان لابن اسفنديار، الترجمة المختصرة لبراون، عام ١٩٠٥ م (١٣٢٣ هـ).

وهذه أيضا:

خطراتُ ذكركَ تستثير مودّتي فأحسُّ منها في الفؤاد ديبيا
لا عضولي إلّا وفيه صبايةٌ فكأنّ أعضائي خُلِقن قلوبا

[683] وقد نقل عوفي هذه القطعة من أشعاره الفارسيّة:

كار جهان سراسر آز است يانياز من پیش دل بیارم آز و نیاز را
من بیست چیز را ز جهان برگزیده ام تا هم بدان گذارم عمر دراز را
شعر و سرود و رود و می خوشگوار را شطرنج و نرد و صیدگه و یوز و بازار را
میدان و کوی و بارگه و رزم و یزم را اسب و سلاح و جود و دعا و نماز را

والمعنى:

- بُنيت الدنيا على الطمع والرغبة،

وهأنذا أطرحهما أمام قلبي.

- اخترت من دنيائي عشرين شيئا..

لأقضى معها عمري الطويل.

- الشعر والغناء والنهر والخمر المستساغة،

والشطرنج والنرد والمتصيد والفهد والصقر

- والميدان والكرة والبلاط والحفل والحرب،

والحصان والسلاح والجواد والدعاء والصلاة.

ومن نتاج طبعه كان هذا الشعر أيضا:

شش چیز در آن زلف تو دارد معدن پیچ و گره و بند و خم و تاب و شکن

شش چیز دگر نگر و طنشان دل من عشق و غم و درد و کرم و تیمار و حزن

والمعنى:

- في شعرك ستة أشياء من صفات المعدن

القدرة على الالتفاف والتعقّد والانحناء والانشاء والتجعد والتكسر.

- وفي قلبي تستوطن ستة أشياء غير هذه:

العشق والغم والألم والكرم والفكر والحزن

وهذا الرباعي أيضاً مما يُنسب إليه:

گل شاه نشاط آمد ومی میر طرب زان روی بدین دو میکنم عیش طلب

خواهی که دراین بدانی آی ماه سبب گل رنگ رخت دارد ومی طعم دولب

والمعنى:

- أضحى الوردُ ملكَ السرور والخمرُ أميرَ الطرب..

لهذا أطلب المتعة منهما معاً، لاعجب.

- إن أردت أن تعرف أيها القمر حُجَّتِي..

فوجهك الشبيه بالورد وشفتك اللتان لهما طعم الخمر.. هما السبب.

ومن الملوك والأمراء الذين كانوا ينظمون الشعر في هذا العصر - غير من ورد ذكرهم - عددٌ من الأشخاص ذكر العوفي أسماءهم، وهم: السلطان محمود الغزنوي (يرد وصف بلاطه في بداية المجلد الثاني من هذا الكتاب)؛ الأمير أبو محمد بن يمين الدولة ابن السلطان محمود، أبو المظفر طاهر بن الفضل بن محمد محتاج الصغاني (الچغانی)؛ الأمير كيكافوس الزیاری ابن [684] قابوس ملك طوس، الأديب التعس الذي تحدثنا الآن عن أحواله؛ وعدد آخر من الأشخاص نتجاوز عن ذكر أسمائهم لضيق المجال. خاصةً وأننا درسنا أشعار هذا العصر بالقدر الكافي لتشخيص خصائصه الكلية وأوصافه العامة، وكما قلنا فإن أوزان هذه الأشعار وبحورها هي نفس أوزان الأشعار العربية وبحورها. غير أن بعض البحور المطروقة في العربية (أمثال الكامل والبسيط والطويل) تستعمل بُثْرَةً في الفارسية. كما أن بعض البحور الجديدة - التي استُخدمت في الفارسية - لم تُستخدم في العربية^(١).

(١) (تعليق م.ع): انظر في ذلك مقالي: «نشأة الشعر الفارسي قبل الإسلام وبعده»، مجلة الشعر، العدد ٢١ يناير ١٩٨١م (١٤٠١هـ).

وينقل الدكتور فوربز^(١) في صفحتي ١٣٢ و ١٣٣ من كتابه قواعد اللغة الفارسيّة (ط ٤ - لندن ١٨٦٩م = ١٢٨٦هـ) رأى هرجايت لين Herr Geitlein الكاتب الألماني بخصوص اللغة الفارسيّة، فيقول أخذاً عنه:

«الإيرانيون والعرب - شأنهم شأن اليونانيين والروميين - يتلذذون بالتنوع الكبير في البحور والأوزان، لكن البحور الأسيويّة يكثر اختلافها عن البحور العربيّة، لأن المقاطع الطويلة فيها أكثر بكثير من المقاطع القصيرة. وهذا المعنى ينطبق تماماً على أخلاق شعوب الشرق، فالشرقيّون - سواء في قولهم أو فعلهم وسلوكهم وأحوالهم - يتميّزون بالرزانة وقوّة التحمّل والاعتدال.. مما يميّزهم ويُعتَبَر من صفاتهم الشخصية، كما أنّ كلّ حركاتهم مصحوبة بالرزانة والوقار».

وفي هذا الصدد يقول الدكتور فوربز ضمن بحثٍ له حول البحور الخمسة الخاصّة تماماً بشعر العرب، والتي تأتي في الدائرة الأولى:

«المقاطع الطويلة واحدة (متشابهة). ويُستتج من ذلك المعنى أنّ عرب البادية والمتجولين بالصحراء - طبقاً لفرض هرجايت لين - لا يبلغون في القول والبيان المنزلة التي حقّقها جيرانهم الإيرانيون في المتانة والوقار والتوسط والاعتدال وقوّة التحمّل».

[685] وفيما يتعلق بأشكال الشعر وأقسامه، فإنّ القصيدة هي وحدها ذات المقام البارز في اللسانين.

وقد ارتقت القصيدة في إيران وتقدّمت بصورة أكبر نتيجة نفوذ المتنبي شاعر العرب الكبير (٢٩٣ - ٣٥٥ هـ = ٩٠٥ - ٩٦٥). وذلك في عهد الدولة الغزنويّة والدول التالية عليها، وسوف نتعرّض لهذا الموضوع في أحد الفصول التالية:

غير أنّه بالنسبة للعصر الذي نبخّثه حالياً.. فإنّ القصائد الطويلة ذات

Dr. forbes, Persian Grammar, (London, 1869).

(١)

القافية الواحدة، التي تُستخدم الدقة التامة في نظمها لم تكن مقبولة كثيراً في إيران. وفي تلك العصور المتقدمة، كان الغزل بدوره أقلّ تقبلاً - لدى المتذوقين - من القطعة والرابعة. ومن المسلم به أنّ أقدم أقسام الشعر الفارسي وأشكاله التي هي وليدة القريحة الإيرانية.. هو الرباعي.

ومن الروايات التي يرويها أصحاب التذاكر بصفة دائمة حول أول شعر فارسي نُظم في العصر الإسلامي، تلك الرواية التي أشرنا إليها من قبل.. ومفادها أنّ طفلاً قد نظم - بطريق المصادفة - مصراعاً واحداً أثناء لعبه ومرحه. وقد ذكر دولتشاه في تذكرته (ص ٣٠، ٣١ من طبعة براون) أنّ هذا الطفل كان ابن الأمير يعقوب بن الليث الصفاري. لكنّا عثرنا أخيراً على رواية أكثر قدماً، وذلك في نسخة خطية بالغة الندرة، توجد في المتحف البريطاني تحت علامة ورقم Or ٢٨١٤. والمخطوطة لكتاب في العروض والبديع والمعاني والبيان.. يسمى «المعجم في معايير أشعار المعجم»، ألفه شمس القيس الرازي في عام ٦١٧هـ = ١٢٢٠ - ١٢٢١م^(١)، وفي صفحتي b ٤٩ و ٥٠ من النسخة الخطية المذكورة يتفق المصراع «غلطان غلطان همي زود تابن كوه» مع قصّة الطفل تقريباً. غير أنّ اسم الطفل لم يذكر في النسخة المذكورة، ولم يرد مايفيد علاقته بالأسرة الحاكمة. ولا يقول (الرازي) إنّ [686] الأمير يعقوب قد سمع المصراع واستحسنه، وإنما هو يرى أنّ السامع هو الرودكي أو سواه من شعراء إيران القدامى. وطبقاً لقول شمس القيس الرازي فإن الرودكي (أو غيره من الشعراء الذين سمعوا المصراع) هو الذي أنتج بحراً من بحور الهزج من نوع الأخرى والأخرم - بعد أن قرأ المصراع المذكور - وأسمى هذا البحر «الرباعي»^(٢)، والحق أنّه بحر جميل جذاب

(١) تعليق المترجم: انظر مقالة عباس اقبال الخاصة بأقدم شعر فارسي، وذلك في العدد الثاني من السنة الثانية من مجلة كاوه في دورتها الجديدة، وانظر كذلك مقالة القزويني الخاصة بنفس الموضوع، وذلك في بيست مقاله، ج ١.

(تعليق م.ع): طبع الكتاب في تهران عام ١٣١٤هـ. ش، وفي بيروت عام ١٣٢٧هـ = ١٩٠٩م.

(٢) انظر كتاب العروض الإيراني، تأليف بلوخمن، ص ٦٨:

Blochmann, Prosody of the Persians.

وقد وردت في هذا الكتاب الأوزان الأربعة والعشرون للرباعي بصورة كاملة، ونصف هذه الأوزان من أنواع بحر الهزج المركب من نوعين.

محبوب، يميل إليه أصحاب الذوق وأرباب الفضل إلى حد كبير. بناء على هذا، يمكننا باطمئنان أن تعتبر الرباعي أقدم من غيره من الأشكال والتركيبات الخاصة بالشعر الفارسي. ويأتي المثنوي - في هذا الخصوص - بعد الرباعي. ويحتمل أن يكون القسم الذي نظمه الدقيقي من الشاهنامه أقدم مثنوي بقى لنا. وقد اكتشف المستشرق الاشتراسيورجي الدكتور هرن Paul Horn قطعاً من كليلة ودمنة نظمها الرودكي، واكتشف سائر المثنويات القديمة التي أوردها الأسدي ضمن شواهد التي جاء بها في معجمه لإثبات معاني الكلمات النادرة والمهجورة.

وتفوق قصائد وقطعات وغزليات هذه الفترة مثيلاتها - في الفترات التالية - في بساطتها إلى حد كبير. وتمتلىء قصائد العنصري والفرخي وأسدي ومنو جهري^(١) وسائر شعراء الدولة الغزنوية تقريباً - شأنها شأن قصائد وقطعات العصر السلجوقي والعصور التالية عليه - بالتصنع والتعابير المطاطة. لكن القطعات الأكثر قدماً، والتي درسناها، تعتبر بصفة عامة قطعاً طبيعية بسيطة خالية من الزينات والمحسنات. وهي - بعبارة أخرى - أشعار تصدر عن القلب، تفوق سواها إبداعاً وابتكاراً. ويصدق هذا المعنى أيضاً على الغزل الذي كان موجوداً في ذلك التاريخ. لكن التباين والاختلاف الخاص بالغزل يبدو بصورة أقل وضوحاً، لأنهم في القصيدة قد عمدوا - [687] إلى حد ما - إلى صناعة البديع والمعاني والبيان، مما خرج بها تماماً عن الحالة الطبيعية، وجعلها تتخذ لنفسها صورة التصنع، أما الغزل فإنه لم يصل إلى هذا المستوى، ولم يأخذ هذه الصورة إطلاقاً.

(١) (تعليق م.ع): انظر في ترجمة العنصري: الربيع / ٢٦٠، ٢٦١؛ ٣٥٠٠ عام من عمر إيران/ ٣٧٧، ٣٧٨.

وانظر في ترجمة الفرخي: الربيع / ٢٦١، ٢٦٢، ٣٥٠٠ عام من عمر إيران / ٣٩٤، ٣٩٥. وانظر في ترجمة أسدي الطوسي: ٣٥٠٠ عام من عمر إيران، ص ٣٩١ - ٣٩٣. ومنو جهري هو أبو النجم أحمد بن قومن بن أحمد. كان مغرمًا بالمسقط أكثر من معاصريه، ويعتبر تلميذاً للسجزي. عاش حتى عام ٤٣٣هـ = ١٠٤١م، ومات عام ٤١٩هـ = ١٠٢٨م، بعد أن خلف ديواناً شعرياً طبع طبعة حجرية في طهران، كما ترجمه كازيميرسكي إلى الفرنسية وقدم له وعلق عليه، وطبعه في باريس عام ١٣٠٤هـ = ١٨٨٦م. انظر: تاريخ الأدب في إيران، ج ٢ (الترجمة العربية)، ص ١٨٨ - ١٩٣.

وعلى الرغم من ضيق المجال وعَجْزنا عن تحديد الأشعار التي نظمت بالعربية في إيران.. بدقّة وتفصيل، ونعني بها أشعار هذا العصر من عصور التطوُّر، فإننا نجد لزماً علينا أن نذكر نبذة عن مقوماتها وخصوصياتها بصفة إجمالية.

كما رأينا، فإنَّ المنظومات التي نظمها الإيرانيون بالعربية على الرغم من أنَّها - من حيث مفردات اللغة العربية واصطلاحاتها - لم تصل تماماً إلى منزلة أشعار شعوب الممالك صاحبة اللسان العربي، إلاَّ أنها كانت قريبة للغاية. ومع ذلك فإنَّ أشعار الإيرانيين العربية لها مقومات وخصوصيات، نذكر الآن طرفاً منها. لقد كانت هذه الخصوصية واضحة متميزة بالطبع في بلاط السامانيين وبلاطات سائر السلاطين الشرقيين أكثر منها في محيط الملوك والأمراء من آل بويه (خاصةً صاحب اسماعيل بن عباد)، لأن بلاط ملوك السامانيين كان أكثر بعداً عن بغداد، بينما كان أمراء آل بويه أكثر ارتباطاً ببغداد. ومن جهة أخرى فإن بلاط السامانيين كان بلاطاً إيرانياً صرفاً، وكان الجانب الإيراني الخالص فيه يرجح مثله في محيط آل بويه، لهذا سوف نحصر بحثنا تماماً في التراكيب الشعرية على النحو الذي ينعكس في المجلد الرابع، أي: في آخر مجلد يتيمة الدهر للثعالبي.

أولاً: نَظَم شعراء إيران بالعربية - في معظم الأوقات - منظومات تحوى موضوعات يتطلب فهمها معرفة القارئ باللغة الفارسية، بينما هذا لايتوفَّر بالضرورة لكلِّ القراء الأعزاء. وقد تصوّر أبو علي الساجي أنَّ قُراء أشعاره العربية يعرفون الفارسية حتى الإيرانيون منهم فكتب الأبيات التالية في وصف [688] مدينة مرو: (انظر: يتيمة الدهر، ج ٤^(١)، ص ١٦):

بلد طيّب وماء معين وثرى طيبه يفوق العبيرا
وإذا المرء قدر السير عنه فهو ينهيه باسمه أن يسيرا

(١) تعليق المترجم: أثبت المؤلف (الجزء الثالث) بدلاً من الرابع.. سهواً.

ومعنى السطر الأخير أن (مَرُو) مركبة من الحروف (ميم، راء، واو) وهي تُلَفَّظ بسكون الراء والواو. لكن هذه الكلمة يمكن أيضاً أن تقرأ (مَرُو) بضم الراء وسكون الواو، فتكون نهياً عن السير.

ولاشك أن العربي الجاهل بالفارسية لا يدرك إطلاقاً هذه النقطة التي هي المقصود الأصلي من وراء البيت^(١).

وقد نُظِّمَت أشعار كهذه حول مدن أخرى أمثال بخارا (يتيمة الدهر، ح ٣، ص ٨ و ٩). والنقطة الواردة في تلك الأشعار ترتبط بما هو متداول معروف حول مادة اشتقاق كلمة (بخار). لكن هذا اللفظ لم يستعمل في الأبيات القليلة التي نُظِّمَت في وصف بخارى.. استعمالاً يستحق التقريظ. كما أن وجه التسمية بالنسبة لهذا اللفظ قد أخذ من مادة الكلمة العربية لا الفارسية.

ثانياً: نصادف في المنظومات العربية - التي نظمها شعراء ذوو لسان فارسي - أشعاراً عديدة... نُظِّمَت بمناسبة عيد من أعياد إيران الكبيرة. وكان عيد النيروز يحلُّ في الاعتدال الربيعي، بينما يحلُّ عيد المهرجان في الاعتدال الخريفي. ويطلق على المهرجان أيضاً (رام روز)، وهو اليوم الحادي والعشرون من كل شهر فارسي، ولكنهم كانوا يسمون اليوم الحادي والعشرين من شهر مهر على الأخص بالمهرجان^(٢).

ويرد في يتيمة الدهر بيتان يتعلقان بـرام روز (ح ٣ ص ١٠). وينطوي كل [689] بيت منهما على اصطلاح فارسي لم أستطع للأسف فهمه. (أو أن في المتن فساداً أو خطأ أو كلمات غير مفهومة أو كلمات متروكة). ولا شك أننا

(١) ذكر أبو القاسم العلوي الأطروش نظير هذا الجنس في بيت نظمته حول لفظ (دهخدا).

انظر: أعلى الصفحة رقم ٢٨٠ من المجلد الثالث من يتيمة الدهر.

(٢) انظر: الآثار الباقية لأبي ریحان البيروني - ترجمة زاخو Sachau، ص ٢٠٩.

لو طالعنا مصادر المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع بصورة أكثر دقة - تلك المصادر التي لا تتيسر لنا بسهولة - لأمكننا أن نستخرج من الأشعار العربية التي نظمها شعراء إيرانيون في ذلك العصر . كلمات وعبارات فارسية عديدة شبيهة بتلك التي أوردناها كمثال .

ثالثاً: استخدم الشعراء الإيرانيون الذي ينظمون بالعربية في شعرهم أشكالاً خاصة بالفارسية، خاصة المثنوى والغزل وقد ورد مثال طيب للمثنوى (الذي يسمى المزدوج في العربية) في صفحة ٢٣ من الجزء الثالث من يتيمة الدهر، يتناول سيرة أبي الفضل السكري (١) المروزي . ويقال إنه كان لأبي الفضل ميلٌ كبيرٌ وعشقٌ لترجمة ضروب الأمثال الفارسية إلى العربية، وأنه كان ينظم الأمثال الفارسية بالعربية في قالب المثنوى . ولا أذكر أنني رأيت مثل ذلك في مكان آخر في العربية، ويسهل أن يوجد له أصل فارسي .

مثلاً: الليالي حبالى لا تدرى ما تلد (شب آبستن است تاجه زايد سحر) .
إذا الماء فوق غريق طما فقاب قنات^(١) وألف سوا
(چو آب از سر گذشت چه يك گزچه هزار گز)^(٢) .

وفيما يتعلق بالغزليات العربية وأشباهاها، يكفينا الرجوع إلى قطعتين من الشعر صغيرتين للتمثيل (يتيمة الدهر - ح ٣ - ص ٢٣) . والقطعة الثانية بصفة خاصة تسير - من جهة الأحاسيس والمشاعر - على الأسلوب الإيراني تماماً، وتقع القطعة الأخرى في صفحة ١١٣ من نفس المجلد .

[690] أمّا أن تكون هناك رباعيات بالمعنى الحقيقي لكلمة رباعيات - قد نُظمت باللغة العربية . فإنّي أشك في ذلك، ولكن هناك بيتان لأبي العلاء السروي نُظما باللغة العربية في وصف النرجس ومثلهما في التفاح، وهما

(١) استعملت (قنات) هنا بمعنى حرية بدلاً من كز (والكز مقياس طول يعادل العقدة أو الذراع) .

(٢) تعليق المترجم: «چه صد گر» أكثر شيوعاً .

يقتربان كثيرا من الرباعي (يتيمة الدهر، ح ٣ ص ٢٨١)^(١). وكما قيل، فإنَّ الرباعي في الحقيقة من أقسام الشعر الفارسي. وهذان البيتان اللذان عنيهما يتمشيان بصفة خاصة مع اتجاه شعراء إيران في ذلك العصر، فقد كانوا آنذاك يميلون إلى نظم الرباعيَّة أو القطعة في وصف الفاكهة أو الورد أو غير ذلك من مظاهر الطبيعة.

وموضوع تصنيف الأشعار العربية - التي هي وليدة طبع شعراء إيران - موضوع كبير وهام. ولا يمكننا أن نبحث فيه أكثر من ذلك. لكننا ننوّه إلى أنَّ هذا الموضوع كان موضع بحثٍ منظم من قِبَل عالم يُجيد الفارسيَّة والعربيَّة، وسيطر عليهما سيطرة كاملة، وله تبحُّرٌ وسعة اطلاع في أدب اللغتين معاً.

ويؤسفنا أنَّه نادراً ما يظهر عالم يجمع بين التبحُّر في الأدب الفارسي والأستاذية الكاملة في اللغة العربيَّة. ويَعْتَبِر علماء العربيَّة هذه الشعبة من شعب الآداب أجنبيَّة دخيلة، وينظرون إليها بعين الاحتقار. حتى إنهم عند مقارنتها بالآداب القديمة (الكلاسيكية) يعتبرون هذه الشعبة متأخرة زمانياً [691] ومكانياً. وطالب اللغة الفارسيَّة الحديث ينتبه إلى أن الاهتمام برأى علماء فقه اللغة التطبيقي - في سبيل الوصول للأهداف الأدبيَّة والتاريخيَّة - هو السبب الرئيسي للضلال، وبقدر ما يلزم هذا الطالب من جهد في سبيل تعلُّم العربيَّة... لا حاجة به إلى تعلُّم السنسكريتيَّة وبقية اللغات الآريَّة.

وما بقي لنا من نثر العصر - للأسف - مجرد نماذج معدودة. وحتى

(١) تعليق المترجم: نُقِلَت الرباعيَّتان بعينهما من كتاب يتيمة الدهر، ج ٣ ص ٢٨١. قال في النرجس:

حي الربيعَ فقد حيا بباكور	من نرجس ببهاء الحُسنِ مذكور
كأنما جفنه بالغنج منفتحاً	كأس من القير في منديل كافور
وقال في التفاح:	
وتفاحة قد همت وجداً بظرفها	فما شِعْرُ ذي حَذَقٍ يحيط بوصفها
أشبهُ بالمعشوقِ حُمْرَةَ نصفِها	وبالعاشقِ المهجورِ ضَفْرَةَ نصفِها

الجانب الأكبر من هذا المتبقي لا يعدو أن يكون ترجمة عن العربية. وقد وصلنا أربعة كتب هامة.. الأول في التاريخ، والثاني في الطب، والثالث والرابع في التفسير. ويحتمل أن يكون تأليف أربعتها إبان حكم منصور الأول الملك الساماني ابن نوح (٩٦١ - ٩٧٦ م^(١) = ٣٥٠ - ٣٦٦ هـ). وبين الكتب الأربعة هناك كتابان يشتملان على ترجمة ملخصه لتاريخ الطبري وتفسيره - أما الكتاب الثالث فهو كتاب «الأبنية عن حقائق الأدوية» لأبي منصور موفق الهروي - والرابع هو التفسير القديم للقرآن بالفارسية، وهو كتاب مشهور معروف. والمجلد الثاني لتلك النسخة مجلد مخطوط وقديم، ولا توجد له سوى نسخة وحيدة في مكتبه كمبريدج. وقد كتبت هذه الكتب بلغة سهلة خالية من المحسنات القديمة والمهجورة. وقد أجريت بحثاً مفصلاً حول خصوصياتها في مقالة كتبها في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية عام ١٨٩٤ م^(٢) = ١٣١٢ هـ. وفي هذه المقالة، ورد أول خبر عن وجود النسخة [692] الخطية للتفسير الفارسي القديم في كمبريدج. وتاريخ تلك النسخة الخطية هو عام ٦٢٩ هـ (١٢ فبراير ١٢٣١ م) والنسخة الخطية الوحيدة لكتاب الأبنة عن حقائق الأدوية محفوظة في فيينا Vienna، وهي أكثر قدماً من سابقتها (الواقع أن أقدم نسخة خطية فارسية موجودة هي نفس نسخة فيينا هذه). وتاريخها هو شوال عام ٤٤٧ هـ = يناير عام ١٠٥٦ م. والنقطة الملفتة للنظر والمرتبطة بهذه النسخة على الأخص هي أن الشاعر علي بن أحمد الطوسي ابن أخت الفردوسي الشاعر العظيم أو ابن أخيه قد نسخها بخطه. وقد قام الدكتور زليجمن Dr. Seligmann بطبع هذا الكتاب برمته في فيينا عام

(١) تعليق المترجم: في مقدمة النسخة المصورة من هذا الكتاب والموجودة في المكتبة الوطنية كتب المرحوم ميرزا محمد خان القزويني شرحاً في التعريف بالكتاب المذكور. وقد خطأ الرأي القائل بأن مؤلف كتاب الأبنة عن حقائق الأدوية كان معاصراً لمنصور بن نوح الساماني. انظر صفحة ١٤ من مقدمة حبيب يغمائي على گرشاسب نامه، تأليف الحكيم أبو نصر علي بن أحمد الأسدي الطوسي، عام ٤٥٨ هـ = ١٠٦٥ م، وقد نشر الكتاب في تهران عام ١٣١٧ هـ. ش. اعتماداً على النسخ القديمة الموجودة في مكتبات إيران وأوروبا.

Journal of the Royal Asiatic Society, 1984.

(٢)

١٢٧٦هـ = ١٨٥٩م، مصحوباً بمقدمة وحواشي وتعليقات، وصورة لثلاث
ورقات (من أوراق النسخة الخطية). ونُشِرَ ترجمته الألمانية مصحوبة بحواشي
وتعليقات «عبدالخالق آخوندوف» من أهالي باكو.

وقد ترجم «البلعمي» تاريخ الطبري إلى الفارسية، ولترجمته هذه عدة نسخ
قديمة نفيسة سامية للغاية، كما ترجم «هرمان زوتنبرج» ترجمة أبي علي
محمد البلعمي الفارسية إلى الفرنسية، وقارنها بالنسخ الخطية الموجودة في
باريس وجوتا ولندن وكانتربوري، وقام بنشرها في باريس (في ٤ مجلدات،
في السنوات ما بين (١٢٨٤ - ١٢٩١هـ = ١٨٦٧ و ١٨٧٤م)^(١).

[693] وقد ذكر زوتنبرج في مقدمة المجلد الأول لهذه الترجمة (ص ٥ -
٧) عدة نسخ خطية لترجمة البلعمي الفارسية. وقد أعدت الترجمة الفارسية
لتفسير الطبري في ذات الوقت - تقريباً - الذي ترجم فيه البلعمي تاريخ ذلك
العالم الكبير.

وتوجد في المتحف البريطاني نسخة خطية للترجمة الفارسية لتفسير الطبري
(تحت رقم وعلامة. ٧٦٠ ADD). ويرجع تاريخ هذه المخطوطة إلى عام
٨٨٣هـ = ١٤٧٨م.

وفي الفارسية كتاب نادر اسمه «مرزبان نامه»، وقد نشرت عدة أقسام منه
على يد «شارل شفر» في كتابه: «الحرب الفارسية» (طبع باريس، عام
١٨٨٥م سنة ١٣٠٣هـ. ح ٢، الحواشي ص ١٩٤ - ٢١١، والمتون ص
١٧٢ - ١٩٩)^(٢). وما نُشِرَ هو الترجمة التي أعدها سعد الوراوي عن أصل
الكتاب في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي. أما أصل الكتاب فإنه قد كُتِبَ
باللهجة المازندارانية حوالي عام ٤٠٠هـ = ١٠٠٩ - ١٠١٠م على يد

(١) M.Hermann Zotenberg. Chronique de Abou-Djafae Mohammed ben Djarir ben
yazid Tabari, traduite sur la version Persane d' Abou Ali Mohammed Bel'amid après
les manuscrits de Paris, de Gothe, de Londres, et de Canterbury (Paris, 4 Vols., 1867-
1974).

Charles Schefer, Cherstomathie Persane (Paris, 1885).

(٢)

الاسهبند مرزبان. كما أنَّ هناك أشعاراً تنسب إلى نفس الكاتب، ويُطلق عليها «نيكي نامه». وهذا يوضّح إلى أيّ حدٍ تَمَّت الاستفادة من اللهجة المازندرانية وما شابهها من لهجات.. في المؤلفات الأدبيّة (هناك الكثير من الشواهد المتفرقة المتناثرة.. في هذا الصدد).

ولو قارنا بين أوضاع انجلترا المشابهة بعد فتح النورماندين - أي قبل تحقّق انتصار لهجة أهالي مرسيا Mercia، وقت أن كانت هناك جماعة ما زالت تحاول تحقيق حجم الاصطلاحات الموجودة في اللهجات الأخرى ودرجتها - وبين أوضاع إيران فسوف تكون لهذه المقارنة أهميّتها.

وهناك شعبة أخرى من الآثار الفارسيّة قام بتأليفها شعبةٌ من اليهود الإيرانيين، وقد كُتبت هذه المؤلفات باللغة الفارسيّة ولكن بالخط العبري.

وربّما يكون أحد هذه الآثار من مؤلفات القرن التاسع أو العاشر الميلادي [694] (وهو أكثر من غيره جذاباً للاهتمام)، لكن دارمستر وآخرين من أصحاب المصادر يرون أنه من مؤلفات عصر المغول (القرن ١٣م). ويقول «مونك»^(١) إنّ هذا المؤلّف يرجع إلى قرنٍ أسبق. ويوجد في أيدينا عددٌ لا بأس به من النسخ الخطيّة للمؤلفات المذكورة، كما يوجد في مكتبة باريس الوطنيّة عشرون نسخة من هذه المؤلفات، وكان مونك أوّل من لفت أنظار العالم إلى وجود هذه الآثار^(٢). وبعد مونك، قام العلماء الثالون. ببحثٍ مفصّلٍ في ذلك الموضوع:

● زوتنبرج: وقد قام في المجلّد الأول من أرشيف مركس^(٣) بترجمة

(١) تعليق المترجم: سالمون مونك Salmon Munk

من المستشرقين (١٢١٨-١٢٨٤هـ = ١٨٠٣-١٨٦٧م). وُلِدَ في غلوغاو Glogau الواقعة في سيلزي (عام ١٢٥١هـ = ١٨٣٥م). وقد كان عضواً في شعبة نسخ مخطوطات مكتبة باريس الملكيّة، وكان في عام ١٨٦٤م = ١٢٨١هـ أستاذاً للعبريّة في Collège de France.

Bile de Cahn (ix, pp. 134-159).

Zotenberg (Merx's Archiv, Vol.iHolle 1870, pp. 385-427).

(٢)

(٣)

الأقسام المشكوك في أصلها، والتي ألحقها دانيال بالتوراة، وعمد إلى نشرها... وسوف نتحدث في هذا الموضوع.

• **پل دولاگارد (في كتاب الدراسات الفارسيّة، طبع جوتنجن سنة ١٨٨٤م)^(١) (١٣٠٢هـ).**

دارمستتر (في مجلة النقد، عدد يناير ١٨٨٢م = ١٣٠٠هـ، الدورة الجديدة، المجلد الثالث عشر، ص ٤٥٠ - ٤٥٤)^(٢). ومجموعة المنتخبات أو حرب رينيه، طبع باريس عام ١٣٠٥ هـ = ١٨٨٧م. (ص ٤٠٥ - ٤٢٠)^(٣).

• **زالمن Salemann.**

• **وعلماء آخرون.**

والقسم الأكبر من مؤلفات اليهود الفارسيّة لا يزيد عن كونه وجهة نظر علم [695] اللغة؛ لأنّه برمّته عبارة عن الكلمات العبريّة التي شُرِحت بالفارسيّة، وترجمة أسفار التوراة الخمسة وسائر الكتب العبريّة، وقسم من الأشعار. أما نسخة الملحقات المشكوك في نسبتها والتي ألحقها دانيال بالتوراة... فهي في مجملها نوع آخر (وقد أثبتت هذه النسخة في مكتبة باريس الوطنية برقم ١٢٨ ضمن إعداد النسخ الخطيّة العبريّة). وهي وإن لم تكن النسخة الأصليّة فإنّها مطابقة لنسخة الأصل التي كانت بالكلدانية^(٤) وفُقدت.

وقد قسّم دار مستتر الكتاب المذكور إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: سلسلة من الأساطير تدور حول دانيال. بعضها مرتبط بالكتاب المقدّس، والبعض مرتبط بعقائد علماء اليهود الرّبّانيين... الذين يُسمّون الحاخامات.

(١) Paul de Lagarde, Persische Studien, Cöttingen, 1884.

(٢) Darmesteter, Revue Critique, Juin 1882.

(٣) Darmesteter, Mélanges Rénier, Paris, 1887. pp. 405-420.

(٤) لهجة آراميّة شرقية.

القسم الثاني: ذكر الوقائع التاريخية التي تثبت بدعوى الوحي والإلهام. ويمكن القول إنَّ أوَّل من أخبرت عنه وبصفة قاطعة هو محمد بن عبدالله رسول الإسلام، وإنَّ آخر شخص هو الخليفة المأمون (ت ٢١٨هـ = ٨٣٣م).

القسم الثالث: وصف خيالي روائي يتعلّق بعصر المسيح، تتكرّر مشاهدته - هو وأمثاله - في آثار اليهود. وفي رأي من يؤمنون بأنَّ هذه الأسانيد تعتمد على الوحي والإلهام... أنَّ الأخير منها هو الأهمُّ من سائر الأقسام، ولا شك. أما الذين يطبّقون الموازين المتعارف عليها في النقد فإنَّهم يرون أن القسم الثاني أكثر أهميّة من سواه. وهم يستحسنون قول دار مستر الذي يقول بقوة وحي وإلهام الوقائع التاريخية.

وفي ملحقات التوراة المشكوك في نسبتها... يُبيّن الرب للنبي دانيال وقائع التاريخ قبل وقوعها وحتى ظهور المسيح. ويرى دانيال الأحداث أيضاً في عالم الشهود أو الرؤيا. وتبدأ رؤياه بكلمات من جانب الله... قريبة من المضمون التالي:

«أي دانيال، إني أبين لك أنَّ على كلِّ قوم ومذهب يحكّم عدّة ملوك، وأخبرك كيف يكون هذا الأمر».

[696] وهنا ترد إشارات مبهمة يذكرها دار مستر ويفسّرُها متشككاً، ويقول إنَّ المقصودين من وراء تلك الإشارات هم الاحشو بروش والسلوقيون والساسانيون، ثم يعمد إلى ذكر حال الملك غير الموحد، وهو يقصد أنو شيروان (أنوشك روبان: ذو الروح الخالدة). ثم يتحدث عن ملك قصير القامة أحمر الوجه يدعى الرسالة، راعٍ للجمال، يأتي من جهة الجنوب راكباً جملاً، ويزجر الشعب اليهودي ويؤذيه كثيراً، ثم يغادر الدنيا بعد حكم دام أحد عشر عاماً. ويبدو أنَّ الكاتب يقصد بهذا الشخص: «محمد بن عبدالله».

ومنذ هذا التاريخ فما بعد - وحتى موت المأمون (يعني من السنة الأولى حتى عام ٢١٨هـ = ٦٦٢م حتى ٨٣٣م) - يمكن إجراء الدراسة والتحقيق بكل وضوح، ويمكن تطبيق الدراسة على ملوك الإسلام.

وفي نفس القسم الذي يؤمن به دارمستر ينقطع تسلسل الأحداث، ويختلط نظام وترتيب وقائع التاريخ. ولكن دارمستر يعتقد أن العبارات التالية تحوى إشارة إلى الحروب الصليبية.. خاصة جودفري دي بويون Godefry de Bouillion وفرسان الصليب الأحمر المسلحين التابعين له. ولهذا السبب يعتقد دارمستر أن ما يُنسب إلى يوحنا على أنه مكاشفات.. قد أُلّف في القرن الثالث عشر الميلادي لافي القرن العاشر. أما أنا فأميل إلى الاعتقاد بأن الإشارات التي وردت بخصوص الحروب الصليبية والمحاربين ذوى الأردية الحمراء - الذين يتحركون من بلاد الروم ويأتون إلى دمشق - هي إشارات مبهمّة غامضة تماماً وغير معلومة. ويبلغ الإيهام حدّ أنّه من الممكن أن يقال إنه لا صلة لها بالتاريخ الحقيقي. ولأنه لا يمكن اعتبار الأمر خارجاً عن حيّز الإمكان، فإنّه يترتب على ذلك أنّه إذا لم تكن الملحقات العجيبة المذكورة تنتمي إلى مؤلفات العصر الماضي - الذي أسمىناه (العصر الذهبي) فقد تكون مرتبطة بالعصر الذي درسناه هنا.

**فهرست مختصر
للمؤلفات الأوروپيَّة
التي استُخدمت في هذا المجلد**

فهرست مختصر للمؤلفات الأوروبية التي استخدمت في هذا المجلد

[697] ترد في هذا الفهرست الكتب الشرقية فقط التي ترجمت إلى لغة أوروبية، أما أسماء سائر الكتب التي وردت في متن الكتاب فقد سطرت في الفهرست العام المثبت في آخر الكتاب، وقد سطرت بأصلها الإنجليزي مع استخدام الحروف المائلة جهة اليمين. كما ميّزت المؤلفات التي استشهد بها - إلى جانب الخط المائل - بوجود نجمة بجوارها. ومعظم ما ذكر من مؤلفات مازال غير مطبوع، وقد اشترطت المكتبات التي تقتني النسخ الخطية لهذه المؤلفات شروطاً تجعل الاستفادة منها محدودة إلى حد ما.

وتعتبر مكتبات القارة الأوروبية الكبرى كلها تقريباً كريمة معونة تفتح كنوزها لباقي المكتبات، بل وتعيير العلماء في حرية. ومن أكثر المكتبات الإنجليزية سخاء مكتبة وزارة الهند ومكتبة الجمعية الملكية الآسيوية^(١)، تليهما مكتبة جامعة كامبريدج ثم مكتبة بودلين^(٢). أما المتحف البريطاني فإنه لا يعير مخطوطاته إطلاقاً مهما كانت الظروف، وهذا يلحق ضرراً بليغاً بعالم العلم والأدب.

[698] وفي إنجلترا توجد مكتبة أو مكتبتان تمتلكان مجموعات نفيسة من المخطوطات الشرقية، لكنهما تخلقان المشاكل حتى أمام العلماء والفضلاء ممن يرغبون في الاطلاع بقاعة المكتبة.

وإذا تطرقنا بالحديث إلى المكتبات الخاصة كان من الإنصاف أن نذكر مكتبة لورد كرافورد^(٣)، ونشيد بكرمه نحونا. ومن المؤسف للغاية أن باتت مجموعة مخطوطاته الشرقية النفسية في يد أشخاص لا يظاهونه كراماً وسخاء.

(١) انجمن سلطنتی آسیائی Royal Asiatic Society.

Bodleian

(٢)

Lord Crawford

(٣)

هذا وقد أوردتُ أسماء الكتب في هذا الفهرست وفقاً لترتيب الموضوعات والأزمنة، واكتفيت بذكر نخبة من أهم الكتب، وميزتُ الكتاب النفيس من بينها بنجمة وضعتها، وقصدت بلفظ (قديم) .. قبل الإسلام، ولفظ (جديد) .. بعد الإسلام، وعلى القارئ الذي ينبغي دليلاً أفضل أن يلجأ إلى فهرست الكتب الجغرافية وكتب الرحلات والأسفار الذي رتبته لورد كرزن في كتابه العظيم الخاص برحلات إيران (في الصفحات من ١٦ - ١٨)^(١)، أو يلجأ إلى فهرست المؤلفات الأدبية والتاريخية واللغوية الذي وضعه زالمن وجوكوفسكي (في الصفحات من ١٠٥ - ١٠٨) من كتابهما قواعد اللغة الفارسية^(٢).

وبالنسبة لمواضيع الكتاب الذي وضعه جايجر وكون خاصاً بمبادئ فقه اللغة الإيرانية^(٣)، أثبت المؤلفان فهرساً كاملاً في مقدمة كل باب من أبواب الكتاب .. يشتمل المراجع والمصادر الخاصة بالموضوع.

كما ورد فهرس قيم جداً في مقدمة رسالة برفسور جاكسون الأمريكي الخاصة بزردشت^(٤)، وهو فهرس يدور حول الكتب الخاصة بالدين الزردشتي.

(١) Persia and the persian Question by the Hon, George N. Curzon. M.P. London, 1892.

(٢) Salemann and Zhukovaski, Persische Grammatik.

(٣) Geiger and Kuhn, Grundriss der Iranischen Philologie.

(٤) Professor A.V. Williams Jackson, Monograph. On Zoroaster (New York, 1899).

(ألف) التاريخ العام وعلم اللغة

[699] *١ - أساس فقه اللغة الإيرانية:

ساهم في تدوينه كل من بارتولمه، اته، جلدز، هرن، هوبشمن، جاكسون، يوستي، نولدكه، زلمن، ويسباخ، ووست. وقد تم نشره في عام ١٨٩٥ في اشتراسبورج بإشراف جايجروكون.

وهو كتاب قيّم لا يقدر بمال، ويعتبر دائرة معارف فيما يتعلق بفقه اللغة الفارسية. ويبحث الجزء الأول منه في تاريخ اللغات الإيرانية القديمة وبخاصة لغة الأستا والفارسية القديمة والفارسية المتوسطة أو الپهلوية. ويبحث الجزء الثاني في آداب اللغات المذكورة والفارسية الحديثة، وفيه فصل خاص بموضوع الحماسة الوطنية كتبه البرفسور نولدكه. ويدور الحديث في الجزء الثالث حول الجغرافيا والنسب والتاريخ (حتى العصر الحديث)، وحول الدين والعملات والخطوط الإيرانية.

1. *Grundriss der Iranischen philologie, Unter Mitwirkung Von Chr Bartholomae, C.H. Ethé, K.F. Geldner, P.Horn. H. Hubsch. mann, A.V.W. Jackson, F.Justi, Th.Noldeke, C.Salemann, A.So cin, F.H. Wilhelm Geiger Und Ernst Kuhn (Strassburgh. 1995).

*٢ - أعلام الإيرانيين (مشاهير الإيرانيين):

تأليف فرديناند يوستي (طبع ماربورج ١٨٩٥م)، وهو ثبت بأسماء الوطنيين من رجال إيران. وترجع عظمته إلى إثباته أسماء إيرانيين لهم أسماء إيرانية أصيلة ليست عربية ولا إسلامية.

- *2. Iranisches Namenbuch, Von Ferdinand Justi (Marbung, 1895).

[700] *٣ - المعجم الجغرافي والتاريخي والأدبي لإيران والممالك المجاورة لها..

وهو مستخرج من معجم البلدان لياقوت. ألفه باريه دومينار الفرنسي، وطبع في باريس عام ١٨٦١م.

- *3. Dictionnaire géographique, historique et littéraire de la peose et des Contrées adjacentes, extriat du Modjem-el-Bouldan de Yacout... par C.Barbier de Meynard (Paris, 1861).

*٤ - الترجمة الفرنسية لتاريخ الطبري.

وضعها زوتنبرج لترجمة البلعمي الفارسية (طبع باريس ١٨٦٧ - ١٨٧٤م) في أربعة مجلدات، وهي أفضل وسيلة يلجأ إليها الأوروبيون لمعرفة تاريخ الدنيا العام بما فيه تاريخ إيران... من وجهة نظر المؤرخين المسلمين.

*4. Chronique de... Tabari, Traduite sur la Version Persane de... Balàmi... par M.Hermann Zotenberg, 4 Vols. Paris, 1867-74.

٥ - تاريخ إيران، تأليف سيرجان ملكم (من أقدم الأزمنة حتى العصر الحالي) في مجلدين، طبع لندن عام ١٨١٥م.

5. Sir John Malcolm, History of Persia from the most Early period to the Present time... (2vols, London, 1815).

٦ - كليمنت ماركهم: تاريخ إيران العام (مجلد واحد - طبع لندن ١٨٧٤م).

6. Clement Markham, General Sketch of the History of persia (1 Vol, london, 1874).

*٧ - دراسات إيرانية، بقلم دارمستتر (في مجلدين، طبع باريس ١٨٨٣م، الجزء الأول منه يتعلق بدراسات حول تاريخ قواعد اللغة الفارسية، والثاني خاص بلغة إيران القديمة وآدابها ودياناتها).

*7. Darmesteter, Etudes Iraniennes, (2 Vols., Paris, 1883).

٨ - الترجمة الإنجليزية لكتاب الآثار الباقية لأبي ريحان البيروني، بقلم الدكتور زاخو (طبع لندن ١٨٧٩م).

8. Dr. C.E. Sachau, English translation of al-Biruni's chronology of Ancient Nations (London, 1879).

٩ - مروج الذهب للمسعودي، متن الكتاب مصحوباً بترجمة فرنسية بقلم بارييه دو مينار وباوه دو كورتني (طبع باريس ١٨٦١ - ١٨٧٧م)، ويقع في تسعة أجزاء.

9. Les Prairies d.Or, Texte et traduction par C. Barbier de Meynard et Pavet de Courteille (Paris 1861, 1877).

(ب) التاريخ القديم

[701] ١٠* - علم إيران القديمة، تأليف فريدريك أشييجل (في ثلاثة أجزاء - طبع لايبزيغ في تاريخ ١٨٧١ - ١٨٧٨ م). كتاب قيم، يبحث في تاريخ أديان إيران وآثارها القديمة (من أقدم العهود حتى سقوط السلسلة الساسانية).

*10 Eranische Alterthumskunde, Von Fr.Spiegel (3 Vols... Leipzig, 1871-1878).

١١- تاريخ إيران القديم، تأليف الدكتور فرديناند يوستي (طبع برلين ١٨٧٩ م) يبحث كذلك في تاريخ العصور التي تحدث عنها أشييجل في الكتاب السابق الذكر. وهو من جهة الحجم أصغر منه، يلقي قبولاً ورواجاً عنه، ويشتمل خريطة واحدة وأكثر من صورة.

11. Geschichte des alter persiens, Von Dr. Ferdinand Justi (Berlin - 1879).

١٢- موضوعات حول تاريخ إيران، تأليف نولدكه (طبع ليبزيغ ١٨٨٧ م). كتاب باللغة الألمانية، يعدُّ في الحقيقة تهدياً وإسهاباً للمقالة التي نشرها ذلك العالم الكبير في الطبعة التاسعة من دائرة المعارف البريطانية، والتي تدور حول تاريخ إيران القديم، وتنتهي بنهاية الدولة الساسانية.

12. Aufsätze Zur Persischen Geschichte Von Th.Noldeke (Leipzig, 1887).

١٣- الميديون (شعب ماد) ولغتهم، تأليف جول ابر (طبع باريس ١٨٧٩ م).

13. Le peuple la Langue des médés, Par Jules Oppert (Paris, 1879).

[702]

١٤- ج - رالينسون: الممالك الخمس الكبرى في دنيا الشرق القديم. مؤلف في الجغرافيا والآثار القديمة.. في كل من كلدة وآشور وبابل وماد

وفارس، نشرت طبعته الأولى في لندن عام ١٨٦٢م وتقع في جزأين. ونشرت الطبعة الثانية عام ١٨١٨م، وتقع في ثلاثة أجزاء، يتصل الأخيران منها بماد وإيران الهخامنشية.

14. G.Rawlinson, Five Great Monarchies of the Ancient Eastern World, or the History, Geography, and Antiquities of Chaldea, Assyria, Babylon, Media, and Persia.

١٥- ج. رالينسون: المملكة السادسة الكبرى من ممالك الشرق. مؤلف في جغرافيا بارثيا وتاريخها وآثارها القديمة (طبع لندن ١٨٧٣م).

15.G. Rawlinson, Sixth Great Oriental Monarchy, Or Geography. History and Antiquities of Parthia (London, 1873).

١٦- ج. رالينسون: المملكة السابعة الكبرى من ممالك الشرق، مؤلف في الجغرافيا والتاريخ وآثار الساسانيين القديمة أو إمبراطورية إيران الجديدة، طبع لندن عام ١٨٧٦م.

16.G.Rawlinson, Seventh Grialental Monerchy, or the Geography. etc. of the Sasanian or New Persian Empire (London, 1876).

١٧- ج. رالينسون: كتاب بارثيا، ضمن سلسلة الكتب التي وضعت حول تاريخ الشعوب، (طبع لندن ١٨٩٣م).

17. G.Rawlinson, Parthia, in the story of the Nations series (London, 1893).

١٨* - نولدكه:

تاريخ الإيرانيين والعرب في عهد الساسانيين، ترجمة عن تاريخ الطبري، مصحوبة بتعليقات وشرح وتكملة (طبع ليدن ١٨٧٩م). ومن المسلم به أن هذا أفضل كتاب كتب حول العصر الساساني.

*18. Prof. Th. Noldeke, Geschichte der perser und Araber Sur Zeit der Sasaniden, Aus der arabischen Chronick des Tabri Uber setzt, und mit ausführlichen Erläuterungen und Ergänzungen Versehn (Leyden, 1879).

١٩- پروفيسور هايد:

تاريخ ديانات فارس وپارثيا وماد القديمة.

كتاب نشرت طبعته الأولى في أكسفورد عام ١٧٠٠م، والثانية عام ١٧٦٠م. ورغم أنه يعد من الكتب المنسوخة فإنه ما زال موضع الاهتمام. وهو يحتوي إشارات مهمة يمكن الاستفادة منها.

19. Prof.Thomas Hyde, *Veterum Persarum, et Parthorum et Medorum Relihionis Historia* (first edition, Oxford, 1700, second edition, 1760).

[703]

٢٠- جايجر،

ثقافة الإيرانيين الشرقية في الأزمنة القديمة.

طبع هذا الكتاب عام ١٨٨٢م، وترجم من الألمانية إلى الإنجليزية في لندن عام ١٨٨٥م على يد داراب پشوتن سنجانا.

20. Geiger, *Ostiranische Kultur im Altertum* (1882); English translation of the same by Darab Dastur Peshotan Sanjana: *Civilization of the Eastern Iranians in Ancient Times* (London, 1885).

(ج) فقه اللغة القديم

الفارسية القديمة

٢١- تخت جمشيد، تأليف اشتر لتزه. طبع عام ١٨٨٢م مصحوباً بمقدمة بقلم نولدكه وكثير من الصور الجميلة التي تصوّر الأطلال والنقوش الحجرية.

21. F.Stolze, Persepolis, With Introduction by Noldeke.

٢٢- ديولافوا: الصناعات القديمة في إيران. طبع في باريس عام ١٨٨٤م.

22. M.Dieulafoy: L'Art Antique de la perse (Paris, 1884).

٢٣*- اشيجل: الخطوط المسمارية في إيران القديمة.

نشر المتن والترجمة. في لايبزج عام ١٨٦٢ مصحوباً بقواعد اللغة ومفرداتها، ثم طبع بعد ذلك مرة أخرى بصورة أكثر تفصيلاً وذلك في عام ١٨٨١م.

*23. Fr. Spiegel: Die Altpersischen Keilinschriften im Grundtexte, mit übersetzung, Grammatik und Glossar (Leipzig, 1862; Second and enlarged edition, 1881).

٢٤*- كاسو ويچ: نقوش إيران الحجرية القديمة في العهد الهخامنشي.

طبع الكتاب في سان بطرسبرج عام ١٨٧٢، وكان طبع النقوش بالخط المسماري.

*24. Dr. C.K.ossowiez: Inscriptiones palaeo-Persincoe Achaemenidarum (St-Petersburg, 1872).

أوستا

٢٥- بورنوف: الونديداد البسيط.. كتاب من كتب زردشت، طبع في باريس طبعة حجرية فيما بين عامي ١٨٢٩، ١٨٤٣م، بناء على نسخة الزند التي تملكها المكتبة الملكية.

25. Eugene Burnouf: Vendidad Sade (Paris, 1829-1843).

٢٦- بروكهاوس: الوندیداد البسيط، آثار زردشت المقدسة، اليسنا والويسبرد والوندیداد، طبع في لايزيغ عام ١٨٥٠م، طبعا لطبعة باريس وبمباي الحجرية، مصحوبا بفهرست ومعجم.

26. H. Brockhaus: Vendidad Sade, die heiligen Schriften Zoroaster's yacna. vispered und vendidad, nach den lithographirten Ausgab von Paris und Bombay, mit Index und Glossar herausgegeben (Leipzig, 1850).

٢٧- وسترگارد: زند اوستا: الجزء الأول، متون الزند (كوبنهاجن ٥٢-١٨٥٤م).

27. N.L.Westergaard: Zendavesta.. Vol.1, the Zend texts, (Copenhagen 1852-1854).

٢٨- اشبيجل: الأوستا، الأصل مع ترجمة الهزوارش. طبع في مجلدين بثينا فيما بين عامي ١٨٥٣-١٨٥٨م.

28. Fr.Spiegel: Avesta.. im Grund texte sammt der Huzvaresh ilber setzung (2 Vols.. Vienna, 1853-58).

٢٩- جلدنر: الأفستا.. (في ثلاثة أجزاء - طبع اشتوتجارت، عام ١٨٨٦-١٨٩٥م).

29. K.F. Geldner: Avesta.. (3 parts, Stuttgart, 1886-95).

٣٠- ميلز ودارمستتر: الترجمة الإنجليزية للمجلدات: الرابع، والثالث والعشرين، والحادي والثلاثين من الزند افستا - أخذاً من كتب الشرق المقدسة التي ألفها البروفسور مكس مولر.. (طبع اكسفورد ١٨٧٧، ١٨٨٠، ١٨٨٣م). وقد طبع المجلد الرابع للمرة الثانية في عام ١٨٩٥م.

30. Mills and Darmesteter's English translation of the Zend Avesta invols.

IV, XXIII, XXXI of professor Max Muller's Sacred Books of the East (Oxford, 1877, 1880, 1883, and second edition of Vol. IV in 1985).

٣١* - دارمستتر: الزند أفستا. ترجمة جديدة تصحبها حواش تتصل بالناحية التاريخية وفقه اللغة، تم طبعها في باريس عام ١٨٩٢-١٨٩٣م في ثلاث مجلدات، وهي المجلدات ٢١، ٢٢، ٢٤ وذلك بمناسبة الذكرى السنوية لمتحف جيمه.

*31. Darmesteter: La Zend Avesta: Traduction nouvelle avec commentaire historique et philologique (3 vols, Paris, 1892-93; Vols. XXII, and XXIV of the Annales du Musée Guimet).

٣٢- دو هارله: الأفستا: الترجمة عن متن الزند (طبع ليج في ثلاثة أجزاء، عام ١٨٧٥-١٨٧٧م، طبع باريس عام ١٨٨١م).

32. C. de Harlez: Avesta.. traduit de texte Zend (3 vols, Liège, 1875-1877: second edition, Paris, 1881).

[705]

٣٣- اشيجل: الأفستا. الترجمة الألمانية (طبع ليزج، ١٨٥٢-١٨٦٣م في ثلاثة مجلدات)، وقد ترجمه بليك إلى الإنجليزية، وطبع في هرتفورد عام ١٨٦٤م.

33. Fr Spiegel: Avesta.. Ubersetet (3 Vols. Leipzig. 1852-63 English translation of this by A.Bleeck (Hetford, 1864).

٣٤- ميلز: دراسات على كاثات زردشت الخمسة (طبع ارلاتجن، ١٨٩٤م).

34. I..H.Mills: A study of the five Zoroastrian Cathas (Erlangen, 1894).

٣٥- يوستي: دليل لغة الزند (طبع ليزيغ عام ١٨٦٤م).

35. Ferdinand Justi: {Handbuch der Zendsprache (Leipzig, 1864).

٣٦* - دوهارله: دليل لغة الأفستا (طبع باريس ١٨٨٢م).

*36. C. de Harlez: Manuel de la langue de L'Avesta (Paris, 1882).

٣٧- جكسون: قواعد لغة الأفستا، طبع اشتوتجارت، ١٨٩٢م. وكتاب قواعد الأفستا، طبع ١٨٩٣م.

37. A. V. W. Jackson: Avesta Grammar... (Stuttgart, 1892); Adem, Avesta Reader (1893).

٣٨- اشبيجل: قواعد اللغة الباخترية القديمة (لغة بلخ القديمة)، طبع ليزيغ عام ١٨٦٧م.

38. Fr. Spiegel: Grammatik der Altbaktrischen Sprache (Leipzig, 1867).

اللغة البهلوية وعلاقتها بإيران الحديثة

*٣٩- مارتين هاوج: مقالة تتصل بموضوع اللغة البهلوية (في ١٥٢ صفحة) طبعت بعنوان «مقدمة على معجم لغة الپازند البهلوية القديمة، تأليف دستور هوشنج جي جاماسب جي آسيا». وكان طبعتها في بمباي ولندن عام ١٨٧٠م.

*39. Martin Haug, Introductory Essay on the Pahlavi Language (pp.152), Prefixed to Dastur Hoshang ji Asa's Old Pahlavi Pazend Glossary. (Bombay and London, 1870).

[706]

٤٠- دوهارله: دليل اللغة البهلوية إلى كتب إيران الدينية والتاريخية. يشتمل على قواعد اللغة ونصوص مختارة وكلمات. (طبع باريس عام ١٨٨٠م).

40. G. de Harlez: Manuel de Pehlevi des Livres religieux et historiques de la perse grammaire, Anthologie, Loxique (Paris, 1880).

*٤١- زلمن: دراسات في اللغة الفارسية الوسيطة، نشرت في كتاب معجم سان بطرسبرج عام ١٨٨٧م في الصفحات ٤٠٧ وما بعدها، ثم طبعت في المجلد التاسع في مجموعة المختارات الآسيوية (ص ٢٠٧ وما بعدها). كما وردت مقالة نفس المؤلف التي تتعلق بالفارسية الوسيطة في الجزء الأول من كتاب أساس فقه اللغة تأليف جايغر وكون (الصفحات ٢٤٩ - ٣٣٢).

- *41. C.Salamann: *Mittelpersische Studien* in the *Bulletins de l'Acad. de St. Petersburg* for 1887, pp. 417. et seqq. *Métanges Asiatiques*, Vol, ix, pp, 207 et et seqq. Also the same scholar's article *Mittelpersisch* in Vol.I of Geiger und Kuhn's *Grundriss*, pp. 249-332.

٤٢* - وست هاوج، ودستور هوشنگ جي جاماسپ جي آسا:

النص الپهلوي لكتاب ارد ويراف مصحوباً بالترجمة الإنجليزية ومقدمة، طبع بمباي ولندن عام ١٨٧٢م، مع مجموعة كلمات وفهرست مرتب ترتيباً أبجدياً (عام ١٨٧٤م).

- *42. West, Haug, and Dastur Hoshangji Jamaspji Asa: *The Book of Arda Viraf: Pahlavi text... with an English Translation and Introduction* (Bombay and Lindon, 1872); *Glossary and Index of the same* (1874).

٤٣ - وست: النصوص الپازنديّة والسنسكريتية للمينوي خرد (روح الحكمة) بحروف رومانية) مصحوبة بترجمة انجليزية، وعرض سريع لقواعد اللغة الپازندية ومقدمة. (طبع اشتوتجارت، لندن ١٨٧١م).

43. West: *The Mainyo-Khard (or, spirit of Wisdom) Pazand and Sanskrit texts in Roman Characters.. with an English Translation... Sketch of Pazand Grammar and Introduction* (Stuttgart and London, 1871).

٤٤* - اندره آس: النص الپهلوي للكتاب السابق. . اعتماداً على النسخة الخطيّة التي جلبها وسترجارد من إيران، وحفظت في كوبنهاجن، وعمل لها كليشيه ثم طبعت (طبع كيل ١٨٨٢م).

- *44. F.C. Andreas: *Pahlawi text of the above, a facsimile of a MS. brought from Persia by Westergaard and preserved at Copenhagen* (Kiel, 1882).

[707]

٤٥ - نولدكه: دراسات فارسيّة حول القسمين: الأول والثاني من الجزأين ١١٦ - ١٢٦ من جلسات أكاديمية العلوم في إمبراطورية النمسا بفيينا - قسم الفلسفة والتاريخ (طبع فيينا ١٨٨٨ و ١٨٩٢).

45. Prof.th. Noldeke Persische Studien I and II invols. CXVI and CXXVI of the Sitzb. d. K. Akad. d. Wissenschaften in wien, Phil-Hist, Class (Vienna, 1888 and 1892).
- ٤٦- بارتلمي: كجستك ابالش، شرح محاضرة دينية برئاسة الخليفة المأمون: النص
الپهلوي مصحوباً بالترجمة والتفسير والمفردات (طبع باريس عام ١٨٨٧م).
46. A. Barthelemy: Cujastak Abalish relation d'une Conference théologique presidée par le Calife Mamoun. Texte pehlevi... avec traduction, commentaire et lexique (Paris, 1887).
- ٤٧- هرن: مباني الإشتقاق الفارسي الجديد (طبع استراسبورج ١٨٩٣م).
47. P.Horn: Grundriss der Neupersischen Etymologie (Strassburg, 1893).
- ٤٨- هوبشمن: دراسات إيرانية (طبع استراسبورج ١٨٩٥م). قواعد اللغة
الأرمنية تأليف نفس المؤلف (طبع لايبزج ١٨٩٧م).
48. H. Hübschmann: Persische Studien (Strassburg, 1895) Idam, Armenische Grammatick (Leipzig, 1897).
- ٤٩- دولاجارد: دراسات في اللغة الفارسية (طبع جوتينجن ١٨٨٤م).
49. Paul de Lagarde: Persische Studien (Gottingen, 1884).
- ٥٠- اشبيجل: قواعد اللغة الفارسية، مع ذكر أمثلة (طبع ليبزج). وللمؤلف
أيضاً: روايات الإيرانيين وآثارهم وصلتها بلغات البلاد المجاورة.
50. Fr. Spiegel: Gramm. der Parsisprache nebst Sprachproben (Leipzig, 1851) Idem, Die Traditionelle Literatur der Parsen inihrem Zusammenhange mit den angranzenden Literaturen (Vienna, 1860).
- ٥١* - دوست: حول اتساع الأدب الپهلوي واللغة الپهلوية وعصور الأدب
الپهلوي. التقرير الصادر عن قسم الفلسفة وفقه اللغة بأكاديمية العلوم في
الخامس من مايو عام ١٨٨٨م (الصفحات ٣٩٦ - ٤٤٣: برلين).
- *51. E.West: On the Extent, Language, and age of Pahlawi Literature, in the sitzb, d. philos-phliol. Classe der K.Akad. d.Wissenschaften vom 5 Mai, 1888 (pp.396-443: Berlin).

[708] د. الطرق الدينية قبل الإسلام - الدين الزردشتي

٥٢* - پرفسور جكسون: زردشت، نبي إيران القديمة (طبع نيويورك ١٨٨٩م).
نلفت نظر القراء ثانية إلى فهرست الكتب القيم الخاص بهذا الموضوع.
والذي يقع في الصفحات من ١١ إلى ١٥ من هذا المؤلف العظيم.

*52. Prof. A-V. W.Jacson: Zoroaster, the prophet of Ancient Iran
(New york, 1899).

٥٣- هوفلاك: الأستا، وزردشت، ودين مزدا (طبع باريس ١٨٨٠م).

53. Hovelacque: L'Avesta, Zoroastre, et la Mazdéisme (Paris, 1880).

٥٤- وست: ترجمة النصوص البهلوية، في الأجزاء: الخامس والثامن عشر
والرابع والعشرين والسابع والثلاثين والسابع والأربعين من كتب الشرق
المقدسة.

54. I.W.West: Pahlavi Texts translated in vols. V, X VIII of the Sacred
Books of the East.

٥٥- پرفسور تيله: تاريخ الأديان (منذ أقدم العصور حتى عصر الاسكندر
الأكبر) طبعة مجاز الألمانية بإشراف جريش، المجلد الحادي عشر،
ديانة الشعوب الإيرانية، النصف الأول (الصفحات من ١ - ١٨٧) طبع
جوتا عام ١٨٩٨م.

55. Prof. C.P. Tiele: Geschichte der Religion in Altertum bis auf
Alexander den Grossen: Deutsche Autorisierte Ausgabe Von
G.Gehrich: Vol.Xi, Die Religion bei den Iranischen Voßlkern erste
Halfte, pp.1-187 (Gotha-1898).

٥٦- جان ويلسون: الدين الفارسي، بناء على مارود في الزند أستا (طبع بمباي
١٨٤٣م).

56. John Wilson: The Parsi Religion as Contained in the Zand-Avesta
(Bombay, 1843).

٥٧- هاوج: مقالات تتعلق بالپارسيين، الطبعة الثالثة، تصحيح وست مع تفصيل أكبر. طبع لندن عام ١٨٨٤م.

57. Martin Haug: Essays on the Parsis, 3 rd. edited and en Larged by E. West (London, 1884).

٥٨- دوسابائي فرامجي كاراكا: تاريخ الپارسيين (في مجلدين، طبع لندن عام ١٨٨٤م).

58. Dosabbai Framje karaka: History of the Parsis (2 Vols. London 1884).

[709]

٥٩- الآنسة منان: الپارسيين وتاريخ مجتمع الزردشتيين الهنود: بمناسبة الذكرى السنوية لمتحف جيمه، مكتبة الدراسات، المجلد السابع (طبع باريس ١٨٩٨م).

59. Mademoiselle, D.Menant: Les Parsis, Hostoire des communautés zoroastriennes de l'Inde: Annales du Musée Guimet, Bibiothèque d'Etudes, Vol. Vii (Paris, 1898).

٦٠- هوتوم شيندلر: الفرس في إيران، لغتهم وقسم من آدابهم وعاداتهم. مقالة طبعت في المجلد السادس والثلاثين من مجلة الجمعية الألمانية الخاصة بممالك الشرق (عام ١٨٨٢م - الصفحات ٥٤ - ٨٨).

60. A.Houtum Schindler: Die Parsen in Persien, ihre Sprache und einige ihrer Gebrauche, in Vol xxxVi (1882: pp. 54-88) of the Zeitschrift d.deutch. Morgenland. Gesellsch.

المسيحيون في ظل حكم الساسانيين

*٦١- جورج هوفمان: مختارات من الوثائق السريانية الخاصة بشهداء إيران (طبع لايبزج ١٨٨٠م).

*61. George Hoffmann: Auszüge aus Syrichen Akten Presischer Märtyner.. (Leipzig. 1880)

٦٢- الدكتور رايت: تاريخ الحرب بين اليونان وإيران في السنوات ٥٠٢-٥٠٦ م، (تأليف يشوع، عام ٥٠٧ م باللغة السريانية) مصحوباً بترجمة وحواشي. طبع كمبريدج ١٨٨٢ م.

62. Dr. W.Wright: The Cheonicle of Joshua the Stylile, Composed in Syriac, A.D.507, with a translation, and notes (Cambridge 1882).

المانوية والبرديصانية والصابئون

٦٣*- فلوجل: ماني وتعاليمه وكتابات. (طبع لا ييزيج ١٨٦٢ م)

*63. Gustav Flugel: Mani, Seine Lehre und Seine Schriften (Leipzig, 1862).

٦٤- الدكتور كسلر: ماني ودراسات حول مذهبه، (طبع برلين ١٨٨٩ م).

64. Dr. Konard Kessler: Mani: Forschungen uder die Manichaische Religion (Barlin, 1889).

[710]

٦٥- برفسور بوفان: نشيد الروح، الوارد باللغة السريانية في قصص سانت توماس، الطبعة الجديدة مع ترجمة إنجليزية (كمبريدج ١٨٩٧ م). وكذلك نشيد البرديصانية الذي ترجم على يد بركيت إلى اللغة الإنجليزية بأسلوب أكثر تحرراً (طبع لندن، مطبعة أسكس هاوس، ١٨٩٩ م).

65. Professor A.A.Bevan: The Hymn of the soul, Contained in the Syriac Acts of St Thomas: reedited with an English translation... (Cambridge, 1897) Also the same Hymn of Bardaisan rendered (more freely) into English by F.C.Burkit (London, Essex House Press, 1899).

*٦٦- الدكتور خولسون: الصابئون ومذهبهم، (طبع بترسبورج في مجلدين عام ١٨٥٦ م).

*66. Dr. Chwolson: Die Ssabier und Ssabismus (2 vols. St Petersburg. 1856).

٦٧- روشا: ماني وأصول عقائده، (طبع جنيف ١٨٩٧ م).

67. E. Rochat: Mani et sa Doctuine (Geneva, 1897).

السِيرَ الفارسية والأساطير القومية

٦٨* - پروفيسور نولدكه: أساطير إيران القومية. طبعة خاصة مستقاة من أصول فقه اللغة الإيرانية. (طبع استراسبورج ١٨٩٦م).

*68. Prof. Th.Noldeke; Das Iranische Nationalepos: Besonderer Abdruck aus dem Grundriss der Iranischen philologie (Strassburg, 1896).

٦٩ - وينديشمن: دراسات حول زردشت: رسائل حول أساطير إيران القديمة وتاريخها (تصحيح اشبيجل - طبع برلين ١٨٦٣م).

69. Fr. Windischmann; Zoroastrische Studien: Abhandlungen Zur Mythologie und sagege schichte des Alten Iran (edited by Fi. Spiegel: Berlin, 1863).

٧٠* - شاهنامه الفردوسي: توجد ثلاث طبعات أوروبية للشاهنامه، إحداها طبع ترنوماكن (في أربعة مجلدات - طبع كلكتة ١٨٢٩م) والأخرى طبع جول مل (في سبعة مجلدات بالقطع الكبير - طبع باريس ١٧٧٨-٣٨م) مع [711] ترجمة فرنسية وحواشي وتعليقات. والثالثة طبع فولرس ولنداور (في ثلاثة مجلدات، طبع ليدن ١٨٧٧-٨٤م). والطبعة الأخيرة طبعة ناقصة تنتهي عند زمن الإسكندر، وقد حُذف منها العصر الساساني برمته. وقد نشرت ترجمة مل الفرنسية في سبعة مجلدات دون أن يسجل معها المتن، وذلك في باريس (١٨٧٦-١٨٧٨م). وقد ترجم روكرت الشاهنامه إلى اللغة الألمانية (ونشرها باير - بعد تصحيحها - في ثلاثة مجلدات، وذلك في برلين في الأعوام من ١٨٩٠ حتى ١٨٩٥م) ومن بين الترجمات المختصرة الموجودة حالياً توجد ترجمة لفن شاك، طبعت في عام ١٨٨٧م في اشتوتجرت. وهناك عدة تراجم مختصرة أخرى باللغة الإنجليزية إحداها بقلم اتكنسون والأخرى بقلم هلن زيمرمن.

* The shahnama of Firdawsi: European editions: Turner Macan. (Calcutta, 1829), *Jules Mohl, (Paris, 1838-78), Vullers and

Landuer, (Leyden, 1877)84), German translation by Ruckert (edited Translation by A.F. Von Schack, Heldensagendes Firdusi, in deutscher Nachbildung rebst einer Einleitung (Stuttgart, 1877); English abridgments of j.Atkinson and Helen Zimmetmann.

٧١* - نولدكه: تاريخ اردشير بن بابك (كارنامه اردشير پاپكان) - مترجماً عن
الپهلوية (طبع جوتنجن ١٨٧٩م).

*71. Nöldeke: Geschichte des Artakhshir-i-Papakan. aus dem pehlewī
übersezt (Gottingen, 1897).

٧٢ - داراب دستور پشوتن سنجانا: كارنامه اردشير پاپكان (كتاب أعمال اردشير
بن بابك). . النص الپهلوي مع الخط اللاتيني مصحوباً بترجمة إنجليزية
وكجراتية (طبع بمباي ١٨٩٦م).

72. Darab Dastur Prshotan Sanjana: The Karname-i-Artakhshir-i-
Papakan. Pahlavi text with transliteration... translations into
English and Gujerati, etc. (Bombay, 1896).

٧٣* - جايجر: يادپار زريران (ذكرى زرير) وصلتها بالشاهنامه التي طبعت في
ميونخ عام ١٨٩٠م في القسم الذي يتعلق بالفلسفة وفقه اللغة والتاريخ،
في مجلة أكاديمية العلوم الملكية. . القسم الأول من المجلد الثاني -
[712] الصفحات ٤٣-٨٤. وقد نشر منها الپهلوي في بمباي عام ١٨٩٧م
على يد جاماسپ جي دستور منوچهرجي جاماسپ آسانا، ونشرت
ترجمتها الإنجليزية والكجراتية (في بمباي عام ١٨٩٩م) بقلم يوانجي
جمشيد جي مودي.

*73. W.Geiger: Das Yatkari-Zariran and sein Verhältniss Zum
Shahnamé in the Sitzb.d. Philos, Philolog. und Histor.
Cl.D.K.Bayer. Ak.d.Wiss. for 1890, Vol ii, Part i, pp. 43-84
(Munich, 1890). The Pahlavi text of this was published (Bombay
1897), by Jamaspji Dastur Minochehrji Jamasp Asana, and
Translations into English and Gujerati (Bombay, 1899) by Jivanji
Jamshedji Modi.

٧٤- الدساتير: كتابات أنبياء إيران القدامى. طبعها ملا فيروز بن كاوس مصحوبة بترجمة إنجليزية، وذلك في مجلدين (بمباي عام ١٨١٨م).

74. The Dasatir, or Sacred Writings of the Ancient Persian prophets etc. Published by Mulla Firuzibn Kaus, with an English translation in 2 vols (Bombay, 1818).

٧٥- دبستان المذاهب (مدرسة الأديان) ترجمة عن الأصل الفارسي تقع في ثلاثة مجلدات (طبع باريس ١٨٤٣م) قام بالترجمة: شيا وتروير.

75. The Dabistan.. translates from Persian by Shea and Troyer (3 Vols. Paris, 1843).

٧٦*- غرر أخبار ملوك الفرس، تأليف الثعالبي، النص العربي مصحوباً بترجمة زوتن برج (في مجلد واحد - قطع كبير - طبع باريس ١٩٠٠م).

*76. Histoire des Rois de perse par.. al - Thaa'libi texte arabe, publie, et traduit par H.Zotenberg (1 Larg folio vol, Paris, 1900).

(و) محمد بن عبدالله، والقرآن والخلافة

٧٧*- سيرة ابن هشام (سيرة النبي) النص العربي، تصحيح ووستنفلد (طبع جوتنجن، ٦-١٨٥٨م)، الترجمة الألمانية لنفس الكتاب بقلم جوستاف وايل بعنوان حياة محمد (طبع اشتوتجارت عام ١٨٦٤م).

* Ibn Hisham's (the eldest extant) Biography of the Prophet Muhammed, edited in the original Arabic by F.Wustenfeld (Gottingen, 1858-60), translated into German (Das Leben Muhammeds.. Stuttgart, 1864) by Gustan Weil.

٧٨*- القرآن: طبعة فلوجل وردسلااب وغيرها من الطبعات مصحوبة بترجمات إنجليزية بقلم سيل عام ١٧٧٤م. (وقد طبعت بعد ذلك أكثر من مرة) [713] طبعة رادول (الطبعة الثانية لندن ١٨٧٦م)، وطبعة الپروفيسور پامر (مكان المجلدين ٩، ٦ من كتب الشرق المقدسة، وترجمة كازيميرسكي الفرنسية (طبع باريس ١٨٥٤م)، والترجمة الألمانية التي وضعها أولمن

(الطبعة الرابعة - بيلفلد، ١٨٥٧م)، كشف كلمات القرآن باللغة العربية بإشراف فلوجل (طبع لايبزيغ ١٨٤٢م). . . قطعات مستخلصة من القرآن مع ترجمة إنجليزية باهتمام سير ويليم موير (لندن ١٨٨٠م)، نولده كما تاريخ القرآن (طبع جتينجن ١٨٦٠م) وهو كتاب قيم لا يقدر بثمن. كما أن هناك كتاباً صغيراً مفيداً لعامة قراء القرآن نشرته جمعية نشر المعارف المسيحية.

*78. The Qur'an (Coran, Alcoran): editions by Flügel, Redslob, etc.: Englisg translations by G.Sale (1774, and numerous later editions) J.M.Rodwell (2nd., London, 1876). and Professor E.H.Palmer in Vols. Vi and iX of the sacred Books of the east; French by Kazimirski (Paris 1854); German by Ullman (4thed., Bielefeld, 1857); Concordance (Arabic) by Flugel (Leipzig, 1842); Extracts in the original, with Engl. Trans. Compiled by Sir W.Muie (London, 1880). Nöldeke, Geschichtedes Qorans is invaluable (cottingen 1860). A sueful little book for the general reader on the coran was published by the society for promoting christian knowledge.

٧٩- اشپرنجر: حياة محمد وتعاليمه (في ثلاثة مجلدات، طبع برلين ١٨٦٩م).

79. Sprenger: London und Lehre Mohammeds (3 vols. Berlin, 1869).

*٨٠- ولهاوزن: محمد في المدينة، ترجمة مختصرة لكتاب المغازي للواقدي (طبع برلين ١٨٨٢م).

*80. Wellhausen: Muhammed in Medina, an abridged translation of al-Waqidi's Kitabi;L-Maghazi (Berlin, 1882).

*٨١- نولده: حياة محمد: طبقاً لما ورد في المصادر التي وضعت ليستفيد منها العامة (هانوفر ١٨٦٣م).

*81. Nošldeke: Das Leben Muhammeds, nash des quellen Populär dragestellt (Hannover, 1863).

٨٢- سير ويليم موير: حياة محمد وتاريخ الإسلام (في أربعة أجزاء، طبع لندن ١٨٥٨-٦١م، الطبعة الثالثة ١٨٩٥م).

82. Sir William Muier: Life of Mahomet and History of Islam (4 vols, London, 1858-61: 3rd ed., 1895).

[714]

٨٣- سير ويليم موير: تاريخ الخلافة الأولى (طبع لندن، عام ١٨٨٣م).

83. Annals of the Early Caliphate (London, 1883).

*٨٤- سير ويليم موير: الخلافة، رفعتها وانحطاطها وسقوطها (الطبعة الثانية لندن ١٨٩٢م).

*84. Idem, The Caliphate, its Rise, Decline, And Fall (2nd ed. London, 1892).

٨٥- لودلف كرل: حياة محمد وتعاليمه (طبع لايبزيغ ١٨٨٤م).

85. Ludolf Krehl: Das Leben und die lehre des Muhammed (Leipzig, 1884).

*٨٦- جوستاف وايل: تاريخ الخلفاء (في أربعة مجلدات، طبع منهم واشتوتجارت، ١٨٤٦م حتى ١٨٦٢م. ويقع المجلد الرابع في قسمين، وهو يبحث في الخلافة العباسية في مصر بعد حملة المغول).

*86. Gustav Well: Geschichte der Chalifen (4 vols., Mannheim and Suttgart, 1846-62; Vol, IV, whish is divided into 2 parts treats of the Abbasid Caliphate in Egypt after the Mongol invasion).

*٨٧- سيد أمير علي: زندگانی وتعلیمات محمد وروح إسلام (حياة محمد وتعليماته، وروح الإسلام)، طبع لندن ١٨٩١م. ولسيد أمير علي أيضا دراسات نقدية تدور حول حياة محمد وتعاليمه، وقد نشرت منذ ثمانية عشر عاما تقريبا.

*87. Syed Ameer Ali: Teh life and Teachings of Mohammed and the Spirit of Islam (London, 1891).

Idem, A critical Examination of the life and teachings of Mohammed, Published some eighteen years earlier.

٨٨- فلوجل: تاريخ العرب حتى سقوط خلافة بغداد (الطبعة الثانية لايزيغ ١٨٦٤م).

88. G.Flugel: Geschichte der, Araber bis auf den Sturz des Chalifats von Bagdad (2nd ed., Leipzig, 1864).

٨٩- وايل: تاريخ الأمم الإسلامية بصورة مختصرة (من زمن محمد حتى زمن السلطان سليم). (طبع اشتوتجارت ١٨٦٦م).

89. G. Well: Geschichte der Islamitischen Völker von Mohammed Bis Zur Zeit des Sultan Selim übersichtlic dergestellt (Stuttgatr, 1866).

(ز) الإسلام. الفرق الإسلامية وحضارة الإسلام

[715]*٩٠- دوزي: كتاب تاريخ الدول الإسلامية (طبع ليدن ١٨٦٣م، طبع هارلم ١٨٨٠م)، والترجمة الفرنسية لهذا الكتاب وضعها فيكتور شوفن (طبع ليدن - باريس ١٨٧٩م):

*90. Dazy: Het Islamisme (Leyden. 1863: Haarlem. 1880); French Translation of the same by Victor Chauvin, entitled. Essai sur l'Histoire de l'Islamisme Layden-Paris. 1879).

*٩١- فون كرومر: تاريخ الفرق الإسلامية، طبع لايزيغ ١٨٦٨م.

*91. Alfred Von Kremer: Geschichte der herrschenden Ideen Des Islams; der Gottesbegriff, die prophetie und statsidee (Leipzige 1988).

*٩٢- فون كرومر: الآثار التاريخية لحضارة الممالك الإسلامية أو الدراسات الخاصة بتاريخ الحضارة الإسلامية (طبع لايزيغ ١٨٧٣م).

*92. Idem, Culturgeschichtliche St eifzüge auf dem Gebiete des Islam (Leipzig, 1873).

*٩٣- فون كرومر: تاريخ ثقافة الشرق في عصر الخلفاء (في مجلدين، طبع فيينا ١٨٧٥ - ١٨٧٧م).

*93. Idem Culturgeschichte des Orients under den chalifen (2 vols., Vienna, 1875-77).

*٩٤- دكتور جولد تسيهر: دراسات إسلامية (في مجلدين - طبع هاله، ١٨٨٩ - ٩٠م).

*94. Dr. Ignaz Goldziher: Muhammedanische Studien (2 Vols. Halle. 1889-90).

*٩٥- آرنولد: تعاليم الإسلام، تاريخ انتشار الدين الإسلامي (طبع لندن ١٨٩٦م).

*95. T.W. Arnold: The preaching of Islam. a History of the propagation of the Muslim Faith (LONDON. 1896).

*٩٦- كتاب الملل والنحل للشهرستاني، باهتمام كورتن (طبع لندن ١٨٤٦م)، والترجمة الألمانية لهذا الكتاب، مقترنة بحواشي بقلم هارو كرومر، طبع هاله ١٨٥٠ - ١٨٥١م.

*96. Shahrastani's Kitabul'L-Milal Wa'n Nihal, or Book of Religons and Philosophical sects, edited bu W. Cureton (London, 1846): translated into Germanm with Notes, by Th, Haarbrucker (Halle, 1950-51).

[716]

*٩٧- مقدمة ابن خلدون - مقدّمة على كتاب التاريخ العظيم الذي كتبه ابن خلدون. الفترة بأكملها في سبعة مجلدات (طبع بولاق ١٢٨٤هـ. مع طبعة منفصلة للمقدمة، طبع بيروت ١٨٧٩م) متن المقدمة وترجمتها الفرنسية - قام بتصحيح المتن كاترمر، وقام بالترجمة دوسلان في المجلدات ١٦ - ٢١، وقامت مكتبة فرنسا الوطنية بتلخيص النسخ الخطية.

*97. Ibn Khaldun's prolegomena (or Muqaddamat) to his great history. Complete edition in 7 vols. (Bulq, A. H. 1284; Separated. of the prolegomena (Beyrout, 1879); text and French translation of the prolegomena (the former edited by Quartxé méré, the latter by Masguckin de Slane)) in Vols. XVI-XXI of Notices et Extraits des Manuscrits de la Bibliothèque Nationale.

*٩٨- هيوز: ملاحظات حول الإسلام (طبع لندن، ١٨٧٧ - ١٨٧٨ م). ولنفس المؤلف أيضاً: كتاب معجم الإسلام أو دائرة معارف أصول الإسلام وعقائده وآدابه ورسومه وشعائره واصطلاحاته الفنية والدينية (ط٢، لندن ١٨٩٦ م).

*98. T.p. Hughes: Nites on Muhammadanism (London, 1877, and 1878); Idem. A Dictionary of Islam, being a Cyclopedia of the Doctrines, Rites, Ceremonies and Customs, Together with the technical and theological terms, of the Muhammadan Religion (2nd ed., London, 1896).

*٩٩- اشتاينر: المعتزلة أو ذوو التفكير الحرّ في الإسلام، والمعتزلة هم قادة المشرّعين والفلاسفة... (طبع لا يزيج ١٨٦٥ م).

*99. H.Steiner: Die Mu'taziliten oder die Freidenker in Islam, and Die Mu'taziliten als Vorlaufer der Islamischen Dogmatischer und Philosophen.. both published in Leipzig 1965.

*١٠٠- برونو: الخوارج... (طبع ليدن، ١٨٨٤ م).

*100. Brunnow: Die charidschiten.. (Leyden, 1994).

*١٠١- اشبيتا: حول تاريخ أبي الحسن الأشعري (طبع لا يزيج ١٨٧٦ م).

*101. W. Spitta: Zur Geschichte Abu'L-Hasan al-Ash'ari's (Leipzig 1876).

*١٠٢- جولد تسيهر: الطريقة الظاهرية، منشؤها وطريقتها وتاريخها المختصر باللغة الألمانية (طبع لا يزيج ١٨٨٤ م).

*102 Goldziher: Die schule der Zahiriten, ihr Ursprung, ihr system und ihre Geschichte (Leipzig, 1884).

- ١٠٣- جيار: قطعات خاصة بعقائد الإسماعلية.. مصحوبة بترجمة وحواشي (طبع باريس ١٨٧٤م). ولنفس المؤلف أيضاً: أستاذ كبير من أساتذة الحشاشين (مستخرج من المجلة الآسيوية، طبع باريس عام ١٨٧٧م).
- *103. S. Guyard: Fragments relatifs à la Doctrine des Ismaélis traduction et notes (Paris 1874); Idem, Un grand Maître des Assassins (Extrait du Journal Asiatique, Paris, 1877).
- ١٠٤*- دوساس: شرح عقيدة الدروز (طبع باريس عام ١٨٣٨م في مجلدين).
- *104. S. de Sacy: Exposé de la Religion des Druzes (Paris, 183 Vols.
- ١٠٥*- فون هامر: تاريخ فرقة الحشاشين، الترجمة من الألمانية إلى الفرنسية بقلم الرو دو لانوره (طبع باريس ١٨٣٣م).
- *105. Von Hammer: istoire de L'Ordre des Assassins... traduit de L'Allemand.. par J.J. Hellert et P.A. de la Nourais (Paris, 1833).
- ١٠٦*- ثلوك: التصوف، وحدة الوجود عند الإيرانيين وبقاة من العرفان الشرقي طبع برلين ١٨٢٥م).
- *106. Tholuck, Ssufismus, sive Theosophia persarum Pantheistica (Berlin, 1821); Idem Blüthensammlung aus der Morgenlašn-Mystik (Berlin, 1825).
- ١٠٧*- الدكتور ديتريسي: فلسفة العرب في القرن التاسع والعاشر بعد ميلاد المسيح، اقتباساً عن إلهيات أرسطو ورسائل الفارابي ورسائل إخوان الصفا، (١٦ مجلداً، طبع برلين ولا يزيج وليدن ١٨٥٨ حتى ١٨٩٤م).
- *107. Dr. Dieterici: Die Philosophie der Araber im ix u. X Jahr. n. chr, aus der Theologie des Aristoteles, den Abhandlungen Alfarabis und den Schriften der Lautern Brüder... 16 Bücher (Berlin, Leipzig, Leyden, 1858-94).
- ١٠٨*- البروفسور دوخويه: ملاحظات حول قرامطة البحرين والفاطميين (ليدن ١٨٨٦م).

- *108. Professor de Geoe: Mémoires sur les Carmathes du Bahrain et les Fatimides (Leyden, 1886).

[718] (ح) تراجم الأحوال والفهارس

والتواريخ الأدبية ومعاني البيان وغيرها

- *١٠٩- وفيات الأعيان لابن خلكان، تراجم أحوال كبار المسلمين ومشاهيرهم: النص العربي - باهتمام ووستنفلد (طبع جوتينجن عام ١٨٣٧م - في مجلدين)، الترجمة الإنجليزية مصحوبة بحواشي بقلم دوسلان (٤ مجلدات، طبع باريس ولندن ١٨٤٢ - ١٨٧١م).

- *109. Ibn Kallikan's Wafayatual A'uan, Biographical Dictionary of eminent and Famous Muslims: Arabic Text, edited by Wüstenfeld (Cottingen 1837; 2 Vols.) English translation, with Notes, by the Baron Mac Guckin de Slane (4 vols, Paris and London, 1842-71).

- *١١٠- حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المتن العربي، الترجمة اللاتينية بقلم جوستاف فلوجل (٧ أجزاء - طبع لايبزيغ ٣٥ - ١٨٥٨م).

يلجأ من يرغبون في معرفة الكتب الإسلامية وكتاب الإسلام إلى هذا الكتاب بالضرورة... ولما كان مؤلفه قد مات عام ١٦٥٨م، فإن الكتاب يحوي أسماء كل الكتب العربية والفارسية والتركية باستثناء الجديد منها. وتشتمل طبعة فلوجل على فهارس أبجدية كاملة قيمة.

- *110. haji Khalifa's Bibliographical Dictionary, the Kashfu' dh-Dhunun an asmai'L - Kutub wa'l-Funun, Arabic text with latin translation, by Gustav Flugel (7 vols, Leipzig, 1835-58).

- *١١١- بروكلمن: تاريخ الأدب العربي (المجلد الأول عام ١٨٩٧ - ١٨٩٨م).

(المجلد الثاني الجزء الأول عام ١٨٩٩م - طبع ويمار). يجب ألا يخلط بين هذا الكتاب وبين الكتاب الذي يفوقه شهرة والذي كتبه نفس المؤلف بنفس العنوان.. وهذا الكتاب يجري طبع نصف الجزء السادس منها حالياً في لايبزيغ. (تم طبع النصف الثاني من هذا المجلد في عام ١٩٠١م).

*111. Carl Brockelmann Geschichte der Arabischen Literatur.

١١٢* - الدكتور پال هرن: تاريخ الأدب الفارسي:

*112. Dr. Paul Horn: Geschichte der Arabischen Literatur.

[719]

١١٣- بيتزي: ألف كتاباً صغيراً قيماً باللغة الإيطالية يتصل بالأدب الفارسي منذ أقدم العصور، وذلك إلى جانب كتابه الآخر الذي ألفه حول اللغة الفارسية في عام ١٨٨٣م.

113. Pizzi, Besides his manuale della lingua persiana (1883), has published (in Italian) an excellent little sketch of persian literature from the earliest times).

١١٤- البرفسور نولدكه: بحث في الشعر العربي في عهد الجاهلية (طبع هانوفر ١٨٦٤م).

114. Prof. Th. Nöldeke: Beiträge Zur Kenntniss der Poesie der alten Araber (Hannover, 1864).

١١٥* - ووستنفلد: المؤرخون العرب ومؤلفاتهم (طبع جوتنجن ١٨٨٢م).

*115. F. Wüstenfeld: Die Geschichtschreiber der Araber Und ihre werke (Göttingen, 1882).

١١٦- جيدي: فهرست أبجدي لكتاب الأغاني، يشتمل على:

(١) أسماء الشعراء الواردة أشعارهم في كتاب الأغاني.

(٢) فهرست القوافي.

(٣) فهرست تاريخي.

(٤) فهرست جغرافي.

وقد عاون في إعداده: برونو، فرنكل، ون گلدر، گیرگاس، الوئي. كلاين، زاي بلد، وفون فلوطن. (ونشر في ليدن في الفترة ما بين ١٨٩٥، ١٩٠٠م) وهو مجلد ضخيم مسلسل يقع في ٧٨٠ صفحة، يعدّ مفتاحاً لمن يرغبون في الاستفادة من هذه الخزائن الواسعة الحافلة بالأشعار والحكايات المدرجة في المجلدات العشرين من هذه المجموعة العربية.

116. I.Guidi: Tables alphabétiques du Kitabu'l-Aghani, Comprenant (i) Index des poètes dont le, {Kitab} cite des vers; (ii) Index des rimes; (iii) index historgique; (iv) index géographique redigees avec la collaboration des MM.R.E. Brunnow, S.Fraenkel, H.D. Van Gelder, W.Guirgass. E.Hélouis, H.G.Klein, Fr.Seybold et G.van Volten, (Leyden, 1895-1900).

١١٧- دارمستتر: مبادئ الشعر الفارسي (طبع باريس ١٨٨٧م).

117. Darmesteter: Les Origines de la Poésie persane (Paris, 1887).

[720]

١١٨* - اته: رسالات عديدة حول شعراء إيران القدامى. (انظر الملاحظة رقم ٧ في هامش الصفحة رقم ٦٥٩ من نفس الكتاب، غير أنّ هذا الكتاب غير كامل)، وهناك مقالة حول الأدب الفارسي بالمجلد التاسع من دائرة المعارف البريطانية* ومقالة أخرى في المجلد الثاني من كتاب جايجروكون في مبادئ فقه اللغة الإيرانية (الصفحات من ٢١٢ - ٣٦٨) تحت رقم ١ من هذا الفهرست.

*119. Ethé: Numerous monographs on the early persian poets (see) n.2 on page 452 supra, but this list is by no means complete: article on Persian Literature in the ninth Edition of the Encyclopedia Britannica, and Article in Vol.ii (pp.212-368) of geiger and Kuhn's grundriss (no; L supra).

١١٩- اوزلي = تراجم أحوال شعراء إيران (طبع لندن ١٨٤٦م)، كتاب بهيج ومفيد، ولو أنه منسوخ من عدة جهات.

119. Sir Gore Quseley's Biographical Notices of Persian Poets (London 1846).

١٢٠- كازيميرسكي: مقدمة ديوان منوچهري (طبع باريس ١٨٨٦م).

120. A. De Biberestein Kazimirski, Introduction to his Diwan of Minuchihri (Menoutchehri), Paris, 1886.

١٢١*- ووستنفلد: مدارس العرب وأساتذتها (جوتنجن ١٨٣٧م). تاريخ أطباء العرب وعلماء العلوم الطبيعية (١٨٤٠م).

*121. Wustenfled: Die Akademien der Araber und ihre Lehrer (Gottingen, 1837); Geschichte der Arabischen Aerzte und Naturforscher (1840).

١٢٢*- جلدوين: مقالات في المعاني والبيان والعروض والقافية في الشعر الفارسي (طبع كلكتا عام ١٨٠١م، وقد تجدد طبعه في لندن).

*122. Francis Gladwin: Dissertations on the Rhetoric, Prosody and Rhyme of the persians (Calcutta: reprinted in London, 1801).

١٢٣*- بلوخن: العروض الفارسي (طبع كلكتا ١٨٧٢م).

*123. H.Blochmann: The Prosody of the Persians (Calcutta, 1872).

١٢٤*- فريدريك روكرت: قواعد اللغة وشعر الإيرانيين ومعاني بيانهم. طبعة برج الجديدة (جوتا ١٨٧٤م).

*124. Friedrich Ruckert: Grammatik, Poetik, Und Rhetorik derperser... neu herausgegeben von W.Pertach (Gotha, 1874).

[721] ١٢٥ - هوار: الترجمة الفرنسية لأنيس العشاق لشرف الدين رامي (طبع باريس ١٨٧٥م). دليل قيم للغزل الفارسي.

125. Cl. Huart's French translation (Paris, 1875) of the Anisu'l-Ushshaq of Sharafu'-d-Din Rami

١٢٦ -نولدكه: تاريخ الشرق، الترجمة الإنجليزية (طبع لندن وادينبور ١٨٩٢م).

126. T. Nöldeke: Sketches from Eastern History, Translated by John Sutherland Black (London and Edinburgh, 1892).

١٢٧* - ووستنفلد: موازنة بين العام الهجري والمسيحي (طبع لايبزيج ١٨٥٤م)، تعليق الدكتور مولر (طبع عام ١٨٨٧م). ابتدأت من عام ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م) وانتهت بعام ١٥٠٠هـ (٢٠٧٧م). وهو كتاب ضروري لمن يريد المقارنة بين التاريخين الهجري والمسيحي.

*127. Wustenfled: Vergleichungs Tabellen der Muhammedanischen und Christlichen Zeitrechnung (Leipzig, 1854), With supplement (Fortsetzung) by Dr. Ed. Mahler (Leipzig, 1887).

(ط) الكتب العربية والفارسية الجديدة

سبق أن قلنا إن ما لم يُترجم من مؤلفات عربيّة وفارسيّة إلى الأوروبيّة لم يرد في الفهرست السابق، لأن ذكره كان سيتسبب في إطالة الفهرست، ولن يستفيد من ذكره غالبية القراء ممن لا دراية لهم بالفارسية والعربية.

وربما رغب بعض القراء - الذين يجهلون اللغتين - في دراسة إحداهما أو كليهما، لهذا فإننا نضيف بعض المعلومات المتعلقة بكتب قواعد اللغة والنصوص، ولنجيب في نفس الوقت على أسئلة البعض ممن لا يمتثلون بصلة المعرفة للكاتب.

[722] وقد طبعت مجموعة من الكتب الصغيرة القيّمة في قواعد اللغتين، وذلك ضمن سلسلة منشورات رويتر (H.Reuther) تحت عنوان:

Porta Lingurarum Orientalium Series

وذلك في كارلسروه (Carlsruhe) ولايبزيج. وكل مجلّدات هذه الفترة مؤلّفة في الأصل بالألمانية، إلّا أن بعضها ورد بالإنجليزية (ومن بينها الصرف والنحو العربي، بقلم زوسين) (Socin, Arabic Grammer).

وقد ألف زلمن Salemann وجوكوفسكي Shukovski قواعد اللغة الفارسية في سنة ١٨٨٩م... لكنه باللغة الألمانية وحدها. ولكتاب قواعد زوستين طبعة

أقدم، نشرت في عام ١٨٨٥م. والمختارات التي اختيرت في تلك الطبعة أفضل بكثير من المختارات التي اختيرت في الطبعة التالية. وقد انتقى برونو Brunnow أفضل قطعات هذا الكتاب العربية، وطبعها منفصلة عام ١٨٩٥م تحت عنوان مختارات عربية.. وذلك ضمن هذه السلسلة المنشورة نفسها.

والدارس الذي ينبغي معرفة اللغة العربية إلى حد ما، تكفيه طبعة عام ١٨٨٥م وحدها. ولما كان من المحال أن يقتني تلك الطبعة، ولما كان مضطراً إلى الاكتفاء بالطبعة التالية.. فإن الواجب عليه أن يقتني مجموعة مختارات هذه الطبعة.

وفي كلا الكتاين - سواء قواعد اللغة العربية أو قواعد اللغة الفارسية - يوجد فهرس قيم لأهم الكتب اللازمة للباحثين في اللغتين. وتشاهد في هذين المؤلفين الصغيرين القيمتين معلومات تامة في هذا الموضوع لاداعي لتكرارها.

وأفضل كتاب لدراسة العربية هو كتاب الصرف والنحو (الطبعة الثالثة) لرايت، وقد راجعه اسميث W.B.Robertson Smith ودوخويه. وقد طبع في مجلدين بكمبريدج فيما بين عامي ٩٦ - ١٨٩٨م وعلى الرغم من أن كتاب بالمر Palmer (نشر لندن عام ١٨٧٤م) ليس كاملاً أو دقيقاً كما ينبغي... فإنه أيسر للقارئ وأمتع.

[723] وأنفع وأصغر كتاب يتصل بالكلمات العربية ومعناها بالفرنسية هو قاموس بلو.

(Belot, Vocabulaire Arabe-Français à l'usage des Etudiants).

وهو كامل إلى حد ما ومفيد للتلاميذ. وقد نشرت طبعته الرابعة في بيروت عام ١٧٩٦م. والكتاب يحتوي على ١٠٠١ صفحة، ويصل ثمنه إلى ١٠ شلنات تقريباً.

والقواميس الأخرى هي:

قاموس فرنسي عربي (يقع في ١٦٠٩ صفحة - طبع بيروت ١٨٩٠)^(١)،
الفترة العملية للغة العربية (لنفس المؤلف، طبع بيروت ١٨٩٦)^(٢).

قاموس كازيميرسكي: أكمل وأكبر وأفضل من غيره، لكنه ثمنه يصل إلى أربعة أو خمسة أضعاف ثمن غيره^(٣). وقد طبع في باريس في مجلدين،

(١) Dictionnaire Français-Arabe-Français A3 L'usage des Etudiants.

(٢) cours Pratique de la Langue Arabe (Beyroth, 1896).

(٣) A.de Biberstein Kazimérski, Dictionnaire Arabe-Français.

أولهما يتكون من ١٣٩٢ صفحة، والثاني من ١٦٣٨ صفحة، وذلك في السنوات ما بين ١٨٤٦، ١٨٦٠م. وقد وضع دوزي تنمة قيّمة للقواميس العربية (طبع الكتاب في لندن عام ١٨٨١م في مجلدين، الأول ٨٦٤ صفحة، والثاني ٨٥٦ صفحة).

وقد ألّف دوزي (Dozy) قاموساً نفيساً عظيماً كبيراً (عربي - إنجليزي)، كما ألّف اشتاينجاس قاموساً لنفس الغرض، نشر في لندن عام ١٨٨٤م. كما طبع سلمونه (Salmoné) قاموسه (عربي - إنجليزي) في لندن عام ١٨٩٠م.

هذا، وعدد الكتب التي كتبت حول المفردات الفارسية وقواعد اللغة الفارسية كبير، إلا أنّ تحديد الأفضل من بينها أصعب من تحديد أفضل قاموس عربي أو أفضل كتاب في النحو والصرف العربي. واللغة الفارسية سهلة إلى حد ما، ولهذا فإن أي كتاب يكتب في قواعدها - وتبذل في كتابته العناية اللازمة - يكون كافياً لتعليمها. ولا يوجد إلى الآن كتاب يبلغ حد الكمال في ذلك الشأن ومازلنا في انتظاره.

وهذه أهم الكتب التي يستفاد منها في إنجلترا:

قواعد اللغة الفارسية، تأليف فربز (Forbes) - الطبعة الرابعة، لندن ١٨٦٩م.

قواعد اللغة الفارسية، تأليف ميرزا إبراهيم، طبع هيلي بري Haileybury بلندن، عام ١٨٤٣م، وقد ترجم فلاشر هذا الكتاب إلى الألمانية، وتم نشره في لايبزيغ في السنوات ١٨٤٧، ١٨٧٥م.

[724] قواعد اللغة الفارسية، تأليف پلتس Platts (الجزء الأول: التراكيب، لندن ١٨٩٤).

قواعد اللغة الفارسية، تأليف روزن Rosen (وقد ترجمه الدكتور دنسين روس E.Denson Ross إلى الإنجليزية)، وهو يفيد في معرفة الموضوعات المتداولة أكثر من غيرها.

وقد كتب كازيميرسكي كتاباً بالفرنسية يستحق المديح، أسماه: محادثات فرنسية باللغة الفارسية. استعرض في بدايته قواعد اللغة الفارسية باختصار، وأنهاه بمعجم للكلمات (فرنسي - فارسي)، ونشره في باريس عام ١٨٨٣م. (A.De Biberstein Kazimirski)

أما بقية المؤلفين - الذين كتبوا القواعد الفارسية بالفرنسية فهم:

شود زكو Chodzko (١٨٥٢ و ١٨٨٣م)، جيار Guyard (١٨٨٠م)، هوارد Huart (١٨٩٩م)، ونيكلا الذي ألف كتاباً في المحادثات الفارسية الفرنسية، وألف كتاباً آخر في الكلمات الفرنسية وما يقابلها بالفارسية^(١).

وإلى جانب الكتّاب اللذين مر ذكرهما ألف وارموند Wahrmond كتاباً بالألمانية، طبع في جيسن Giessen عام ١٨٧٥م.

كما ألف بيتزي Pizzi كتاباً بالإيطالية ورد ذكره في الفهرست السابق تحت رقم ١١٣. وكتب فولرس في جيسن كتاباً باللغة اللاتينية (عام ١٨٧٠م) [725] في قواعد اللغة الفارسية^(٢). وأفضل قاموس صغير (فارسي - انجليزي) وبالعكس.. هو قاموس پامر E.H.Palmer وهناك قواميس أكبر، منها: اشتاينجاس Steingass (فارسي - انجليزي)، ويقع في ١٥٣٩ صفحة، وقد طبع في لندن عام ١٨٩٢م. ونشر في لندن عامي ١٨٨٢ و ١٨٨٩م مجلدان يحويان كلمات إنجليزية وما يقابلها بالفارسية، وذلك بفضل والستن Wollaston ومساعدة ميرزا محمد باقر بواناتي. (المجلد الأول كبير والآخر صغير). (ارجع إلى صفححة ٥٦٦ من هذا الكتاب).

وهناك قاموس (فارسي - لاتيني) مصحوب باشتقاقات، يقع في مجلدين كبيرين، ألفه فولرس، وتم طبعه في بون عام ١٨٥٥ - ١٨٦٧م^(٣). وعلى

(١) J.B.Nicolas, Dialogues Persans-Français (1857) et Dictionnaire Français - Persans (1885-1887)

(٢) Vüllers, Grammatica Linguae persicae (Giessen, 1870).

(٣) Vüllers, Lexicon Persico Latinum Etymologicum (2 larg vols., Bonn 1855-67).

الرغم من أنه كتاب جاف سيء التنظيم فإنه يشكّل أهمية للدارس، وهو ضروري طالما أنّ الدارس لم يحط علماً بالفارسية بالقدر الكافي الذي يمكنه أن يفيد من الكتب الرئيسية التي أخذ عنها هذا الكتاب، ونعني بها برهان قاطع وفرهنگ رشیدی، وغيرهما. ولا يوجد بين كتب القراءة كتاباً يفضل گلستان السعدي، وقد نشرت طبقات جيدة لهذا الكتاب مصحوبة بفهرس كامل للكلمات والمعاني وترجمة للنص وضعها إيست ویک East Wick وپلٹس Platts.

**المصادر والمراجع التي رجع إليها
المترجم العربي**

ثَبَّتَ بالمراجع والمصادر التي أفاد منها المترجم إلى العربية

«هذا الثبُّ مرتَّبٌ على حروف، والكلمات مجرَّدة من أداة التعريف (ال) ومن كلمة (ابن) وكلمة (أبو)».

- ١ - آذر: آشكده، بمباي ١٢٧٧هـ = ١٨٦٠م.
- ٢ - الآمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر): الموازنة بين أبي تمام والبحري، تحقيق السيد صقر، طبع القاهرة ١٩٧٨م؛ ١٣٩٨هـ. طبع الأستانة، مطبعة الجوائب (بدون تاريخ).
- ٣ - ابن الأثير: تاريخ ابن الأثير، مصر ١٢٨٩ - ١٨٧٢م. الكامل في التاريخ، ليدن ١٨٦٣م = ١٢٨٠هـ. تاريخ الكامل، ٣٠٣هـ = ١٨٨٥م. اللباب في تهذيب الأنساب، القاهرة ١٣٥٧هـ = ١٩٣٨م.
- ٤ - إحسان إشرافي: شاهنامه ازديدگاه وحدت ملی، مجله هنرومردم، ١٣٥٤هـ.ش.
- ٥ - أحمد حامد الصراف: عمر الخيام الحكيم الرياضي الفلكي النيشابوري، بغداد ١٩٦٠م = ١٣٨٠هـ.
- ٦ - أحمد الصافي النجفي: رباعيات عمر الخيام، المكتبة العصرية، بيروت (بدون تاريخ).
- ٧ - أحمد صبحي: الكيمياء وجابر بن حيان، سلسلة أعلام العرب سنة ١٩٦٨، ١٩٧٥م = ١٣٨٨، ١٣٩٥هـ.
- ٨ - أحمد كمال الدين حلمي: عمر الخيام: عصراً وبيئةً ونتاجاً، نشر دار

- العروبة بالكويت، الخانجي بالقاهرة ١٩٩٥م = ١٤١٥هـ.
- ٩ - أحمد كمال الدين حلمي: ٣٥٠٠ عام من عمر إيران، ج ١، الكويت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.
- ١٠ - مقال «نشأة الشعر الفارسي قبل الإسلام وبعده». مجلة الشعر، القاهرة، العدد ٢١، يناير ١٩٨١م = ١٤٠١هـ.
- ١١ - النارة تتكلم، مؤسسة الصباح بالكويت، ١٩٧٩م = ١٣٩٩هـ.
- ١٢ - الربيع (بهارستان)، ترجمة وتعليق أحمد كمال الدين، جامعة الكويت ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.
- ١٣ - مقال «بين المعري والخيام»، مجلة الشعر، العدد ١٧، القاهرة ١٩٨٠م = ١٤٠٠هـ.
- ١٤ - عبدالرحمن الجامي، تعريف به وإنتاجه، رسالة ماجستير، آداب عين شمس ١٩٦٦م = ١٣٨٦هـ (لم تطبع).
- ١٥ - الأنوري، عصره وبيئته وشعره، رسالة دكتوراه، آداب عين شمس ١٩٧١م = ١٣٩١هـ.
- ١٦ - مقال «فروغى وشاهنامه الفردوسي»، مجلة الشعر، القاهرة، العدد ١٩، عام ١٩٨٠م = ١٤٠٠هـ.
- ١٧ - السلاجقة في التاريخ والحضارة، الكويت ١٩٧٥م، ١٩٨٦م (١٣٩٥، ١٤٠٦هـ).
- ١٨ - مقال «الفكر والشعر في حياة ناصر خسرو» مجلة الشعر، القاهرة، العدد ٣٣، ٣٤، عام ١٩٨٤م = ١٤٠٤هـ.

- ١٩ - أحمد كمال الدين حلمي: مقال «التأثير والتأثر بين الأدبين العربي والفارسي» ضمن كتاب أبي ريده التذكري، طبع جامعة الكويت. ١٩٩٣م = ١٤١٣هـ.
- ٢٠ - مقال «الآداب الفارسيّة في ظلّ الإسلام والعربيّة، ضمن كتاب (دراسات في الأدب واللغة، نشر جامعة الكويت ٧٦ - ١٩٧٧م (٩٦ - ١٣٩٧هـ).
- ٢١ - مقال «شاهنامه الفردوسي، ملحمة الفرس الخالدة» مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد الأول، المجلد ١٦.
- ٢٢ - مقال «شاهنامه الفردوسي - مصدر من مصادر الدولة الساسانيّة»، مجلة الثقافة العربيّة، جامعة الكويت ١٩٧٢م = ١٣٩٢هـ.
- ٢٣ - مقال «السلطان والشاعر والشاهنامه»، مجلة البيان، الكويت، عام ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.
- ٢٤ - إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا، القاهرة ١٣٠٦هـ = ١٨٨٨م.
- ٢٥ - الأربلي (محمد أمين الكردي): المواهب السمرديّة في مناقب التقشبنديّة، مصر ١٣٢٩هـ = ١٩١١م.
- ٢٦ - ابن اسفنديار: تاريخ طبرستان، تهران ١٣٢٠هـ. ش.
- ٢٧ - ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م.
- ٢٨ - أنطون سيف: الكندي ومكانته عند مؤرّخي الفلسفة العربيّة، بيروت ١٩٨٥م = ١٤٠٥هـ.
- ٢٩ - أنوري: مقدّمة سعيد نفيسي على ديوان الأنوري، طبعة تهران ١٣٣٧هـ. ش.

- ٣٠ - الباخريزي (حسين بن علي)
دمية القصر، حلب ١٣٤٩هـ = ١٩٣٠م.
- ٣١ - براون (إدوارد جرنفيل): تاريخ الأدب في إيران، ج ١، ترجمة أحمد كمال، نشر جامعة الكويت ١٩٨٤م، ١٩٩٤م (١٤٠٤هـ، ١٩١٤هـ).
- ٣٢ - : تاريخ الأدب في إيران، ج ٢، ترجمة الشواربي، القاهرة ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م.
- ٣٣ - : تاريخ أدبي إيران از سعدي تاجامي، ترجمة على أصغر حكمت، تهران ١٣٢٧هـ = ١٩٤٨م.
- ٣٤ - البستاني: دائرة معارف البستاني، بيروت ١٨٧٦م - ١٨٧٧م (١٢٩٣هـ = ١٢٩٤هـ).
- ٣٥ - بسودي: مرآة الخيال، طبع تهران (بدون تاريخ).
- ٣٦ - بشار بن برد: ديوان بشار بن برد، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٧م = ١٣٧٧هـ.
- ٣٧ - البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن ١٣٢٧هـ = ١٩٠٩م.
- ٣٨ - البغدادي: الفرق بين الفرق، طبعة ١٣٧٩هـ = ١٩٥٩م.
- ٣٩ - البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق محمد رضوان، مصر ١٣٧٩هـ = ١٩٥٩م.
- ٤٠ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان، حيدر آباد الدكن ١٣٢٧هـ. ش.
- ٤١ - ابن البلخي: فارسنامه، لندن ١٣٤٠هـ = ١٩٢١م.
- ٤٢ - بهار (محمد تقي): سبك شناسي يا تاريخ تطوّر نثر فارسي (جلد دوم)، تهران ١٣٢١هـ. ش.
- ٤٣ - البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر، حيدر آباد ١٣٥٥هـ = ١٩٣٦م.

: رسالة لليروني في فهرست كتب محمد بن زكريا
الرازي، نشربول كراوس، مطبعة القلم سنة ١٣٥٥هـ.
١٩٣٦م.

- ٤٤ - تاريخ سيستان، طبع كلاله خاور ١٣١٤هـ. ش.
٤٥ - تربيت (محمد علي): دانشمندان آذربيجان، طهران ١٣١٤هـ = ١٨٩٦م.
٤٦ - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، مصر ١٣٤٨هـ
= ١٩٢٩م؛ ج ٥ مصر ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م.
٤٧ - التفتازاني (أبو الوفا): إخوان الصفا وخلق الوفا، رسالة مقدمة لجامعة
بيروت ١٣٧٧هـ = ١٩٥٧م.
٤٨ - التنوخي (أبو علي الحسن): نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، القاهرة
١٣٤٠هـ = ١٩٢١م.
٤٩ - توفيق الفيل: مقال «بلاغة التشبيه في القرآن الكريم»، ضمن كتاب
قضايا الأدب واللغة، الكويت ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.
٥٠ - الثعالبي النيشابوري: يتيمة الدهر، القاهرة ١٣٥٣هـ = ١٩٣٤م.
الثنالبي النيشابوري: تاريخ غرر السير في أخبار ملوك
الفرس وسيرهم، تهران ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م.
٥١ - الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر):
البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هرون، مصر ٤٨ -
١٩٤٩م = ٦٨ - ١٣٦٩هـ، بغداد ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م.
التربيع والتدوير، تحقيق شارل بيلا، ١٣٧٥هـ =
١٩٥٥م.
الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، مصر ١٣٧٨هـ =
١٩٥٨م.
المحاسن والأضداد، القاهرة ١٣٥١هـ = ١٩٣٢م،
بيروت ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م.

البخلاء، تحقيق طه الحاجري، مصر ١٣٧٨هـ = ١٩٥٨م،

تحقيق هارون ١٣٦٣هـ = ١٩٤٣م.

٥٢ - العجامي (عبدالرحمن): نفحات الأنس، لكنو ١٣٣٣هـ = ١٩١٥م.

: بهارستان، فينا ١٢٦١هـ = ١٨٤٥م.

٥٣ - جبور عبدالنور: الصابئة وأثرها في الفكر العربي، مجلة الكتاب ج ٢ السنة

الأولى، ج ٧، دار المعارف، مايو ١٩٤٦م = ١٣٦٦هـ.

٥٤ - جمال الدين (محمد السعيد): دراسات في تاريخ المغول والعالم

الإسلامي، القاهرة.

٥٥ - ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر آباد الدكن

١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م، القاهرة ١٣٧٧هـ = ١٩٥٧م.

ابن الجوزي: صفة الصفوة، طبع حيدر آباد ١٣٥٥هـ

= ١٩٣٦م.

٥٦ - جولد تسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام، دار الكاتب المصري،

القاهرة ١٣٦٦هـ = ١٩٤٦م.

٥٧ - حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ليزج ١٢٧٥هـ

= ١٨٥٨م، استانبول ج ١، ١٣٦٠هـ = ١٩٤١م.

٥٨ - حافظ شیرازی: دیوان خواجہ شمس الدین محمد حافظ شیرازی،

نشر فخر الرازي، ١٣٧١ = ١٩٥١م.

٥٩ - حجاب (محمد فريد): الفلسفة السياسية عند إخوان الصفا، الهيئة العامة

للكتاب ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

٦٠ - ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام، تصحيح أحمد شاكر،

القاهرة ١٣٤٨هـ = ١٩٢٩م.

الفصل في الملل والأهواء والنحل، بغداد (دون

تاريخ).

- ٦١ - حسام محيي الدين الألوسي: فلسفة الكندي وآراء القدامى والمحدثين فيه، بيروت ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.
- ٦٢ - أبو الحسن علي بن هارون: النوروز والمهرجان.
- ٦٣ - الحسنی (السيد عبدالرازق): الصابئة قديماً وحديثاً، مصر ١٣٥٠هـ = ١٩٣١م.
- ٦٤ - حمدالله مستوفى قزويني: نزهت القلوب، ليدن ١٣٣١هـ = ١٩١٣م.
- : چهار مقاله، تهران ١٣١١هـ. ش، بمبای ١٣٢١هـ = ١٩٠٣م؛ (تعريب عزام والخشاب)، القاهرة ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م.
- : تاريخ كزیده، طهران ١٣٣٩هـ. ش.
- ٦٥ - حمزة الأصفهاني: الأشعار السائرة في النيروز.
- ٦٦ - خاقاني: تحفة العراقيين، لکنو ١٢٩٤هـ = ١٨٧٧م
- ديوان خاقاني، نشر علي عبدالرسول، تهران ١٣١٦هـ. ش.
- ٦٧ - خانلري (پرويزناتال) حول وزن الشعر (ترجمة محمد محمد يونس)، القاهرة ١٤١١هـ = ١٩٩١م.
- ٦٨ - خديجة الحديثي: مقال «موقف سيويه من الضرورة» ضمن كتاب: (دراسات في الأدب واللغة)، نشر جامعة الكويت ٧٦ - ١٩٧٧ = ٩٦ - ١٣٩٧هـ.
- ٦٩ - ابن خردادبه: المسالك والممالك، ليدن ١٣٢٤هـ = ١٩٠٦م.
- ٧٠ - الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد أو مدينة السلام، بيروت (بدون تاريخ).
- ٧١ - ابن خلّكان: وفيات الأعيان، مصر ١٢٧٥هـ = ١٨٥٨م، ١٢٨٣هـ = ١٨٦٦م، ١٣١٠هـ = ١٨٩٢م.
- ٧٢ - خواندمير: حبيب السیر في أخبار أفراد البشر، تهران ١٣٣٣هـ. ش، بمبای ١٢٧٣هـ = ١٨٥٨م.

- ٧٣ - الخولي وآخرون: دراسات ومختارات فارسيّة، دار الرائد العربي ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م.
- ٧٤ - الدمشقي (شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي طالب):
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ليزج ٤٢ - ١٣٤٣هـ = ١٩٢٣م.
- ٧٥ - دولتشاه: تذكرة الشعراء، ليدن ١٣١٨هـ = ١٩٠٠م.
- ٧٦ - الدينوري: الأخبار الطوال، مصر ١٣٣٠هـ = ١٩١١م، ليدن ١٣٠٦هـ = ١٨٨٨م.
- ٧٧ - الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، القاهرة ١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م.
- ٧٨ - رابحة نعمان عبداللطيف: مقال «الإنسان عند إخوان الصفا» بالكتاب التذكاري الخاص بأبي ريده، نشر جامعة الكويت ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م.
- ٧٩ - الرازي: تذكرة هفت اقليم، كلكتة، ١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م.
- ٨٠ - رضا بازوكي: تاريخ ايران از مغول تا افشاريه، ١٣١٧هـ = ١٨٩٩م.
- ٨١ - رضا زاده شفق: تاريخ أدبيات إيران، تهران ١٣٢١هـ = ١٩٠٣م.
- رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ترجمة محمد موسى هنداوي، القاهرة ١٣٦٧هـ = ١٩٤٧م.
- ٨٢ - رضا قليخان هدايت: مجمع الفصحاء، طهران ١٢٩٢هـ - ١٢٩٥هـ = (١٨٧٥ - ١٨٧٨م).
- : تذكرة المحققين (رياض العارفين)، طهران ١٣٠٥هـ - ١٣١٦هـ = (١٨٧٧ - ١٨٩٨م).
- ٨٣ - أبو ريده (محمد عبدالهادي): «رسائل الكندي الفلسفيّة، تحقيق وتقديم وتعليق»، دار الفكر العربي ١٣٧٠هـ = ١٩٥٠م.

- ٨٤ - الزركلي (خير الدين): قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، القاهرة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م.
- ٨٥ - زكي نجيب محمود: جابر بن حيان، سلسلة أعلام العرب؛ ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م. ط ٢ الهيئة العصرية العامة للكتاب ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- ٨٦ - الزمخشري (محمود بن عمر بن محمد أحمد جار الله أبو القاسم): الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل من وجوه التنزيل، بيروت ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٧ م، مطبعة الاستقامة ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٦ م.
- ٨٧ - سام ميرزاي صفوي: تحفه سامي، صحيفه پنجم، بتنه ٩٤٣، تهران ١٣١٤ هـ.ش.
- ٨٨ - ابن سعد: الطبقات، ليدن ١٣٢٢ هـ = ١٩٠٤ م، بيروت ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٧ م.
- ٨٩ - سعدي شيرازي: گلستان سعدي، تعليق ميرزا عبد العظيم جرجاني، تهران ١٣١٠ هـ.ش.
- ٩٠ - كليّات سعدي، بمباي ١٣٠١ هـ = ١٨٨٣ م.
- ٩١ - السلمي (أبو عبد الرحمن): طبقات الصوفيّة، كتاب الشعب ٩٢، القاهرة ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م.
- ٩٢ - السمعاني (أبو سعيد عبد الكريم التميمي): الأنساب، ليدن ١٣٣١ هـ = ١٩١٢ م.
- ٩٣ - سهام عبد الوهاب الفريخ: الجوّاري والشعر في العصر العباسي الأول، الكويت ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م.
- ٩٤ - سيويه (أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر): الكتاب، مصر ١٣١٦ هـ = ١٨٩٨ م.
- ٩٥ - السيوطي: طبقات المفسّرين، ليدن ١٢٥٥ هـ = ١٨٣٩ م.

- ٩٦ - ابن شاعر الكتبي: فوات الوفيات، القاهرة ١٢٩٩هـ = ١٨٨١م.
- ٩٧ - شبلي نعماني: شعر العجم (تاريخ شعرا وادبيات ايران) ج ١، تهران ١٣١٦هـ، ج ٤، تهران ١٣١٤هـ.
- ٩٨ - الشعراني (عبد الوهاب): طبقات الشعراني (الطبقات الكبرى).
- ٩٩ - شكري فيصل: أبو العتاهية (أشعاره وأخباره)، طبع جامعة دمشق ١٨٣٥هـ = ١٩٦٥م.
- ١٠٠ - شمس القيس الرازي: المعجم في معايير أشعار العجم، بيروت ١٣٢٧هـ = ١٩٠٩م.
- ١٠١ - شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف (على هامش الإحياء للغزالي)، مصر ١٣٠٢هـ = ١٨٨٤م.
- ١٠٢ - الشهرستاني (عبد الكريم): الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، ج ١، ج ٢، بيروت.
- ١٠٣ - شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، القاهرة ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م.
- ١٠٤ - الشواربي (ابراهيم أمين): حافظ الشيرازي: شاعر الغناء والغزل في إيران، دار المعارف ١٣٦٤هـ = ١٩٤٤م.
- : أغاني شيراز، القاهرة ١٣٦٢، ١٣٦٤هـ = ١٩٤٣، ١٩٤٧م.
- ١٠٥ - طباطبا (محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، القاهرة ١٣٥٧هـ = ١٩٣٨م.
- ١٠٦ - الطبري (محمد بن جرير): تاريخ الأمم والملوك، القاهرة ١٣٣٦هـ = ١٩١٧م، لندن ١٢٩٧ - ١٣١٩هـ = ١٨٧٩ - ١٩٠١م.

الطبري (محمد بن جرير): جامع البيان، بولاق
١٣٢٨هـ = ١٩١٠م.

١٠٧ - الطرازي (نصر الله مبشر): كشف اللثام عن رباعيات الخيام، القاهرة.
: نور الدين عبد الرحمن الجامي، فهرس بمؤلفاته
المخطوطة والمطبوعة التي تفتنيها دار الكتب بمصر،
١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م.

١٠٨ - طه الحاجري: الجاحظ: حياته وآثاره، دار المعارف ١٣٨٢ هـ =
١٩٦٢م.

١٠٩ - ظهير الفاريابي: ديوان ظهير فاريابي، لكنو ١٢٩٧هـ = ١٨٨٩م.
١١٠ - عاطف العراقي: النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد، القاهرة ١٣٨٨هـ =
١٩٦٨م.

: المنهج النقدي في فلسفة ابن رشد، القاهرة
١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

١١١ - عباس بن محمد رضا القس:
هدية الأحاب في ذكر المعروفين بالكُنى والألقاب
والأنساب، العراق ١٣٤٩هـ = ١٩٣٠م.

١١٢ - عبد الباقي سرور: رابعة العدوية والحياة الروحية في الإسلام، مصر.
١١٣ - ابن عبد البر الأندلسي: بهجة المجالس، تحقيق محمد مرسى الخولي،
دار الكاتب العربي.

١١٤ - عبد الحق فاضل: ثورة الخيام، القاهرة ١٣٧١ هـ = ١٩٥١م.
١١٥ - عبد الفتاح عليان: قرامطة العراق، ج ٥، مصر ١٣١٨هـ = ١٩٠٠م.
١١٦ - العتبي: تاريخ اليميني، القاهرة ١٢٨٦هـ = ١٨٦٩م.

١١٧ - العروسي (مصطفى بن محمد): نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني
شرح الرسالة القشيرية، مصر ١٢٩٠هـ = ١٨٧٣م.

١١٨ - أبو العزائم (محمد ماضي): الإسلام دين الله، مصر (بدون تاريخ).

- ١١٩ - عزمي طه السيد أحمد: الكندي ورأيه في العالم بالمقارنة مع أفلاطون وأرسطو، رسالة بجامعة الكويت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م (لم تنشر).
- عزمي طه: رسائل الكندي الفلسفية، رسائل الكندي الطبيعية، (جزءان)، القاهرة.
- ١٢٠ - عطا ملك الجويني: جهانگشا، طبع طهران بإشراف سيد جلال الدين تهراني، ليدن ١٩١١، ١٩١٦، ١٩٣٧م = (١٣٢٩، ١٣٣٥، ١٣٥٦هـ)، لندن ١٣٤٠هـ = ١٩٢١م.
- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، القاهرة ١٣٥١هـ = ١٩٣٢م.
- ١٢٢ - عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، القاهرة.
- ١٢٣ - عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.
- ١٢٤ - عوفي (محمد): جوامع الحكايات ولوامع الروايات، طهران ١٣٢٤هـ.ش، ١٣٣٥هـ.ش.
- عوفي (محمد): لباب الألباب، ليدن ١٣٢١هـ = ١٩٠٣م، تهران ١٣٢٥هـ.ش.
- ١٢٥ - الغزالي (أبو حامد محمد): إحياء علوم الدين، القاهرة ١٣٠٦هـ = ١٨٨٨م.
- الغزالي (أبو حامد محمد): المنقذ من الضلال، القاهرة ١٣٧٢هـ = ١٩٥٢م.
- الغزالي (أبو حامد محمد): القسطاس المستقيم، تحقيق الشيخ محمد مصطفى أبو العلا.
- : القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي، القاهرة (بدون تاريخ).
- ١٢٦ - الفارابي: الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون وأرسطو،

القاهرة.

: فصوص الحكم، طبع القاهرة ١٣٧٠هـ =
١٩٥٠م.

: فصل المقال، طبع القاهرة ١٣٦٩هـ = ١٩٤٩م.

١٢٧ - أبو الفدا الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل:

المختصر في أخبار البشر، ج٢ القاهرة ١٣٢٥هـ =
١٩٠٧م، استانبول ١٣٤٠هـ = ١٣٥٩م.

١٢٨ - أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، القاهرة ١٣٤٧هـ = ١٩٢٨م، بيروت
١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م، ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م.

١٢٩ - الفُرُخي (أبو الحسن السجزي): ديوان الفُرُخي، تهران ١٣٦٥هـ.ش.

١٣٠ - فرهاني (حسين): شرح مشكلات ديوان أنوري، تهران ١٣٤٠هـ.ش.

١٣١ - فريد الدين العطار: تذكرة الأولياء، ليدن ١٣٢٢هـ = ١٩٠٥م، تهران
١٣٤٦هـ.ش.

١٣٢ - فؤاد عبد المعطي الصّياد: المغول في التاريخ، ج ١ بيروت، ١٣٩٠هـ =
١٩٧٠م.

: النوروز وأثره في الأدب العربي، طبع جامعة
بيروت ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.

١٣٣ - ابن قتيبة (عبدالله بن مسلم): عيون الأخبار: مصر ١٣٨٠، ١٣٨٣هـ =
١٩٦٠م، ١٩٦٣م.

: تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد صقر، دار
التراث ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م.

: الشعر والشعراء، تحقيق أحمد شاكر، ج ١، مصر
١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م، ج ٢، مصر ١٣٨٧هـ =
١٩٦٧م.

١٣٤ - القرآن الكريم، ومعه «زبدة التفسير من فتح العلي القدير» لمحمد سليمان

- عبدالله الأشقر طبع وزارة الأوقاف بالكويت، ط ٢
عام ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.
- ١٣٥ - القشيري (أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن):
الرسالة القشيرية، القاهرة ١٢٨٤ هـ، ١٣٠٠ هـ =
١٨٦٧ م، ١٨٨٢ م.
- ١٣٦ - الكاشفي الهروي (علي بن حسين الواعظ):
رشحات عين الحياة (ترجمة القزاني)، مكة ١٣٠٧ هـ
= ١٨٨٩ م.
- ١٣٧ - المبرد (محمد بن زيد): الكامل في اللغة والأدب والنحو والصرف،
القاهرة ١٣٥٥، ١٣٧٦ هـ = ١٩٣٦، ١٩٥٦ م.
- ١٣٨ - المتنبي:
ديوان المتنبي (شرح أبي البقاء العكبري)، تحقيق
مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي،
٤ أجزاء، مصر ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م.
- ١٣٩ - محمد رضا المظفر: عقائد الإمامية، القاهرة ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م.
- ١٤٠ - محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار
إحياء التراث العربي، بيروت (دون تاريخ)، دار
الكتب المصرية ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م.
- ١٤١ - مجتبي مينيوي: مقدمة ديوان ناصر خسرو، تهران ١٣٥٣ هـ.ش.
- ١٤٢ - المرعشي: تاريخ طبرستان، سانت بطرسبرج.
- ١٤٣ - المسعودي: التنبيه والإشراف، لندن ١٣١١ هـ = ١٨٩٣ م.
- المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، باريس
١٨٦١ - ١٨٧٧ م = ١٢٧٨ - ١٢٩٤ هـ، بيروت
١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م.
- ١٤٤ - أبو المعالي نصر الله بن محمد بن عبد الحميد: كليله ودمنه، تهران
١٣١١ هـ.ش.

- ١٤٥ - منوچهری (أبو النجم أحمد بن موسى بن أحمد):
دیوان منوچهری، تهران (طبعة حجرية).
- ١٤٦ - مهدي غروري: جو سياسي واجتماعي ايران هنگام ظهور فردوسي
وخلق شاهنامه، مجله هنر ومردم ١٣٥٤هـ. ش.
- ١٤٧ - مهدي محمدي: مقال «شاهنامه فردوسي وتاجنامه هاي ساساني»،
مجله هنر ومردم ١٣٥٤هـ. ش.
- ١٤٨ - ميرفت عزت بالي: مقال «الصباثة والحرناثية... عقيدة ومذهباً»، ضمن
كتاب أبي ريدہ التذکاري، نشر قسم الفلسفة - جامعة
الكويت ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م.
- ١٤٩ - ناصر خسرو: ديوان قصائد ومقطعات حكيم ناصر خسرو، طهران
١٣٠٤ - ١٣٠٧ هـ. ش.
- ١٥٠ - ناصري (سيد حسن سادات): فردوسي وشاهنامه، مجله هنر ومردم
١٣٥٤هـ. ش.
- : حكيم ناصر خسرو وديگر شاعران، مشهد
١٣٥٣هـ. ش.
- ١٥١ - النديم (محمد بن اسحق): الفهرست، مصر ١٣٤٨هـ = ١٩٢٩م،
بيروت ١٢٨٨هـ = ١٨٧١م.
- ١٥٢ - نسيم الغيت: التجديد في وصف الطبيعة بين أبي تمام والمتنبي،
١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.
- ١٥٣ - نظام الملك: سياستنامه، طهران ١٣٢٠هـ. ش.
- ١٥٤ - نظامي عروضي سمرقندي: چهار مقاله، تهران ١٣١١هـ. ش.
- ١٥٥ - أبو نعوم أحمد الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، القاهرة
١٣٥١ - ١٣٥٧هـ = ١٩٣٢ - ١٩٣٨م.
- ١٥٦ - أبو نواس (الحسن بن هاني): ديوان أبي نواس، مصر ١٣١٦هـ =
١٨٩٨م، بيروت ١٣٤٥هـ = ١٩٦٢م.

- ١٥٧ - النوبختي (أبو الحسن محمد): فِرَق الشيعة، النجف ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م.
- ١٥٨ - النويري (شهاب الدين أحمد):
نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة ١٩٢٣ - ١٩٥٥ م = (١٣٤٢ - ١٣٧٥ هـ).
- ١٥٩ - ابن هشام: سيرة ابن هشام، طبع وستفلد ١٢٧٥ هـ = ١٨٥٨ م.
السيرة النبوية، تحقيق السقا وجماعته، القاهرة ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م.
- ١٦٠ - أبو هفان: أخبار أبي نواس: تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مصر ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ م.
- ١٦١ - الوتري (أحمد بن محمد): روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين، ج ١، مصر ١٣٠٩ هـ = ١٨٩١ م.
- ١٦٢ - وديعة طه النجم: القصص والقصائص في الأدب الإسلامي، نشر وزارة الإعلام، الكويت ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.
- ١٦٣ - اليعقوبي (ابن واضح): تاريخ اليعقوبي، النجف ١٣٥٨ هـ = ١٨٨٣ م.
لیدن ١٣٠١ هـ = ١٨٨٣ م
- ١٦٤ - اليعمري (برهان الدين): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، القاهرة ١٣٢٩ هـ = ١٩١١ م.

فهرست عام للأسماء الواردة في الكتاب

ملاحظة مهمّة

أرقام صفحات هذا الفهرست هي أرقام صفحات الكتاب الفارسي الذي قمت بترجمته إلى العربيّة .

ونظراً لاختلاف أرقام صفحات الكتاب الفارسي عن أرقام صفحات الترجمة العربيّة ، قمت بوضع الأرقام على يمين المتن .

يُرجع إلى هذه الأرقام التي على اليمين عند الكشف عن أيّ اسم يذكر في هذا الفهرست .

المتّرجم إلى العربيّة

أ.د. أحمد كمال الدين حلمي

﴿ فهرست عام للأسماء الواردة بالكتاب ﴾

(أرقام الصفحات الواردة بهذا الفهرست توجد على يمين صفحات الكتاب)

﴿ ألف ﴾

أفريقيا ٤٤١ ٥٠١ ٥١٧ ٥٢٦ ٥٣٧	آبى، أبى منصور ٦٧٥
آقاخان كرماني ٥٩٢	آتش جهنم (نار جهنم) ٤١٨ ٤١٩
آل بويه ٤٣٦ ٤٧٧ ٥٧٧ ٦٥٠	آتشكده بلخ (بيت النار في بلخ) ٣٦٥
٦٦٢ ٦٧٢ ٦٧٧ ٦٧٨	٣٧٢
٦٨٧	آثار البلاد للقزويني ٣٧٣ ٤٧٤
آل دارا ٦٧٢	٤٨٠
ال زيار ٦٧٨	آثار الشيعة ٥٤٧
آل سامان ٦٥٨ ٦٧٢ ٦٧٨ ٦٨٠	آثار فارسي يهوديان (آثار اليهود الفارسية)
آل سلجوق ٦٥٨ ٦٧٥ ٦٧٦	٦٩٣
آل طاهر ٦٥٨	آخوندوف ٦٩٢
آل ليث ٦٥٨	آدم نخستين (الأول) ٥٩٧
آلمان وآلمانيها (ألمانيا والألمان)	آذربايجان ٤٦٣ ٤٦٦ ٤٨١ ٤٨٢
٤٤٤ ٦٥٩	٦٥٣
آل ناصر ٦٥٨	آبري ٣٨٥ ٦٢١ ٦٤١ ٦٤٨
آموزگار، حبيب الله ٤٦٦	آرشيو مركس (وثيقة ماركس) ٦٩٤
أبان اللاحقي ٤٩١	آرنولد، سرادوين ٦٤٥
إبراهيم بن ادهم ٤٤٦ ٦١٠ ٦٢١	آشوريان (الآشوريون) ٤٥٦
٦٢٢	آسيا الغربية ٤٠٠ ٤٥٠ ٤٥٤ ٥٩٩

ابن رشد ٤٢٦ ٤٢٩ ٤٣٩ ٥٥٦
 ابن الرومي ٥٢٣
 ابن زباله ٤٠٤
 ابن الزيات ٥١٦
 ابن زياد ٤٥٨
 ابن سراييون ٥٣٧
 ابن سعد ٤٠٧ ٤١٦
 ابن سعد المؤرخ المنشي الوافدي ٥٠٨
 ابن سكره ٥١٢
 ابن السكيت ٤٣٢ ٥٠٥ ٥٠٨
 ابن سينا ٤١١ ٤٢٦ ٤٢٨-٤٣٠
 ٤٣٧ ٥٣٨ ٥٤٤ ٥٤٨
 ٥٥٦ ٦٨٢
 ابن شاعر ٤٨٩
 ابن الطقطقي (انظر: الفخري)
 ابن عباس ٣٩٣ ٣٩٥
 ابن عبدربه ٣٨٨ ٥٣٦
 ابن العربي، محيي الدين ٦١٢ ٦١٣
 ابن عقبة ٤٠١
 ابن العلاف ٥٣٢
 ابن الفارض ٦١٢
 ابن الفقيه الهمداني ٥٢٤
 ابن قتيبة ٣٨٠ ٣٨٨ ٤٠٥ ٤٨٠
 ٥٢٤ ٥٦٣ ٦٥٢
 ابن كشاجم ٥٤٢
 ابن الكلبي ٣٩٧

إبراهيم العباسي ٣٦٨
 إبراهيم خليل الله ٥٩٧ ٦٢٥
 إبليس ٤٧٥
 ابن أبي الحديد ٣٦٩ ٤٣٣ ٤٣٥
 ابن أبي الدنيا ٥٢٤
 ابن أبي زكريا ٥٢٦ ٥٣٧
 ابن الأثير ٤٧٧ ٤٧٨ ٥١٩ ٥٢٨
 ابن الأحنف، العباس ٤٠٤
 ابن إسحق ٣٨١ ٣٩٧ ٤٠٢ ٤٠٦
 ابن إسفنديار ٥١٢ ٦٨٢
 ابن الأعرابي ٤٠٦
 ابن بابويه صدوق ٥٢٥ ٥٤٧ ٥٤٨
 ابن بشر ٦٣١
 ابن الجراح ٤٤٣
 ابن جريح ٣٩٤
 ابن الجوزي ٦٣٤ ٦٣٥
 ابن حزم ٤٠٨
 ابن حنبل ٤٣٥ ٤٤١
 ابن حوقل ٥٤٤
 ابن خالويه ٤٤١
 ابن خردادويه ٥٠٨
 ابن خلدون ٤٠١
 ابن خلكان ٣٧٠ ٣٨٧ ٤٠٨ ٤٤٠
 ٤٤٦ ٤٥٧ ٤٦٩ ٤٧٤
 ٤٨٠ ٥٣٢ ٦٥٣ ٦٨٢
 ابن دريد ٣٩٠ ٥٣٦

أبو الحسن علي بن عيسى ٦٢٧	ابن كمال باشا ٣٨٣
أبو الحسين بن فارس ٣٩٠	ابن ماجه ٥٢٣
أبو حمزة ٣٨٠	ابن مسكويه ٥٢٩ ٥٣٠
أبو حنيفة ٤٠٣ ٤١١ ٤١٨ ٤١٩	ابن المعتز ٣٦٨ ٥٢٥ ٥٣٢
٤٣٩ ٤٤٠ ٥٦٢	ابن المقفع ٤٠١ ٤٥٦ ٤٧٤ ٤٩١
أبو الدرداء ٣٩٧ ٤٤٩	ابن مقلة ٤٠١ ٥٣٢
أبو دعاد ٤٩٥	ابن منصور ٦٣٦
أبو دلامه ٤٠٢	ابن نباته ٥٤٥
أبو ذر الغفاري ٤٢٤	ابن النديم ٤٥٦ ٤٦١ ٤٦٤ ٤٦٥
أبوريجان (انظر: البيروني)	٤٦٨ ٤٨٠ ٤٨٦ ٤٩١
أبو سعيد بن أبي الخير ٥٤٢ ٦٠٧	٥١٥ ٥٣١ ٥٤٥ ٥٤٦
٦٣٧ ٦٠٨	٥٥١ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠
أبو سعيد الرستمي ٣٨٨	٥٧١ ٥٧٥ ٥٨٢ ٥٩١
أبو سفيان ٣٧٩	٥٩٥ ٦٠٦ ٦٠٩ ٦١٤
أبو سلمه ٣٧٢	٦٢٧ ٦٢٨
أبو شلعلع، أحمد ٥٧٦	ابن الوحشية ٣٩٠ ٤٥٧ ٥٢٣
أبو العباس عبدالله السفاح (أنظر: السفاح)	الأبنيه عن حقايق الأدوية ٦٥٦ ٦٩١
أبو عبدالله الداعي ٥٧٦	٦٩٢
أبو عبدالله محمد بن خفيف الشيرازي	البخلاء ٥١٦
٥٤٤	أبو البركات بغدادي ٤٢٨
أبو عبيده معمر بن المثنى ٣٨٩ ٤٠٥	أبو بكر ٤٨٩ ٥٠٦ ٥٦٧ ٦٣٨
أبو العتاهية ٤٠٣ ٤٠٥ ٥٤٢	أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم
أبو عثمان سعيد بن حميد بن بختگان	النصارى ٣٩٥
٣٨٨	أبو تمام ٣٨٤ ٤٠٧ ٤٨٨ ٤٩٧
أبو عكرمه ٣٤٩	أبو جعفر بن العباس بن الحسن ٥٣٥
	أبو الجهم ٣٧٢

أبو النصر، شيخ ٦٥١
 أبو نعيم حافظ ٣٩٥ ٤٤٩
 أبو نواس ٤٠٤ ٤٠٥
 أبو هاشم ٤٤٥ ٤٤٦ ٦٢١
 أبو هريرة ٣٩٨
 أبو يعقوب السجستاني ٦٠٦
 أبو يوسف ٥١٣
 أبو يوسف يعقوب الأنصاري ٤٠٣
 البيان والتبيين ٥١٦
 اتامش ٥٠٤
 اتحاد العقول والمعقول ٤٢٨
 اتروپاتن (أنظر: آتروپاتن)
 الإتيقان للسيوطي ٤٢٩
 اته، دكتور ٤٤٩ ٥٠٢ ٥١٢ ٦٠٨
 ٦٦٢ ٦٦٠ ٦٥٩ ٦٥٦
 ٦٦٩ ٦٦٧ ٦٦٥ ٦٦٣
 ٦٧٣
 الإثنى عشرية ٤٤١ ٥٦٩ ٥٧٠
 ٦٢٨ ٦٠٣
 الأحساء ٥٨٤
 الإحسان في الإسلام ٥٨٥ ٥٨٨
 أحسن التقاسيم ٥٤٥
 أحشوبروش ٦٩٦
 أحمد بن أبي دعاد ٤٩٠
 أحمد بن خضرويه ٦٢٢
 أخبار البرامكة ٣٦٥

أبو العلاء السروي ٦٩٠
 أبو العلاء المعري ٤٧٦
 أبو علي سينا (أنظر: ابن سينا)
 أبو عمران ٤٨٢ ٤٨٤
 أبو عمرو بن علاء القاري ٣٩٥
 أبو الفتح محمود بن الحسين شاهر
 ٣٦٦
 أبو الفتوح الرازي ٦٦١
 أبو الفدا ٤٣١
 أبو فراس ٥٤٢ ٦٥٠
 أبو الفرج الأصفهاني ٣٨٦ ٤٧٨
 ٥٤٢ ٤٧٩
 أبو قره ٤١٣
 أبو المثل البخاري ٦٨٠
 أبو محمد بن أبي الثياب ٥٣٥
 أبو محمد رامهرمزي ٣٩٦
 أبو محمد عبيد الله ٥٧٦
 أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي ٣٩٩
 أبو مسلم الخراساني ٣٧٢ ٤٥٩ ٤٦١
 ٤٦٥ ٤٦٨ ٤٧٠
 ٤٧٧ ٤٨٦ ٥٦٩
 أبو المظفر، الأمير ٦٧١
 أبو معشر ٥٢٣
 أبو منصور موفق بن علي الهروي
 ٦٩١
 أبو نصر سعيد بن أبي عروبه ٣٩٦

الأزرقى ٥٠٨
 أزليّة كلمات الوحي وأبديتها ٤٢٠
 أساطير العرب ٣٩٤
 أسبانيا والأسبان ٤١٣ ٣٩٧ ٣٨٤
 ٥٥٦ ٥٠٢ ٤٣٩
 أسباهان (أنظر: أصفهان)
 أسهبد مرزبان ٦٩٣
 استاذ سيس ٤٧١
 استاسيس ٣٦٩
 إستانبول ٤٠٢
 استخاره ٣٩٥
 استرآباد ٦٥٣
 استغنائي النيشابوري ٦٧٩
 استوكس ٤١٣
 إسحق بن إبراهيم بن مصعب ٤١٦
 ٤٩٣ ٤٩٠
 إسحق الترك ٤٦٥ ٤٦٧ ٤٦٨
 إسحق بن حنين ٥٣٢
 أسد بن عبدالله ٥١٨
 أسد بن موسى بن إبراهيم ٣٩٩
 أسدي الطوسي ٦٥٦ ٦٥٥ ٦٣٨
 ٦٩١ ٦٨٦ ٦٦٦
 ٦٩٦ ٦٩٢
 أسرار الآيات ٤٢٩
 أسرار التوحيد ٦٠٨
 إسرائيل ٦٢٥

الأخبار الطوال ٥٢٤
 الاختيار ٤١١
 الإخشيد ٥٧٧
 الأخطل ٤١٠
 الأخفش الأوسط ٤٠٦
 اخگر ٤٨٩
 إخوان الصفاء ٥٠١ ٤٣٩ ٤٣٦
 ٥٥٢ ٥٥١ ٥٣٣
 ٥٥٤
 أخو محسن ٥٩٩
 أدب الكاتب ٤٠٥
 أرجان ٥٣٣ ٤٨١
 أردبيل ٤٨١
 أردشير بابكان (ابن بابك) ٣٧٩
 ٥٠٧
 أرسطا طاليس (أنظر: أرسطو)
 أرسطو ٤٣٨ ٤٢٩ ٤٢١ ٤٠٤
 ٦٠٥ ٥٥٦ ٥٥٥ ٤٥٥
 أرمغان، مطبعة ٥٩٤
 أرمستان والأرمن ٤٦٦
 أوروبا والأوريون ٥٤٦ ٥٤١ ٤٢١
 ٦٦٦ ٥٦٥ ٥٥٦
 ٦٦٧
 أريجن ٤٣٨
 الأزدي، شبل بن المنقى ٤٨٢
 الأزدي، محمد بن الرواد ٤٨٢

الإسماعيلية ٣٨٩ ٤٤١ ٤٦٤ ٥٠١
 ٥١٧ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٦٩
 ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦
 ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٢ ٥٨٥
 ٨٧-٥٩٩ ٦٠٤ ٦٠٦
 ٦١٨ ٦٣٨ ٦٦٥
 الإسناد ٣٩٢
 الأشاعرة ٤١٥ ٤١٨ ٤٢١ ٤٢٥
 ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٥٣٣
 اشپرنگر ٥٥٨ ٦٥٤ ٦٥٩
 اشپينا ٤٣٤ ٤٣٥
 اشتاينر ٤٠٩ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣
 ٤١٤ ٤٢٥ ٤٢٩ ٤٣٠
 ٤٣٧
 اشتراسبورگ ٤٥٠ ٥١١ ٦٥٦
 ٦٦٩
 اشتراك المرأة ٤٧٠
 اشروسته ٤٩١
 الأشعري، أبو الحسن ٥١٧ ٥٣٦
 اشمونين ٥٧٩
 إصابة العين ٦٦٠
 الأصبهاني، رجاء بن الوليد ٥٣٥
 الأصحاب ٣٩٢
 الاضطخري ٥٣٨ ٥٤٤
 أصفهان ٤٦٣ ٤٦٦ ٤٦٩ ٥٣٣
 ٥٤٩ ٦٥٣

اسروشنه ٣٦٥
 أسعد عميد ٦٧١
 أسفار ملاصدرا ٤٢٦
 إسفنديار ٣٩٠
 إسكتلندا ٤٢٠
 الإسكندر المقدوني ٤٥٣ ٤٥٥
 اسكوريال ٣٩٧
 الإسلام ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٧٩ ٣٨٢
 ٣٨٤ ٣٩١-٣٩٣ ٤٠١
 ٤٠٨ ٤١٠ ٤١٢ ٤١٧
 ٤٢١ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٣١
 ٤٣٤ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٤١
 ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٢ ٤٥٣
 ٤٥٩ ٤٦١ ٤٦٤ ٤٩١
 ٤٩٥ ٥٠٢ ٥١١ ٥١٥
 ٥١٧ ٥١٨ ٥٥٠ ٥٥٦
 ٥٥٧ ٥٦٠ ٥٦٤ ٥٦٧
 ٥٧١ ٥٧٤ ٥٧٩ ٥٨٨
 ٥٨٩-٥٩١ ٦٠٢ ٦٠٣
 ٦٠٩ ٦١٥ ٦٢٤ ٦٢٥
 ٦٤٥ ٦٥٣ ٦٦٤ ٦٦٩
 ٦٧٨ ٦٩٥
 إسماعيل بن جعفر الصادق ٤٤٢
 ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧٣ ٥٩٥ ٥٩٧
 إسماعيل بن يسار ٣٨٤

البرز ٥١٢	إصلاح المنطق ٤٣٣
الف ليل ٣٦٧	الأصمعي ٤٠٥ ٤٠٦ ٥١٥ ٥٢٣
النو پوليس ٤٥٣	الأصول الكافية ٣٩٦
الوارث ٣٦٥ ٣٧٠	الأطروش، سيد حسن بن علي ٥٢٨
الوند ٥٩٣	الاعتدال الربيعي ٣٧٤
الهيئات أخص الأسفار ٤٢٦ ٤٢٧	الأغاني ٣٨٠ ٣٨٥ ٣٨٦ ٤٥٨
الين، سايمن ٤١٠	٥٤٢ ٦٥٢
اليوت ٦٥٤ ٦٥٨ ٦٦٣	الأغلي ٥٧٦
امار، اميل ٣٦٦	فخر العرب على العجم ٣٨٩
الإمام جعفر الصادق ٤١٨ ٤١٩	اقشار، إيرج ٦٠٨ ٦٤٨
الإمام الثاني عشر ٥١٧ ٥٢٥	أفشين ٣٦٥ ٤٨٠ ٤٨٧ ٤٨٩ ٤٩٠
إمام الزمان ٥٩٩	٤٩١ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦
الإمام فخر ٤٤٨	أفلاطون ٦٠٥
الإمامة ٣٦٤ ٤٠٨ ٤٤٢	الأفلاطونيون الجدد ٤٤٤ ٤٤٧
الإمامية ٥١٧ ٥٦٩	٤٥٠ ٤٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦
الأمة ٥١٠	٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦٤٣
شئون الأسفار العامة ٤٢٨	إقبال، عباس ٤٠٩ ٤١١ ٥٩٤
الأموي (أنظر: بني أمية)	٦٢٨ ٦٥٩ ٦٨٥
الأمير أبو محمد بن عين الدولة ٦٨٣	الإقناع ٥٤٦
الأمير أبو يحيى ٦٧٩	أكاديمية سانت بطرسبرج ٥٣٨
الأمير تيمور ٦١٩	اكارت ٦١٦
أمير الكافرين ٤٥٨	أكل الميتة ٤٦٠
أمين ٣٦٥ ٣٦٨	اكهارت ٤٤٤
أمين، أحمد ٤١١ ٤٥٨	اگانيوس ٦١٥
الأناجيل الأربعة ٥٨١	البذ ٤٨٢ ٤٨٣
اناهيتا ٦٧٢	الب تگين ٥٤٣

أورشليم ٥٥١	الجمعية الزردشتية الإيرانية في بمباي
أوزاعي ٣٩٤	٥١١
أوستا (الأفستا) ٦٧٢ ٤٤٩	جمعية ويلان ٦٤٧
أولين تأليفات إسلامي (أول المؤلفات	اندخوزي، شمس الدين محمد ٦٥٤
الإسلامية) ٣٩٢	الأندلس ٣٨١
أهمية الأعداد ٤٦٢	انطاكية ٦١٥
الأهواز ٥٣٣ ٥٢١ ٤٦٦	انگلستان (انجلترا) ٤٤٤ ٤١٠
٥٧٥ ٥٤٣	٦٩٣ ٦٥٠ ٦٠٩
الإيجي ٤٠٩	انگليسيها (الإنجليز) ٥٩١
الأصل الإيراني للعلماء الذين يكتبون	انوار سهيلي ٥٠٤
بالعربية ٤٠٧	الأنوري ٦٣٨ ٥٦٥
أيرلندا والإيرلنديون ٦٥٢ ٥١٠	أنوشك ريان (أنظر: أنوشيروان)
إيزيدور ٦١٥	أنوشيروان (أنظر: أنوشيروان)
إيوان المدائن ٣٧٤	أوائل المقالات ٤٠٩
ايقانوف ٦٠٦	أود ٦٥٩

﴿ب﴾

العبادة والإلحاد (أنظر: عبادة الأصنام والوثنية) ٦٤٧	البابا والبابوية ٥٧٤ ٤٦٥ ٤٦٣
بتكده نوبهار (بيت نار نوبهار) ٣٦٥	٥٩٨ ٥٩٧ ٥٩١
البتنيوس ٥٣٢	٦١٨ ٦٠٤
بحر الخزر ٥٣٧ ٥٣٤ ٥١٢	بابك (أنظر: بابك)
البحرين ٥٨٢ ٥٢٦ ٥٠٧	بابل والبابلي ٥٩٢ ٥٢٣ ٤٥٦ ٤١٣
بخاري ٦٨٨ ٦٨٠ ٥٣٩ ٥٣٥	٥٩٣
البخاري ٥٢٣ ٥١٦ ٤٣٣ ٣٩٣	الباخرزي ٦٥٣ ٥٢٦
البخري ٥٢٤	بادغيس ٤٧١ ٤٦١
بخت يشوع ٥٠٨ ٥٠٧	باريه دومينار ٤٨١ ٤٤٣ ٣٨٦
بدا ٤٦٣	٥٣٩ ٥٣٤ ٤٨٣
البدأ والتاريخ ٤٦٢	٦٥٢
البرامكة ٣٧٢ ٣٦٩ ٣٦٨ ٣٦٥	البرديصانية ٦٠٥
٥٠٤ ٤٠٣ ٣٧٣	الباطنية ٦١١ ٦١٠ ٦٠٢ ٤٦٣
برانت، ويليم ٤٥١	باغر ٥٠٤
براون، پرفسور إدوارد ٥٩١ ٤٦٨	باكو ٦٩٢
٦٤٧ ٥٩٢	بالكارس ٦٥٥
٦٨٢	باياك ٥٠٤
بربريان (البرابرة) ٥٧٦ ٤٩٤	بايزيد البسطامي ٦٢٥ ٦٢١ ٥١٧
برتري ايراني بر عرب (تفوق الإيرانيين على العرب) ٣٨٨	٦٢٦
بردان ٤٨٧	البيغاء ٥٤٢
برك الجماد (الجماد) ٣٩٧	البتاني ٥٣٢
	بت پرستان سرياني (الوثنيون السريانيون)
	٤٥٤ ٤٥٣ ٤٥١

البصري، حسن ٤١٢ ٤٤٤ ٤٤٧
 بعلبك ٤٠٦ ٤٥٦
 بغای ترك ٤٩٦
 بغای كوچك وبزرگ ٥٠٤
 بغداد ٣٦٧ ٣٧٣ ٣٧٥ ٣٧٩ ٤٠٠
 ٤٢١ ٤٣٠ ٤٣٧ ٤٤٠ ٤٥٦
 ٤٥٧ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٨٨
 ٥٠١-٥٠٥ ٥١٨ ٥٢٢ ٥٢٥
 ٥٢٧-٥٢٩ ٥٣٧ ٥٥٠ ٥٧٧
 ٥٨٢ ٥٨٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٥٠
 ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٨٧
 البقاء بالله ٦٣٩
 بقراط ٤٥٥
 البلاغة السبعة ٥٨٢
 بلال آباد ٤٨١ ٤٨٣
 البلاذري ٣٧٨ ٣٨١ ٣٨٨ ٥٢٤
 بلخ ٣٦٥ ٥١١
 البلخي ٤٦١ ٤٦٨
 البلخي، أبوزيد ٤٦٢ ٥٣٨ ٥٤٤
 البلخي، أبوشكور ٦٧٨
 البلخي، أبو محمد البديع ٦٧٩
 البلخي، المؤيد ٦٨٠
 البلخي، شفيق ٤٤٧
 البلخي، معروف ٦٦٥ ٦٧٤
 البلعي، أبو علي محمد ٦٩٢ ٥٢٢ ٥٣٩

برکشایر ٤١٠
 برکهارت ٥١٥
 برگزیده شعر فارسي (مختارات) ٦٧٢
 برلين ٤٠٥ ٥٨٠ ٦٤٧ ٦٥٤ ٦٥٥
 ٦٥٩ ٦٦٣ ٦٧٠ ٦٧٥
 برمك ٣٧٣
 البرمكي (جعفر) ٣٦٧
 بروجردی ٤٠٧
 بروكلمان ٣٦٦ ٣٨٧ ٣٠٩ ٤٠٠
 ٤٠٣ ٤٠٥ ٤٠٧ ٤٥٤
 ٥٠٥ ٥٢٣-٥٢٥ ٥٤٥
 ٥٤٦ ٥٤٨ ٥٥٨
 بری ٤١٠
 بریل ٦٣٣ ٦٧٥
 بزرگ یور شهریار رامهرمز ٥٣٨
 البستي، أبو سليمان محمد بن نصر
 ٥٣٧
 البستي، أبو الفتح ٥٤٣ ٦٧٩
 بسفروج (أبو صفرة) ٣٨١
 بسطام ٦٢٥
 بشار بن برد ٣٨٧ ٤٠٣
 بشر بن حارث ٦٢٢
 بشکست ٣٨٠
 البصرة ٣٨٢ ٣٩١ ٣٩٤ ٣٩٦
 ٤٣٠ ٤٤٢ ٥١٤ ٥٢٥
 ٥٢٦ ٥٧٥ ٥٨٣

بويه (آل بويه)
 بهاء الله ٤٦٣
 بهار، محمد تقي ملك الشعراء ٤١٤
 بهارستان جامي ٦٦٦ ٦٢٢ ٦٠٩
 بهافرید ٤٧٩ ٤٦٢ ٤٦٠ ٤٥٩
 بهرام جوبين ٥١٧
 بهرام الخامس (بهرام گور) ٣٧٩
 ٦٦١ ٥٣٣
 بهلول بن عمرو ٤١٩ ٤١٨
 بهمنيار، أحمد ٦٠٨
 البيان والتبيين (أنظر: الجاحظ)
 بياني، الدكتور خانبابا ٥٩٤
 بياني، الدكتور مهدي ٥٩٤
 بيروت ٥٨٩ ٤٧٨
 بيروني، أبو ریحان ٣٩٠ ٣٨٨ ٣٧٤
 ٤٧٢ ٤٦٥ ٤٥٩
 ٥٢٦ ٥١٨ ٤٧٣
 ٦١٢ ٥٤٣ ٥٣٣
 ٦٨٨ ٦٨١
 بيزانس . ويزنطي ٤١٣
 البيضاء (دژ سيد) ٦٣٥
 بين النهرين ٥٨٢ ٤٥٥ ٤٥٣ ٣٨٢
 ٦٥٣ ٦١٥
 بيهق ٥٢١
 البيهقي ٤٩٠ ٤٨٩

البلعمي، أبو الفضل ٦٦٤ ٥٢٢
 ٦٩٣ ٦٩٢
 بلك، سائرلند ٥١١
 بلكاتكين ٥٤٤
 بلقيس، ملكة سبأ ٥٦٠
 بلند، ثنائيل ٦٥٨ ٦٥٥ ٦٥٤
 بلوخن ٦٨٦ ٥٦٦
 بمباي ٦٣٤ ٦٠٦ ٥٩٤ ٤٣٧ ٤٣٦
 البنداري ٦٧٥
 البندار الرازي ٦٣٨ ٥١٣
 بني الأحرار ٣٨٠
 بني إسرائيل ٤٢٤
 بنو أمية ٤١٠ ٣٨٤ ٣٨٣ ٣٦٣
 ٥٠٥ ٤٦٦
 بنو العباس ٣٧١ ٣٦٨ ٣٦٧ ٣٦٤
 ٤٠١ ٤٠٠ ٣٨٣ ٣٧٤
 ٤٥٦ ٤١٦ ٤١٣ ٤١١
 ٤٦٩ ٤٦٧ ٤٥٩ ٤٥٧
 ٥١٧ ٥١١ ٤٩٧ ٤٧٠
 ٥٣٨ (أنظر: العباسيين)
 بنو الليث ٣٩٣
 بنو هاشم ٦٣٠
 بواناتي، ميرزا محمد باقر ٥٦٦
 بودائي ٦٤٥ ٤٤٩ ٤٤٨
 بوا ٣٧٢
 بوستان سعدي ٦١٩ ٥٠٤

(پ)

پناه خسرو ۶۵۴	پاپک ۳۵۹ ۴۶۳ ۴۶۵ ۴۸۰-۴۸۹
الپنجاب ۵۴۹	۴۹۴
پندار الرازي (أنظر: بندار الرازي)	پارس وپارسها (فارس والفرس)
پنسیلفانیا ۴۴۴	۶۵۳ ۵۱۱
پوران اینة حسن بن سهل ۳۶۹	پاریس ۵۹۱ ۵۸۰ ۵۰۳ ۴۸۱
پور داود ۵۱۱	۶۵۱ ۶۲۱ ۶۲۰ ۵۹۴
پور شروین ۴۸۸ ۴۸۷	۶۹۴ ۶۹۲ ۶۷۵ ۶۶۴
پونیون ۴۵۱	پامر، پروفیسور ۶۲۰ ۳۷۰ ۳۶۷
پهلوي ۵۰۲ ۴۰۱	پاوه دوکورتی ۵۳۹
پهلوي، رضا شاه الكبير ۵۹۴	پاینده، أبو القاسم ۴۱۱
پهلوي، محمد رضا شاه ۶۳۹	پرتستان ۴۲۰
پیغمبر اسلام (رسول الإسلام) ۳۹۳	الپرتغال ۴۵۰
۴۲۹ ۴۲۵ ۴۲۲ ۴۰۳ ۴۰۰ ۳۹۵	پرتو اسلام (شعاع الإسلام) ۴۱۱
۶۱۰ ۶۷۱ ۵۶۷ ۴۴۷ ۴۳۲ ۴۳۱	پرچ ۶۵۹
۶۵۷ ۶۶۰ (أنظر: محمد بن عبدالله	پرون (أنظر: انکتیل دوپرون)
والرسول الأكرم)	پریس سین ۶۱۵
پین، جان ۶۴۷	پل دولا گارد ۶۹۴ ۳۶۷

(ت)

٦١٤	تاسوع	٤٤٥ ٣٩٤ ٣٩٢	التابعين
٦١٦ ٤٤٤	تاو لير	٣٩٩ ٣٨٧	تاريخ الأدب العربي، تأليف بروكلمان
٤٢٠	التأويل		
٦٤٧	التثليث	٤١٢	تاريخ الإسلام تأليف دوزي
٤٨٢ ٤٤١ ٤١١	تبريز	٦٢١	تاريخ التصوف في الإسلام
٥٢٩	تجارب الأمم	٤٠٩ ٣٨٥	تاريخ الحضارة الإسلامية
٤٧٢	التجسد	٤٨٥ ٤٤٨ ٤١٠	تأليف فن كرومر
٥٨٩	التجسم	٦٧٦ ٦٧٥	تاريخ دولة آل سلجوق
٦٢٢ ٥٣٠ ٤٤٧	تذكرة الأولياء	٤١١	تاريخ الإسلام السياسي
٦٣٧ ٦٢٥		٦٧٦ ٦٤٨ ٦١٩	تاريخ الشعر العثماني
٦٨٥ ٦٨٢	تذكرة دولتشاه	٦٣٦	تاريخ الصوفية
٦٥٢	تذيلات يتيمة الدهر	٦٨٢	تاريخ طبرستان
٦٣٤ ٤٥٤	ترسايان (المسيحيون)	٦٩١	تاريخ الطبري
٤٣٣ ٣٨٥ ٣٨١	الترك والتركي		تاريخ عقائد الإسلام الهامة (أنظر:
٤٦٥ ٤٣٩ ٤٣٦			فن كرم)
٥٠٨ ٤٧٣			تاريخ غزيده (أنظر: حمد الله المستوفي)
٥٠٥ ٥٠١ ٤٩٤ ٣٦٩ ٣٦٣	تركان	٥٧١	تاريخ مسلمي أسبانيا
٥٤٨ ٥٣٣ ٥٠٩		٥٢٣	تاريخ مكة
٦٣٥ ٥٩٣ ٥٩٢	تركستان	٣٧٠	تاريخ الوزارة
٦٣٩ ٤٤١	تركيه		تازي (أنظر: العربي)
٥١٦	الترمذي	٤٨٤ ٣٨٨ ٣٨٥	تازيان (العرب)
٦٤٧ ٦٤٥	تروبنر	٥٠٤ ٤٩٧ ٤٩٢	
	التسنن (أنظر: السنة والجماعة)	٥٤١	

التفويض ٤١٥
التفويض والاختيار ٥٧٤
التقدير ٤٢٠
تقى زاده، سيد حسن ٣٧٤ ٤١٦
٤١٧ ٤٥٢ ٤٥٩ ٤٦٢ ٤٨١ ٤٨٢
٥٢٥ ٥٢٦ ٥٧٣ ٥٨٠ ٦٠٦ ٥٩٥
٦٢١
تلخيص البيان في مجازات القرآن ٤٢٦
التمود ٣٧٠
تيم بن المعز ٥٤٥
التميمي، زياد بن جاريه ٣٩٧
التميمي، واقد بن عمرو ٤٨١ ٤٨٢
التناسخ والتناسخية ٤٠٨ ٤٢٢
٤٦٢ ٤٦٣
٤٧٠ ٤٧٥
التنبيه والإشراف ٤٨٦ ٥٣٩
التوحيد ٤٢١ ٤٢٨ ٤٤١ ٤٦٠
التوراه ٥٦٣ ٦٩٤ ٦٩٥
تونس ٥٢٦
تيسفون ٤٦٦ ٤٨١
تهران ٦٤٨

التشبيه ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٨ ٦٣٥
التشيع (أنظر: الشيعة)
تصحيح الاعتقاد ٤١١
التصوف ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٤٧-٥٣٠
٦١٠ ٦١٢ ٦١٤ ٦١٦
٦١٨-٦٢٠ ٦٢٤ ٦٢٦
٦٢٧ ٦٣٤ ٦٣٧-٦٤٠
٦٤٣-٦٤٥ ٦٤٧
التعصب للفرس ٣٩٠
تعليم الإسلام، كتاب آرنولد ٦٥٣
تعليمي ٥٩٥
تفسير برهان ٤٢٦
تفسير الجواهر ٤٢٩
تفسير الصافي ٤٢٦
تفسير الطبري ٦٩٣
تفسير القرآن الكريم ٤٢٦
تفسير مصطفى المراغي ٤٢٩
تفسير المنار ٤٢٩
تفوق الإيرانيين على العرب ٣٦٤
تفوق العرب ٣٦٥ ٣٨٨
تفوق قریش ٣٦٥

(ث)

ثمود ٦٢٩	ثابت، إبراهيم وأبو الحسن ٤٥٤
الثنوي والثنوية ٦٤٧ ٥٦٣	ثابت، إسحق وأبو الفرج ٤٥٤
ثواب العلم ٤٩٦	ثابت بن قره ٤٥٤ ٤٥٦ ٤٥٧
ثورن برگ (شوكة الورقة) ٥٢٨	ثريا ٣٨٣ ٣٨٢
الثوري، سفيان ٦٢١ ٦١٠ ٦٠٩	الثعالبي ٥٣٤ ٥٢٦ ٥٢٠ ٤٧١ ٣٧٠
٦٣٥ ٦٢٣	٥٣٩ ٥٤٧ ٦٨١ ٦٨٧
ثيا فيلوس ٤٨٧	ثعلب النحوي ٤٠٧
ثيودور أبو قره ٤١٣	الثقفي، عيسى بن عمر ٤٠٢
ثيودوسيوس ٥١٧	ثلوك ٦٤٧ ٥٣٠ ٤٣٧

جابر بن حيان ٣٩٩ ٤٠٢	جعفر البرمكي ٣٧٢
الجاحظ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٨٧ ٣٨٨	الإمام جعفر الصادق ٤١٨ ٤١٩
٥١٥ ٤٥٧	٥٩٧ ٤٤٢
جالب الحجارة ٥١٢	جلال الدين (أنظر: المولوي)
جالينوس ٤٥٥ ٥٥٥	جمشيد جم ٣٨٩ ٥٦٤
جامع سياه عباسيان (رداء العباسيين	الجمهره ٥٣٦
الأسود) ٤٦١	الجمحي، أبو عبدالله محمد بن سلام
جامع التواريخ ٥٦٩	٤٠٦ ٥٠٨ ٦٥٢
جامع الحكمين ٦٠٦	جمع الجمع ٦٣٧
جامع سفيان الثوري ٣٩٤	الجنابي، أبو طاهر ٥٢٦ ٥٣٧ ٥٨٣
الجامي ٤٤٥ ٤٤٦ ٥٣٠ ٦٠٩	٥٨٤ ٥٨٦
٦١٠ ٦٢١-٦٢٤	الجنابي، أبو سعيد حسن بن بهرام
٦٣٨-٦٤٠ ٦٤٢ ٦٤٧	٥٨٣
٦٦٦	جناشك ٦٨٢
جاويدان بن سهرق ٤٨٢-٤٨٧	جندي شاپور ٤٥٥ ٤٥٦ ٥٠٧
الجاهلية ٣٩٤ ٤٥٥	جنگ بدر (موقعة بدر) ٣٧٨ ٤٢٣
جبر ٤١٤ ٤٢٠	جنگ رينه ٦٩٤
الجبائي ٤٣٤ ٤٣٥	جنگهاي صليبي (الحروب الصليبية)
جبرائيل ٦٢٥	جنيد البغدادي ٤٤٦ ٥٣١ ٥٣٧
الجراح، أبو عبيدة ٣٧٩	٦٢٥ ٦٣٥ ٦٣٦
جدول الخلفاء العباسيين ٣٦٨	الجندي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله
جورج الأول ٤١٠	٦٦٢ ٦٧٩
جزير ٤٨٣	جواز الرؤية ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٣

جہور بن مراد ۴۶۷
جہنم ۴۱۰
جیحون ۴۷۲
الجیلانی، سید عبدالکریم بن ابراہیم
۶۱۷

جوامع الحکایات ۴۱۴ ۶۵۷
جواہر الکلام، عبدالعزیز ۵۴۷
جواہر الکلام، علی ۵۴۷
جوشن الکبیر ۴۲۴
البخاری ۶۶۹



چنگیز	۴۲۱	چاه نخشب (بثر نخشب)	۴۷۳
چهار مقالهء عروضي (المقالات الأربع لعروضي)	۴۷۱ ۵۱۲ ۵۲۰ ۵۲۷	چرچیل (تشرشل)، سيدني	۴۱۵
چشم بد (عين السوء)	۶۶۰ ۶۶۱	چشم زخم	۶۶۰ ۶۶۱
چين (الصين)	۴۵۹	چغاني، أمير سعيد	۶۷۱
چينيان (الصينيون)	۳۷۳	الچغانيون	۶۶۲

الحروفية ٤٦٣ ٥٨٧ ٦١٩	حاتم الطائي ٣٨٤
حرارى ٦٧٤	حاجي بابا ٦١٨
حسن، الدكتور حسن إبراهيم ٤١١	حافظ ٤١٥ ٤١٩ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٦٥
الإمام الحسن بن علي عليه السلام	٥٩٣ ٦١٠ ٦٢١ ٦٣٨ ٦٤٧
٤٣١ ٤٣٣ ٤٧٧ ٥٠٦ ٥٦٩ ٥٩٧	الحاكم بأمر الله ٥٧٨ ٥٨٠
الحشاشون ٤٦٣ ٥٦٩ ٥٧٤ ٥٧٥	حالات وكلمات الشيخ أبي سعيد
٥٧٨ ٥٩١ ٥٩٥ ٥٩٦	٦٠٨
٦٠٦ ٦١٩	حامد ٦٣٠ ٦٣١
الحشيشيون (أنظر: الحشاشين)	الحبشة والأحباش ٣٩٢ ٤٢٤
حفصه ٥٠٦	حبيب بن مسلمه ٣٩٧
حكمة الإشراف ٦١٩	حيث ٤٥٦
الحكمة الإلهية ٣٩١	الحج ٦٣١
الحلاج، حسن بن منصور ٥٢٩	الحجاج بن يوسف ٤١٤
٥٣١ ٥٣٧ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢٦-٦٣٧	الحجاز ٣٩٧ ٤٦٧ ٦٥٣
حلائي ٣٨٦	الحجة البالغة ٤٤١
حلب ٤٥١	الحجج الإثني عشر ٦٠٣
الحلول ٤٠٨ ٤٦٢ ٤٨٥ ٥٣١	الحجر الأسود ٥٣٧ ٥٨٤ ٥٨٥
٦٢٧ ٦٣٥	حدوث القرآن ٤١٦ ٤١٧ ٤٢٢
حلية الأولياء ٤٤٩	٤٣١
حماد بن سabor الراوية ٤٠٢	الحديث ٣٩٢-٣٩٦ ٣٩٨
حماد بن سلمه ٣٩٦ ٣٩٤	حران والخرانيون ٥٤١-٥٤٤ ٥٤٤
حماسة أبي تمام ٤٠٧	٥٦٣
حماسة سرائي موالى إیراني ٣٨٥	حروف التفاسير ٣٩٤

الحنابلة ٤٣٩ ٤٤١ ٥٠٧ ٥٢٩
حنبل، الإمام أحمد بن حنبل ٣٩٨ ٤٠٧
٤١٧ ٤٤٠ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٢٩ ٥٣٣
حنظلة البادغيسي ٥١٠ ٥٢١ ٦٦٠
حنفي ٤٠٢ ٤٠٤ ٤٣٩ ٤٤١ ٤٤٤
حنين بن إسحق ٤٥٦ ٥١٦ ٥٢٣
حيدره ٦٣٠ ٦٣٦
الحيرة ٣٧٩

حماسة الظرفاء ٦٦٣
حماسة ملى إيران ٦٦٩
حمد الله مستوفى ٤١٨
حمدان بن الأشعث ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٨٢
٥٩٦ ٥٩٩
حمدون بن إسماعيل ٤٩٦
حصص ٥٧٥
الحميري ٣٩٢

٥٧٨ ٦٣١ ٦٣٥ ٦٥٠-٦٥٣ ٦٥٧	الخاتوني، أبوطاهر ٦٥٥ ٦٧٥
٦٦٨ ٦٧٧	خاخام ٦٩٥
خُرم آباد ٤٦٨	خازم بن خزيمه ٤٧١
خرمه ٤٦٦	الخاقان ٣٨٨
خرمي، إسحق بن حسن ٣٨٨	الخاقاني ٤٤٠ ٥٦٥ ٥٩٢ ٦٣٨
الخرميون (خرم دينان) ٤٦٣ ٤٦٥	خالد بن برمك ٣٧٣ ٣٧٤
٤٦٦ ٤٦٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨٢ ٤٨٧	خالد بن يزيد ٣٩٩
٥٦٣	خاندان نبوت (أسرة النبوة) ٤٠٨
خره خسرو ٣٨٠	خاندان نوبختي (آل نوبختي) ٤٠٩
خريده القصر ٦٥٤	٤٥٦ ٦٢٨
خزاعة ٣٩٣	خبازي النيشابوري ٦٨٠
الخزاعي أحمد بن نصر ٤١٧	خبر الصحيفة ٣٩٣
الخسرواني ٦٧٨	ختمي مرتبت (ص) ٤٢٤
الخسروي السرخسي ٦٦٢ ٦٧٨	(انظر: رسول الإسلام)
الخط العبري ٦٩٣	ختنه ٤٩٥
خط علي عليه السلام ٣٩٣	خجستان ٥٢١
الخطابية ٥٧٥	الخجستاني، أحمد ٥٢٠
الخلفاء الأمويون ٤١٥	ألوهية الملوك الساسانيين ٤٦٩ ٤٧٠
الخلفاء الراشدون ٥٦٤ ٦٠٨	خداي نامك ٤٠١
خلفاي رقيب ٥٧٧	خراسان والخراسانيون ٣٦٤ ٣٦٥
الخلفاء العباسيون ٣٦١ ٣٦٣ ٣٦٧	٣٨٢ ٣٨٤ ٣٩٦ ٤٠٣ ٤٦١ ٤٦٣
٣٦٨ ٣٧٥ ٣٧٦ ٤٢١ ٤٣٦ ٥٦٤	٤٦٩ ٤٧٧ ٤٨٧ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٩
٥٧٧ ٥٨٢ ٥٨٥ ٥٩٩	٥١٦ ٥١٧ ٥٢١ ٥٣٤ ٥٤٣ ٥٧٦

الخوارزمي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن
يوسف ٥٥١ ٥٤٤
خواف ٥٢١ ٤٥٩
خوزستان ٥٨٢ ٥٤١ ٤٥٥
خولسون ٤٥٤ ٤٥٣ ٤٥١
خونجي ٤٢٧
الختام ٥٦٥
خيرران ٤٧١

الخلفاء الفاطميون ٥٨٢ ٥٣٨ ٥٣٧
٥٨٥
الخليل بن أحمد ٤٠٣
الخليلي، عباس ٤١١
خواجه أبو القاسم ٦٧٩
خواجه نصير الطوسي ٤٢٨
الخوارج ٥١٤ ٤١٠-٤٠٨ ٣٨٠
خوارزم ٦٥٣ ٦٥٠ ٤٣٠

دارابي محمد ٤١٥ ٤١٩	دربار اموي (البلاط الأموي) ٤١٠
دار مستتر ٣٧٠ ٥١٢ ٦٩٤-٦٩٦	درستويه ٦٥٤
دانش پژوه، محمد تقی	درن ٤٦٦
دانكشده حقوق وعلوم سياسي تهران	دروز ٥٧١ ٥٧٨ ٥٨٠
(كلية الحقوق والعلوم السياسية بجامعة	الدروزي، حمزه ٥٨٠
طهران) ٣٩٦	الدری، ضياء الدين ٤٤١ ٤٣٤
دانشگاه تهران (جامعة طهران) ٣٦٥	دستور زبان عربي (قواعد اللغة العربية)
٣٨٩ ٤٠٩ ٤١١ ٤١٤ ٤٩٠ ٥٩٤	٦٠٨
٦٧٢ ٦٠٨-٦٠٦	الدعاة الأوريون ٣٨٣ ٣٩١ ٦١٨
دانيال ٦٩٤ ٦٩٥	دعاء عرفة ٤٢٨
داود ٥٦٢	دعبل ٥٠٨
داود الطائي ٤٤٦	دفرمري ٥٧٩
داود بن علي ٥٢٣	الدقيقي ٥٤٤ ٦٦٢ ٦٦٥
دائرة المعارف (أديان وأخلاق) ٦٢٠	٦٦٩-٦٧١
دائرة المعارف الإسلامية ٣٩٧ ٦٢٠	الدكن ٣٨٦
دائرة المعارف البريطانية ٣٩١ ٤١٠	دماغ آريائي ٦١١
٤٤٩ ٤١٣	دمشق ٤٠٩ ٤١٣-٤١٥ ٥٠٥
دائرة معارف فريد وجدي ٤٢٩	٥٨٣ ٦٤٩-٦٩٦
دبستان المذاهب ٣٩١ ٥٨٤ ٨٧٨	دموكراسي عرب (الديمقراطية العربية)
ديريه ٣٧٩	٣٦٥ ٤٠٨
دجلة ٥٠٦ ٦٢٨ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٤	دمية القصر ٦٥٢ ٦٥٣
دجلة العوراء ٥٩٣	دندان ٥٩٤ ٥٩٥
دراهم القدرة ٦٢٨	

الدولة، موسى معظم السلطنة ٥٩٤
 دولتشاه ٥١٠ ٦٥٢ ٦٥٥ ٦٦٦
 دومة الجندل ٤٣٤
 دويونگ ٣٧٠
 دهخدا، علي أكبر ٣٨٥ ٥٩٤ ٦١٢
 دهقانان (الدهاقنة) ٤٨٧ ٤٨٨
 دهلي ٥٩٤
 ديار بكر ٦٥٣
 الدياله ٤٠٢ ٤٦٦ ٦٧٤
 ديتريسي ٤٣٦-٤٣٩ ٥٣٣ ٥٤١
 ٥٥٢ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦
 ديدان ٥٩٥
 الديصانية ٥٥٦ ٥٦٣
 ديك الجن ٤٠٧ ٥٠٨
 دينشاه ايراني ٥٩٤
 دينور ٤٦٦
 الدينوري ٤٦٨ ٤٧٠ ٤٧٩ ٤٨٠
 ٤٨٦ ٥٢٤ ٥٣٥
 الديوان ٣٩٣
 ديوجانس ٦١٥
 ديودادي ٦٥٤

دوازده إمامي (الأئمة الإثني عشر)
 ٤٤١
 دوبر ٥٣٩
 دوخويه ٣٦٩ ٣٧٨ ٣٩١ ٣٩٧
 ٣٩٨ ٤٠٢ ٤١٣ ٤٦٦
 ٤٨٠ ٥٠٨ ٥٢٤ ٥٢٨
 ٥٣٠ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٤٤
 ٥٤٥ ٥٧١-٥٧٣ ٥٧٦-
 ٥٧٨ ٥٨٢-٥٨٧ ٥٩٤
 ٦٣٢-٦٣٤
 دوزي ٣٦٤ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٧ ٤٢١
 ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٣١ ٤٣٤ ٤٣٦
 ٤٤١ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٦٨
 دوساسي ٥٧١ ٥٧٦ ٥٧٨ ٥٩٥
 ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠١ ٦٠٢
 ٦٠٤ ٦٠٦
 دوسلان ٣٧٠ ٣٨٧ ٤٠٨ ٤٤٠
 ٤٤٦ ٤٥٧ ٤٦٩ ٤٧٤
 ٤٨٩ ٥٣٢ ٥٤١ ٥٤٧
 ٥٥٨ ٦٥٣ ٦٨٢
 الدولة العباسية (أنظر: بني العباس)

(ذ)

ذو النون المصري ٤٤٦ ٥٠٨ ٥٢٣

٦٢٢

الذهبي ٦٣٦ ٦٣٧

ذاقولييه ٤٦٣

ذو الرمة ٣٧٩

ذو اللسانين، الشعراء ٦٦٢

رجعت ٤٠٨ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٥	رابعة العدويّة ٤٤٦ ٤٤٧ ٦١٠
رستم ٣٩٠	٦٢١ ٦٢٣
الرسالة القشرية ٦٠٩	راجبوتها ٥٤٣
رستمي، أبو سعيد ٥٤٧	الرازي، أبو بكر ٥٣٢
الرسول الكريم ٣٦٥ ٣٨٦ ٤٤٥ ٥٦٣	الرازي، أبو المفاخر ٦٣٨
الرشيد العباسي ٣٦٨	الرازي، بندار (انظر: الپندار الرازي)
رشيد الدين فضل الله ٥٦٩	الرازي، شمس القيس ٦٨٥ ٦٨٦
رشيدي السمرقندي ٦٦٦	الرازي، قوامي ٦٣٨
رصد خانه بغداد (مرصد بغداد)	الرازي، منطقي (انظر: منطقي)
٤٥٦	الرازي، يحيى بن معاد ٦٠٩
الرضا، علي بن موسى الرضا ٦٢٨	راسب ٥٤٨
رضا قلي خان ٤٦٤	راشد الدين سنان ٥٧٥
ركن الدولة، حسن ٥٣٣	الراضي ٥٣٣
الرفاء، سري ٤٥٧	راغب ٤٢٨
الرفاع ٥٤٢	الرافضة ٤٦٧ ٥٢٨
رنه دوسو ٥٧٣	رام روز ٦٨٨
الروايات ٣٩٤	رام هرمز ٥١١ ٥٣٨
روح بن عبادة ٣٩٦	راوند ٤٦٩
روح القدس ٥٧٢	الراونديون ٤٦٠ ٤٧٠
رود خانه تيمز (حوض نهر التيمز) ٤١٠	رايلندز ٣٨٠ ٦٥٥ ٦٥٩
الرودكي ٥٠٢ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٧	الرباعي ٦٩٠
٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦٣ ٦٦٤ -	ربيع الأبرار ٤٣٠
٦٨٦ ٦٦٩	ربيع بن صبيح ٣٩٤ ٣٩٦

الروم الشرقية ٤٥٦
الرونقي البخاري، أبو المؤيد ٦٨٠
رؤية الله ٤٢١
الري ٤٦٣ ٤٦٦ ٤٦٧ ٥١٤ ٦٢٧
٦٥٣
رياض العارفين ٦١٠
ريحانة الأدب ٨٤٠
ريد ٣٩١
ريو ٦٧٥

روزن تسوايگ شوانو ٥٣٠ ٤١٥
٦٤٥ ٦٤١
٦٤٧
روكرت ٥٦٦
الروم ٣٨٥ ٥٥٧ ٦١٥ ٦٩٦
الروم الشرقية ٤٥٥
الرومي، خط (أنظر: الخط الرومي)
الرومي (أنظر: جلال الدين المولوي)
روميان (الأروام) ٦٨٤

﴿ز﴾

زحل ٦٧٢	زاخو ٣٧٤ ٣٩٠ ٤٥٩ ٤٧٢ ٥١٨
زراوه ٤٩٦	٥٢٦ ٥٣٣ ٦١٢ ٦٨١ ٦٨٨
زردشت والزردشتية ٣٨١ ٣٧٥	زبان آلماني (اللغة الألمانية) ٣٩٧
٤٠١ ٤٥٠ ٤٦٠-٤٦٢ ٤٦٧ ٤٦٨	زبان انگلیسی (اللغة الإنجليزية)
٥٠٦ ٥١٨ ٥٤٤ ٦٠٤ ٦٥٣ ٦٦٩	٦٢٠ ٦٤٧ ٦٥٠
٦٧٠	زبان ترکی (اللغة التركية) ٤٣٨
زردشت وتغییر اسمه إلى محمد بن عبدالله	٥٦٦
٣٨١	زبان شناسي (الاستشراق) ٣٨٩
زردشتية الإسلام الجدد ٦٥٣	٣٩١ ٣٩٠
زروان اكرانه ٦٠٤	زبان عربي (اللغة العربية):
زكرويه ٥٨٣ ٥٢٦ ٥٢٥	لغة العلوم الإسلامية حتى هجوم المغول
زلمن ٦٩٤	٥٥٠ ٥٠٢
زليگمن ٦٩٢ ٦٥٦	مؤلفات الإيرانيين بالعربية ٦٤٩
الزخشي ٤٣٥ ٤٠٣ ٣٩٠	٦٥٢ ٦٨٧ فما بعد
الزمزمة ٤٦١ ٤٦٠	اللغة العربية بالخط السرياني ٤٠١
الزنادقة (أنظر: الزنديق)	٥٣٢ ٥٣٤ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٦ ٥٥٩
الزنج (زنگيان: الزنوج) ٥٢٢ ٥١٤	٦١٣ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١
٥٨٢	زبان كلداني (اللغة الكلدانية) ٦٩٥
زنجان ٥٥١ ٤٨٣	زبان لاتین (اللغة اللاتينية) ٦٥١
زند واوستا ٥٩٣	زبان نبطي (اللغة النبطية) ٤٨٦ ٤٨١
الزنجاني، شيخ الإسلام ٣٩٦ ٣٩٢	زبان يوناني (اللغة اليونانية) ٣٧٩
الزنجاني، أبو الحسن ٤٣٧	٦٥١ ٥٠٨
الزنديق ٤٥٨ ٤٥٢	الزبير ٥٦٤

الزيات (أنظر: محمد بن عبد الملك)
 زياد بن جاريه التميمي ٣٩٧
 زيار ٥٢٧ ٥٣٤ ٥٣٧ ٥٤٣ ٥٤٩
 (انظر: آل زيار)
 الزيارى، الأمير كيكأوس ٦٨٣
 زيدان، محمد بن الحسين ٥٩٤ ٥٩٥
 زيد بن ثابت ٣٩٣ ٣٩٥
 زيد بن رفاعه ٤٣٧
 زيد بن عبدالله ٤٠٧
 زيد بن علي ٤٦٨
 الزيدية ٣٦٩ ٥٦١ ٥٦٩
 الإمام زين العابدين (أنظر: علي بن الحسين)
 زينت الزمان ٦٥٤

زندبيجي ٦٨٠
 زندبيجي ٦٨٠
 زندية اليمن ٤٣٥
 زنگيان (أنظر: الزنج)
 زواج المحارم ٤٦٠
 زوتن برگ ٥٣٩ ٦٦٤ ٦٩٢ ٦٩٤
 زوجات النبي الكريم ٤٢٤
 زوزن ٤٥٩
 الزوزني، أبو علي ٥٣٥
 الزوزني، أبو محمد ٦٦٣
 زونن شاين ٦٤٠ ٦٤٤
 زهرى ٣٨٢ ٣٩٥ ٣٩٨ ٣٩٩

﴿ز﴾

زوكوفسكي ٦٠٨
 زولين المرتد ٤٥٣

ژاك دوماركت ٦٢٠
 ژوس تي نين ٦١٥

السبزوارى، حاج ملاها دى ٤٢٤	ساباط أبى روح ٥٧٥
السبعى ٥٩٥	ساپور ٣٨٥
السبعية ٤٤١ ٥٦٩	الساچى، أبى على ٦٨٧
سبكتگين ٥٤٣ ٥٤٩	ساحران (السحرة) ٥٣٥
سبلان ٤٨١	ساسان ٣٨٨
سپهرى ماوراء النهرى ٦٨٠	الساسانيون ٣٧٠ ٣٧٩ ٣٨٠ ٤٥٥
سپيد جامگان (أصحاب العباءات	٤٦٤ ٤٩١ ٥١٢ ٥٦٤
اليضاء) ٤٦٣ ٤٦٥ ٤٧٣ ٤٧٧	٥٦٩ ٦١٢ ٦٩٦
٤٧٨ ٤٧٩	سامان ٥١٧
السجستاني، أبو حاتم ٥١٥	الساماني، أحمد بن إسماعيل ٦٧٧
سدراربا ٤٥١	الساماني، إسماعيل بن أحمد ٥١١
سر أحمد خان الهندي ٤٢٩	٥١٨ ٥١٩ ٥٢٢ ٦٦٤ ٦٦٥
سرخ پوشان (سرخ غلمان) ٤٦٣	الساماني، منصور ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٧
٤٨٧ ٤٧٩ ٤٦٥	السامانيون ٤٧١ ٥٣٥ ٥٤٣ ٥٤٩
سرسار، محمود ٣٨٧	٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥٦ ٦٥٩
سر من رأي ٤٨٧ ٤٩٧ ٥٠٥	٦٦١ ٦٦٢ ٦٧٢ ٦٧٨
سرنوشت (المصير) ٤٢٠	٦٧٩ ٦٨٧
سروري إيرانيان بر عرب (زعامة	سامراء ٥٠٥
الإيرانيين للعرب) ٣٦٥	السامري ٦٩٥
السرى، الرفاء (أنظر: الرفاء)	سامي ٣٧٧
السرياني ٤٥١ ٤٥٣-٤٥٥ ٥٧٢	السامي، علي بن جهم ٥٠٨
سعد بن أبي وقاص ٥٦٤	سانتا ترزا ٦١٦
سعد الراويني ٦٩٣	سانسكريت ٤٥٧ ٤١٢ ٦٤٥

السعدي	٥٨٨ ٥٦٥ ٥٠٦ ٤٣٩
٥٨٩	٦٣٩ ٦٣٨ ٦١٩
سعید بن أبي عروبة	٣٩٤
سعید بن البطريق	٥٣٦
سعید الحرشي	٤٧٨
سعید بن الحسين بن عبدالله بن ميمون	
القдах	٥٧٦
سعید بن المسيب	٣٩٨
سغد	٤٩٣ ٣٨٨
سغد والسغدي	٤٩١ ٤٩٠
السفاح	٣٧٢ ٣٦٨ ٣٦٣
سفر العلم	٣٩٦
سفر نامه ناصر خسرو (انظر: سفر)	
سفيان الثوري	٣٩٦ ٣٩٤
سفيان بن عيينه	٣٩٦
السقطي، سري	٦٢٢
السكري	٥٢٣
السكري المروزي، أبو الفضل	٦٨٩
سلجوقيان (السلاجقة)	٥١٣ ٤٦٤
٦٥٥ ٦٥٨ ٦٧٥ ٦٨٥ (انظر: آل سلجوق)	
السلسلة المولوية	٦٣٩
السلطان سعيد	٦٥٨
سلطنة طلبى إيرانىان (تطلع الإيرانيين	
للحكم)	٤٠٨
سلم وتور	٥٩٣
سلمان الساوجي	٦٣٨
سلميه	٥٧٦ ٥٧٥
سلوكيدها (السلوقيون)	٦٩٦
سليمان بن داود	٥٦٠
سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس	٣٦٨
سمرقند	٦٦٥
السمرى	٦٣٠ ٦٣٢
السمعاني	٦٦٦
سنائي	٦٠٧ ٦٣٨
سنام	٤٧٧
سنان، راشد الدين	٥٧٥
سنياد المجوس	٤٦٣ ٤٦٥ ٤٦٦
	٤٦٧ ٤٧٩
سنياديه	٤٦٣
سيويه	٤١٤
سنت تریز	٤٤٦
السنّة والجماعة	٤٠٢-٤٠٤ ٤٠٩
٤١١ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤٢٣ ٤٣١	
٤٣٣ ٤٣٥ ٤٣٧ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١	
٤٤٥ ٤٦٣ ٤٦٩ ٥٠٧ ٥١٢ ٥١٦	
٥٣٦ ٦١٨ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٨ ٦٣٩	
سنّة الرسول الكريم	٣٩٥
سن بطرز بورغ	٤٥١ ٥١٢ ٦٠٨
سنجر	٦٥٨
السند	٥١١
السندي، إبراهيم	٣٦٦

السهروردي، الشيخ شهاب الدين عمر
 ٦١٩
 السهروردي، الشيخ شهاب الدين يحيى
 ٦١٩
 سهل بن عبدالله الشوشتری ٥٢٣
 سهل بن هارون ٣٨٧
 سه وروس ٥٧٩
 سيادة الرومان ٤٥٥
 سياست نامه ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٧٩ ٤٨٠
 ٤٨٦ ٥١٣ ٥١٨ ٥٨٢
 ٦٦٥
 سياسي، الدكتور علي أكبر ٥٦٤
 السيد الحميري ٤٠٣
 سيد الشهداء ٤٢٨ ٤٣٣
 سیرافي ٥٤٤
 سیراوند ٤٥٩
 سیبویه ٣٧٧ ٣٧٨ ٤٠٢ ٤٠٤
 ٤٠٦
 السير والسلوك، الأهل ٣٣٩
 سيرة ابن هشام ٣٨٠ ٣٩٧
 سيرة الرسول ٣٨١ ٤٠١ ٤٠٢
 سيرين ٣٨١
 سيسانيه ٤٦٢
 سيستان ٤٧١ ٥١١ ٥٢٧ ٦٥٣
 سيطرة العرب ٤٧٢
 سيف بن ذي يزن ٣٨٠

سنگلجي، آقا محمد ٤٢٦ ٤٤١
 السنكلجي (أنظر: شريعة السنكلجي)
 سن ماركوريوس ٥٧٩
 سوٲ پليس، مؤسسة أخلاقية ٦٤٠
 سورة آل عمران ٥٨٨
 سورة إبراهيم ٦٠٢
 سورة البقرة ٥٨٧ ٥٨٨
 سورة الذاريات ٦٠١
 سورة الأعراف ٦٢٩
 سورة الأنفال ٦١١
 سورة بني إسرائيل ٦٠١
 سورة الحجرات ٣٨٤
 سورة الحديد ٤٢٨
 سورة حم ٦٠٢
 سورة الحمد ٤٢٦
 السورة الثانية (البقرة) ٥٨٧ ٥٨٨
 سورة القمر ٥٨٩
 سورة النساء ٦٣١
 سورة يونس ٤٢٤
 سوریه ٣٦٣ ٤٥٥ ٥٢٥ ٥٧٥
 ٥٧٨ ٥٨٠ ٥٨٢ ٥٨٣
 ٦٠٩ ٦٥٠ ٦٥٣
 السوس ٦٠٣
 سوفوس ٤٤٣
 السويس ٤٢٠

٦٧٨	سيمجور	٦٥٠	٥٤٥	٥٤٢	٥٤١	سيف الدولة
٤٥٤	سينان، أبو سعيد					السيل ٥٣٥
٣٩٤	السيوطي					السيلزي ٦٩٤
						سيم پليوس ٦١٥

﴿ش﴾

الشعراني ٦٣٦	الشافعي ٤٤١ ٤٤٠ ٤٣٩ ٤٠٤
شعر العرب ٣٩٤ ٣٩٠	٥٦٢
الشعوية ٤٠٥ ٣٩٠ ٣٨٧ ٣٨٤	شاكر ٦٣١
٥٠٨ ٤٩٧ ٤٠٧	الشام والشميون ٣٩٤ ٣٨٤ ٣٨٢
شفر، شارل ٤٨٦ ٤٧٩ ٤٦٥ ٤٦٤	٥٦٤ ٣٩٧ ٣٩٦
٥٨٠ ٥٤٧ ٥١٨ ٥١٣	شاه برند ٤٧٢
٦٩٣ ٦٧٣ ٦٦٥	شاهنامه الفردوسي ٦٧٠ ٥٤٤
شمس التبريزي ٦٤١ ٦١٤ ٤٤٨	٦٧٦ ٦٧٥
شمس المعالي (أنظر: وشمگیر)	شاهنامه نوبخت ٤٦٦
شمع اليقين ميرزا حسن لاهیجی	الشبستري، محمود ٦٤٧ ٥٨٩ ٤١٤
٤٢٩	الشبلي ٦٣٤ ٦٣٣ ٤٤٦
شمعون، بطرس ٥٩٧	الشبلي الخراساني ٥٣٧
شوبين ٣٨٦	شبلي النعماني ٦٠٧
شوش ٦٢٩	الشبهات لياقوت الحموي ٤٧٦
شوشتر ٦٣٥	شبيب بن داح ٤٦١
الشوشتري، القاضي نور الله ٤١٨	شرح الإشارات ٤٢٨
٥١٣	شرح الهداية ٤٢٧
شوون، فيكتور ٤٣١ ٤٢١ ٣٦٤	شريعة السنكلجي ٦٣٢ ٤٢٦
٤٤٦	شريف الرضى ٦٥٣ ٤٢٦
شهرزوري ٤٣٧ ٤٣٤ ٤١١	شعراء الجاهلية ٤٠٠
الشهرستاني ٤٦٤ ٤٦٢ ٤٢٩ ٤٠٩	الشعراء الإيرانيون الذين يكتبون بالعربية
٤٨٦ ٤٧٩ ٤٧٨ ٤٦٥	٦٨٩
٦١٤ ٥٧٥	شعراء اليهود والنصارى ٤٠٠

شيطان پرست (عابد الشيطان) ٤٥٤
 الشيعة ٤١٠ ٤٠٧ ٣٦٩ ٣٦٤
 ٤٤١ ٤١٩ ٤١٨ ٤١٥
 ٥٠٤ ٤٦٧ ٤٦٣ ٤٤٣
 ٥١٤ ٥١٢ ٥٠٨ ٥٠٦
 ٥٢٥ ٥٢٤ ٥١٧ ٥١٥
 ٥٦١ ٥٣٣ ٥٣٠ ٥٢٨
 ٥٧٧ ٥٧٠ ٥٦٩ ٥٦٧
 ٦٢٩ ٦٢٧ ٦١٨ ٦٥٩
 ٦٣٨
 شيل، ليدي ٤٦٥

الشهرستاني، سيد هبة الدين ٤١١
 ٤٢٦
 الشهنشاهي، سيد حسين ٦٦٠
 الشهيد البلخي ٦٦٤ ٦٦٣ ٦٦٢
 الشيباني، علي بن هارون ٥٣٨
 شيخ الإسلام الزنجاني ٣٩٦ ٣٩٢
 ٤٠٩
 الشيخ الجوهري ٤٢٩
 الشيخ محمد عبده ٤٢٩
 شيراز ٥٣٣ ٦٣٨ ٦٣٩
 الشيرواني، خاقاني ٦٣٨
 الشيطان ٤١٩ ٤١٨

الصفاني، طاهر بن فضل ٦٧٩ ٦٨٣	الصباي، إبراهيم بن هلال ٥٤٤
صفاء، الدكتور ذبيح الله ٣٦٩ ٤١١ ٦٠٨	الصابئين ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٧
صفات الشعراء ٤٠٧	٥٨٣
الصفاتية ٤٠٩	صاحب الأمر ٣٠٣
الصفار، عمرو بن الليث ٦٦١	صاحب الخال ٥٨٣
الصفاريون ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٣	صاحب الزناقة ٤٥٨
٥١٨ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٧	صاحب الناقة ٥٨٣
٦٤٩ ٦٥٦ ٦٧٢	الصاحب بن عباد ٥٤٦ ٥٤٧ ٦٥٠
صفوت العرفان ٤٢٩	٦٦٢ ٦٧٤ ٦٨٧
الصفوية ٤٣٩	الصادق، الإمام جعفر ٥٦٩ ٥٧١
صلاح الدين الأيوبي ٥٧٧	٥٧٣ ٥٧٥
صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ٤٢٧	صالح الرسول ٥٦٣ ٦٢٩
صلة تاريخ الطبري (انظر: عريب)	صالح بن عبد القدوس ٤٥٨
الصليب الأحمر ٦٩٦	الصامت ٥٩٧ ٦٠٣
صنعاء ٣٩٩	الصباح، حسن ٥٩٦
الصوامع السورية ٤٥٥	الصحابة ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦
الصوفي، أبو هاشم ٦٠٩	٤٤٥
الصفوية ٤٢٨ ٤٤٢ ٤٤٦ ٥٢٩	صحيح البخاري ٣٩٥ ٥١٦
٥٣٠ ٥٣٧ ٥٤٥ ٥٥٦	صدر الإسلام ٣٩٤
٥٦١ ٦٠٧ ٦١١ ٦١٦	الصدوق ٤١١ ٥٢٤
٦١٨ ٦٢١ ٦٢٥ ٦٢٧	الصدوقي، أبو الحسن ٦٣٩
٦٣٣ ٦٣٦ ٦٤٠ ٦٤٢	الصرف والنحو العربي ٣٧٦ ٣٩١
٦٤٥ ٦٤٧	٤٠٢

الصولي، أبو إسحق إبراهيم ٣٨١
 الصولي، أبو بكر ٦٢٩ ٦٣٥
 صومعة نشينان صدر مسيحية
 (سكان الصومعة في صدر المسيحية) ٤٤٨

صول ٣٨١
 صولتكين ٣٨١
 الصولي، إبراهيم بن العباس ٤٦١ ٥٣٧

﴿ض﴾

ضيائي، صادق ٣٩٢

الضبي، أبو نصر ٤٣٠
 ضحي الإسلام ٤٥٨

﴿ط﴾

الطبري ٣٦٥ ٣٧٤ ٣٩١ ٤١٦
 ٤١٧ ٤٣١ ٤٥٧ ٤٦٦ ٤٦٨ ٤٦٩-
 ٤٧١ ٤٧٧ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨٦ ٤٨٧
 ٤٩٠ ٤٩٦ ٤٩٧ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٢٢
 ٥٢٧ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣٩ ٥٦٢ ٦٢٧
 ٦٢٨ ٦٣٣ ٦٦٤
 طخارستان ٥١١
 طبقات الشعراء ٤٠٧ ٥٠٨
 الطبقات الكبير ٤٠٧
 طلحة ٣٧٩ ٥٦٤
 الطمامي، ابن أبي زكرياء ٥٢٦
 طنطاوي ٤٢٩
 طوس ٦٣٨
 طليسان ٤٩٤ ٤٩٥

الطائي، داود ٤٤٦ ٦١٠ ٦٢١
 طارون ٣٨٦
 طارق كسرى ٣٧٤
 الطالقان ٥٧٦ ٦٢٧
 طاهر ذو اليمينين ٥٠٩
 الطاهريون ٥٠٣ ٥٠٩ ٥١٠ ٥٢١
 ٦٤٩ ٦٥٨ ٦٦٠
 ٦٦١ ٦٧٢
 الطابع ٥٤٣
 طب المنصوري ٥٣٢
 طبرستان ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٨٧ ٤٨٨
 ٤٩٤ ٥١١ ٥١٢ ٥٢٧
 ٥٤٣ ٥٦٩ ٦٥٠ ٦٦٢
 ٦٨١ ٦٨٣ (انظر: مازندران)

﴿ظ﴾

ظهور الله في قالب البشر ٥٨٩
ظهير الفاريابي ٥٦٥

٤٠٨

الظاهري (انظر ابن حزم)
الظاهرية ٥٢٣
الظريفي، أبو نصر ٥٣٥

عبدان ٥٧٦ ٥٨٢	عاد ٦٢٨
عبد الملك بن جريح ٣٩٤	عارف القزويني، أبو القاسم، هفت
عبد الملك بن عبد العزيز ٣٩٦	العالم الصغير والعالم الكبير ٤٢٧
عبد الملك الخليفة الأموي ٣٨٢ ٤١٤	العامري، السلطان محمد، هشت
عبد الملك الساماني ٦٧٤ ٦٨٠	عائشة ٥٠٦
عبد بن شريه ٣٩٩	عباس أفندي ٤٦٣
عبد زakan ٥٦٥	عباس إقبال آشتياني، سه (انظر: إقبال)
عبد الله بن جبريل ٥٣٦	عباس بن عمرو ٥٢٠
العتبات ٥٠٦	عباس المروزي ٦٥٩
العتبي ٦٦٦ ٦٧١ ٦٧٤	عبد الجليل الرازي، نه
عثمان بن نهيك ٤٦٩	عبد الرحمن بن عوف ٥٦٤ ٦٥٧
العجم ٣٨٢ ٣٨٤ ٣٨٩	عبد الرحمن حرمة الأسلمي ٣٩٨
عجيف ٤٩٣	عبد الرزاق ٣٩٦
العدوية (انظر: رابعة)	عبد الرسول ٤٤٠
العراق ٣٦٣ ٣٩٧ ٤١٣ ٦٧٧	عبد الله بن سعيد ٤٦١
عراق العرب ٣٨٦ ٦٥٠	بعد الله بن شعبة ٤٦١
العراقي ٦١٣	عبد الله بن طاهر ٤٠٧ ٤٨٩ ٤٩٥
العرب ٣٦٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٨٠	٥١٠
٣٨٣ ٣٨٥ ٣٨٧ ٣٨٩	عبد الله بن علي بن عبد الله ٣٦٨
٤٠٦ ٤٥٠ ٤٥٤ ٤٥٦	عبد الله بن عمر ٣٩٥
٤٥٧ ٤٦٩ ٥٢٤ ٥٥١	عبد الله بن عمرو بن العاص ٣٩٥ ٣٩٨
٥٧١ ٥٨٦ ٥٩١ ٦٢٤	عبد الله بن مبارك ٣٩٦
٦٨٤	عبد الله بن وهب ٣٩٦

العطار، فريد الدين ٤٤٧ ٤٣٩
 ٦٢٣ ٦٢١ ٦٠٧ ٥٦٥ ٥٣٠ ٥٢٩
 ٦٤٧ ٦٣٨ ٦٣٧ ٦٢٦ ٦٢٥ ٦٢٤
 عقائد الإيرانيين الاستبدادية ٣٦٥
 العقبة ٤٨٧
 العقدانئة ٥٨٥
 العكوك ٤٠٥
 هلم الأنساب ٣٩١ ٣٨٩
 علم الحديث ٣٩٦ ٣٩٢
 علم الدراية ٣٩٢
 علم الكلام ٤٢٦
 علوم العربية ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠٢
 العلوي، حسن بن زيد ٥١١
 العلويون ٥١٢
 علي آبادي، الدكتور عبد الحسين
 ٦٢١
 علي بن أبي طالب عليه السلام ٣٧٤
 ٤٣١ ٤٢٨ ٤٠٢ ٣٩٤ ٣٩٣ ٣٧٩
 ٥٦٤ ٥١٤ ٥٠٦ ٥٠٤ ٤٤٢ ٤٣٣
 ٥٩٧ ٥٩٦ ٥٧٧ ٥٦٧
 علي بن الحسين ٥٩٧
 علي بن عبد الله بن العباس ٣٦٨
 علي بن عيسى ٦٣٥ ٥٢٨
 علي بن موسى الرضا ٤١٦
 علي مزدك ٤٨٦
 علي بن هشام ٤٩٣

عربستان ٤٠٠ ٣٩٧ ٣٩٥ ٣٨٠
 ٦٥٣ ٥٦٩ ٤٤١
 العربي ٤٥٧ ٤٥٣ ٣٩١ ٣٧٩ ٣٧٧
 ٦٥٠ ٦٤٩ ٥٢٥ ٥٠٣ ٥٠٢
 (انظر: اللغة العربية)
 عرب مآبي (المتشبهون بالعرب) ٣٨٠
 العرفان ٤٤٦ ٤٣٧ ٤٢٧
 عرفاء الإسلام ٦٢٠
 عروة بن الزبير ٣٩٥
 العروض ٤٠٣
 عروضي السمرقندي (انظر: نظامي
 عروضي)
 عريب بن سعد القرطبي ٥٣١ ٥٢٨
 ٦٣٤ ٦٣٣ ٦٣٢ ٦٢٩ ٦٢٧
 عزّام، الدكتور عبد الوهاب ٦٧٥
 العزيز، أبو منصور نزار ٥٤٣ ٥٤٥
 عسكر مكرم ٥٧٥
 العسلي ٥٠٦
 عصا موسى ٤٢٤
 العصر الأموي ٤١١
 عصر طلائع إسلام (عصر الإسلام
 الذهبي) ٤٠٨ ٣٦٣ ٣٦١
 عصر المسيح ٦٩٥
 عصر المغول ٦٩٤
 عضد الدولة ٥٤١ ٥٤٣ ٥٧٧
 عطاء ٤٧٨ ٤٧٥ ٣٩٤

٦٦٠ ٦٥٩ ٦٥٧
 -٦٦٩ ٦٦٦-٦٦٢
 ٦٧٤ ٦٧٣ ٦٧١
 ٦٨٠ ٦٧٨ ٦٧٦
 ٦٨٣
 عهد نامه هاي پيغمبر (مواثيق الرسول)
 ٣٩٣
 عياض، فضل بن عياض ٤٤٦ ٤١٠
 عيد القريان ٤٢٨
 عيسى بن جعفر ٥٠٥
 عيسى بن علي ٥٣٩
 عيسى بن محمد بن حميد الطوسي ٤٨٠
 عيسى المسيح ٤٢٤ ٤٦٣ ٥٩٧
 عيسى بن موسى بن علي بن عبد الله بن
 عباس ٣٦٨
 عيسى والعيسويون ٤٣٨ ٤٤٩
 ٤٥٣ (انظر: المسيح والمسيحية)
 عين الكمال ٦٦٠
 عيون الأخبار ٤٠٥

علي الجارم بيك ٣٦٦
 عماد الدولة ٥٢٧ ٥٣٣
 عماد الدين، محمد بن محمد بن حديد
 الأصفهاني ٦٧٥
 عمان ٥٢٦
 عمر بن الخطاب ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٩٣
 ٥١٤ ٥٠٦ ٣٩٥
 ٦٥٧ ٦٣٨ ٥٦٧
 عمر بن عبد العزيز ٣٩٥ ٣٩٦
 عمر بن الفارض ٦٣٩
 عمرو بن بحر (انظر: الجاحظ)
 عمر بن عثمان المكي ٦٣٦
 عمرو بن الليث الصفار ٥١١ ٥١٧
 ٥١٨ ٥١٩ ٥٢١ ٥٢٧
 عميد أسعد ٦٧١
 عمير ٣٤٧
 العنصري ٥٦٥ ٦٦٥
 العوفي، محمد ٣٧٩ ٤١٤ ٤١٥
 ٦٥٤ ٥٠٢ ٤٣٧
 ٦٥٦ ٦٥٥

الغسانيون ٦٥٤	غاية الوسائل إلى معرفة الأوائل ٦٦٤
الغصن الأعظم ٤٦٣	الغزال، واصل بن عطاء ٤١٢
الغضائري الرازي ٦٨٣	الغزالي، حجة الإسلام ٦٣٦ ٦٣٨
غلاة الشيعة ٨٤٠ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤	غزالي اللوكري، أبو الحسن علي بن محمد ٦٧٣
٥٣١ ٥١٤ ٤٨٦ ٤٦٨	
٥٧٥	الغزل ٦٨٩
الغلايني، الشيخ مصطفى ٥٨٩	الغزنوي، السلطان محمود ٤٩٩
غنى، الدكتور قاسم ٥٣٠ ٦١٠	٥٠١ ٥٤٣ ٥٤٩ ٦٦٥ ٦٦٦
٦٢١	٦٨٣
الغنوي، عباس بن مرو ٥٨٣	الغزنويون ٥٠٣ ٥١٨ ٥٢٧ ٥٤٣
غور ٦٥٤	٥٥٠ ٦٥٨ ٦٧٩ ٦٨٠
الغنية ٤٦٤	٦٨٥ ٦٨٦
غيلان قدري ٤١٥	غزنه ٦٥٣
	غزواني ٦٧٣

﴿ف﴾

٣٧٠ ٣٦٧ ٣٦٦ ٣٦٥	الفخري	٦٣٥ ٥٦٦ ٥٤٣ ٥٣٧ ٣٨٣	فارس
٤٦٧ ٤٦٦ ٣٧٤ ٣٧٢		٥٣٥	الفارسي، أبو إسحق
٤٧٨ ٤٦٩		٦٣٠	الفارسي، محمد بن أحمد
	الفدية ٣٧٨		فارسي نوين (الفارسية الحديثة) ٥٠٢
	الفراء ٤٠٥	٥٦٩ ٥٦٧ ٥١٤	فاطمة الزهراء
الفرالاوي، أبو عبد الله محمد بن موسى		٥٩٦ ٥٧٨ ٥٧٧	
٦٦٤ ٦٦٣		٥١٩ ٥١٧ ٥١٣ ٥٠١	الفاطميون
	فرنسا ٥٣٥	٥٧٥ ٥٧٤ ٥٤٣ ٥٢٦	
الفراهاني، أديب الممالك ٥٩٣ ٩٩٤		٥٨١ ٥٨٠ ٥٧٨ ٥٧٧	
	الفرائض ٣٩٥	٦٦٥ ٥٨٥ ٥٨٣	
	فريز ٦٨٤	٤٤٤	فاكس، جرج
	فرخى ٥٦٥ ٦٧١ ٦٨٦	٥٢٣	الفاكهي
	فردوس المرشدية ٦٤٨	٣٩٥	الفتاوى
الفردوسى ٥١٢ ٥٤٤ ٥٦٥ ٥٩٢		٤٠١ ٤٠٠	فتنة المغول
٦٦٩ ٦٦٥ ٦٥٩ ٦٣٨		٣٩٣	الفتوحات الإسلامية
٦٩٢ ٦٧٧ ٦٧١ ٦٧٠		٥٢٤ ٣٧٨	فتوح البلدان
	فردوسى نامه مهر ٥٩٤	٤٠٢	فتوح الشام
فرس قديم (الفرس القدامى) ٥٠٧		٤١١	فجر الإسلام
	فرس النوبة ٤٧١	٦٠٧ ٤٢٩	فخر داعي سيد محمد تقي
فرعون ٤٩٣ ٦٤٢		٦٦٢ ٦٤٦	فخر الدولة
فرفورىوس ٦١٤			الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي
الفرق الإسلامية ٤٠٩		٦٦١ ٤٢٧	
فرنك، هرمن ٦٠٩			

٣٩٤ فقه اللغة العربية
 ٤٥٢ فقهاء الإسلام
 ٥٢٣ ٤٥٨ الفلاحة النبطية
 ٦٦٢ فلايشر
 ٤٢٧ فلسفة الشرق
 ٤٥٠ ٤٢٦ ٤١٦ فلسفة اليونان
 ٥٣٢
 ٥٩٤ فلسفي، نصر الله
 ٦١٥ ٦١٤ فلوطين
 ٥٥٨ ٥٥١ ٤٤٥ ٤٣٦ فلوجل
 ٥٩٥
 ٦٥٤ فناخسرو
 ٦٤٥ ٦٤٤ ٦٣٩ الفناء في الله
 ٣٨٥ ٣٧٧-٣٧٥ ٣٦٩ فن كرم
 ٤١٣ ٤١١ ٤٠٧ ٣٨٧
 ٤٥٨ ٤٤٩ ٤٤٨ ٤٢٥
 ٦١١ ٥٤٥ ٥٤٢
 ٥٩١ ٥٤٠ فن هامر
 ٦٨٠ ٦٧٠ فولرس
 الفهرست (انظر: ابن النديم)
 ٦٥٤ فهرست برج
 ٣٩٧ الفهري، حبيب بن مسلمة
 ٥١٠ فيتزجرالر
 ٥٥٥ الفيناغورثيون الجدد
 ٦٥٤ فيروز، خسرو
 ٣٨٠ فيروز الديلمي

٣٦٥ ٣٦٤ فروز انفر، بديع الزمان
 ٤١٠ ٣٨٤ ٣٧٩ ٣٦٩
 ٤٢٤ ٤٢٣ ٤١٨ ٤١٣
 ٤٣٥ ٤٣١ ٤٣٠ ٤٢٩
 ٤٤٨ ٤٤٦ ٤٤١ ٤٣٨
 ٦٠٧ ٤٤٩
 ٦٢٥ فرهنگ إسلام (معجم الإسلام)
 ٤٢٩ فريد وجدي
 ٣٨٩ فريدون
 ٦٦٦ فريغويي
 ٦٣٨ فريومدي، يمين الدولة
 ٥٧٩ الفسطاط
 ٤٠٨ الفصل في الملل والأهواء والنحل
 ٤٢٧ فصوص الحكم للقيصري
 ٦١٣ فصوص الحكم لمحيي الدين
 ٥١٦ فضائل الأتراك
 ٣٧٢ الفضل البرمكي
 ٤١٦ ٤٠٣ ٣٦٩ فضل بن سهل
 فضل بن عباس، الشيخ أبو العباس
 ٦٦٨
 ٦١٩ فضل الله
 ٥١٦ ٥٠٨ فضل يمامه
 ٦٢٤ ٦٢١ ٤٤٦ فضيل بن عياض
 ٣٩٣ الفقه
 ٦٦٩ ٤٥٠ فقه اللغة الإيرانية
 ٦٩١ فقه اللغة التطبيقية

فیروز المشرقی ۵۲۱
فیض، ملا محسن ۴۲۸

فیولوجیو دیوس ۵۵۵
فیلیب الثاني ۳۹۷

(ق)

القائمة ٥٨٥	القرآن الكريم ٣٩٤ ٣٩٣ ٣٩١
قاسم زاده، دكتور ٥٩٤	٤١٦ ٤٠٠ ٣٩٧ ٣٩٦
قاسم مؤتمن ٣٦٨ ٣٦٧	٤٣٨ ٤٣٠-٤٢٢ ٤١٨
القاطعي، أبو يوسف ٤٥٢	٤٩٣ ٤٨٩ ٤٧٥ ٤٥٢
القاضي قندروزي ٤٣٣	٥٦٤ ٥٥٠ ٥٤٧ ٥٣٦
القاضي نور الله الشوش تري ٤١٨	٦٢٧ ٦١٠ ٥٩٠ ٥٨٨
القاموس، شرح ٤٨٢	٦٤٥ ٦٣٥ ٦٣١ ٦٢٩
القاهرة ٤٤٠ ٤٠٥ ٣٧٨ ٣٦٩	٦٧٩
٥١٦ ٤٩٦ ٤٩٠ ٤٥٨	القرشيون ٣٨٧-٣٧٧
قبائل العرب ٤٠٥	قرطبة ٥٧٧ ٥٣٦ ٤٠٨
قباد ٦٨١	قرمط ٥٨٢ ٥٧٥ ٥١٤
القبادي ٥٣٩	القرمطيون (القرامطة) ٤٧٣ ٤٦٣
القдах، أحمد بن عبد الله بن ميمون ٥٩٧	٥٢٠ ٥١٧ ٥١٤ ٥٠١
القдах، محمد بن عبد الله بن ميمون ٥٩٧	٥٢٧ ٥٢٦ ٥٢٥ ٥٢٢
القдах عبد الله بن ميمون ٥٩١ ٥٧٨ ٥٧٥ ٥٧٣-٥٧١	٥٣٨ ٥٣٧ ٥٣١ ٥٣٠
٥٩٩ ٥٩٧ ٥٩٥ ٥٩٤	٥٧٧ ٥٧٥ ٥٦٧ ٥٤٣
القدريه ٤١٣ ٤١٢ ٤١١ ٤٠٨	٥٨٥ ٥٨٤ ٥٨٣ ٥٨٢
٤٢٠ ٤١٥ ٤١٤	٦٣٤ ٦١٩ ٥٩٥ ٥٩١
قدّم القرآن ٤١٨ ٤١٧ ٤١٦	قره، سنان بن ثابت ٥٣٦
	قريب، ميرزا عبد العظيم الگريگاني ٣٦٥
	قريش ٤٤٠ ٣٨٣ ٣٧٩ ٣٧٨ ٣٦٥
	قزوين ٤٨٣

٤٠٤	قطرب	٥١١	القزويني، ميرزا محمد خان
٤٨٨	قلنسوه	٦٩١ ٦٨٥ ٦٥٩	
٥٤٦	قم	٥٧٥	قس بهرام
٤٢٣ ٤١٨	قمر	٥٠٨ ٤٥٦ ٤٠٦	قسطاي بن لوقا
قمرى الجرجاني، أبو القاسم زياد بن		٥٥٨	القسطنطينية
٦٧٨ ٦٦٢	محمد	٤١٢	القسمة الأزلية
٥٢٥	القمي	٦٣٣	القشوري، ابن نصر
٦٣٠	القناعي، الهاشمي	٥٤٥ ٤٤٥ ٤٤٤	القشيري
٦٥٣ ٤٦٧	قوس	عبد الكريم بن هوازن	القشيري،
٦٥٣ ٦٢٨ ٦٢٧	قهستان	٦٢١ ٦٠٩	
٤٥٣	قيصر	٦٧٣ ١٣٣	قطران

- | | |
|---|------------------------------------|
| كتاب الإسلام روح المدينة ٥٨٩ | الكاتب، أبو أجد بن أبي بكر ٦٧٧ |
| كتاب الإشارة بعلم العبارة ٣٩٩ | الكاتب الأصفهاني، عماد الدين |
| كتاب البخلاء ٣٨٧ | ٦٥٤ |
| كتاب التاج ٥٤٥ | الكاتب (وزير) ٣٧١ |
| كتاب تدويني وتكويني ٤٢٧ | كاترمر ٥٧٩ |
| كتاب الجوامع ٣٩٩ | كارا كالا ٤٥٣ |
| كتاب انقلاب إيران (ثورة إيران) ٥٩١ | كازرون ٥٣٣ |
| كتاب الإنسان الكامل في معرفة الآخر ٦١٧ | الكازروني، الشيخ أبو إسحق ٦٤٨ |
| كتاب خدا ٣٩٥ | كازيميرسكي ٤٨٩ ٥٠٣ ٥٤٠ |
| كتاب الزهد ٣٩٩ | ٦٥٩ ٥٤١ |
| كتاب سيويه ٣٧٧ | كاشان ٤٦٩ |
| كتاب العيون ٦٣٠ | الكاظمية ٤٢٦ |
| كتاب محو الموهوم ٦٣٢ | كافي ٥٣٦ |
| كتاب المدرج ٣٩٣ | كالون، ژان (كالفن، جان) ٤١٥ ٤٢٠ |
| كتاب المعارف ٤٠٥ | كالوي نيسم (كالقينيسم) ٤٢٠ |
| كتاب الهادي نياوراني ٤٢٩ | كامل التواريخ ٥٢٨ |
| كتابخانه* دانشگاه تهران (مكتبة جامعة طهران) ٤٢٧ | كانتريوري ٦٩٢ |
| كتابخانه* دانشگاه كمبريج ٥٩١ | كاول، بروفيسور ٦٦٧ |
| كتابخانه* سلطنتي پاریس ٦٩٤ | كاوه* كيمران ٤٧٢ |
| كتابخانه* كمبريج ٦٩١ | كاوه، مجلة ٦٥٩ |
| | كاوياني ٥٨٠ |
| | كيسه ٣٧٥ |
| | الكتاب (الأحاديث المتعلقة بالكتاب) |

الكعبة ٥٨٤	كتابخانه ملي ايران (مكتبة ايران الوطنية)
كلام الله المجيد (انظر: القرآن)	٦٩١
الكليبي، محمد بن السائب ٤٠٢	كتابخانه ملي باريس (مكتبة باريس الوطنية)
الكليبي، هشام بن محمد ٤٠٢	٦٩٥ ٦٩٤ ٥٤٧ ٥١٢
كلب تكين ٥٠٤	كرافورد، لورد ٦٥٩ ٦٥٥ ٣٧٩
كلت ٦٥٢	الكرامات وخوارق العادات ٦٢١
كلده وكلداني ٤٥١ ٥٥٦ ٥٦٣	كربلاء ٥٠٦ ٤٣١
٥٧٦ (انظر اللغة الكلدانية)	كرين، هنري ٦٠٦
كلردو فرانس (الكلية الفرنسية) ٦٩٤	كرج ٥٩٥ ٥٢٧
كلكته ٤٤٤ ٤٨٩ ٦٥٩	الكرخ ٥٩٥
الكلمات القصار ٣٩٣	الكرخ، معروف ٤٤٦
كلواذي ٥٧٦	کردان ٥٦٤
الكلية الإسلامية في بيروت ٥٨٩	كرمان ٥٠٦ ٥١١ ٥٣٣ ٥٤٣ ٦٥٣
كليد (مفتاح) فهم القرآن ٤٢٦	٦٦٥
كليلة ودمنة ٤٠١ ٤٩١ ٦٦٦ ٦٨٦	كرونال ٦٥٢
كليني ٥٣٦	كرهه قديم ٤٥١
كمبريج (انظر: كيمبريج)	الكسائي، علي بن حمزة ٤٠٤ ٤٠٥
كمبة جيه (انظر: كامبوجيا)	٦٥٩ ٥٣٨
الكندي ٤٠٦ ٤٢٧ ٥٢٢ ٥٢٣	الكسروي ٣٨٨ ٣٨٦ ٣٨٥
٥٥٥ ٥٤٤	كش ٤٧٧ ٤٧٢
كنز الحكمة ٤١١ ٤٣٤	كشاجم ٣٦٦
كوديه ٤٦٣	الكشاف للزخشي ٤٣٠
كورتن ٤٧٩	كشف الأحاديث ٤٢٤
الكوفة والكوفيون ٣٨٢ ٣٩٤ ٣٩٦	كشف الظنون ٣٩٦
٥٤١ ٥٢٦ ٤١٨	كشف المحجوب ٦٠٦
٥٨٦ ٥٨٤ ٥٧٥	الكشف والشهود ٦٢١ ٦٢٠

کیمریج ۳۸۵ ۴۴۸ ۴۶۴ ۵۱۵
 ۵۲۲ ۵۷۴ ۶۱۴ ۶۴۱
 ۶۵۱ ۶۵۵ ۶۶۴ ۶۷۵
 ۶۹۲
 کیما ۳۹۹
 کیهان، مسعود ۵۹۴

الکوفی، الأعثم ۵۳۲
 کومش ۴۶۷
 کون (انظر: جایجر)
 کویرها ۴۴۴ ۶۰۹
 کونیک ۴۵۳
 کیسانیة ۵۶۹



گلذیر ۳۷۶ ۳۸۴ ۳۸۶ ۳۹۰
 ۳۹۶ ۳۹۸ ۴۹۷ ۵۱۵
 ۵۲۳ ۵۲۴
 گلستان سعدي ۵۰۳
 گلش راز ۴۱۴ ۵۸۹ ۶۴۷
 گلو گاو ۶۹۴
 گنزه (جنزه) ۴۵۱
 گوشیار ۵۳۹
 گوهر مراد ۴۲۹
 گوهرین، صادق ۴۱۱
 گیار، استانیسلاس ۵۷۵ ۵۷۸
 ۵۹۱ ۵۹۵ ۵۹۶ ۶۰۶
 گیب (جیب) ۵۶۶ ۵۶۷ ۶۱۹
 ۶۴۸ ۶۷۶
 گیون ۶۱۵

گادفری دیویون ۶۹۶
 گارسن دوتاسی ۶۴۷ ۶۷۳
 گایت لاین ۶۸۴
 گایگر ۴۵۰
 گبرها ۴۱۴
 گتینگن ۴۷۷ ۵۲۴ ۵۶۳ ۶۶۷
 ۶۹۴
 گراف ۶۱۹
 گردین، امپراطور ۶۱۵
 گرشاسب نامه ۶۹۱
 گرگان (جرجان) ۵۳۷ ۶۵۳ ۶۸۲
 الگروگانی، ابوسلیک ۵۲۱ ۶۶۱
 گلاوین ۵۶۶
 گلور ۳۹۱

﴿ل﴾

لغة الفرس لأسدي ٦٥٥ ١٣٣	لاروس ٤٢٠
لندن ٦٤٧ ٦٢١ ٦١٢ ٥٦٦ ٣٦٧	لاله رخ ٤٧٢
٦٩٢ ٦٤٨	لاهيحي، ملا عبد الرزاق ٤٢٩
لوكري ٤٢٨	لايزيج ٥٢٥ ٥٠٢ ٤٠٩ ٣٨٥
لوزاك ٦٦٦ ٦٤٨	٦٦٩ ٦٦٢ ٦١٢
اللهجد الآرامية الشرقية ٦٩٥	لباب الألباب ٦٥٥ ٦٥٤ ٣٧٩
اللهجة الطبرستانية ٥١٢	٦٦٣ ٦٦٢ ٧٥٧
لي استرنج ٥٣٧	٦٧١ ٣٧٠ ٦٦٥
ليدن ٥١٦ ٥١٥ ٤٢٣ ٤٠٧ ٣٨٧	اللحام، أبو الحسن ٥٣٥
٦٧٥ ٥٥٨ ٥٢٨	لسان الملك سپهر ٤٦٤
ليلة البدر ٤٢٣ ٤١٨	لطائف المعارف ٥٢٠ ٣٧١ ٣٧٠
لين ٤٩٥ ٤٩٤ ٤٠٩	اللطيفة الغيبية ٤١٩ ٤١٥
لين پول، استانلي ٥٤٣ ٣٦٧	لغات عبري ٦٩٥ ٦٩٤
	لغة العرب ٣٩١ ٣٧٦



ما وراء النهر ٤٦٧ ٤٥٩ ٣٦٥	الماتريدي ٥٣٦
٥٠٢ ٤٧٨ ٤٧٧ ٤٧٣	مادرید ٤٣٩ ٣٩٧
٦٦٧ ٦٥٢ ٦٣٥ ٥٣٤	مارتين، هنري ٦١٨
ماهان (ميمون) ٣٨١	ماردين ٤٥١
ماهسا زنده ٤٧٤	ماريس، لويس ٦٥٢
ماه فروردين (شهر) ٤٥٩	مازيار ٤٤٨-٤٩٠ ٤٩٤ ٤٩٦ ٤٩٧
ماه نخشب (قمر) ٤٧٤	ماسينيون، پروفيسور ٦٢٠
ماير، فريتز ٦٤٨	ماكان، ترنر ٦٧٠ ٦٧١
المبدأ والمعاد لابن سينا ٤٢٨	مالك بن أنس ٣٩٩ ٣٩٦ ٣٩٤
المبرد ٥٤٨ ٥٢٤ ٥١٥	٤٤٠ ٤٠٤ ٤٠٣
المبشرون المسيحيون وسبب قلة نجاحهم	٥٦٢ ٤٤٦
في آسيا ٣٨٣	المالكي ٤٤١ ٤٣٩ ٤٠٣
المبشرون المسيحيون ورأيهم في الصوفية	المأمون ٣٧٥ ٣٧٠-٣٦٨ ٣٦٥
٦١٨	٤٢٥ ٤١٧ ٤١٦ ٣٨٧
المبيضة ٤٧٣ ٤٦٥-٤٦٣	٤٥٨ ٤٥٦ ٤٥٣ ٤٥٢
٤٧٩-٤٧٧	٥٠٣ ٥٠١ ٤٩٧ ٤٧٩
المتشابهات في القرآن الكريم ٤٢٥	٥١٨ ٥١٦ ٥٠٩ ٥٠٥
٤٢٧	٦٩٦ ٦٩٥
المتصوفة (انظر: الصوفية)	الماندائيون ٤٥١ ٤٥٠
المتصوفة من العرب ٤٤٨	ماني والمانوية ٥٥٦ ٥٣١ ٤٥٨ ٤٥٠
المتقي ٥٣٣	٦٤٧ ٦٣٠ ٦٠٥
المتكلمون ٥٦١ ٤٢٥	

المجوسي، علي بن عباس ٥٤٨
 المحاسبي ٦٠٢ ٥٠٨
 المحدث، ميرجلال ٣٩٨
 محفوظ، حسين علي ٣٨١
 محكمات القرآن ٤٢٦
 محمد إسحاق ٥٩٤
 محمد بن إسماعيل ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٣
 ٦٠٣ ٥٩٧
 الإمام محمد الباقر ٥٧٣ ٥٩٥
 محمد بن الحسن الشيباني ٤٠٣
 محمد بن الحنفية ٥٦٩
 محمد بن سيرين ٣٩٩
 محمد بن شهاب الزهري ٣٩٥
 محمد بن عبد الرحمن العامري ٣٩٩
 محمد بن عبد الصمد ٦٣١
 محمد بن عبد الله (موضوعات حوله)
 ٦٠٣ ٥٩٥ ٤١٠ ٣٨١
 ٦٩٦ ٦٩٥ ٥٢٩
 محمد بن عبد الله الأزدي ٤٠٢
 محمد بن عبد الملك الزيات ٣٦٧
 ٤٩٣ ٤٩١ ٤٩٠
 محمد بن علي بن عبد الله بن عباس
 ٣٦٨
 محمد بن علي بن عمر السالم ٣٩٩
 محمد عوض إبراهيم بيك ٣٦٦
 محمد بن فضيل بن غزوان ٣٩٦

المتنبي، أبو الطيب ٤٤٦ ٥٣٩-٥٤٢
 ٦٨٥ ٦٥٠
 المتوكل ٤٣٠ ٣٧٥ ٣٦٩-٣٦٧
 ٤٩٩ ٤٩٢ ٤٣٤ ٤٣١
 ٥١١ ٥٠٩-٥٠٤ ٥٠١
 المثوي ٦٨٩
 المثوي المولوي ٦٣٨ ٦٢١ ٦١٨
 ٦٤٧ ٦٤٢
 مجارستان (المجر) ٤٢٠
 مجالس المؤمنين ٦٣٨ ٥١٣ ٤١٨
 المجاهد ٣٩٥ ٣٩٤
 المجريطي ٤٣٩
 مجلس سنا (الشيوخ) ٥٨٩
 المجلة الأسبوعية ٥٤٠ ٥٣٤ ٥١٢
 ٦٥٢ ٥٧٩
 المجلة الملكية الأسبوعية ٥١٢ ٤٧١
 ٦٥٢ ٦١٩ ٥٨٧ ٥٣٧ ٥٢٠
 ٨٩١ ٦٦٦ ٦٥٨ ٦٥٥ ٦٥٤
 مجلة كاوه ٦٨٥
 مجلة مهر ٣٨٩
 مجمع الفصحاء ٦٦٣ ٦٥٥
 المجوس ٤٥٦ ٤٥٢ ٤١٤ ٤١٣
 ٦٣٥ ٦٠٥ ٤٩٦ ٤٦٠
 ٥١٠ ٤٦٢ ٤٦١ ٦٤٧
 ٥٣١
 المجوسي، ابن مهبزود ٦٥٣

المروزي، أبو منصور العمارة ٦٧٩
 المروزي، عباس ٥٠٢
 مريانوس ٣٩٩
 المريخ ٦٧٢
 مزدك والمزدكيون ٤٦٣-٤٦٧ ٤٧٠
 ٤٧٣ ٤٧٩ ٤٨٦ ٤٨٧
 ٤٩١ ٥٥٦ ٥٦٣
 ميزة اللغة الفارسية على غيرها ٣٨٢
 المسالك والممالك ٥٠٨
 المستعين ٣٦٨ ٥٠٩
 المستكفي ٥٣٣
 المستنصر، الخليفة الفاطمي ٥٨٠
 مسرور ٣٦٧
 المسعودي ٣٧٢ ٣٨٦ ٤٤٣ ٤٦٦
 ٤٨١ ٤٨٦ ٤٩٠ ٥٣٨
 ٥٣٩ ٦٠٨
 مسلم بن الوليد ٤٠٣
 المسلمية ٤٦٥ ٤٦٨
 مسند أحمد بن حنبل ٤٢٤
 مسند الدارمي ٤٢٤
 المسيح ٤٥٢
 المسيحيون والمسيحية ٣٨٣ ٤٠٩
 ٤١٠ ٤١٤ ٤١٥ ٤٥٠ ٤٥٣
 ٤٥٤ ٤٥٦ ٥٠٦ ٥٣٦ ٥٦٣
 ٥٧٢ ٥٧٩ ٦٢٤

محمد بن لقمان ٤٠٩
 المحمرة ٤٦٣ ٤٦٥ ٤٧٩ ٤٨٧
 محمود بن عثمان ٦٤٨
 محمود الوراق ٥٢١
 محيط المحيط ٤٨٣
 محيط الدين بن العربي ٦٣٩
 خلق القرآن ٤١٦ ٤١٧
 المدائن ٣٧٤ ٥٩٢
 المدائني ٤٠٦
 المدرج ٣٩٣
 مدرس، رضوى ٦٠٧
 مدرس، محمد علي تبريزي خياباني
 ٤٠٧
 مدينة طيبة ٣٨٠ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦
 ٤٤٠ ٤٥٧
 مراجل ٣٦٩
 مراکش ٤٤١ ٥٠٢
 المرجئة ٤٠٧ ٤١١ ٥٦١
 مردانشاه موبد نيشابور ٤٥٧
 مرداويج بن زيار ٥٢٧ ٥٣٤
 مرزبان نامه ٦٩٣
 مرقيونيه ٥٥٦ ٥٦٣
 مرو ٤٤٠ ٤٧٥ ٦٢٧ ٦٨٧ ٦٨٨
 مروان الأول ٣٨١
 مروان بن أبي حفصة (الشاعر) ٤٠٣
 مروج الذهب (انظر: المسعودي)

المسيحيون في خلافة المتوكل ٤٣١	مطران، محمد ٥٣٥
٥٠٧ ٥٠٦	المطيع ٥٣٧ ٥٤٣
المسيحيون في عهد الخلفاء الفاطميين	المطيع بن إياس ٤٥٨
٥٧٩	مظهر بن طاهر المقدسي ٤٦٢
مسيحيو هندوستان ٣٨٣	المظهرية ٤٧٠ ٥٣٠ ٦٢٩
انتقال العلوم من اليونان إلى الشرق على يد	المعارف الإسلامية ٤٢٦
مسيحي سوريا ٤٥٤	معاني وبيان العرب ٣٩٠
العلماء المسيحيون في الإسلام ٤٠٦	معاوية ٣٦٥ ٣٧٩
٤٥٦ ٥٠٨ ٥١٦ ٥١٧ ٥٣٦	معبد الجهني ٤١٤
تأثير الدين المسيحي في الإسلام ٤٢٦	المعتز ٣٦٨ ٥٠٩ ٥١١
٦٢٤ ٤٦٤ ٤٦٣	المعتزلة ٣٦٩ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤٤١-
عدة أبيات في مدح ابن الراهب ٦٦٣	٤١٦ ٤١٨-٤٢٥ ٤٢٨
المسيحية في نظر الصوفية ٦٤٧	٤٣٠ ٤٣٣-٤٣٧ ٤٣٩
(انظر: العيسويين)	٤٤٦ ٤٥٦ ٥٠٤ ٥٠٧
المشبهة ٤٦٧	٥١٥ ٥١٧ ٥٣٦ ٥٣٨
المشرقي، فيروز ٦٦٠ ٦٦١	٥٦١ ٥٧٤ ٦١٨ ٦٢٩
مشكوة الأنوار ٥٣١	٦٣٨
مشكوة، سيد محمد ٤٢٦	المعتصم ٣٦٥ ٣٦٨ ٤٠٧ ٤١٦
المشيئة الأزلية ٤٢٠	٤٨٧ ٤٩٦ ٥٠٥
المشير (وزير) ٣٧١	المعتضد ٣٦٨ ٥٢٥ ٥٨٦
مصر والمصريون ٣٨٢ ٣٨٤ ٣٩٦	المعتمد ٣٦٨ ٥١٥ ٥١٨ ٥١٩
٣٩٧ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٤٠ ٥٠١	٥٢٢ ٥٦٤
٥٣٧ ٥٤٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٧	المعجزة الخالدة ٤٢٦
٥٧٩-٥٨١ ٦٥٠	المعجم في معايير أشعار العجم ٦٧٣ ٦٨٥
مصنفات الشيعة الإمامية في العلوم	المعجم المفهرس ٤٢٣
الإسلامية ٣٩٢	المعد، أبو تميم ٥٣٨

المقنع ٤٦١ ٤٦٣ ٤٦٥ ٤٧٢ ٤٧٣
 ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩
 المكتفي ٥٢٤ ٥٢٥
 مكة المعظمة ٣٧٩ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٦
 ٥٩٢
 الملاحدة ٥٩٥
 ملاصدرا ٣٩٦ ٤٢٧ ٤٢٨
 ملا فتح الله الكاشاني ٦٦٠
 ملحقات دانيال الخاصة بالتوراة
 ٦٩٤-٦٩٦
 مناقب الشعراء ٦٥٥
 المنانية ٥٦٣
 المنتصر العباسي ٣٦٨ ٥٠٨
 منجيك ٦٦٢ ٦٧٣
 منجستر ٣٨٠ ٦٥٥ ٦٥٩
 المنذر، سلطان الحيرة ٣٧٩
 المنصور، أبو جعفر ٣٨٤
 منصور بن إسحق الساماني ٥٣٢
 ٥٣٩ ٦٧١ ٦٩١ (انظر: الساماني)
 منصور الحلاج (انظر: الحلاج)
 منصور الثاني الساماني ٦٨٠
 منصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن
 عباس ٣٧٢ ٣٧٣ ٤٠٢ ٤٢٥
 ٤٤٠ ٤٥٦ ٤٦٦-٤٦٩
 ٤٧١ ٥٠٥ ٥٠٧ ٥٨٥
 منطق الطير ٦٤٧

معروف الكرجي ٦٢١
 معروف، البلخي ٦٦٥
 المعري، أبو العلاء ٥٤٢ ٥٤٣
 المعز ٥٣٨ ٥٧٩ ٥٨٠
 المعلقات ٤٠٢ ٤٠٣ ٥٤٠
 معمر ٣٩٥ ٣٩٦
 معمر بن راشد الصعاني ٣٩٤
 معمري (معماري) الكركاني، الشيخ أبو
 زراعة ٦٦٨
 المعمرون ٥١٥
 معنوى البخاري ٦٨٠
 معين، الدكتور محمد ٦٠٦ ٦٧٢
 المغتسلة ٤٥٠ ٤٥١
 مخدم (انظر: الدكتور محمد مخدم)
 مغربيان (المغاربة) ٤٩٤ ٥٥٦ ٦٥٠
 مغويش ٥١٠
 المغول وبلاد المغول ٤٢١ ٥٥٠
 مفاتيح العلوم ٥٤٤ ٥٥١ ٥٥٦
 مفاتيح الغيب لملاصدرا ٤٢٦ ٤٢٧
 المفضل الضبي ٤٠٣ ٤٠٦
 مفيد، الشيخ ٤٠٩
 مقامات الحريري ٦٧٤
 المقتدر ٥٢٦ ٥٢٨ ٥٣١ ٥٣٢
 ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٣١
 المقدسي ٤٣٧ ٥٤٥
 مقدمة الأدب ٣٩٠

الموطأ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٩ ٤٢٤
 الموفق، أبو منصور ٦٥٦
 الموفق العباسي ٣٦٨
 مول، زول ٥٤٠
 المولوي ٤٣٢-٤٣٤ ٤٣٩ ٥٦٥
 ٦٠٧ ٩١٨ ٦٢١ ٦٣٨
 ٦٣٩ ٦٦١
 المولوية، سلسلة ٦٣٩
 مونك ٦٩٤
 مونوفيزيتي ها ٦٩٤
 المؤيد بالله، سيد أبو الحسن ٥١٢
 مؤيد الدولة ٥٤٦ ٦٦٢
 مؤيد الملك ٦٧٥
 موير، سير ويليم ٣٦٣ ٤٧١ ٥٠٥
 ٥٠٧ ٥٠٩
 المهدي ٣٦٨ ٥٠٩
 المهدي (ظهور حضرة القائم عجل الله
 تعالى فرجه) ٥٧٦
 المهدي، الخليفة العباسي ٣٨٧ ٤٠٢
 ٤٠٣ ٤٥٨ ٤٧١-٤٧٣
 المهدي، عبيد الله ٥٢٦ ٥٩٧
 المهديّة ٥١٩ ٥٢٦ ٥٣٨ ٥٧٧
 مهر ٤٦٠
 مهرجاني (انظر: النهرجوري)
 مهرگان ٣٧٥ ٦٨٨
 مهيّار بن مرزويه الديلمي ٦٥٣

المنطقي الرازي ٦٦٢ ٦٧٤ ٦٧٦
 ٦٧٧ ٦٧٨
 منظومات العصر الأموي ٤٠٠
 المنقذ من الضلال ٦١٧
 من لا يحضره الفقيه ٥٤٨
 منوچهري ٤٨٩ ٥٠٣ ٥٤٠ ٦٨٦
 الميني ٦٦٦
 الموالي ٣٧٦ ٣٨١-٣٨٣
 موبدان (الموابدة) ٤٦١
 مؤتمن، قاسم ٣٦٧
 مور، سيرتومس ٤٧٢ ٦٥٢
 المورياني، أبو أيوب ٣٧٣
 موريه ٦١٨
 موزه بریتانیا (المتحف البريطاني)
 ٣٩٧ ٥١٢ ٦٢٨ ٦٥٣
 ٦٥٤ ٦٥٦ ٦٦٦ ٦٨٥
 موزه بودلين ٥١٢
 الموسوي، أبو جعفر ٥٣٥
 موسى بن علي بن عباد الله بن عباس ٣٦٨
 الإمام موسى الكاظم ٤٤٢ ٥٧٠ ٥٧٣
 موسى كلیم الله ٤٢٤ ٥٩٧ ٦٢٥
 ٦٢٩ ٦٤٢
 موسى بن نصير ٣٨١
 الموصل ٦٥٠
 الموصلی، إبراهيم ٥٠٨
 الموصلی، إسماعيل هبة الله ٥٢٢

میمونیه ۵۷۵
میهن دوستی ایرانیان (وطنیة ایرانیین)
۵۹۴-۵۹۱

میرزا آقاخان الکرمانی ۵۹۲
میکائیل ۶۲۵
میمذ ۴۸۱ ۴۸۳
میمون (ماهان) ۳۸۱

(ن)

نژاد سامي (العنصر السامي) ٤١٣	نازوك ٦٣٦
٦١١ ٤٥٥	ناسوليز ٤٤٦
النسائي ٥٣٢ ٥١٦	الناشي ٥٤٢
نسف ٤٧٢	ناصر خسرو ٣٨٨ ٤٠٦ ٤٤١ ٥٦٥
النسيمي ٦١٩	٥٧٨ ٥٨٠ ٥٨٦ ٦٠٦
النصاري ٣٧٨ ٤٣١ ٤٦٢ ٥٠٥	٦٨٣ ٦٧٣
٥٦٠ ٥٥٦	ناصر الدين قريجه ٦٧٥
نصر الأول ٥١٨	ناطق ٥٩٦ ٦٠٣
نصر بن سيار ٣٨٣	نامه هاي پيامبر به پادشاهان : (رسائل
نصر الثاني ٥٢٧ ٥٣٤ ٦٦٥ ٦٦٨	الرسول إلى الملوك) ٣٩٣
النصيريون ٤٥٣ ٥٧٣	نامي ٥٤٢
نضر بن الحارث العبدي ٣٩٠	ناهيد ٦٧٢
نظام الملك ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٧ ٤٧٩	النبطي ٣٨٤
٦٨٦ ٥١٣ ٥١٨ ٥٨٢ ٦٦٥	النبطيون ٤٥٧
نظامي عروضي السمرقندي ٤٧١	النبوغ الآري ٤٤٩
٦٧١ ٦٦٦ ٦٥٤	نيرتندي ٥١٠
النظامية ٤٣٧	النحو العربي ٣٧٧
النعمان، أبو حنيفة ٤٠٢	نخشب ٤٧٢
النعمان، سلطان الحيرة ٣٨٣	نربرگ ٤٥١
نفحات الأنس ٤٢٤ ٤٤٥ ٤٤٦	النرشخي ٥٣٩
٥٣٠ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١٩	النرمانيون ٦٩٣
٦٢٢-٦٢٤ ٦٣٨	نژاد آرياني (العنصر الآري) ٦١١
النفيسي، سعيد ٤٩٠ ٥٩٤ ٦٦٧	

النقاش، أبو سعيد ٦٦٦	النويري ٥٩٩ ٥٩٨
نوبخت ٥٩٤ ٤٦٦	نهب بغداد ٤٠٠
النوبختي، أبو سهل ٦٢٨	نهج البلاغة ٤٣٣
نوبهار، پرستشگاه (معبد) ٣٦٥	النهرجوري، أبو أحمد ٤٣٧
٣٧٢	النهروان ٦٣٢
نوبندجان ٥٣٣	نياوراني، ميرزا هادي ٤٢٩
نوح ٦٢٩ ٥٩٧ ٤٧٥	نيروانه ٦٤٥
نوح بن منصور الساماني ٥٤٧ ٥٤٣	نیشابور ٤٦٧ ٤٦١ ٤٥٩ ٤٥٧
٥٤٨ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٤ ٦٩١	٥٢١ ٥١١ ٥١٠ ٤٦٩
نوح بن نصر الساماني ٥٤٣ ٥٣٤	٦٢٧ ٥٣٩
نودنود ٤٨٨	النیشابوري، مسلم ٥١٦
نور الدين أتابك سورية ٥٨٠	نيكلسون، پروفيسور ٦١٣ ٤٤٨
نور آسيا ٦٤٥	٦٤١ ٦٢١ ٦٢٠ ٦١٦
النوروز ٦٨٨ ٣٧٥ ٣٧٤	نيكي نامه ٦٩٣
نوشيروان ٦١٢ ٥١٠ ٤٥٥ ٤٥٠	نيوكاسل ٦٦٥
٦٩٦ ٦٨١ ٦١٥	نيويورك ٦٢٠ ٢٤٠
نولدكه ٤٦٥ ٤٥١ ٣٨٠ ٣٧٩	
٥١٢ ٥١١ ٥٠٧ ٤٩١	
٦٧١ ٦٦٩ ٥١٩ ٥١٤	

هزارويك شب (ألف ليلة وليلة)	الهادي العباسي ٣٦٨ ٣٧٥ ٤٥٨
٤٠٤ ٣٦٧	٤٧١
هشام بن الكلبي ٤٠٤	هاربروكر ٤٧٨ ٤٧٩ ٦١٤
هشام الخليفة الأموي ٣٨٤ ٤١٥	هارون بن عيسى بن منصور ٤٩٠
هشام بن عروة ٣٩٣	هارون الرشيد ٣٦٥ ٣٦٧ ٣٦٩
هفت إقليم ٦٦٠	٣٧٢ ٣٧٤ ٣٧٥ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٦
هفت إمامي ٥١٧ ٥٦٧ (انظر: السبعية)	٤١٨ ٤٥٦ ٤٥٨ ٤٧١
هلند (هولندا) ٤١٣ ٤٢٠ ٤٢٤	هاشم بن حكيم ٤٧٢
٥٧١	الهاشمية ٤٧٠
هلنو پوليس ٤٥٣	هجر ٥٢٠ ٦٦٥
همائي، جلال الدين ٣٨٩	هدايت، رضاقلي ٦١٠ ٦٥٥
همدان ٤٦٦	هدايت، مهديقلي ٦١٠
الهمداني، بديع الزمان ٦٧٤	هذيل ٥٢٣
هندشناسان (علماء الهند) ٤٤٩	هرات ٤٧١ ٥١١
٤٥٠	الهرثمي، أبو النصر ٥٣٥
هندوستان ٣٧٣ ٣٨٣ ٤٠٦ ٤٤٨	هرمز ٣٨٨
٦١٢ ٥١٢ ٤٥٦ ٤٤٩	هرمزان ٣٨٥
٦٤٤ ٦٣٥ ٦٣١ ٦٢٤	هرمزد ٦٧٢
٦٥٧ ٦٥٦	هرمياس ٦١٥
خدمات الهندو للأدب العربي ٤٥٧	هرن، الدكتور پاول ٥٠٢ ٦٥٥
عجائب هندوستان ٥٣٨	٦٦٦ ٦٦٩ ٦٨٦
سفر الحلاج إلى الهند ٦٣١ ٦٣٥	الهروي، أبو شعيب صالح بن محمد
السلطان محمود وفتح الهند ٩٤٥	٦٦٣

هومز ٤٣٧ ٤٣٨
الهيشم بن معاوية ٣٩٦ ٤٦٩
هيربدان ٤٦١
هيستينجز ٦٢٠
هيوز ٦٢٥ ٦٤٧

نفوذ الهند في العقائد الصوفية ٤٤٨
٤٤٩ ٦١١ ٦٢٤ ٦٤٤
هنديان (الهنود) ٣٧٣ ٥٥٦ ٦١١
هوار، كلمان ٤٦٢
هوتسمه ٤٥٨ ٦٧٥
هود ٥٦٣ ٦٢٩

ودانتا سرا (قدانتا سرا) ٦١١	واتيكان (الفاتيكان) ٦٥٥
ورزنين ٥١٤	الواثق ٤١٧ ٤١٦ ٣٦٨ ٣٦٣
الورزني، علي بن محمد ٥١٤	٤٩٦ ٤٣١
الوزارة ٣٧٠	واسط ٦٣٥ ٦٣٤ ٥١٤ ٣٩٦
وزارت فرهنگ ايران (المعارف)	الوافي بالوفيات ٤٢٧
٦٦١ ٦١٢ ٤١٤	الواقد (انظر: التميمي)
وزارة المعارف المصرية ٣٦٦	الواقدي ٤٠٧ ٤٠٥ ٣٩٥ ٣٧٨
وزارة هندوستان (الهند) ٦٥٦	٤١٦
الوزير ٣٧١ ٣٧٠	وامق والعذراء ٥١٠
وشمكير، قابوس ٥٣٤ ٥٤٣ ٦٥٠	وان (فان) ٦٤٧ ٦٢٠ ٦١٦
٦٨٢ ٦٨١ ٦٧٨	وايل، الدكتور جوستاف ٣٩٧
وصيف ٥٠٤	وايمار ٥٢٥
وطن دوستي ايرانيان (وطنية الإيرانيين)	وبستر ٤٢٠
٥٩١	الوثنية (انظر: بت پرستي: عبادة الأصنام)
وفيات الأعيان ٤٦٩	الوجد والحال ٦٣٩
ولز ٦٥٢ ٦٥٠	وچير ٣٧٠
ولف تن ٥١٠	وحدت ملي ايران (الوحدة القومية الإيرانية) ٥٩٤
ولوالجي، أبو عبد الله محمد بن صالح	وحدة الوجود ٤٥٠ ٤٤٤ ٤٣٩
٦٧٩	٦٣٧ ٦٢٦ ٦٢٥ ٥٥٥
وليد الأول (ابن عبد الملك) ٤٧٢	ودا (القداء) ٤٤٩
وليد بن يزيد ٣٩٥	ودانتا (قدانتا) ٤٤٨
ونسينك (فنسنيك) ٤٢٣ ٤٢٤	

ويچرا ۳۷۰
وينفيلد ۶۴۷ ۶۴۲
وينه (فينا) ۶۹۲ ۶۵۶ ۶۴۷ ۵۵۸

ون (فن) فلوتن ۵۱۶ ۴۷۲ ۳۸۷
۵۴۴
وهب بن عمرو ۴۱۸
وهب بن منبه ۳۹۹
ووستنفلد ۳۹۹ ۳۹۷ ۳۹۰ ۳۸۰
۴۷۵ ۴۷۴ ۴۵۷ ۴۰۵
۵۶۳ ۵۲۴ ۴۷۷

(ي)

اليافعي ٦٢١	اليعقوبي، ابن الواضح ٤٦٦ ٤٧٢
ياقوت الحموي ٤٧٦ ٤٧٧	٤٧٧ ٤٨٠ ٥٢٤
يتيمة الدهر ٥٣٤ ٥٣٩ ٥٤٧ ٦٤٩	يغمائي، حبيب ٦٩١
٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٦ ٦٦٢	يقرم الخليفة النصراني ٥٧٩
٦٧٧ ٦٧٨ ٦٨١ ٦٨٧	اليمن ٣٦٩ ٣٨٠ ٣٨٢ ٣٩٤
٦٨٨	٣٩٦ ٤٣٥ ٥٢٥ ٥٥٧
يحيى بن البرمكي ٤٠٥	٥٨٢ ٥٦٤ ٥٨٦
يحيى بن البطريق ٤٠٤	يمين الدولة، السلطان محمود ٦٨٠
يحيى بن خالد بن برمك ٣٧٤ ٣٧٥	اليمني ٦٦٦
يحيى الدمشقي ٤١٣	ينابيع المودة ٤٣٣
يحيى بن زيد ٤٧٧ ٤٧٨	يوتيكوس ٥٣٦
يحيى بن ماسويه ٥٠٨	يوحنا ٦٩٦
يحيى بن معاذ ٤٨٠	يوحنا بن ماسويه ٤٥٦
يزد ٥٠٦	يوستي ٤٨٢
يزدجرد الثالث ٤٧٢	يوسف البرم ٤٧٢
يزيد الثاني ٤١٥	يوسف وزليخا ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٧
يزيد الثالث ٤٧٢	يولاليوس ٦١٥
يزيد بن المهلب ٣٨١	يوم الحرة ٣٩٣
يزيدي ٤٥٤	اليونان واليونانيون ٣٧٨ ٣٨٤ ٣٩٢
يعقوب بن الليث الصفار ٥٠٩ ٥١٠	٤٠٤ ٤١٦ ٤٢٥ ٤٢٦
٥١١ ٥١٣ ٥١٧-٥١٩	٤٣٨ ٤٥٣-٤٥٦ ٥٥٦
٦٨٥ ٦٨٦	٥٥٧ ٦٢٤ ٦٨٤
	اليوناني (انظر: الخط اليوناني واللغة اليونانية)

يهوديان (اليهود) ٣٧٨ ٤٠٣ ٤٠٥

٤٣١ ٤٥٠ ٤٥٢ ٤٥٧

٤٦٢ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٥٦

٥٦٤ ٥٧٢ ٦٤٢ ٦٩٥

٦٩٦

ييتس ٦٥٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



Bibliotheca Alexandrina



0338237